



مركز تحقيق التراث
دار الكتب والوثائق القومية

نهاية الأرب في

فنون الأدب

لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣ هـ

الجزء الثالث والثلاثون

معين التارخ
جزوب

مراجعة

تحقيق

لاهل التارخ

د. محمد مصطفى زيادة

الأستاذ مصطفى جباري

الطبعة الثانية

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. صلاح فضل

النويرى، أحمد بن عبد الوهاب ، 1278 - 1333 .
نهاية الأرب فى فنون الأدب/ لشهاب الدين أحمد بن
عبدالوهاب النويرى؛ تحقيق مصطفى حجازى؛ مراجعة محمد
مصطفى زيادة . ط 2 . - القاهرة: دار الكتب والوثائق
القومية ، 2002 .

مج 33 ؛ 28 سم .
يشتمل على إرجاعات بيبليوجرافية
تدمك 6 - 0249 - 18 - 977

٨١٠,٨

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٢/٢٠٥٦٩

I.S.B.N. 977 - 18 - 0249 - 6

تقديم بقلم المحقق

هذا هو الجزء الثالث والثلاثون^(١) من كتاب: «نهاية الأرب فى فنون الأدب» لمؤلفه أحمد بن عبد الوهاب النويرى، وهو آخر أجزاء هذا الكتاب، وجدير بنا - وقد بلغ الكتاب غايته - أن نسترجع هنا بعض ما ذكره النويرى فى خطبة هذا الكتاب الموسوعة، لنرى الأساس الذى بنى عليه كتابه، والمنهج الذى جرى عليه فى تصنيفه، فقد قال - رحمه الله - إنه ضمنه من «فنون الأدب خمسة فنون حسنة الترتيب، بيّنة التقسيم والتبويب، كلّ فن منها يحتوى على خمسة أقسام»^(٢) وكل قسم يشتمل على أبواب، وهذه الفنون - كما أوردها النويرى - هي: -

١ - الفن الأول: فى السماء والآثار العلوية والأرض والمعالم السفلية.

٢ - الفن الثانى: فى الإنسان وما يتعلق به.

٣ - الفن الثالث: فى الحيوان الصامت، ويعنى به ماعدا الإنسان من سائر الحيوان.

٤ - الفن الرابع: فى النبات.

٥ - الفن الخامس: فى التاريخ.

وقد استغرقت الفنون الأربعة الأولى الأسفار من الأول حتى نهاية السفر الثانى عشر، أما الفن الخامس - وهو التاريخ - فقد جاء أوسع هذه الفنون وأشملها، ورتّب - كغيره من الفنون - فى خمسة أقسام، أربعة منها اشتملت عليها الأسفار: الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، وتحدث فيها -

(١) هذه تجزئة نهاية الأرب المطبوع، ويقابله فى تجزئة المخطوط - فى نسختى كوبرلى والأستانة - الجزء الحادى والثلاثون.

(٢) انظر نهاية الأرب ٣/١ وما بعدها.

كغيره ممن سبقوه - عن بدء الخليقة، وخلق آدم وحواء، وأخبار الرسل والأنبياء، وأخبار ملوك الأصقاع، وملوك الأمم والطوائف، ووقائع العرب في الجاهلية.

وافتح السفر السادس عشر بالقسم الخامس من فن التاريخ، وقد عقده لأخبار الملة الإسلامية، وجعله اثني عشر باباً، أولها: في سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وآخرها - وهو الباب الثاني عشر الذي افتتح به السفر الثامن والعشرين - ابتدأ به «أخبار ملوك الديار المصرية الذين ملكوا في خلال الدولة العباسية نيابة عن خلفائها، وهم الملوك العبيديون.. وما كان من أمرهم، وما ملكوه من بلاد المغرب، وكيف استولوا على الديار المصرية، والبلاد الشامية والحلبية، والثغور والسواحل، وغير ذلك إلى أن انقرضت دولتهم، وقيام الدولة الأيوبية، وأخبار ملوكها بمصر والشام إلى حين انقراضها؛ وقيام دولة الترك، ومن ملك منهم من أبنائهم، وما حازوه من الأقاليم، وما فتحوه من الممالك، وما استقر في ملك ملوك هذه الدولة، إلى حين وضعنا لهذا التأليف في سنة (١) ... وسبعمئة في أيام مولانا الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون.

وقد عاش النويري حياته في عهد الملك المنصور قلاوون (٢)، وعهد ولديه: الملك الأشرف صلاح الدين خليل (٣)، والملك الناصر (٤) محمد بن قلاوون، فقد ولد النويري - كما يذكر لنا في حوادث سنة ٦٧٧هـ - «في ليلة يسفر صباحها عن يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي القعدة بمدينة إخميم من صعيد مصر» (٥) وكانت ولاية المنصور قلاوون ملك مصر في السنة التالية، يوم الأحد العشرين من شهر رجب سنة ٦٧٨هـ، وحين آل الملك إلى ابنه الناصر محمد سنة ٦٩٣هـ - في ولايته الأولى - كان عمر النويري ست عشرة سنة، ومات سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة - في ولاية الناصر الثالثة - وعمره ست وخمسون سنة.

(١) هكذا بيّض له النويري في الأصل وكأنه أراد أن يظل جبل التأليف ممدوداً ما امتد به العمر من سنى هذا القرن، وانظر نهاية الأرب ٢٥/١.

(٢) الملك المنصور قلاوون هو السابع من ملوك دولة الترك بمصر، وانظر: نهاية الأرب ٧/٣١.

(٣) الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن المنصور قلاوون هو الثامن من ملوك دولة الترك بمصر، وانظر: نهاية الأرب ١٧٧/٣١.

(٤) الملك الناصر محمد بن قلاوون هو التاسع من ملوك دولة الترك بمصر، وانظر: نهاية الأرب ٢٦٧/٣١.

(٥) انظر: نهاية الأرب ٣٨٦/٣ و ٣٨٧ فقد أورد النويري خبر مولده، وذكر نسبه مطولاً، وهو: «أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدايم بن عبادة...» وارتفع به إلى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق - رضى الله عنه - صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخليفة من بعده.

وهذا الجزء هو آخر أجزاء الكتاب، وفيه يواصل النويرى الكلام فى «أخبار الملك الناصر محمد بن قلاوون، مبتدئاً بحوادث سنة إحدى وعشرين وسبعمائة التى «استهلّت بيوم السبت المبارك» وكان أول ما أرخ له فيها: «وصول أوائل الحاج الذين وقفوا بعرفة سنة عشرين وسبعمائة فى أول ليلة يسفر صباحها عن يوم الاثنين الثالث من المحرم سنة إحدى وعشرين وسبعمائة» وقد مضى فيه على منهجه فى ذكر الوقائع والأخبار، ووفيات الأعيان، سنة بعد أخرى، حتى اختتمه بنهاية حوادث سنة ثلاثين وسبعمائة.

وأغلب الظن أن النويرى رصد ما وقع من الحوادث والأخبار فيما تلا هذا التاريخ، ليجمع منها مادة الجزء الذى يليه، ثم يشرع فى تدوينه حين يصبح لديه من هذه المادة ما يصلح لتصنيف جزء جديد، هكذا صرح عزمه، وحالت دونه منيته التى حانت سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، فقد ورد فى آخر هذا الجزء من نسخة كوبرلى ما نصّه: «آخر الجزء الحادى والثلاثين^(١) من نهاية الأرب فى فنون الأدب، يتلوه - إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الثانى والثلاثين منه - : واستهلّت سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة بيوم الأحد، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعلى آله وصحبه...».

وهكذا يكون النويرى قد أنجز ما وعد به القارئ فى مقدمته من تأليف هذا الكتاب الموسوعة، وأتى على آخر ما أراداه فى الباب الثانى عشر من القسم الخامس من فن التاريخ، وهو «ذكر قيام دولة الترك، ومن ملك منهم من أبنائهم بمصر... إلى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون».

وقد لاحظنا أن النويرى حين أخذ يؤرخ للحقبة التى عاشها فى دولة المنصور قلاوون، وفى دولتى ابنيه - الملك الأشرف صلاح الدين خليل، والملك الناصر محمد - بدت خطواته بطيئة شيئاً ما، حتى رأينا الجزء الحادى والثلاثين لم يشتمل إلا على أخبار اثنتين وعشرين سنة، والجزء الثانى والثلاثين ضم أخبار عشرين سنة، ورأينا هذا الجزء الثالث والثلاثين - يشتمل فقط على أخبار عشر سنوات (من سنة ٧٢١هـ إلى ٧٣٠هـ) ويرجع ذلك - فى تقديرنا - إلى أمرين:

(١) هذه تجزئة المخطوطتين وقد أسلفنا القول أن هذا الجزء يقابله فى المطبع الجزء الثالث والثلاثون.

أولهما: أن النويرى لم يكن فيما أورده من تاريخ هذه الفترة مؤرخاً فحسب، بل كان شاهداً على عصره، وواحداً من رجال هذه الدولة، حيث قربه إليه الناصر محمد بن قلاوون، فكانت له عنده حظوة كبيرة، حتى وكله فى بعض أموره، وتقلب فى الوظائف الديوانية، فولى نظارة البيمارستان المنصورى^(١)، ونظارة الجيش فى طرابلس، ونظر الديوان فى إقليم الدقهلية والمرتاحية.. فأتاح له موقعه أن يشهد من الحوادث، ويعرف من الأخبار ما ضمنه كتابه فى تاريخ هذه الفترة.

وثانيهما: أن النويرى فى هذا الجزء - فى حوادث سنة خمس وعشرين وسبعمائة - استطرد بذكر تاريخ اليمن من الفتح الإسلامى إلى هذه السنة، وذكر أنه اقتبس من كتاب: «بهجة الزمن فى تاريخ اليمن» لمؤلفه القاضى عبد الباقي بن عبد المجيد اليمانى، الذى قدم إلى الديار المصرية فى هذه السنة، وأطلع النويرى على كتابه هذا، فنقله مختصراً^(٢). وقد استغرق تاريخ اليمن من هذا الجزء أكثر من ثلثه^(٣).

وفى تحقيق هذا الجزء اعتمدنا على نسختين مصورتين عن أصليهما المحفوظين بالآستانة:

١ - النسخة الأولى مكتوبة بقلم نسخى معتاد، ومسطرتها ٣٥ سطراً، وعدد صفحاتها ١٠٧ من قطع الربع، وفى صفحتها الأخيرة خاتم نقشه: «هذا ما أوقفه الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبى عبد الله محمد، عرف بكويرلى، أقال الله عثارهما» وهى محفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٤٩

(١) باشر النويرى هذه الوظيفة أربع سنوات: من شوال سنة ٧٠٣ إلى آخر رمضان سنة ٧٠٧ وانظر نهاية الأرب ١٠٨/٣١.

(٢) نشر كتاب «بهجة الزمن فى تاريخ اليمن» لابن عبد المجيد اليمانى بتحقيق عبد الله الحبشى، ومحمد أحمد السبباني سنة ١٩٨٨ (ط. دار الحكمة بصنعاء) وقد أطلعنا عليه فلاحظنا أن ما اختصره النويرى منه لا يعدو الأشعار التى كان يمدح بها بعض شعراء اليمن ملوكهم، وأكثرها نظم ركيك، أما الحوادث والأخبار فإنها تكاد تكون متطابقة مع رواية النويرى فى هذا الجزء.

(٣) يشغل هذا الكتاب من نسخة كويرلى الصفحات من ٢١ إلى ٦١ ومن نسخة الآستانة الصفحات من ٧٤ إلى ١٩٩.

(معارف عامة) وقد رمزنا إليها فى الحواشى بالحرف (ك) ووضعنا أرقام صفحاتها بين قوسين هكذا () فى الهامش وقد اعتمدنا هذه النسخة أصلاً للتحقيق.

٢ - والنسخة الثانية مكتوبة بخط واضح، وبها بعض هوامش استدراكية، وعدد صفحاتها ٢٨٦ صفحة، وتقع فى قسمين: الأول منهما يضم ١٤٢ صفحة، والثانى ١٤٤ صفحة، ومسطرتها ١٩ سطراً، ومساحة صفحتها ١٧×١١ سم، وهى مأخوذة بالتصوير الشمسى عن أصلها المخطوط بالآستانة، ومحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥١ (معارف عامة) وقد رمزنا إليها فى الحواشى بالحرف (أ) ووضعنا أرقام صفحاتها - فى هامش المتن - بين قوسين فى صفحتها.

هذا. وكنت قد فرغت من تحقيق هذا الجزء فى سنة ١٩٦٢م، وقام بمراجعته سنة ١٩٦٣م المرحوم الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة، فأثنى على ما بذلته من جهد فى تحقيقه، وأجازه للنشر حينذاك، وبقيت بعد ذلك أنتظر صدوره، حتى «طال الأمدُ على بُدِّ» كما يقولون، وخشيت أن ينقضى العمر قبل أن أراه مطبوعاً، ولكن شاء الله - وله الحمدُ والمِنَّة - أن يصدر أخيراً برعاية الأستاذ الفاضل الدكتور محمود فهمى حجازى رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، وبعناية الأستاذ السيد حسن عرب المدير العام لمركز تحقيق التراث، ومعاونيه من الباحثين بالمركز، وأخص منهم بالذكر الأستاذ سيد على حسين - الباحث الأول - الذى تابع هذا الجزء، وراجع تجارب المطبعة، والأستاذ مصطفى موسى الباحث بالمركز، فلهم منى جميعاً جزيل الشكر، وجزاهم الله عنى خير الجزاء.

وبعد. فلا يفوتنى أن أنبه إلى حاجة هذا الكتاب الجليل إلى فهارس فنية تفصيلية، تيسر الانتفاع به، وتعين الدارسين والباحثين على الإفادة مما حواه من فوائد جمة، ومعارف عامة، ولم يعد خافياً على أحد ما لهذه الفهارس من قيمة عظيمة فى الكشف عما اشتملت عليه أمثال هذه الكتب من خبايا يصعب

التهدّي إليها بدونها، فضلاً عن اختزالها للوقت، وتوفيرها للجهد، ولعل من أهم هذه الفهارس:

فهرس الأعلام، وتمييز من ترجم لهم، أو ذكر وفياتهم.

فهرس أعلام القبائل والأمم والطوائف.. وما إليها.

فهرس البلدان ونحوها من الحصون والقلاع والقصور.

فهرس أعلام المواضع والجبال والمياه.

فهرس الشعراء.

فهرس القوافي.

فهرس الأمثال.

فهرس الألفاظ الاصطلاحية في مختلف شئون الحياة الاجتماعية من: وظائف، وآلات، وأدوات، وآنية، وطعام، وشراب، ولباس... إلخ

فهرس الكتب المنسوبة إلى أصحابها... إلخ

ولاشك أن لكل كتاب طبيعته التي ترشد إلى صنع فهارسه، وما أكثر ما يمكن عمله من فهارس لهذا الكتاب الموسوعة. ومركز تحقيق التراث مأمول للنهوض بهذا العمل الدقيق الذي يحتاج إلى الخبرة الجيدة، والجهد الجهد، وهو بما لديه من الباحثين الأكفاء قادر - إن شاء الله - على تحقيق هذا الأمل العزيز ﴿تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء﴾ والله من وراء القصد، وهو الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد.

الدقى فى ٣ من رجب سنة ١٤١٧هـ
= ١٤ من نوفمبر سنة ١٩٩٦م

عضو مجمع اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه توفيقى) (١)

ذكر وصول أوائل الحاج الذين وقفوا بعرفة فى سنة عشرين وسبعمائة

واستهلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة بيوم السبت المبارك، وفى أول ليلة يُسفر صباحها عن يوم الاثنين الثالث من المحرم من هذه السنة وصل إلى مصر المحروسة القاضى فخر الدين محمد ناظر الجيوش المنصورة الإسلامية من الحجاز الشريف بعد أن وقف بعرفة فى يوم الجمعة، ولم يبلغنا أن أحداً ممن وقف بعرفة وصل فى مثل هذا التاريخ، وكما وصل الأمير شمس الدين آقْسُنْقَرُ الناصرى شاد^(٢) العماثر من الحجاز فى سابع المحرم سنة تسع عشرة وسبعمائة - كما تقدم - استعظم الناس ذلك، وكان الناس قبل ذلك إذا أسرع من يحضر منهم بالبشارة يصل يوم عاشوراء.

ولما وصل القاضى شمس الدين توجّهتُ إليه، وسلّمت عليه، وسألته عن خبر سفره فى ذهابه وإيابه، فأخبرنى أنه ركب من داره بمصر المحروسة فى سادس عشر شوال سنة عشرين وسبعمائة، وتوجه إلى زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام، فزاره، وتوجه إلى بيت المقدس، وأقام به أياماً، وأحرم من بيت المقدس، ووصل مكّة شرفها الله تعالى، فأقام بها شهراً كاملاً، ووقف يوم الجمعة بعرفة، وتعجّل من منى فى يوم الاثنين ثانى عشر من ذى الحجة، ووصل إلى المدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - فى يوم الجمعة السادس عشر من الشهر، فصلى الجمعة، وخرج منها فى يوم السبت السابع عشر، وساق على الدرب الشامى مراحل، ثم عطف إلى أيلة، ومنها إلى مصر، فكانت مدة مسيره من منى إلى مصر واحداً وعشرين يوماً، منها مقامه بالمدينة النبوية - شرفها الله تعالى.

(١) ما بين الحاصرتين من نسخة «أ» ص ١

(٢) الضبط من السبكي (معيد النعم ومبيد النقم ص ١٢٧) وانظر فيه صفة هذه الوظيفة.

ومع هذا السُّوقِ الشَّدِيدِ، والسَّيرِ العَنِيفِ، كان من خبره عند وصوله إلى منزله أنه طلب المِيَاوِمَاتِ التي أَنْفَقَتْ فِي غَيْبَتِهِ، مما يتعلق بالجيش، فتصفحها، وتأملها، وشطب منها على حسابه ما يحتاج إلى شطبه، ثم ركب [فى الثلث الأخير^(١)] من الليلة المذكورة إلى قلعة الجبل المحروسة، وجلس على بابها إلى أن فتحت بعد طلوع الفجر، ودخلها، وانتهى إلى الأبواب السلطانية^(٢)، [قدخل بعض الجَمَدَارِيَّةِ^(٣) إلى السلطان] وأخبره بوصوله، فأنكر السلطان ذلك؛ لخروجه عن العادة. فأعيد عليه القول أيضاً بوصوله، ثم قيل له: إنه قد وصل إلى الباب الشريف، فأذن له، وعجب من سرعة وصوله، وجلس بين يدي السلطان، وباشر وظيفته على عادته لوقته، ثم خُلع عليه فى اليوم الثانى من مقدمه. وتأخر وصول نائب السلطنة إلى يوم الأربعاء الثانى عشر من شهر المحرم، وهذا السوق الذى ساقه القاضى «فخر الدين» ما ساقه حاجٌ قبله.

وأما غير الحاج، فبلغنى من الثقات أن الشيخ شرف الدين بن القسطلانى - رحمه الله تعالى - لما أرسله الشريف الأمير نجم الدين أبو ندى أمير مكة - شرفها الله تعالى - منها إلى السلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك المنصور قلاوون، وصل إلى قلعة الجبل المحروسة فى اليوم الثالث عشر من يوم مسيره من مكة، واجتمع بالسلطان، وقرأ كتابه، وكتب جوابه فى يومه. وسأله السلطان عن راحلته: هل يعود عليها إلى مكة؟ فقال: إنها خَلَّتْ^(٤)، فأمره السلطان أن يختار لنفسه راحلة من الهُجُنِ السلطانية، فاختار منها هجيناً، وترك راحلته، وركب وعاد فى بقية يومه إلى مكة شرفها الله تعالى بعد مضى اثنى عشر يوماً، فكانت مدة غيبته عن مكة منذ ركب منها إلى أن عاد إليها ثلاثة وعشرين يوماً كوامل، ويوم خروجه / منها، ويوم دخوله إليها، وهذا ما لم يسمع بمثله، ولا استطاعه أحد قبله، والله أعلم.

(١) فى الأصل (فى الثلاث الأخر) وما هنا من «أ» ص ٢.

(٢) ما بين الحاصرتين من «أ» ص ٢، والسياق يقتضيه.

(٣) انظر السبكي (معبد النعم ومبيد النقم ص ٣٥) حيث جاء أن مفرد هذا اللفظ جمدار، وهو الذى يتولى

إلباس السلطان أو الأمير ثيابه، واللفظ مركب من جاما = الثوب، دار = ممسك).

(٤) يقال: خَلَّتْ الناقة، إذا بركت فلم تقم، أو حرت من غير علة (لسان العرب).

ذكر إبطال المعاملة بالفلوس العتق^(١)، بالقاهرة ومصر،

وأعمال الديار المصرية

قد ذكرنا إبطال المعاملة بالفلوس [عددًا]^(٢) واستقرارها حساباً عن كل [رطل] ثلاثة دراهم، وفي يوم الاثنين العاشر من المحرم توقف أرباب المعاش عن المعاملة بها بهذه القيمة لكثرتها، فرسم بالمعاملة بها حساباً عن كل رطل درهمين ونصف درهم، فتعامل الناس بها، ثم توقفوا فيها، فلما كان يوم الجمعة الحادى والعشرين من المحرم نودى فى المدينتين بالأمر السلطانى بإبطال المعاملة بالفلوس العتق، وأن تكون المعاملة بين الناس بفلوس جدد أمر بضربها بدار الضرب فاضطرب الناس لذلك اضطراباً شديداً، وأغلق كثير من أرباب المعاش حوانيتهم. وأبيعت [الفلوس] فى بقية يوم الجمعة، وبكرة نهار السبت كل رطل منها بدرهم واحد ونصف درهم. ووقفت معاش الناس، فإنه لم يكن قد ضرب من الفلوس الجدد الناصرية ما يدور فى أيدي الناس. ونودى فى المدينتين فى بكرة نهار السبت أنه من كان عنده شىء من الفلوس يحمله إلى دار الضرب، ويأخذ ثمنه حساباً عن كل رطل درهمين، هذا والناس يتعاملون بها (فيما)^(٣) بينهم على حسب اتفاقهم بدرهم ونصف، وأقل منه، وأكثر، وأحوال الناس فى المعاملة بها على غاية الاضطراب، ثم رسم بالمعاملة بها الرطل بدرهمين، والفلوس الجدد عدداً على العادة القديمة، وخرجت الفلوس الجدد من دار الضرب، وعلى أحد وجهيها اسم السلطان، وعلى الوجه الآخر مثال بقجة مربعة، وزنة كل فلس منها نصف وربع وثمان درهم، فتعامل الناس بذلك إلى شهر رجب من هذه السنة، إلى أن كثرت الفلوس الجدد، وضربها الزغلية^(٤)، وخففوا وزنها، فصار الفلوس منها زنة نصف درهم، ونحو ذلك، فعاد الناس وتوقفوا فى أخذها، فرسم فى يوم السبت السادس والعشرين من شهر رجب بالمعاملة بالفلوس الجدد والعتق، الرطل بدرهمين ونصف، واستمرت الحال إلى سادس المحرم سنة أربع وعشرين وسبعمائة على ما نذكره.

(١) الفلوس: النقود النحاسية (المقريزى: إغاثة الأمة ص ٦٦) العتق: جمع عتق وهو القديم. وفى المقريزى (النقود الإسلامية القديمة - ص ٢٢ نشر الكرملى ط. القاهرة ١٩٣٩): «النقود التى كانت للناس على وجه الدهر على نوعين: السود الوافية، والطبرية العتق، وهما ما كان البشر يتعاملون به» وانظر أيضاً السلوك (٢٠٦/٢) حاشية ٥

(٢) فى «الأصل» (عملاً) وما أثبتناه من «أ» ص ٣ لصحته.

(٣) ما بين القوسين زيادة عن «أ» ص ٤

(٤) الزغلية: المنسوبون إلى الزغل وهو الغش يريد المزيفين (عن تاج العروس) مادة ز غ ل، وانظر (السلوك)

(٢٠٥/٢) حاشية ٤

ذكر وصول هدية الملك أبى سعيد بن خربندا ملك التتار^(١) إلى الأبواب السلطانية

وفى هذه السنة وصل مجد الدين إسماعيل بن [محمد]^(٢) بن ياقوت السُّلامى التاجر إلى الأبواب السلطانية على خيل البريد، وعلى يده كتاب الملك أبى سعيد ملك التتار، ثم وصلت الهدية فى يوم السبت التاسع والعشرين من المحرم من هذه السنة إلى قلعة الجبل، وهى ختمة شريفة [ستون جزءاً كبيراً]^(٣)، وخرّكاه^(٤) عظيمة مُكلّلة، وغير ذلك من التحف الجليلة والنفائس، فقبلت الهدية، وجُهِز [السلطان] له هدية تليق به.

ذكر تفويض نظر أوقاف الجامع الطولونى للقاضى كريم الدين^(٥) وكيل الخواص الشريف^(٦)

وفى شهر ربيع الأول فوض السلطان نظر أوقاف الجامع الطولونى الذى هو بظاهر القاهرة المحروسة للقاضى كريم الدين عبد الكريم ناظر الخواص الشريفة السلطانية ووكيلها، [كان النظر] فى ذلك على شرط الواقف لقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، وكان بيده من سنين كثيرة، فرفعت يده الآن عنه.

(١) أبو سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك التتار وصاحب العراق والجزيرة وخراسان والروم وهو آخر بيت هولاكو. قال الصفدى: الناس يقولون أبو سعيد بلفظ الكنية، ولكن الذى ظهر لى أنه علم لبس فى أوله ألف، رأيته كذلك فى المكاتبات التى ترد منه إلى الناصر (الدرر ١/٥٠١) وقد درجت كتب التاريخ على ذكر اسم أبيه «خربندا» كما فعل النويرى هنا، وكما يورده ابن تغرى بردى فى النجوم، والمقريزى فى السلوك، ولكن القلقشندى فى صبح الأعشى (٤/٤٢٠) ذكر اسمه خدابندا (بدال مكان الراء، وي بعدها ألف) وذكر أن العامة تقول خربندا وانظر المقريزى (السلوك ٢/٧ حاشية ٢) والدرر (٣/٣٧٨).

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين من ابن حجر (الدرر الكامنة، ج ٢ ص ٣٨١) حيث ورد أن مجد الدين السُّلامى هذا كان تاجر الخواص السلطانى فى الرقيق.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة عن «أ» ص ٥.

(٤) الخركاه : لفظ فارسى معناه الخيمة الكبيرة تكون على هيئة القبة، ووصفها القلقشندى (صبح الأعشى ج ٢ ص ١٣٨) بأنها «بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة يغشى بالجوخ ونحوه تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء وقاية من البرد.

(٥) ترجمته فى ابن حجر (الدرر ٢/٤٠١ - ٤٠٤) وسيورد النويرى فى هذا الجزء ترجمة مفصلة له وطائفة من أخباره.

(٦) كذا فى الأصل وفى «أ» ص ٥ الشريفة.

وكان سبب ذلك أن الوقف ضاق ريعه عن المرتب عليه، فأراد قاضى القضاة اختصار بعض المرتبين، ليتسع الريع على من بقى، وعزم على قطع درس الطب وغيره، فقام فى ذلك مدرس الطب بالمكان، وهو علم الدين الشوبكى^(١)، وسعى فى مباشرة الوقف، ووقع فى ذلك تشنيع كثير، وشكاوى ممن حصل الغرم على توفيرهم، واتصلت الشكاوى بعلم السلطان، ففوض النظر فيه وفى أوقافه لوكيله المشار إليه، ففعل فى أمر الوقف ما لا يتمكن القاضى بدر الدين من فعله ولا يمكنه، وذلك أنه نجَز توقيعاً شريعاً سلطانياً بمسامحة الوقف بما على ناحية «منية اندوانة» من عمل الجسور السلطانية وغيرها مما كان يحمل إلى بيت المال، وهو فى السنة نحو عشرة آلاف درهم، ووفر جامكية^(٢) جماعة من المباشرين بشرط الواقف، وتقديرها نحو ذلك، واسترجع جهات من الوقف كانت مؤجرة بأجابر شرعية، فأخذها ممن هى فى يده بالإيجار الشرعى وحماها، فتميز ريعها، وتحدث مع السلطان فى عمارة الجامع من أموال الخاص، فرسم بذلك، فعمر، ووقف / السلطان عليه وقفاً من جهته، (٣) وحى أوقافه المسقفة، ونقل السكان إليها، فحصلت الزيادة فيها جملة فى كل سنة، فأتسع المال بهذه الأسباب، وفاض المتحصل عن كفاية المرتبين عليه، وعلم القاضى كريم الدين أنه لا يستحق جامكية النظر التى شرطها الواقف للنظر، وهى فى كل شهر أربعمئة درهم، فامتنع من أخذها، وبعثها إلى قاضى القضاة بدر الدين، فردها ولم يقبلها، فتوفرت هى وجامكية نيابة النظر، وهى فى كل شهر مائة درهم، وكان قد تأخر فى مدة قاضى القضاة للمدرسين والمعידين والطلبة خمسة أشهر، فامتنع كريم الدين من صرف ذلك إليهم، [لاستقبال]^(٣) مباشرته، واستمر الصرف لهم كل شهر فى مستهل الشهر الذى يليه.

(١) علم الدين الشوبكى، واسمه توما بن إبراهيم الطبيب، كان من أطباء السلطان الناصر، وترجمة مدرس الطب هذا فى (الدرر ١/ ٥٢٨).

(٢) الجامكية، والجوكم: رواتب موظفى الدولة من الملكية والعسكرية وهو لفظ فارسى مركب من جامه = قيمة، وكى: وهى أداة النسب (الألفاظ الفارسية المعربة ص ٤٥، ومحيط المحيط).

(٣) ما بين الحاصرتين من «أ» ص ٧ وعبارة «ك» (لاستبقاء) وما أثبتناه هو الصحيح.

ذكر حفر البركة الناصرية

وفى هذه السنة أمر السلطان الملك الناصر بحفر بركة بخط الزهرى ظاهر القاهرة المحروسة مساحتها [سبعة أفدنة]^(١) وأن يجرى الماء إليها من نهر النيل المبارك، وأن يحكّر ما حولها بنسبة بركة الفيل وغيرها من البرك، وكان فى جملة هذه الأرض سبعة أفدنة جارية فى وقف، فأمر السلطان وكيله باستئجارها للسلطان بأجرة معلومة، وكانت أرض هذه البركة قبل ذلك مقاطع يقطع منها الطين الإبلز برسم العماير، ثم رمى الناس فيها زبايلهم، فصار فى مواضع منها كيمان كثيرة، وفى بعضها حُفر من آثار القطع، ورسم السلطان أنه مهما قطع من أتربة تلك البركة يرمى فى البركة المجاورة للميدان التى هى مقاطع الطين الإبلز، وأن يُمهّد ويضاف إلى الميدان توسعة له، فحصل الشروع فى حفرها فى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول، ورسم للأمراء بحفرها، فوزعت عليهم على قدر مراتبهم، وندب الأمراء أجنادهم، والأجنادُ غلمانهم، وعملوا بأنفسهم وبأتباعهم، وأخرج كل أمير صَنْجَقَةً^(٢) وطبلخاناه، وجماله وبغاله، واهتموا بحفرها اهتماماً عظيماً، ورتب السلطان الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب مُشدّاً على حفرها، فنزل بها ولازمها، إلى أن كمل حفرها، ونُجزت فى أقرب مدة^(٣).

وفى أثناء حفر هذه البركة وقعت حادثة الكنايس، وكان بسبب ذلك من الحوادث ما نذكره إن شاء الله.

ذكر حادثة الكنايس^(٤)

وفى يوم الجمعة - بعد الصلاة - التاسع من شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة اجتمع جماعة من القلمان والعوام والفعلة، الذين كانوا

(١) ما بين الحاصرتين بياض فى «أ» و«ك»، وما هنا من السلوك (٢١٦/٢) حاشية (٣).

(٢) الصنجق من الأعلام، وهى كما فى الفلقشندى ثلاثة على الترتيب: الجاليش، والصنجق، والراية. وانظر صبح الأعشى (٤٥٨/٥).

(٣) يذكر المقرئ فى (السلوك ٢١٦/٢) أن سبب حفر هذه البركة هو حاجة السلطان إلى طين كثير حين عزم على إنشاء زريبة بجوار جامع الطيبرسى على النيل. وذكر خبرها بعبارة أبسط مما أورده النويزى هنا.

(٤) أورد المقرئ فى (السلوك ٢١٦ - ٢٢٠) هذه الحادثة فى شىء من الإطناب.

يحفرون البركة المستجدة الناصرية، وتقدموا إلى كنيسة كانت مجاورة للبركة المذكورة، وارتقوا عليها، وحُرِكت طبلخانة الأمراء حريباً، فكان ذلك على صفة الزحف، فهدمها أولئك، ولم يتمكن الأمير ركن الدين بيبرس المندوب لحفر البركة، ولا الأمير شهاب الدين أحمد بن المهْمَنْدَار^(١) أمير النقباء من ردِّهم، ولا قدروا على منعهم؛ لكثرتهم، ونهبوا ما كان في الكنيسة بعد تشعيثها^(٢) بالهدم، وكسرت أبوابها وما كان بها من الأواني، وأريق ما بها من الخمر.

ولما اتصل خبر هدمها بالسلطان غضب، لانتهاك حرمة السلطنة، وتجري العوام وإقدامهم على هذا الأمر، ثم لم يكتفِ العوام بذلك إلى أن تقدموا إلى عدة كنائس، بالقاهرة ومصر، فنهبوها، ونبشوا قبور بعض أموات النصارى وحرقوهم، وشعثوا الأبنية، واجتمع بعض عوام مصر، وتوجهوا إلى الكنيسة المعلقة^(٣)، وقصدوا هدمها، فما مَكَّنُوا من ذلك، فاشتد حرج السلطان، وأمر بالقبض على من أقدم على ذلك، فمُسِك بعض العوام وحبسوا، واستفتى السلطان القضاة فيما يلزم هؤلاء الذين انتهكوا الحرمة، فأفتوه بتعزيرهم بحسب رأى الإمام، فضُرب بعضهم، وشق مناخير بعض، وأخرج من الاعتقال من أرباب الجرائم من وجب عليهم القتل، فوسَّط منهم جماعة، وعلقوا في أماكن تخويفاً للعوام، ثم أعقب هذه الحادثة من الفتن ما نذكره.

ذكر خبر الحريق بالقاهرة ومصر^(٤)

لما وقع ما ذكرناه / من هدم الكنائس، وقع أثر ذلك الحريق بمصر (٤) المحروسة، فكان أول ذلك أن احترقت دار الوكالة بالقاهرة في شهر ربيع الآخر^(٥)، وهى التى عند باب البحر، وتعرف بفندق الخَزْ، فاحترق فيها متاجر الناس من الزيت والعسل والأصناف، فعدم لهم جملة كثيرة، وظن الناس أن ذلك

(١) الضبط من (السبكي معبد النعم ص ٣١) وفي هامشه أنه مركب من مهمن = الضيف، دار = ممسك أو حافظ. وفي صبح الأعشى (٤٥٩/٥) هو الذى يتصدى لتلقى الرسل والعريان الواردين على السلطان. وينزلهم دار الضيافة، ويتحدث فى القيام بأمرهم.

(٢) يقال تشعث رأس الودد أو المسواك: إذا تفرق والمعنى من ذلك على التشبيه.

(٣) الكنيسة المعلقة - كما فى المقرئى (الخطط ج ٥١١/٢) - بمدينة مصر فى خط قصر الشمع وهى جليلة القدر عند النصارى.

(٤) فى «أ» ص ٩ ومصريه.

(٥) فى المقرئى (السلوك ٢/ ٢٢٠) أن ابتداء الحريق كان يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى وتواتر إلى سلكه «وقد أورد تفاصيل كثيرة لحوادث الحريق، وانظر فى هذا الخبر: النجوم (٩/ ٦٥ - ٦٨).

عن غير قصد، وأنها إنما احترقت على جارى العادة فى وقوع النيران فى أماكن على سبيل الغلط وعدم التحفظ والاحتراز، ثم سكن ذلك إلى يوم السبت الخامس عشر من جمادى الأولى، فوقع الحريق فى القاهرة ومصر، وكان أول الحريق بخط حارة الديلم^(١)، فاحترقت دار الشريف بدر الدين نقيب الأشراف، وما يجاورها من دور [الأشراف]^(٢) والمسلمين، فكان جملة ما احترق من الدور المتجاورات ما ينيف على ثلاثين داراً يقارب المائة مسكن، واشتدت النار وعظمت، واستمرت بذلك المكان أياماً، وخيف أن تتصل بدار «القاضى كريم الدين» ناظر الخواص السلطانية ووكيلها، وبها أموال السلطان والأقمشة وغير ذلك من التحف، وهو يوم ذاك بشعر الإسكندرية، فرسم السلطان بركوب الأمراء لذلك، فحضر الأمراء وغلماهم، والسقايين والقصارين وغيرهم، وركب نائب السلطنة والحجاب وأمير جاندار^(٣)، وغيرهم من أعيان الأمراء، واجتهدوا فى أمر النار إلى أن طفيت، بعد أن هُدم وعُدم بسببها من الدور والأموال والأقمشة والأصناف ما لا تحصى قيمته.

واختلفت الأقاويل، فقائل يقول: إنها من السماء، وقائل يقول: لعلها من قبل الملوك والأعداء، وآخر يقول: إنما فعله البطالون من الجند والحرافيش^(٤) لقصد النهب، وقائل يقول: إنما هو من فعل النصارى. وترادف الحريق، وتوالى، فاحترقت عدة دور من مساكن الأمراء، وكانت النيران تقع فى أعالي الدور والباذهنجات^(٥)، فاحتفل الناس لذلك وتأهبوا، واستكثروا من الدنان والخوابى، وملئوها ماء، ووضعوها فى الطرقات وعلى أبواب الحوانيت

(١) فى المقرئى (الخطوط ٨/٢) إنها عرفت بذلك لنزول الديلم الواصلين مع هفتكين الشرابى حين قدم ومعه أولاد مولا معز الدولة البويهى وجماعة من الديلم والأتراك فى سنة ٣٦٨هـ فسكنوا بها فعرفت بهم.

(٢) ما بين الحاصرتين من «أ» ص ٩ وعبرة «ك» من دور المسلمين.

(٣) فى «أ» ص ١٠ وأمير خاندان.

(٤) الحرافيش واحد حرفوش، ويفهم من السياق أن مراده العامة أو الرعاع (وانظر أيضاً: معيد النعم ص ٩٦)، ولعلها من أحرنش: إذا تهيأ للشر، أو من الحرنش وهو الغليظ الجافى الطبع (وانظر مادة أحرنش فى تاج العروس ٢٩٧/٤).

(٥) الباذهنجات: جمع الباذهنج، ويقال له أيضاً البادنج وهو منفذ فى سطح الدار على هيئة إسطوانة لها فتحة فى الجهة الغربية يدخل منها النسيم (عن قاموس استينجاس، وشفاء الغليل) وانظر أيضاً (السلوك ٢٢٢/٢) ومطالع البدور (٤٥/١).

والأسواق والقياسير والاصطبلات والدروب والدور، والحريق لا يفتر، وهو لا يقع غالباً إلا في النهار، وصار الناس يسهرون طول الليل بالنبوة، خصوصاً على دور الأمراء، فإن مماليكهم وغلماهم كانوا يبسون على أسطح دورهم، ويضربون الطبول بازات، ويصرخ بعضهم لبعض، وامتنع كثير من الناس من حضور الجمعة لملازمتهم أسطح بيوتهم.

ولقد صليت في [بعض]^(١) الجمع بالجامع الحاكمي مع أحد الأمراء الأكابر مقدمي الألف، وكانت عادته أن يصلي معه من مماليكه وألزامه جماعة كثيرة، فرأيت الذين حضروا إلى الجامع نحو الربع ممن كان يحضر، فسألته عن سبب تخلفهم عن الحضور، فأخبرني أنه تركهم لحراسة داره^(٢) خوفاً أن تقع النار فيها، فيتداركوها بالإطفاء قبل تمكّنها.

فلما كان في يوم الخميس العشرين من الشهر وجد ثلاثة من النصاري في حارة العطوف، وقد رموا ناراً في بعض الدور، فما شك الناس عند ذلك أن الحريق من النصاري، وانتقلوا من الظن والاختلاف إلى اليقين والإجماع، وضرب هؤلاء وقُرروا، فاعترفوا بالحريق، ثم اعتنى بهم، فقبل: إنهم من الفلاحين، وإنهم لم يفعلوا ذلك، وإنما أقروا لما حصل لهم من ألم الضرب، فأطلقوا، هذا والسلطان ينكر أن يكون ذلك من فعل النصاري؛ لما يلقيه إليه من له اعتناء خاص بهم، ويقول المعتنى بهم: النصاري أضعف أبداناً وقلوباً من الإقدام على هذا الأمر الكبير، ويستدلون على ذلك ويوجهونه، فيقولون: إن النار غالباً إنما تقع في رؤوس الباذنجات، وأعلى الدور، ودور أكابر الأمراء، ومن أين يصل النصاري إلى ذلك؟ فيرجع السلطان إليهم، ويقول: هذا لا يتوصل إليه إلا بالنشاب، وأشاع بعضهم أنه رأى بعض الجند بمصر يرمى النشاب إلى بعض الدور، وأن السهم لما أبعد عن القوس وأصابه الهواء أورى ناراً، وكان السلطان قبل ذلك قد عرض جماعة من الجند، وقطع أخباز [جماعة منهم

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من «أ» ص ١٠.

(٢) في «أ» ص ١١ (دوره).

نحو^(١) السبعين، واعتقلهم بخزانة البنود لما بلغه عنهم من اللعب والتفريط في إقطاعاتهم، وصرفها في المحرّمات، فكان اعتقالهم لطفاً بهم، ولو كانوا في بيوتهم ما شك السلطان أن هذا من فعلهم، ثم أمسك في يوم الجمعة الحادى والعشرين من الشهر أربعة من النصارى الروم المَلَكِيِّين^(٢) فاعترفوا أنهم أحرقوا الدور والأماكن، ولم يتحاشوا ولا توقفوا، بل أقروا بذلك من غير ضرب ولا تهديد، وقالوا: نحن فعلنا هذا في مقابلة هدم كنائسنا، ونحن جماعة خرجنا عِزَّةً، واعترفوا على رُهبان دير البغل^(٣)، / فأنهى إلى السلطان أن هؤلاء من النصارى العرب الملكيين، وأنهم ليسوا من اليعاقبة^(٤) الذين هم نصارى البلاد، وإنما فعل هؤلاء هذا لجهلهم، وحسن من له اعتناء باطن بالنصارى وميل إليهم أن يأمر بقتلهم، وإنما قصد تعجيل إعدامهم خشية أن يُقرُّوا على غيرهم، فأمر السلطان بهم، فحرقوا في يوم السبت الثانى والعشرين من الشهر، والسلطان بالميدان.

ثم قيل للعوام والناس: هؤلاء الذين كانوا يُحرقون حرقناهم، فمن احترقت بعد هذا داره فليمسك جاره ونحن نقابله، فاشتد ذلك على الناس، واستغاث العوام، واتهموا القاضى كريم الدين وكيل السلطان بالاعتناء بالنصارى والذُّب عنهم، وكان ذلك يظهر عليه، فلما ركب من الميدان بعد الظهر للانصراف إلى داره شَغَبَ جماعة من العوام عليه، واستغاثوا ورفعوا أصواتهم بسبه، ورجموه بالحجارة والطوب، فعطف نحو الميدان، وركض فرسه وخلص منهم، وأنهى ذلك إلى السلطان، فخرج السلطان حرجاً كثيراً، واشتد غضبه، وانضاف ذلك إلى ما عنده من الحرج على العوام، فإنه لما كان ركب من القلعة إلى الميدان في بُكرة

(١) ما بين الحاصرتين من «أ» ص ١١ وعِبارة «ك» «وقطع أخبازهم نحو السبعين».

(٢) فى القلقشندي (صبح الأعشى ٣٩٢/١١) أنهم أتباع ملكاً الذى ظهر قديماً ببلاد الروم قال: والروم والفرنج كلهم أتباعه، وبالديار المصرية منهم النزر اليسير، ولهم بطرك يخصهم، وانظر أيضاً صبح الأعشى (ج ٢٧٦/١٣ و ٢٧٧) وانظر: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٢٠ حاشية ١ و ٢.

(٣) دير البغل: كان يقع فى أعلى جبل المقطم شرقى طرة وحلوان، واسمه الأصلى «دير القصير» (المقريزى - الخطط ٥١٥/٢) النجوم الزاهرة (٦٨/٩).

(٤) اليعاقبة (ويقال لهم: اليعقوبية) قال القلقشندي (صبح الأعشى ج ٣ / ٢٧٨ و ٢٨٠): هم أتباع ديسقورس بطرك الإسكندرية فى القديم. وهو الثامن من بطاركتها من حين بطركية مرقس الإنجيلي نائب بطرس الحواري بها، وانظر ص ١٢٠ حاشية ١ و ٢ من كتاب: نهاية الرتبة فى طلب الحسبة للشيزرى.

نهار السبت المذكور استغاث العوامُ والحرافيش، وبلغنى من جماعة أنهم رفعوا أعلاماً ثلاثة: أحدها أبيض، والثانى أحمر، والثالث عليه صليب، فتغافل السلطان عن ذلك، ولم يأمر فيهم بشىء، فلما وقع منهم هذا الفعل اشتد غضبه، وجرد جماعة من الحجاب والنقبا والمماليك حتى أوصلوا كريم الدين إلى داره.

ثم ذكر السلطان هذه الواقعة لأكابر الأمراء كل منهم على انفراده، فبدأ بالأمير سيف الدين بكتمر الأبى بكرى^(١)، واستشاره فيما يفعل فى ذلك، والمذكور رجل تركى جافى الطبع، عديم السياسة، فقال للسلطان: المصلحة أن السلطان يرسل إلى العوام فيقول لهم: يا خوشداشيه^(٢) أنتم رعايانا والسواد الأعظم، وإن كنتم قد كرهتم هذا الخنزير عزلناه عنكم، وولينا غيره، ونطيب خواطرهم، فغضب السلطان من كلامه، وشتمه واستقل عقله، وسفّه رأيه، وواجهه بالسب، ونفر فى وجهه، وكان من أمره ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى.

ثم استشار الأمير جمال الدين آقش الأشرفى^(٣) بعده، ولم يعلم ما قاله الأمير سيف الدين المذكور، ولا ما قيل له، فقال: يا مولانا السلطان، الناس قد كرهوا هذين الرجلين - يشير إلى كريم الدين الوكيل، وكريم الدين الناظر - والمصلحة عزلهما، وصدقات السلطان كثيرة تشملهما فى العطلة كما تشملهما فى العمل - أو نحو هذا ومعناه من الكلام - وإذا عزلهما السلطان سكنت هذه الفتنة، فكره السلطان كلامه أيضاً، لكنه لم يواجهه بما واجه به الأبى بكرى، بل قال له: والله لا بد أن أمر بوضع السيف فى العوام، وسفك دمائهم، حتى لا يتجرأ من بعدهم من العوام على الملوك.

(١) بكتمر الأبى بكرى: من أكابر الأمراء فى دولة الناصر، تنقل من الجندية إلى الطبلخانا، ثم عظم قدره إلى أن صار أمير سلاح، غضب عليه السلطان سنة ٧٢٢ فسجنه بالقلعة، فبقى فى سجنه إلى أن مات فى شعبان ٧٢٨ هـ (الدرر ١ / ٤٨٢).

(٢) خوشداشيه: الفرد خوشداش، وهو لفظ مركب من خوش = طيب أو جيد وداش (فى التركية) = نا للمتكلمين ويمكن تفسيره بـ «يا رفاقنا الطيبين».

(٣) آقش الأشرفى: جمال الدين البيرناق المعروف ببناث الكرك، وانظر ترجمته فى: الدرر (١ / ٣٩٥). وليلاحظ أن المدة فى آق وآقش علامة تفخيم الحرف التالى لها فى اللغة التركية.

ثم استدعى الأميرين: سيف الدين بَكْتَمُرُ الحسامي الحاجب. كان. وسيف الدين الملك الحاج^(١). وهما من الأمراء الأكابر الخِصِّصين بخدمة السلطان ويعرفان أخلاقه، وبيتغيان مراضيه، فسايراه بالميدان، فذكر لهما ما فعله العوامُ بكريم الدين، وقال: هذا الرجل هو وكيلى ووزيرى، والمتصرف فى دولتى، وحرمة من حرمتى، وقد تجرأ العوام عليه، ورجموه وأخرقوا^(٢) حرمة، فما الذى تريان أن أفعله فى ذلك؟ فاستعظما فعل العوام، وقالوا: لقد وقع العوامُ فى أمر عظيم ما سبقهم أمثالهم إلى مثله، وكان ينبغى أنهم لما فعلوا ذلك أن يمسك منهم جماعة، ويوقع بهم من النكال ما يكفُ غيرهم عن التجرُّ والتعدى.

فرسم السلطان أن يتوجَّه الحاجب ونقيب النقباء، وجماعة معهم، ويقبضوا على من ظفروا بهم من العوام، فأخبرنى الأمير سيف الدين بَكْتَمُرُ الحسامي المشار إليه قال: والله لما قال السلطان ذلك دخل على وعلى رفيقى من الأئم ما علمه الله تعالى، وعلمنا أننا قد تكلمنا بكلام أوجب سفك دماء جماعة من المسلمين، فتلطَّفْنَا بالسلطان، وقلنا: إن الذى فعل هذا الفعل، وأقدم على هذا الأمر العظيم علم أنه صاحب ذنب وهرب، واختلط المذنب بالبرىء ونخشى أن نُمسك من لا أذنب ولا أقدم على هذا الأمر، فنعاقب البرىء بذنب المجرم، فيكون ذلك فى ذمة السلطان، ونحن لا نختار هذا، ولكن المصلحة أن يخرج القاضى كريم الدين على عادته، وتتفرق جماعة من المماليك السلطانية، فيكونوا بالقرب منه، لعل البعض يتعرض إليه، فيُمسك منهم من فعل ذلك، ويعاقب المذنب حقيقة، ويسلم البرىء، وتبرأ ذمة السلطان، قال: ولم نزل نتلطف به، ونسكن غضبه، إلى أن سكن حرجه بعض السكون.

ولما قرب وقت انصراف السلطان من الميدان أمر الحاجب^(٣) والنقباء قبل خروجه بضرب العوام والنحرافيش، وطردهم عن طريق السلطان فيما بين

(١) هكذا فى «أ» ص ١٢ و«ك» وفى السلوك: سيف الدين آل ملك الجوكندار الأمير الحاج، ومثله فى ابن حجر (الدرر ٤١١/١) والحاج: من ألقاب مقدمى الدولة ومن فى معناهم وإن لم يكن قد حج (عن: صبح الأعشى ١١/٦).

(٢) أخرقوا: يريد انتهكوا، وهذا الفعل يستعمل بهذا المعنى كثيراً عند مؤرخى هذه الفترة.

(٣) فى «أ» ص ١٣ (الحجاب) بلفظ الجمع.

الميدان والقلعة، فطردوا، وركب السلطان إلى القلعة وهو على غاية الحرَج، والحدَّة والغضب، وكان قد أمر بالقبض على العوام، فمُسك منهم جماعة كثيرة، فأحضر السلطان القضاة في يوم الأحد الثالث والعشرين من الشهر، واستفتاهم في أمرهم، وأنهم انتهكوا الحرمه، وتعدَّوا على وكيله، مع جلالتة عنده، ورجموه، فأفتوه بتعزير من ثبت عليه أنه رَجَم، فلم يُرضه ذلك، فأمر بقطع أيدي من عُرف بالفساد منهم، فقطعت أيدي أربعة، وجُرَّسوا^(١)، ولم يحسم أيديهم، فمات بعضهم، وأمر السلطان أن يقيد بقية من مسك، ويستعملوا في جسور الجيزية، ففعل ذلك بهم، والعوام لا يرتدعون ولا [يتركون]^(٢) العاثة.

وفي يوم الأحد المذكور أمسك بالجامع الظاهري ثلاثة من النصارى قد لبسوا العمام البيض، وتراءوا في زى^(٣) المسلمين، ودخلوا الجامع، وقصدوا إحراقه، فجىء بهم إلى مُتَوَلَّى القاهرة الأمير علم الدين سنجر الخازن^(٤)، فأنكر على نائبه بالحسينية - وهو الذي أحضرهم - وقال: من يشهد على هؤلاء أنهم حرقوا؟ وشتمه، وإنما فعل ذلك [رعاية^(٥)] لخاطر من يعتنى بهم، فتوجه النائب المذكور، وهجم بيوت هؤلاء النصارى الذين وجدوا في الجامع، فوجد فيها آلات الحريق، وفتايل قد عملت بالزيت والكبريت، وغير ذلك من الأصناف المحرقة، فضرب أولئك ضرباً خفيفاً، فاعترف اثنان، وأنكر الثالث، فاعتنى بهم فأطلقوا، ولم يُنَّه خبرهم إلى السلطان، وقرر عنده أنه لم يحرق من النصارى إلا أولئك الغرب الذين حرقوا، وهو لا يشك في ذلك.

ولما كان في يوم الاثنين الرابع والعشرين من الشهر جلس السلطان بدار العدل على العادة، [وحضر القضاة والأمراء وغيرهم على جارى العادة]^(٦)،

(١) جرسه: شهره، وأصله أن من يشهر يجعل في عنقه جرس، ويركب على دابة مقلوباً، أى وجهه من جهة ذنبها (شفاء الغليل ص ٧٦ و ٧٧).

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة عن «أ» ص ١٣ والعاثة: يريد بها الإفساد، من عاث يغيث، وقياس مصدره الغيث والعيوث، والعيشان.

(٣) في «أ» ص ١٣ (وتزبوا بزى).

(٤) سنجر الخازن: هو سنجر السرورى الأشرفى، كان من المماليك المنصورية فلم يزل يترقى إلى أن صار والى القاهرة (من ٧١٢ - ٧٢٤) وإلى ينسب حكر الخازن بالقاهرة قريباً من بركة الفيل، وله خانقاه بالقرب من الإمام الشافعى (الدرر ١٧٢/٢).

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة عن «أ» ص ١٤.

(٦) ما بين الحاصرتين سقط من «ك»، والزيادة من «أ» ص ١٤.

فاستفتى القضاة فى أن يلبس النصارى العمام البيض على عاداتهم القديمة، وقال: هذا إنما جُددَ عليهم فى أيامى، وقد رأيت أن أعيدهم إلى ما كانوا عليه، فقالوا له: هذه سنة [كانت] ^(١) أميتت، وقد أحيّاها الله تعالى فى أيام السلطان، ولا ينبغى إزالتها، وقال له قاضى القضاة، شمس الدين الحنفى: «مذهب أبى حنيفة أن السلطان إذا قرر شيئاً على أهل الذمة فليس له ولا لغيره نقضه؛ وقرأ له النص فى ذلك، فسكت ولم يُرَضِه ذلك.

وكان سبب ذلك أن من له اعتناء بالنصارى حسن ذلك للسلطان، وقال: إن النصارى يُحمّلون على ذلك مالا، فتكلم فى ذلك فأجيب بهذا الجواب.

ولما انقضى مجلس دار العدل، وانصرف القضاة، وقُدِّم إلى السلطان طعام الطارئ، أخرج الأمير جمال الدين يَغْمور، أحد أستاذدارية السلطان، من صَوْلَته فتيلة من الفتايل التى أخذت من النصارى الذين وجدوا بالجامع الظاهرى، ورآها الأمير ركن الدين بيبرس ^(٢) الأحمدي أمير جندار ^(٣)، فتقدم بها أمير جاندار إلى السلطان، وعرضها عليه، فسأله عنها، فقال: هذه مما وجد مع النصارى الذين قصدوا إحراق الجامع الظاهرى، ولم يكن السلطان أطلع على ذلك، فغضب وسأل عنهم، فقليل: إنهم أطلقوا، فألزم متولى ^(٤) القاهرة بإحضارهم، فأحضرهم، فاعترف اثنان أنهم حرقوا، وقالوا: إنهم جماعة كبيرة، منهم من يحرق المدينة، [ومنهم] من خرج إلى الأرياف ليحرق الزروع، وأنكر الثالث، فسلمه السلطان للأمير سيف الدين «الدمر» أمير جاندار، فقرّره، فأقر، بالتهديد والتخويف قبل الضرب، واعترف على راهب بالخندق، فما شك السلطان عند ذلك فى أن الحريق من قبل النصارى اليعاقبة، فغضب عند ذلك، وأنكر غاية الإنكار، ثم قبض على جماعة من النصارى، وجيءَ بهم، وهم

(١) ما بين الحاصرتين زيادة عن «أ» ص ١٤.

(٢) بيبرس الأحمدي أمير جاندار، كان أحد الأبطال الفرسان الشجعان، وكان أحد من يشار إليهم فى الحل والعقد بعد موت الناصر، ولى نيابة طرابلس وكانت وفاته ٧٤٦هـ (عن الدرر ٥٠٢/١).

(٣) جاندار، ويرسم أيضاً جندار، لقب فارسى مركب من جان = روح، ودار = حافظ. ومعناه حارس ذات الملك (الألفاظ الفارسية المعربة ص ٤٦) وفى صبح الأعشى (٤٦١/٥): لقب على الذى يستأذن على الأمراء وغيرهم فى أيام الموكب، فلا يأذن فى الدخول عليهم إلا لمن يأمن عاقبته.

(٤) المتولى = الوالى: كان قديماً لا يسمى به إلا نائب السلطان وهو الآن (٧٧٠هـ) اسم لمن إليه أمر الجرائم من اللصوص وغيرهم (معيد النعم ص ٤٣) والنويرى يورده بهذا المعنى.

يعترفون، ومنهم من اعترف على بعض كُتّاب ومُتَوَلّى النصارى أنهم أعانوهم بالمال حتى أقدموا على ذلك، فلم يُزادوا على الاعتقال، لتظافر العناية بهم ممن تقدم إسلامه من القبط.

فلما كان فى يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر جلس السلطان على العادة، وحضر الأمراء وغيرهم إلى الخدمة، فخاطب السلطان أكابر الأمراء فى هذا الأمر، وقال: قد قررت على النصارى مضاعفة الجزية/ فيؤخذ (٧) منهم جزيتان، وأمر أن ينادى فى المدينتين أن يلبسوا الثياب الزرق مضافة إلى العمائم، وأن يشدوا الزنانير فوق ثيابهم، وأن يميزوا إذا دخلوا الحمام بجلجل يجعلونه فى أعناقهم، وألا يُستخدَموا فى الدواوين السلطانية، ولا فى دواوين الأمراء، ولا فى الأعمال والبرور، فنودى بذلك.

وخرجت الأمثلة الشريفة السلطانية به، وقرئت على المنابر بالمدينتين، وأنفذت إلى العاملين، وتضمن المثلالمُجهَّز^(١) منها إلى الوجه القبلى الذى قرئ على منابر المدن ما مثاله - بعد البسملة:

«الحمد لله مظهر هذا الدين المحمدى على كل دين، ومؤيد بنا الإسلام وأهله وماحق^(٢) بنا المشركين، الذى قهر بتأييدنا جميع الأعداء، وحقن بعفونا وحلمنا دماء الكافرين، نحمده على ما أولانا من فضله العميم، ونصره المبين، ونشكره شكراً نستزيد به من كرمه، ﴿وسيجزى الله الشاكرين﴾، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة باليقين، ونشهد أن سيد البشر محمداً عبده ورسوله سيد المرسلين، وخاتم الأنبياء الذين أرسلهم إلى العاملين، وأن عيسى ابن مريم عبده ورسوله الذى بشر بمبعثه، وآمن برسالته قبل ظهور دينه المبين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه^(٣) خصوصاً على مؤيد شرعه أول خلفاء المسلمين، وعلى من فتح البلاد، وضرب الجزية على أهل الكتاب فى كل ناد، وأعلن بالتأذين^(٤)، وعلى من جهز جيش العسرة

(١) فى «ك» (المحاسن) وما أثبتناه من «أ» ص ١٦.

(٢) فى ك «ومحق» والمثبت من ١.

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من «ك» وأثبتناه من «أ» ص ١٦.

(٤) فى «ك» (بالبادين) وما أثبتناه من «أ» ص ١٦.

وثوقاً بضمان سيد المرسلين، وعلى مُمَزَّق جموع الكفر وجامع شمل المسلمين، صلاة باقية مستمرة إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: فإن الله تعالى لما أقامنا لنصرة الإسلام وأهله، وصرفنا في عقد كل أمر وحله، وأيدنا بنصره وعصمنا بحبله، لم نزل نعلى كلمة الإيمان، ونظهر شعائر الإسلام في كل مكان، ونقف عند الأوامر الشرعية، لتكون كلمة الذين كفروا السفلى، وكَلِمَةُ الله هي العليا، وكان جماعة من مفسدى النصارى قد تعدوا وطمعوا، وتمادوا في المخالفة إلى ما يقتضى نقض العهود، وبغوا، ﴿ومكروا مكرًا كَبَارًا﴾ ﴿فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾، وتعرضوا لرمى نيران أطفالها الله بفضله، ومكروا مكرًا سيئاً، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ اقتضى رأينا الشريف أن نأخذهم بالشرع الشريف في كل قضية، ونجدد عليهم العهود العُمرية، وأن يقرر على من شمله عفونا ممن ضَعُفَ منهم ضِعْفُ الجزية ما تكون به أنفسهم تحت سيوفنا مُرْتَهَنَةً، ونضرب عليهم في لباسهم وحرمااتهم الذلَّةَ والمسكنة، فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى الناصرى، لا يزال ناصر الدين بجوده [وعَدْلُهُ^(١)]، مظهر دين الحنيفية على الدين كُلِّهِ، أن تستقر الجزية على سائر النصارى بالوجه القبلى ضِعْفَ ما عليهم الآن، فيؤخذ من كل نصرانى مَالِيَتَانِ: المستقرة أولاً واحدة، والزيادة نظير ذلك، للخاص الشريف، مهما كان مستقراً بسائر النواحي في الوجه القبلى في الإقطاع حسب ما قُدرت في الرُّوك المبارك الناصرى، يكون للمُقطعين، والزيادة الثانية المضاعفة الآن تكون للخاص الشريف، وأن يلبس سائر النصارى عمام زرقاء، وثياباً^(٢) زرقاء، ويشدوا الزنار^(٣) فى أوساطهم، وألا يُسْتَخْدَم أحد من النصارى فى جهة من الجهات الديوانية، والأشغال السلطانية، وكذلك لا يُسْتَخْدَم أحد من الأمراء أحداً من النصارى عنده، وأن يبطلوا جميعهم من الجهات التى كانوا يخدمون بها، والحدَر ثم الحدَر من أن أحداً منهم يخرج عما رسمنا به، ومن فعل ذلك منهم

(١) ما بين الحاصرتين سقط من «ك»، وما أثبتناه من «أ» ص ١٧.

(٢) فى «أ» ص ١٨ وجيباً.

(٣) الزنار: حزام يشده النصرانى على وسطه، ثم صار فى الإسلام علامة مميزة لهم.

كانت روحه قبالة ذلك، ولا ينفعه بعدها فدية ولا جزية، ويحسم مادة فسادهم، وينكشف بذلك ما أظهره من سوء اعتمادهم، فليثبت [حُكْم] ^(١) هذا المرسوم الشريف، وليدخل تحت أمره المطاع كل قوى وضعيف، وليستقر ضرب هذه الجزية استقراراً بلا زوال، مستمراً بدوام الأيام والليال ^(٢)، باقية بدوام الأعوام والسنين، مخلدة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، فإنها حسنة ساقها الله تعالى لدولتنا الشريفة ومشوثة، وذخيرة صالحة لم تزل في صحائفنا الطاهرة مكتوبة، ومعدلة نشرها الله تعالى على يدينا في الآفاق، وأجر يكون ثوابه عند الله باق، وسبيل كل واقف عليه - والياً ونائباً، وحاضراً وغائباً، وناهياً وأمراً، وشاداً وناظراً، ومأموراً وأميراً، وكبيراً/ وصغيراً - ^(٨) الانتهاء عند هذا التحذير، فيبادرون إلى امتثال هذا المرسوم الشريف ويسمعونه، ويسارعون إلى العمل بما فيه وينفذونه، ويقفون عند حكمه ويمثلونه، ﴿فمن بدّله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدّلونه﴾، والله تعالى يعلى منار الإسلام ويزيده قوة وإظهاراً، ويجعل الدائرة على أعداء الدين، ولا يذر على الأرض من الكافرين دياراً، يعد الخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه، وكتب في سابع عشرين جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة حسب الأمر الشريف ^(٣).

ولما برز هذا المثال، وغيره من الأمثلة، لم ينفذ حكمها، ولا طُوب نصراني بزيادة، ومنع النصارى من المباشرات أياماً قلائل، وأسلم بعض كتاب الأمراء، فاستقروا على وظائفهم، ثم استقر سائر المباشرين من النصارى على مباشراتهم، وذلك أن كريم الدين الناظر أنهى إلى السلطان أن جماعة منهم فى الأشغال السلطانية، ومتى صُرفوا قبل انتهاء السنة فسدت الأحوال، وتعطلت المصالح، وسأل أن يستمرّوا بقية هذه السنة، وينفصلوا بعد رفع الحساب، ووافق السلطان على ذلك، وتدافعت الأيام فاستمروا.

ولما رُسم فى حقهم بما رُسم، ونودى بما تقدم ذكره، كفّ عوام المسلمين أيديهم عن النصارى، وظهروا بعد استتارهم، وكان عوام المسلمين فى هذه

(١) ما بين الحاصرتين سقط من «ك»، وأثبتناه من «أ» ص ١٨.

(٢) فى «ك» (بدوام الليالى والأيام) وما أثبتناه من «أ» ص ١٨، وهو أولى لتصح السجعة.

(٣) هذا المرسوم أورده محقق كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك» وأثبتته كاملاً بنصه نقلاً عن النورى هنا، وجعله الملحق الثالث من ملاحق الجزء الثانى، فى الصفحات من (٩٥٩ - ٩٦٢) طبعة سنة ١٩٥٨.

الأيام المتقدمة يضربون من ظفروا به من النصارى الضرب الذى يبلغ بهم حد الموت، مع إشهار النداء بالأمر السلطانى ألا يتعرض أحد إلى ذمة السلطان للنصارى، ومن تعرض إليهم بأذية سَفِكَ دَمُهُ، والعوام لايزيدهم ذلك إلا تمادياً، وحصل للسلطان حرج على العوام شديد، فلما شاع هذا الأمر أمسكوا عنهم.

ونودى فى يوم الجمعة التاسع والعشرين من جمادى الأولى ألا يفتح أرباب المعایش حوانيتهم التى على طريق الميدان ما بين الميدان والقلعة فى يوم السبت خاصة، وذلك بسبب ركوب السلطان إلى الميدان، وألا تُفتح طاقات الدور التى ينظر سكانها إلى الطريق الذى يسلكه السلطان فى مروره إلى الميدان وعَوْدِهِ، ومنع العوام من الخروج لرؤية السلطان، وركب السلطان إلى الميدان فى يوم السبت سلخ الشهر، ولعب بالكرة على جارى عادته.

وفى اليوم المذكور، وقع الحريق بقلعة الجبل فى الدار المعروفة بسكن الأمير سيف الدين أَلْمَاسِ الحاجب، وكان ذلك والسلطان بالميدان، ثم طفيت.

[وأنكر السلطان على متولى القلعة أشد إنكار كونه أهمل هذا الأمر، وأحضر نائب السلطنة والأمراء الخاصكية، فاجتمعوا للفكرة فى هذا الأمر]^(١).

ووقعت النار أيضاً فى ليلة الأحد مستهل جمادى الآخرة بقَيْسَارِيَّة بقلعة الجبل أيضاً، وهى سكن جماعة من المماليك السلطانية تجاور باب القرافة، ففتح باب القلعة ليلاً، واجتمع الأمراء الذين بالقلعة، والمماليك السلطانية واجتهدوا فى إطفائها، فطفيت، وهدم ما حول ذلك المكان من الدروب، ورسم السلطان أن ينتقل مَنْ بالقلعة فى المكان المعروف بخراب التُّتَرِ^(٢) إلى المدينة.

ثم وقعت النار فى وقت الظهر فى يوم الاثنين التاسع من جمادى الآخرة بدار نائب السلطنة بقلعة الجبل، فاحترق منها مكان يعرف بالمنظرة الحسامية بأعلى الدار، فتبادر الأمراء والمماليك السلطانية وغيرهم من الغلمان والسقايين إلى إطفائها فطفئت، وسكن أمر الحريق بعد ذلك.

(١) ما بين الحاصرتين سقط من «ك»، وأثبتناه من «أ» ص ٢٠.

(٢) فى «أ» ص ٢٠ «بخراب التتار». وفى خطط المقرئى (٢٠٤/٢ و ٢٠٥) فى صفة القلعة «... وبها مساكن تعرف بخرائب التتار كانت قدر حارة خربها الملك الأشرف برسباى فى ذى القعدة سنة ٨٢٨هـ».

وفى يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة مُنع المُنَجِّمون وأربابُ الخلق من المشعوذين وغيرهم من الانتصاب لذلك، ورسم بغلق قاعات العلاج وغيرها، ورسم أيضاً بالقبض على جماعة من الحرافيش، وأن يعملوا بالجسور السلطانية بالجيزة، فقبض على جماعة منهم، وعملوا فى الجسور إلى يوم الثلاثاء العاشر من الشهر، ثم أمر السلطان بإطلاقهم، فأطلقوا.

وفى يوم الاثنين الثانى من جمادى الآخرة سُمِّرَ اثنان من النصارى، وطيف بهم على الجمال، أما أحدهما: فإنه كان قد أسلم تبعاً لأبيه، واستمر فى دين الإسلام مدة تزيد عن عشر سنين، ثم ارتدَّ، فأحضر فى هذا الوقت، وسئل فاعترف أن أباه أسلم وهو دون البلوغ، وعرض عليه الآن الإسلام فأباه، فرسم السلطان بتسميره، وأما الآخر: فإنه من النصارى الذين اعترفوا بالحريق / (٩) وماتا على ذلك.

وفى يوم الاثنين التاسع من جمادى الآخرة ظهر النصارى بعد استئثارهم، وفتحوا دكاكينهم، وانتصبوا فى معاشهم على عادتهم قبل وقوع هذه الحادثة.

[وفيها^(١)، فى يوم الخميس السادس والعشرين من جمادى الآخرة أمر السلطان بالقبض على الأمير صلاح الدين طرخان بن الأمير المرحوم بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى، النجمى والدّه، ولم يكن لذلك سبب إلا أنه حصل بينه وبين ابن أخيه علاء الدين على بن فارس الدين الكبيه محاكمة شرعية، فرُسم له بإرضائه، فامتنع أن يعطيه إلا ما يثبت له شرعاً، فرُسم بالقبض عليه. وأودع الزردخانه^(٢)، ثم نقل إلى البرج، ثم إلى الإسكندرية، ورسم ببيع موجوده، وإعطائه لابن أخيه المذكور، فأبيع من موجوده بمبلغ تسعين ألف

(١) ما بين الحاصرتين ورد فى «ك» هكذا: «واعقل بالجب مدة، ثم نقل إلى الإسكندرية، وأخذ منه قبل توجهه إلى الإسكندرية لابن أخيه المذكور ذهب ونقرة بمبلغ تسعين ألف درهم، وأودع فى قبة البيمارستان المنصورى تحت يد الشيخ قطب الدين السنباطى وكيل بيت المال المعمور، ثم قبضها علاء الدين المذكور من المودع، واستمر فى اعتقال الإسكندرية إلى أن توفى بها رحمه الله تعالى». وما أثبتناه من «أ» ص ٢١، أوردته فى هامشه، وقد ترجع عندنا صوابه بعد مراجعة المقرئى فى السلوك (٢/٣٣٢ و ٢٨٢ و ٢٨٨) فقد ورد ذكر الأمير صلاح الدين طرخان وذكر فى خبره أنه بقى فى سجنه أربع عشرة سنة إلى أن مات فى جمادى الأولى سنة ٧٣٥هـ، أى بعد وفاة المصنف بأكثر من عامين.

(٢): الزردخانه من الدور السلطانية، وكان بها الجب الشنيع لسجن الأمراء، وانظر خطط المقرئى (٢/٢٠٥).

درهم، وقُبِضَتْ لابن أخيه المذكور، واستمر الأمير صلاح الدين فى الاعتقال أحسن الله تعالى خلاصه بمنه وكرمه].

وفى هذه السنة أمر السلطان أن يتوجه الأمير شرف الدين حسين بن جَندَر [بك^(١)] الرومى أمير شكار^(٢)، أحد الأمراء الأكابر مقدمى الألوْف بالديار المصرية إلى دمشق وكان قبل ذلك من أمراء الطَّبْلُخَانَاه بها، فلما عاد السلطان إلى الديار المصرية فى سنة تسع وسبعمئة حضر فى خدمته، فأمره^(٣) فى الديار المصرية، ثم جعله من أمراء المائة مقدمى الألوْف، وأمير شكار، وتقدم عند السلطان، وقرب منه، ووفر إقطاعه وميزه، ثم أعاده الآن إلى الشَّام على إقطاع الأمير سيف الدين جُويان المنصورى، وكان نائب السلطنة بدمشق قد غضب على جُويان لأمر صدر منه، وضربه، فطلب إلى الأبواب السلطانية، وأقرَّ فى جماعة الأمراء بها، وأعطى إمرة ستين فارساً، وتوجه الأمير شرف الدين حسين بن جَندَر إلى دمشق، فكان وصوله إليها فى يوم الاثنين ليلتين بقيتا من شهر رجب سنة إحدى وعشرين.

وفىها فى يوم الأربعاء ثامن عشر شوال جلس قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة لإلقاء الدروس بزاوية الإمام الشافعى بجامع مصر عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن محمد الأنصارى، وذلك أن الفقهاء بالزاوية المذكورة شكوا منه، وقالوا: إنه استولى على الوقف، واختص بأكثره، فعزل من هذه الزاوية وغيرها، ثم اعتنى به فولى وكالة بيت المال بحلب، فتوجه فى ذى القعدة من السنة، ولم يطل مقامه بها.

ذكر عود رسل السلطان من جهة الملك أزيك ووصول رسله صحبتهم وعودهم

وفى هذه السنة - فى ذى القعدة - عادت رسل السلطان الذين كان قد بعثهم إلى الملك أزيك، وهم: الأمير سيف الدين طُقْصُبا الظاهرى^(٤)، ومن

(١) الزيادة من «أ» ص ٢١.

(٢) أمير شكار: لقب مركب من أمير، وشكار - بكسر الشين - ومعناها فى الفارسية: الصيد. وهو لقب على الذى يتولى أمر الطيور والكلاب المعدة للصيد، السبكى (معيد النعم ومبيد النقم ص ٣٧).

(٣) فى «أ» ص ٢٢ بالديار.

(٤) طقصبا الظاهرى، كان ممن ولى نيابة قوص، وغزا النوبة مرتين (فى سنتى ٧٠٥ هـ، ٧١٦ هـ) وعمر حتى جاوز المائة وهو يرمى النشاب ويركب الخيل، ومات سنة ٧٤٥ هـ (عن الدرر ٢/ ٢٥٥).

معه، وحضر صحبتهم رسل الملك أزيك، ومثل طُقصاً بين يدي السلطان حال وصوله، وأرجأ السلطان الرسل إلى أن عاد من الصيد، واستقر بقلعة الجبل، ثم استحضر الرسل في يوم الاثنين ثامن ذي الحجة، فأدوا الرسالة ولم يكونوا على عادة أمثالهم من رسل مرسلهم، ولا خُلع عليهم، وعادوا إلى المكان الذي رسم بإنزالهم فيه، وهو مناظر الكبش، ثم أحسن السلطان إليهم بعد ذلك، وخلع عليهم، وأعادهم إلى مرسلهم صحبة رسله.

ذكر توجه أدُر السلطان إلى الحجاز الشريف ومن توجه في خدمتهم

وفي هذه السنة - في شوال - توجهت الخَوْنَدُ^(١) طُغَاي^(٢) المحمودية، وهي إحدى زوجتي السلطان، إلى الحجاز الشريف، وجهزت أعظم جهاز سمع الناس بمثله وجهاز لها عدة أرباب^(٣) ومَحَقَّات، والأرباب: مقاعد من الخشب يُجْلَس عليها، وهي مركبة على عجل أمثال أتراس السواقي، تجر بكُدَيْشٍ^(٤) واحد، أو جمل بُخْتِي، وتسرع في المرور غاية الإسراع، وجُهِّز في خدمتها عدة من نساء الأمراء، وجماعة من الأمراء المشار إليهم، منهم: الأمير سيف الدين قجْلِيس^(٥)، وتوجه أيضاً القاضي كريم الدين وكيل السلطان، وجهاز معها عدة أحمال/ من الكوسات والصناجق الخليفية والسلطانية.

(١٠)

وتوجه أيضاً من الشام إلى الحجاز - الأمير سيف الدين تَنْكَز، واستناب السلطان عنه بدمشق في مدة غيبته الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب (كان)،

(١) الخوند: لقب كان يستعمل للملوك فقط، أما الملكات والأميرات فكن يلتقن غالباً بلفظ خاتون، وانظر (السلوك ٢٣١/٢ حاشية ٨) و(الألفاظ الفارسية المعربة ص ٥٨).

(٢) طغاي: كانت جارية تركية اشتراها تنكز نائب الشام من دمشق بتسعين ألف درهم، وبعث بها إلى السلطان الناصر، وكانت بارعة الجمال، فحظيت عنده وولدت له ابنه أنوك وجهازها إلى الحجاز لتج بما لم يسمع بمثله (الدرر ٢٢١/٢) أبو الفدا (٩١/٤) السلوك (٢٣١/٢).

(٣) هذا اللفظ ورد في «ك» غير منقوط، وكذلك في «أ»، ص ٢٣ واستظهرنا أنها أرباب مما سيأتي في غير موضع، وقد سماها المقرئ في السلوك (٢٣٢/٢) عربات، وعبارته (وعمل الأمير أرغون النائب برسم - سفر الخاتون - ثمانى عربات كعادة بلاد الترك لتسافر فيها).

(٤) في صبح الأعشى (١٧/٢) أورد ذكر أصناف الخيل فقال: الثاني من أصناف الخيل العجميات، وهي البراذين، ويقال لها: الهماليج، وتعرف الآن بالأكاديش، وتجلب من بلاد الترك والروم...

(٥) سيف الدين قجْلِيس الناصري السلاح دار، وكان من خواص الناصر، ينديه في المهمات، وكان قوياً شديداً البأس، فعظمت مهابة الناس له. توفي سنة ٧٣١ هـ (الدرر ٢٤٣/٣ و٢٤٤).

فتوجه من الأبواب السلطانية إلى دمشق، فوصل إليها في سابع شوال، ونزل بالمدرسة النجيبية ظاهر دمشق، وكان يحضر إلى دار السعادة في يومى الخميس والاثنين، ويجلس وكتاب الإنشاء بين يديه، ويقف الحُجاب وغيرهم، وتُقضى الأشغال، ويُمد السَّماط، ثم يركب في الرابعة من النهار ويعود إلى النجيبية، وينتصب بها في بقية النهار لقضاء الأشغال، ولم يزل كذلك إلى أن بلغه عود الأمير تنكز من الحجاز، ففارق دمشق في يوم الأحد تاسع عشر المحرم سنة اثنتين وعشرين، وتوجه إلى الديار المصرية، والتقى الأمير سيف الدين تنكز^(١) بها بمنزلة الصَّمان^(٢)، وسلم عليه وودعه، فخلع تنكز^(٣) عليه، وأنعم عليه بمالٍ، وتوجه إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية.

ذكر وصول بعض من وقف بعرفة في هذه السنة

إلى القاهرة المحروسة

وفى يوم الجمعة السادس والعشرين من ذى الحجة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وصل إلى القاهرة المحروسة سيف الدين أوجى^(٤)، أخذ ممالك الأمير سيف الدين قجلىس، وحسام الدين طرُنطاي أحد ممالك القاضى كريم الدين بعد أن وقفا بعرفة، فذكر لى حسام الدين طرُنطاي المذكور أن خروجهما من مكة - شرفها الله تعالى - كان فى يوم السبت ثالث عشر الشهر بعد العصر، وأن الوقوف بعرفة كان فى يومى الثلاثاء والأربعاء، ونحروا يوم الخميس، فكانت مسافة مسيرهما من مكة إلى القاهرة اثنى عشر يوماً ونصف وربع يوم، على التحرير، وحضرا بين يدى السلطان، وتضمنت الكتب سلامة الأدر السلطانية، فخلع السلطان عليها، وأنعم عليهما من بيت المال بخمسة

(١) تنكز نائب الشام، أورد له ابن حجر فى الدرر (٥٢٠/١ - ٥٢٨) ترجمة مطولة، وضبطه ابن تغرى بردى فى النجوم ٣٤/٩ بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه، وفى صبح الأعشى بضم أوله وثالثه وسكون ثانيه (صبح الأعشى ٤٢٥/٥).

(٢) الصَّمان: من نواحى الشام بظاهر البلقاء (معجم البلدان ٢٨٣/٥).

(٣) فى «أ» فخلع نائب السلطنة عليه.

(٤) فى «ك» وحى، وفى «أ» ص ٢٤ أوجى «وكلا الاسمين، واحتمالات التصحيف فيهما - لم أجده فى الدرر، ولا فى غيره، ولعله «أطرجى».

آلاف درهم، وعادا إلى مرسلهما فى اليوم الثانى بالأجوبة السلطانية، ولم يُسمع أن أحداً ممن وقف بعرفة وصل إلى القاهرة فى سنته، وفيما مضى من الزمان وإلى الآن، وقد صغر ذلك ما كان استعظم من مجيء من تقدم ذكره فى ليلة ثالث المحرم.

ذكر حوادث كانت بدمشق فى هذه السنة

فى يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة أقيمت الخطبة، وصلاة الجمعة بمسجد القصب خارج باب السلامة ظاهر دمشق، وخطب فيه وصلى بالناس علاء الدين على الباخرى وهو من أولاد الجند، منسوب إلى ابن باخر.

وفى يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان - أقيمت الخطبة وصلاة الجمعة بجامع استجده القاضى كريم الدين وكيل مولانا السلطان بأرض القابون^(١) ظاهر دمشق، وكان الشروع فى عمارته، والاجتماع على تحرير محرابه فى مستهل جمادى الأولى من هذه السنة وكمل، وخطب به فى التاريخ المذكور، وفوضت خطبته للشيخ الصالح جمال الدين عبد الوهاب التركمانى الحنفى إمام القابون، وحضر الخطبة قضاة القضاة والأعيان.

ذكر هدم كنيسة اليهود القرائين بدمشق

وفى هذه السنة برزت المراسيم السلطانية بهدم كنيسة اليهود القرائين بدمشق بدرب الفواخير، فهُدمت فى يوم السبت التاسع عشر من شهر رجب، وسبب ذلك: أن جماعة من المسلمين ادعوا أنها مُحدثة، فأثبت اليهود أنها قديمة مستمرة بأيديهم - عند بعض الحكام - فأقرت بأيديهم، ونجزوا مرسوماً سلطانياً بالحمل على ما ثبت وإبقائها، فعارضهم المسلمون بإثبات عند حاكم أنها محدثة، فورد المرسوم السلطانى / بالحمل على ما ثبت آخرأ، وهدمها. (١١)

قال الشيخ شمس الدين الجزرى فى تاريخه: إن هذه الكنيسة كانت من نحو مائة سنة بيتاً يجتمع فيه طائفة من اليهود القرائين، ثم أضيف إليها شيء

(١) فى ك: القانون، وما أثبتناه من أ ص ٢٥ لموافقه ما جاء فى ترجمة كريم الدين الوكيل الواردة فى الدرر (٤٠٢/٢) وعبارته أنه ولما دخل دمشق سنة ٧١٨ عمر جامع القبيبات وجامع القابون، والقابون: موضع بينه وبين دمشق ميل واحد (٢ ك م) فى طريق القاصد إلى العراق وسط البساتين (عن ياقوت، ومرصد الاطلاع).

بعد شيء، حتى كبرت واتسعت، وأصلحت عمارتها، فلما كان في سنة تسع وتسعين وستمئة عند دخول التتار إلى دمشق تمكن اليهود من إصلاحها؛ وعملوا بها منبراً، كل ذلك والمسلمون لا يعلمون؛ وذلك أنها بدرب الفواخير وغالب سكانه اليهود، وهى فى درب داخل درب جوار سور باب كيسان، والباب يومئذ مسدود، وبذلك تمكنوا من عمارتها وما شعر بهم المسلمون، ثم ظهرت فى ذلك الوقت، فهدمت.

وفى هذه السنة - فى الثامن من شهر ربيع الأول - توفى القاضى الخطيب مجد الدين أحمد بن القاضى معين الدين أبى بكر بن ظافر الهمدانى^(١) المالكى الخطيب والمدرس بمدينة القيوم، وكانت صورته كبيرة عند الأكابر، وولى قضاء القضاة بدمشق فى سنة عشر وسبعمائة، وخلع عليه، ولبس التشريف، ثم امتنع من ذلك واستعفى فأعفى، وكان رحمه الله تعالى رجلاً كريماً سمحاً مشهوراً بالمكارم، تزيد مكارمه على ريع أملاكه، وتأبى نفسه الاختصار، فاحتاج إلى أن استدان الأموال، واضطر إلى وفاء الدين بالدين، كل ذلك رغبة فى المكارم.

وكان رحمه الله تعالى جميل الصورة كامل الخلق، حسن الزى والملبس والمركب، جيد الشعر، أرسل إلى مرة يلتمس أن يقف على مقدمة كتابى هذا الذى ألفته، فأرسلت إليه المجلدة الأولى، فوقف عليها وكتب إلى بيتين من نظمه وهما:

وتوفى القاضى تاج الدين أبو الهدى أحمد بن محبى الدين أبى الفضل محمد بن الشيخ كمال الدين على بن شجاع بن سالم القرشى الهاشمى

كتاب جل أن نُحْصِيهِ وصفاً * حوى علماً وآداباً وظرفاً
رأينا منه عنواناً بديعاً * وعنوان المحاسن ليس يخفى

(١) فى ك : الهمدانى (بالدال) وكذلك فى: النجوم الزاهرة (٢٥٤/٩) وفى «أ» ص ٢٦ جاء رسمه بالذال. ولم ترد ترجمته فى المنهل الصافى فىمن اسمه أحمد بن أبى بكر، وأورد ابن حجر ترجمته فى الدرر (١١١/١) فقال : أحمد بن أبى بكر بن ظافر مجد الدين بن معين الدين المالكى سبط الشيخ المجد الأخبى «لم يذكر فى نسبه همدان ولا همدان».

العباسي، المعروف بابن الأعمى^(١)، والأعمى - الذي عرف به - هو جده الشيخ كمال الدين المقرئ وكانت وفاته بداره بُمنشأة المهراني، ودفن بالقرافة، ومولده في سنة اثنتين وأربعين وستمئة، وكان يلي نظر ديوان الملك الأشرف بن السلطان الملك المنصور قبل سلطنته، ثم عزل بالصاحب شمس الدين محمد بن السلَّوس^(٢) وعطل مدة، ثم ولي نظر الكرك، وعزل في سنة ثمان وسبعمئة، وحضر إلى الديار المصرية، فولى نظر بيت المال مُدة لطيفة، ثم عطل عن الخدمة، ورتب له في آخر عمره راتب، فكان يتناوله إلى أن مات رحمة الله عليه، وكانت وفاة جده الشيخ كمال الدين الضرير في سنة إحدى وستين وستمئة.

وتوفي الصدر الرئيس شهاب الدين أحمد بن محمود بن أبي الفتح بن الكويك^(٣) التاجر الكارمي، وكانت وفاته بداره بمصر في ليلة الأربعاء التاسع عشر من شوال، وترك دنيا عريضة وأملاكاً، وورثه أولاده، وكان من بقايا أعيان التجار الكارمية، ومشايخهم يرجعون إليه ويقتدون برأيه، رحمه الله تعالى.

وتوفي القاضي الفاضل كمال الدين محمد بن القاضي عماد الدين إسماعيل بن القاضي تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير الحلبي، أحد أعيان كُتَّاب الإنشاء^(٤)، وكانت وفاته بالقاهرة في بُكرة نهار الاثنين للنصف من ذي الحجة، وصلى عليه تحت القلعة، ودفن بالقرافة، وكان رحمه الله فاضلاً خيراً لطيفاً حسن العشرة والمذاكرة، جيد الإنشاء، قد ذكرنا من إنشائه في أثناء هذا التاريخ ما يقف عليه من يقصده، رحمه الله تعالى.

وتوفي الأمير زين الدين كُتُبغا^(٥) الصغير المنصوري رأس نوبة الحاجب بالشام في آخر نهار الجمعة الثامن والعشرين من شوال بداره بظاهر دمشق

(١) ترجمته في ابن حجر (الدرر ٢٨٢/١) والمقرئ (السلوك ٢٣٣/٢).

(٢) محمد بن عثمان، شمس الدين المعروف بابن السلَّوس كان وزيراً للسلطان الملك الأشرف، ومات مقتولاً سنة ٦٩٢هـ (أبر الفداء ٣١/٤).

(٣) في ك «الكوند» وما أثبتناه من «أ» ص ٢٨ والكارمي نسبة إلى الكارم، وهو البهار والتوابل.

(٤) في ابن حجر (الدرر ٣٨٦/٣) أنه كان موقع الدست بالديار المصرية، وكان فاضلاً في صناعته حسن الخط والإشارة والإنشاء.

(٥) كُتُبغا العادلي الحاجب: كان تنكر نائب الشام يحبه ويعظمه. وترجمته في ابن حجر (الدرر ٢٦٤/٣) وانظر أيضاً (السلوك ٢٣٤/٢).

ودفن من الغد بتريته برأس ميدان الحصار، رحمه الله تعالى، وولى الحجة^(١) بعده الأمير علاء الدين أيدُغُدى الخوارزمي، جهز من الأبواب السلطانية على إقطاع سنُقَرُ الإبراهيمي، فقدم دمشق في يوم الأحد عاشر صفر سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة.

وتوفى في يوم الاثنين السادس عشر من ذي الحجة - عز الدين إبراهيم ابن الملك الحافظ غياث الدين محمد بن الملك السعيد شاهنشاه بن الملك الأمجد بهرام شاه بن عز الدين فرخان شاه بن شاهنشاه بن أيوب، وكانت / (١٢) وفاته بقرية جسر من غوطة دمشق، ودفن بتريته بباب الفرديس، ومولده في الخامس من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وستمائة بحمرانيسان^(٢) عند مرجعهم من القدس، سمع الحديث من إسماعيل العراقي، ورواه عنه، وكان رحمه الله تعالى كثير التواضع والاحتمال حسن المودة.

وتوفى الملك المؤيد هزير الدين داود بن الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول صاحب^(٣) اليمن، وكانت وفاته في مستهل ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، وحصل بعد وفاته من الاختلاف والفتن بين ولده وأخيه ما نذكره بعد - إن شاء الله تعالى - عند ذكرنا لأخبار اليمن.

وتوفى الشيخ الصالح العابد نجم الدين عبد الله بن محمد الأصفهاني بمكة شرفها الله تعالى^(٤)، وورد الخبر بوفاته في شعبان، وكان شخصاً جليلاً صالحاً فاضلاً مشهوراً مقصوداً للزيارة منقطعاً عن الناس، جاور بمكة سنين كثيرة رحمه الله تعالى.

(١) الحجة: وظيفة الحاجب، وهو الذي يقف بين يدي السلطان ونحوه في المواكب ليبلغ ضرورات الرعية إليه، ويتصدى للفصل في المظالم بين المتنازعين فيما لا تسوغ الدعوى فيه من الأمور الديوانية، وانظر في تطور هذه الوظيفة (صبح الأعشى ٤٤٩/٥ و ٤٥٠).

(٢) هكذا في «أ» و «ك»، ولعل صوابه «بيسان»، وهي مدينة بالأردن بالغور الشامي بين حوران وفلسطين (مراسد الاطلاع ٢٤١/١).

(٣) في المقرئ (السلوك ٢٣٤/٢) علي بن رسول التركمانى، وفي النجوم (٢٥٣/٩) التركمانى الأصل اليمنى المولد والمنشأ تسلطن بعد أخيه في المحرم سنة ٦٩٦هـ. وترجمته في ابن حجر (الدرر ٩٩/٢ - ١٠٠).

(٤) ترجمته في الدرر (٣٠٢/٢) وفيها أنه كان صالحاً عابداً وللناس فيه اعتقاد زائد ومولده ٦٤٣هـ.

ذكر ما وصل إلينا من الحوادث الكائنية ببغداد في هذه السنة

في نصف شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وسبعمائة كبس الحرامية^(١) بغداد وقت الظهر ونهبوا سوق الثلاثاء، وخرج الناس، وقتلوا منهم نحو المائة وأسر منهم جماعة، وكان ذلك جرأة عظيمة منهم. نقلت ذلك من تاريخ الشيخ علم الدين بن البرزالي، وقال: كنت قرأت ذلك في كتاب وصل إلى شمس الدين ابن منتاب البغدادي، وفيها أيضاً ورد كتاب من بغداد من جهة أحمد البالوادي إلى شمس الدين بن منتاب بدمشق، وهو مؤرخ بالحادي والعشرين من جمادى الآخرة، وكان وصوله إلى دمشق في مدة عشرين يوماً، وفيه «... والذي أعرفكم به أنه جرى في بغداد شيء ما جرى في زمان الخليفة إلى هذا التاريخ: خربوا البازار^(٢) من أوله إلى آخره، وما يعلم ما عزموا عليه إلا الله تعالى، وما خلّوا في البلد خاطبة إلا توبوها وزوجوها، وما خلّوا أحداً يعصر في البلد شرباً، ويدّوا الشراب العتيق، ولو بدّوه من الشط غرقت بغداد، وبعد ذلك نادى المنادية أن كل من تخلف عنده شيء من الشراب يكون دمه وماله للسلطان، وطلع بعد ذلك عند شخص من العقبة جرة، فعلقوها في حلقة، وقتلوه في باب النوبة، وطلع عند عبد الله بن الجبار الذي من درب دينار جرتين من الشراب فقطعوا رأسه في باب النوبة، وجعلوا جرة عند رأسه، وجرة عند رجله، ودفع فيه ألف وخمسمائة دينار فما خلاه محمد حسيناه، وعلموا^(٣) اليهود والنصارى، وأسلم الرقي الجوهري، وبركة، وإبراهيم الكاغدي، والعماد الصيرفي، وكل يوم جمعة يسلم أربعة خمسة» نقلته من تاريخ الشيخ علم الدين البرزالي أيضاً.

واستهلت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة يوم الأربعاء الموافق الخامس والعشرين^(٤) من طوبة من شهور القبط.

(١) الحرامي: اللص - مولد (المعجم الوسيط) وقد شاعت هذه اللفظة على أقلام الكتاب في هذه الفترة وانظر صبح الأعشى (٣١٤/٧).

(٢) البازار: السوق (فارسية).

(٣) المراد: ميزوهم بعلامات خاصة.

(٤) هكذا في «ك»، وانظر: التوقيعات الإلهامية ٣٦١، وفي «أ» الخامس عشر من طوبة.

ذكر وصول الأدر السلطان من الحجاز الشريف

كان وصول الأدر السلطانية من الحجاز الشريف فى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من المحرم، فركب السلطان لتلقيهم، ومد سماًطاً، ثم طلعت الأدر السلطانية إلى قلعة الجبل على أربة، وتقدمها نساء الأمراء على الأربات، والكوسات تُضرب، والعصائب منشورة، وكان يوماً مشهوداً^(١).

ذكر تجريد العساكر إلى بلاد سيسى^(٢)، وفتح مدينة آياس^(٣) وأبراجها

وفى هذه السنة رسم السلطان بتجريد العساكر إلى جهة سيسى، فجرد من الأمراء المقدمين بالديار المصرية خمسة وهم: الأمير جمال الدين أقش^(٤) الأشرفى، وهو مقدم/ الجيوش، والأمير علم الدين سَنَجَر الجُمُقْدَار، والأمير سيف الدين ألماس أمير حاجب، والأمير سيف الدين طُرْجى أمير مجلس، والأمير سيف الدين أصْلَم السلاح دار، ومُضافيهم من أمراء الطبلخانات، وهم: قلبرس بن طيبرس محمد ابن أمير سلاح الدمر أمير جَنْدَار أَيْدُمُر العمرى، [و] أروم^(٥) بُغَا، قُطْلُوغَا الجمالى، [و] طرمحى الساقى، [و] خضر بن نوكيه، [و] طيفر الجَمْدَار، وطُرُنْطَاى السلاح دار، [و] أَيْدُغْدَى البلبلى، أراق السلاح دار، خاص ترك الجمدار، بيلك الجمدار، أقْسُنْقَر السلاح دار، بيبرس السلاح دار، أيبك عبد الملك، سنقر السعدى، بهادرُ الغنمى، وأمير العراوَاب خليل بن الأربلى، على بن دامر بن على بن سَلَار، على بن التركمانى، ومحمد بن ملكشاه، كجكن الكرمونى، [و] بهادر بن قرمان، ومحمد بن أيبك الخَزَنْدَار، وما جار فتحى بك^(٦)، وجماعه من الحلقة^(٧)

(١) وصف المقرئى استقبال السلطان للأدر السلطانية فى عبارة أكثر تفصيلاً (السلوك ٢/٢٣٥).

(٢) سيسى: بلد من أعظم الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس، سماها ياقوت: سيسييه (معجم البلدان).

(٣) آياس: مدينة ببلاد الأرمن على ساحل البحر (صبيح الأعشى ٤/١٣٣).

(٤) فى المقرئى (السلوك ٢/٢٣٥) أقوش.

(٥) ما بين الحاصرتين إضافة للتوضيح.

(٦) ما بين الحاصرتين لم يرد فى «أ»، وقد ذكر المقرئى خبر هذه الحملة موجزاً، ولم يذكر غير الأمراء.

الخمسة المقدمين (السلوك ٢/٢٣٥).

(٧) فى القلقشندي (صبيح الأعشى ٤/١٦) أجناد الحلقة: عدد جم، وخلق كثير، وربما دخل فيهم من ليس

بصفة الجند من المعممين وغيرهم، ولكل أربعين مقدم منهم، ويمثلون الطبقة الثانية.

المنصورة، والمماليك السلطانية^(١)، وكان خروجهم من القاهرة المحروسة في يوم السبت الثاني من صفر.

وجُرد من الشام الأمير سيف الدين بهادر والأمير سيف الدين كُجُكُن^(٢)، والأمير شرف الدين حسين بن جندر، ومضافيهم، والعسكر الحلبي بكماله، والأمير شهاب الدين قَرَطَاي نائب السلطنة بالمملكة الطرابُلسية، وجماعة من العسكر الطرابُلسي، وخرج المرسوم السلطاني لهم أن يتوجهوا إلى بلاد سيس، ولا ينتظروا مرسوماً، ولا يقيموا بمدينة من مدن الشام.

وكان سبب إرسال^(٣) هذه الجيوش أن السلطان كان قد أرسل الأمير بدر الدين محمد بن الحاج أبي بكر - أحد الأمراء بطرابلس - رسولاً إلى مُتَمَلِك سيس في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، فتوجه وأخذ منه القطيعة المقررة على بلاده، وهي ألف ألف درهم ومائتا ألف درهم فضة حجر، والمقرر من الخيل والبغال وتطابق النعال والمسامير وغير ذلك، وجهزها إلى الأبواب السلطانية من غير عهد ولا عقد، ولا تقرير هدنة، فأخبرني الأمير بدر الدين المذكور عند وصوله إلى الأبواب السلطانية أنه لما توجه [إلى سيس]^(٤) اجتمع بمتملك بلاد الأرمن وهو صغير يكون عمره نحو ثمان سنين جمع [متملك بلاد سيس]^(٥) أكابر مملكته وحضر خليفتهم بزعمهم واستشاروه في إرسال القطيعة قبل تقرير [الهدنة واليمين]^(٥) فأشار عليهم بدفعها، وإطفاء الشائنة. وتعريف السلطان أنهم بأجمعهم دخلوا تحت طاعته وانتسبوا إلى غلمانيته وعبوديته، وخلعوا طاعة من سواه من التتار وغيرهم. وسألوا مراحم السلطان، وبذلوا له الرغبات، فكان مما عرضه على الرسول المذكور أن قالوا له: إن اختار السلطان أن

(١) المماليك السلطانية: هم الطبقة الأولى من الجند، وهم أعظمهم شأنًا، ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة (المصدر نفسه ١٥/٤).

(٢) في «أ» و«ك» (كحكن) وفي الدرر (٢٦٤/٣) بالجيم، وهو كجكن المنصوري أحد الأمراء الكبار بدمشق، مات سنة ٧٣٩هـ.

(٣) أورد المقرئ في السلوك (٢٣٦/٢) سبباً آخر لهذه الحملة.

(٤) ما بين الحاصرتين أضيفت للتوضيح.

(٥) في «ك» (الهدية واليمين) وما أثبتناه من «أ» لموافقة السياق.

يقاسمنا على متحصل البلاد، وأن يقرّر علينا الجزية عن كل إنسان دينارين حتى على رأس الملك فمن دونه فَعَلْنَا ذلك، ويرسل إلينا نُوكَايه يستخرجون ذلك، وإن أحب أن يُسَلِّمَ إلى نوابه ما هو قاطع نهرجهان^(١) مما يلي المملكة الحلبية من القلاع والبلاد فعلنا ذلك على أن يضع عنا في مقابلة هذه القلاع والأعمال ثلثَ المال المقرّر، وهو أربعمئة ألف درهم فضة.

وأرسل^(٢) الأرمن امرأة من عند الملك تسأل مراحم السلطان، فلم تُمكن من الوصول إلى الأبواب السلطانية وأعيدت من حلب.

وجرّد السلطان هذه العساكر وأرسل الأمير بدر الدين المذكور على خيل البريد أمام العسكر المنصور ليطالبهم بتسليم البلاد والقلاع وتقرير الهدنة على ذلك، فإن سلموها تسلمها نواب السلطان، وكفّ العسكر عنهم، وإن شغبوا أو توفّقوا أدخل العسكر إلى بلادهم.

وكان موجب خروجهم عن طاعة التتار وغيرهم أن مقدم التتار بالروم - وهو تَمُرْتاش بن جُويان - اجتمع هو وابن قَرَمَان ودخلوا إلى بلاد سيس في أواخر سنة إحدى وعشرين، وغاروا وشعثوا ونهبوا، وعادوا إلى بلادهم، فتوجه العسكر الآن ووصل إلى دمشق في يوم الخميس الثامن والعشرين من صفر، ثم توجه منها إلى حلب فوصل إليها في العشر الأول من شهر ربيع الأول. وتوجهت العساكر منها إلى مدينة آياس في أوائل شهر ربيع الآخر، واستصحبوا المجانيق من بغراس محمولة على العجل وأعناق الجند.

ولما وصل العسكر إلى ثغر آياس وجد أهلها قد أدخلوا المدينة من الأموال والرجال وغير ذلك، وبقيت / خالية، فدخلها العسكر بغير ممانع ولا مدافع، وانتقل أهلها إلى القلعة، وهي قلعة مستجدة عمرها الأرمن في أول المائة (١٤)

(١) في ك جهان: وكذلك في أبي الفدا (١١٩/٤) وفي صبح الأعشى (١٣٣/٤) نهر جاهان ويقال له أيضاً نهر جيحان، ويعبر عنها أحياناً بالفتوحات الجاهانية، وقد ذكر أيضاً أن الناصر محمد بن قلاوون قد استعاد بلاد الأرمن سنة ٧٣٨هـ، أيضاً المقرئ (السلوك ٢/٢٣٦ - ٢٣٧).

(٢) هذا الخبر لم يرد في «أ».

السابعة، ولها باب من جهة البر وبقيتها في البحر، فتقدم العسكر لمحاصرتها وأخذ النقبون في النقوب يوماً وليلة، فانتقل من كان بها إلى قلعة هناك في وسط البحر تسمى قلعة أطلس، وإلى أبراج ثلاثة، منها برج مئمن وأشعلوا النيران بالليل فيها، وأحرقوا^(١) ما تركوه بها من أعواد المجانيق والأمتعة وغير ذلك، فملكها المسلمون، وارتفع الصنجق السلطاني عليها، وشرع العسكر في إخراجها فعلقها النقبون، وأطلقت فيها النيران، فهدمت في البحر وحُصر الأرمن بالقلعة والأبرجة التي في البحر، والوصول إليها متعذر لبعدها عن البر، فنصبت المجانيق السلطانية على القلعة الكبرى، ونصّب الأرمن أيضاً مجانيقهم على العسكر، وتراموا بها فاتفق الأمراء على أن العسكر يردم ما بين المدينة وبين القلعة والأبرجة من البحر، فتعذر عليهم لعمق البحر، وبعد المسافة، فنصبوا جسوراً من الأخشاب والبَتَاتِي، فانتَهت إلى مقدار ثُلثِي المسافة إليها، هذا والمجانيق ترمى بأحجارها من كل من الطائفتين ووصل النقبون إلى البرج المئمن، فسأل من به الأمان على أن يسلموه فأجيبوا إلى ذلك، ثم نكثوا، ورجعوا عن التسليم، فوصل المسلمون إليه، وشرع النقبون في تعليقه ثم يسر الله تعالى الفتح، فحصل الاستيلاء على ذلك براً وبحراً في يوم الأحد والعشرين من شهر ربيع الآخر، ودخل العسكر إلى بلاد سيس، وأغاروا ووصلوا إلى قلعة كوارا، ثم عادت العساكر المنصورة إلى مستقرها من الممالك، ولما حصل هذا الحصار أمر الباب^(٢) - وهو الحاكم على ملوك الفرنج - من تحت يده وطاعته منهم أن يتوجهوا إلى ثغر اللاذقية ويحاصروه لعلهم ينالون^(٣) منه منالاً، لاشتغال العساكر الإسلامية بشغل آياس، فعمر الفرنج نحو تسعين شينياً وشحنوها بالرجال والمقاتلة، وقصدوا ثغر اللاذقية وبه يومئذ الأمير شرف الدين عيسى بن البرطاسي فاجتهد في أمر الثغر، واحترز فأقامت تلك الشوانى أياماً في البحر قبالة ثغر اللاذقية، ثم عادت إلى أماكنها ولم يظفروا بشيء، وكفى الله تعالى شرهم وله الحمد والمنة؛ ولنذكر خلاف ذلك ما اتفق.

(١) في الأصل : (وحرقوا).

(٢) الباب : يريد «الباب» فهكذا كان مؤرخو هذه الفترة يكتبون اسمه، وانظر صبح الأعشى (٤٠٨/٥).

(٣) بالأصل «ينالوا» والصواب ينالون.

ذكر اجتماع المماليك السلطانية وشكواهم

وما حصل بسبب ذلك

وفى يوم الخميس الثامن والعشرين من صفر اجتمع جماعة من المماليك السلطانية الساكنين بالطَّباق^(١) بباب السلطان، واستغاثوا وشكوا إلى السلطان أنهم نقصوا من مرتبهم، وغيّرت عادتُهم فى طعامهم وتأخّرت جَامِكِيَّتُهُم عنهم وكساويهم، وبالغوا فى الشكوى والأساة، فأرسل السلطان إليهم أن يختاروا من أعيانهم من يعبّر إليه، ويشكوا ضررهم، ويشافهوه بحالهم، فامتنعوا من ذلك، وكانوا فى جمع كثير، فخرج السلطان إلى الرحبة، وسمع شكواهم، ولطف بهم، وقابل جهلهم بحلمه وسياسته ووعدهم إزالة ضررهم، وأنه يتولى ذلك بنفسه، وصرفهم إلى أماكنهم فانصرفوا إليها وكشف عن حملهم على الجراءة ممن يعلم أحوال المماليك، فعُين جماعة من المماليك أرباب الاقطاعات، فرسم بإخراجهم من القلعة وإسكانهم المدينة، فخرجوا فى يوم السبت سلخ صفر، وأخرج أيضاً جماعة من الخُدّام المقدمين والسواقين، ورسم بالنفقة فى أرباب الجامكيّات، وزيادة مرتبهم، وإصلاح أطعمتهم، ففعل ذلك، وسكنت أمورهم^(٢).

(١٥) ذكر وصول الأمير «علاء الدين الطنبغا»^(٣) نائب السلطنة / بالملكة الحلبية إلى الأبواب السلطانية وعوده

وفى يوم السبت سلخ صفر وصل الأمير علاء الدين الطنبغا نائب السلطنة بالملكة الحلبية إلى الأبواب السلطانية، وكان قد رُسِمَ بحضوره، فأرجف الناس به، وظن كثير منهم أنه لا يحضر، وأنه إذا حضر اعتُقل، فلما وصله شمله الإنعام السلطاني بالتشريف والخيّل والإحسان، وقدم له أعيان الأمراء التّقادِم^(٤)، وبالفق القاضى كريم الدين وكيل السلطان فى خدمته وإكرامه، وأرسل إليه عدة كثيرة

(١) الطَّباق: كان معداً لسكنى المماليك السلطانية بقلعة الجبل، وانظر المقرئى (الخطوط ٢/٤٠٤).

(٢) ورد هذا الخبر فى المقرئى (السلوك ٢/٢٢٩) مخالفاً لما أورده النويرى هنا وعلق عليه ثمة محققه بما أورده النويرى هنا، وبينهما اختلاف فى الطريقة التى عالج بها السلطان هذه الفتنة، وقد أوردها فى حوادث سنة ٧٢١، وانظر أيضاً (النجوم ٧٢/٩ و ٧٣).

(٣) ترجمته فى ابن حجر (الدرر ١/٤٠٨ و ٤٠٩) وفيه أنه مات مخنوقاً بالإسكندرية سنة ٧٤٢هـ.

(٤) التّقادِم: جمع تقدمة ويقصد بها الهدايا التى جرت العادة بتقديمها فى مناسبات، وكانت تختلف تبعاً لمكانة المهدى إليه، وتبعاً للمناسبة التى تقدم فيها.

من الأقمشة والتعابى والتشاريف ليخلعها على من يحضر إليه بتقادم الأمراء، وأعطاه خيلاً وجملته من المال، وحضر هو صحبة القاضى كريم الدين إلى داره، وتَرَجَّل عند قربه من الدار، ومشى والقاضى كريم الدين مستمر الركوب على ما هو عليه إلى أن نزل فى مكانه المعتاد، هكذا أخبرنى جماعة ممن ذكروا أنهم شاهدوا ذلك، ثم رسم بعود الأمير المذكور إلى المملكة الحلبية، فعاد فى يوم السبت ثانى شهر ربيع الأول على خيل البريد، وأدرك العسكر بحلب، ودخل معهم إلى آياس.

ذكر وصول رسل الملك أبى سعيد ملك التتار

وفى العشر الآخر من ربيع الأول وصلت رسل الملك أبى سعيد بن خَرْتَنُدا - ملك العراقيين وخراسان وما والى ذلك - إلى الأبواب السلطانية، وهم: الأمير حسن بن شادى بن سونجاق، ومعه أمير آخور، وقاضى قضاة تبريز نصر الدين محمد بن محمد القزوينى الشافعى، فأمر السلطان بإنزالهم فى قلعة الجبل، ومثلوا بين يديه فى يوم الاثنين مستهل ربيع الآخر، فاستقبلهم بدر الدين بيبرس الصالحى^(١).

* * *

(١) يلى هذا فى «أ» سقطة طويلة يبدو أنها من سهو الناسخ، وليس فى «ك» ما يساعد على ملء هذه السقطة تماماً، غير أنه بالرجوع إلى K.V. Zetter steen رجح أن هذه السقطة تبدأ بسنة ٧٢٣هـ وتشمل أخبار شهر المحرم وصفر وربيع الأول منها، ولذا فسوف نعتد أولاً على هذا المرجع فى تكميل المتن، وثانياً على المقرئى فى السلوك (ج ٢ / ٢٤٣) فى ربط السياق حتى يستقيم المتن تماماً.

[ذكر سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة في يوم الخميس

رابع عشر ربيع الآخر قبض على كريم الدين الكبير^(١)]

[بعد^(٢) ما تجهز ليسافر يوم الجمعة خامس عشره إلى الشام، فعندما طلع إلى القلعة على العادة، ووصل إلى الدركاه منع من الدخول إلى السلطان، وعوق بدار النيابة هو وولده علم الدين عبد الله، وكريم الدين أكرم الصغير ناظر الدولة، ووقعت الحوطة على دور كريم الدين الكبير خاصة التي بالقاهرة وبركة الفيل، ونزل شهود الخزانة بولده إلى داره ببركة الفيل، وحملوا ما فيها إلى القلعة، وتوالت مصادرتهم، فوجد له شيء كثير جداً^(٣) (٣٤)] ووجد له عدة من الممالك والجواري الأتراك، وكان من ممالكه جماعة قد أخذ لهم الإقطاعات الوافرة في جملة رجال الحلقة المنصورة، فأمر السلطان بقطع أخبازهم، وبيع الممالك الأرقاء والجواري، وأنعم على ثلاثة منهم بأخباز غير ما كان بأيديهم قليلة العبرة بالنسبة إلى ما كان بأيديهم، وعادت الخزانة التي كان قد جهزها إلى ثغر اللاذقية في يوم الاثنين ثامن عشر الشهر، فعرض ذلك على السلطان، وكان في جملة ما وجد بها ثلاثة حوايص ذهباً مجوهره كان قد أعدها لمن نذكر في جملة خلعه عليهم، وهم: الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه، والأمير سيف الدين تنكز نائب السلطنة بالشام والأمير علاء الدين الطنبغا نائب السلطنة بحلب.

ولما رسم بالحوطة عليه^(٤)، وقعت الحوطة على أملاكه وأوقافه وحواصله وغير ذلك، فاعترف أن سائر الأملاك التي أنشأها وابتاعها وما وقفه كان قد اشتراها وعمرها من مال السلطان دون ماله، فأفاد هذا الاعتراف في الأملاك،

(١) ما بين الحاصرتين حتى.. كريم الدين الكبير من K.V. Zetter steen ص ١٧٣.

(٢) ما بين الحاصرتين من المقرئ (السلوك ٢/ ٢٤٣).

(٣) ما بعد الحاصرة من نسخة «أ» من ص ٣٤ إلى ص ٦١.

(*) هذه الأرقام لصفحات نسخة «أ» التي انفردت بهذه الزيادة.

(٤) يعني كريم الدين الكبير، وانظر ترجمته في الدرر (٢/ ٤٠١ - ٤٠٤) وفي السلوك (٢/ ٢٤٣) أن ذلك

كان في ربيع الآخر ٧٢٣هـ، وانظر (كنز الدرر وجامع الغرر ٩/ ٣٠٨ و ٣١٤).

فحكم أنها ملك السلطان دون ملكه^(١) وشهد جماعة من المعدّلين أن الأملاك التي وقفها ابتاعها من أموال السلطان دون ملكه فحكم بإبطال أوقافه، ونُقِضت بعد ما أبرمت، وكتبت بذلك مكاتبة حُكْمِيّة ثبّتت على قضاة القضاة.

ولما اشتد الطلب عليه وخشى على نفسه أن يُقتل، أرسل إلى السلطان يقول: إن أموال السلطان^(٢) كثيرة، وهي مفرّقة في أقطار الأرض، منها ما/ (٣٥) سفّرتَه إلى بلاد الإفرنج ومنها ما أرسلته إلى العراق وإلى اليمن وإلى الهند، ومنها ما هو مفرّق بأعمال الديار المصرية بالوجهين القبلي والبحري، ومنها ما هو بالشام، وإذا عَدِمْتُ عَدِمَ ذلك كلّهُ، وطمع فيه من هو عنده، فاقتضى ذلك إبقاءه، وأفرج عنه السلطان، ورسم أن يستقر^(٣) مقامه بترتبه التي أنشأها بالقراقة، فنزل إليها هو وولده علم الدين، وأقام بها، ثم شملته عواطف السلطان، وأنعم عليه بمبلغ عشرين ألف درهم، فقبضها، وأرسل إليه فرسين من جملة خيله، وقماش ملبوسه، والخَلَع التي كان السلطان قد خلّعها عليه، وأعيدت إلى الخزانة عند إيقاع الحَوْطَة، وأفرج عن معصرتين من معاصر الأقباص التي كانت له بالوجه القبلي، ثم رسم السلطان بعد ذلك بسفره إلى الشَّوْبِك^(٤) يقيم هناك، ورتب له في كل شهر ألف درهم على حكم الراتب، فتوجه هو وولده وأهله وألزامه، وكان خروجهم في يوم السبت تاسع عشر جمادى الآخرة من السنة، فأقام بالشوبك إلى أثناء شهر رمضان من السنة، وطالع الأمير سيف الدين أرغون^(٥) نائب السلطنة، وسأله أن ينتقل إلى القدس، فلم يَجِبْ إلى ذلك أولاً، ثم تلطف نائب السلطنة في أمره إلى أن رُسِمَ بانتقاله إلى

(١) هذا الخبر أورده المقرئ في السلوك (٢٤٨/٢) وذكر أن السلطان أبقى من هذه الأوقاف على أوقاف الخانقاه بالقراقة، وأوقاف الجامع بدمشق وعبرة النوري هنا لا تفيد هذا الاستثناء.

(٢) مراده أموال السلطان الملك المظفر بيبرس الجاشنكير كما يتضح من السياق في الصفحات التالية.

(٣) المعنى أن السلطان حدد إقامته في هذه التربة وعبرة السلوك (٢٤٧/٢) أن الإفراج عنه كان في يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة، وألزم بالإقامة في تربته من القراقة.

(٤) الشوبك: الضبط من: مرصد الاطلاع ٢ / ٨١٨، وذكر أنها «قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة قرب الكرك».

(٥) أرغون الناصري: جرت نسخة ك على رسمه أرغون - وبوا بعد الغين - وهكذا تورده مصادر التاريخ الأخرى وفي نسخة «أ» يرد رسمه بدون الواو.

القدس الشريف، فكان وصوله إلى القدس في يوم الجمعة تاسع عشر شوال، وأقام إلى أن تغير خاطر السلطان عليه لأسباب نُقلت عنه.

فلما كان في يوم الأربعاء السابع عشر من ربيع الأول سنة أربع^(١) وعشرين وسبعمائة/ (٣٦) رسم السلطان بتجديد الحوطة عليه، وعلى أسبابه، وتوجه لإحضاره من القدس الأمير سيف الدين قُطْلُوغَا المغربي الناصري، وكان وصوله إلى قلعة الجبل هو وولده عشية نهار الخميس الخامس والعشرين من الشهر، ولما وصل سُلِّمَ للأمير سيف الدين قَجْلِس أمير سلاح، فأنزله بداره، وسُلِّمَ ولده عبد الله ومملوكه طوطاج إلى الأمير علاء الدين مُغْلَطَاي الجمالي استادار، وطُوبَ بحمل المال، فاعتذر بأنه لم يبق له ما يحمله إلا ثمن الأملاك التي كان السلطان قد أفرج له عنها، فأمر ببيعها، فبيعت بمبلغ أربعمئة ألف درهم، وحُمِلَ عنها، واستمر على ذلك إلى يوم الجمعة الحادي عشر من شهر ربيع الآخر، فرُسم باعتقاله، فاعتُقل في برج الأتابكي^(٢) بقلعة الجبل بمفرده بغير غلام يخدمه، وسُدَّت المرامي والمناور، ورُتِبَ له في كل يوم ثمانية أرطال لحم وكُمَاجه، واستمر بالبرج إلى يوم الجمعة الثامن عشر من الشهر، فأخرج من البرج وسُفِرَ إلى الصعيد الأعلى، ورُسم باستقراره بشجر أسوان، وكان قد سُفِرَ ولده عبد الله قبله، وقطع السلطان أخباز مملوكيه طُرُنْطَاي، وطوطاج من الحلقة.

فلما كان في ليلة يسفر صباحها عن يوم الاثنين حادي عشره حضر إلى صاحب أمين الدين مَنْ ذكر أن [الكريم الدين]^(٣) ودیعة عند رجل موآن نصراني، فطُلب، وطُوبَ بالودیعة، فأحضر صندوقاً ضمَّنه من المصوغ والجوهر ما قيمته - فيما بلغني - نحو عشرين ألف دينار.

ولما استقرَّ كريم الدين بشجر أسوان أمر السلطان أن يُرتَّبَ له ولولده/ (٣٧) في كل شهر ستمائة درهم وستة أرادب لنفسه، ولولده عبد الله مائة درهم وإردبان، واستمرت إقامته بشجر أسوان إلى أن مات به، وكانت وفاته

(١) كذا بالأصل، والصواب ثلاث، وانظر المقرئ (السلوك ٤١/٢، وما بعدها) Zettersteey ص ١٧٣.

(٢) عبارة السلوك (٢٤٤/٢) ونقل كريم الدين ولده علم الدين إلى البرج المرسوم للمصاردين بباب القرافة من القلعة، وطُوبَ بالحمل...».

(٣) في الأصل «أن له» وقد أثرتنا الإظهار ليتضح المعنى.

فى ليلة الخميس العشرين من شوال سنة أربع وعشرين وسبعمائة، ووصل الخبر إلى الأبواب السلطانية فى يوم الاثنين مستهل ذى القعدة، وأنه شق نفسه، ووُجد فى بكرة النهار وهو معلق بسلكة^(١) فى الدار التى كان قد نزل بها، وتُعرف بدار «ابن يحيى». هذا هو الذى ظهر من أمر وفاته.

وأخبرنى متولّى ثغر أسوان^(٢) - وهو أحد من تولّى قتله - أنه وصل إلى الثغر فى ليلة الأربعاء ركن الدين بن موسك، نائب متولّى الأعمال القوصية، وصحبته بعض ممالك متولى الأعمال، فأقام بالثغر يوم الأربعاء، وأظهر أنه إنما حضر لتحرير ما سقط من النخل فى شهر رمضان بسبب هواء كان قد هب فسقط لهبويه نخل كثير، وطلب أرباب السواقى فى ذلك اليوم، وشاع أنه إنما وصل إلى الثغر بسبب ذلك.

فلما كان فى ليلة الخميس توجه المتولى بالثغر، وابن موسك ومن معهما إلى داره، وطرق المتولى الباب على كريم الدين فخرج إليه غلام، فقال له من وراء الباب: من هذا؟ فقال: عرّف القاضى أن مملوكه فلان حضر «يعنى المتولى نفسه» فأعلمه الغلام، وعاد ففتح الباب فقال متولى الثغر: فلما صرت من داخل الباب أرسلت الغلام الذى فتح لى الباب إلى الاعتقال، وخرج غلام ثان ففعلت به كذلك، فدخل غلام آخر وأخبر كريم الدين بذلك، ودخلت/ (٣٨) فى إثره فوجدت كريم الدين على تخت^(٣)، وابنه عبد الله عنده فسلمت عليه، وقلت لولده عبد الله: يا علم الدين تعالى إلى أعرفك، فلما جاء إلى أخذته وخرجت من عند أبيه، فصرخ بى كريم الدين، وجعل يقول: يا شمس الدين، يا شمس الدين، يكرر هذا القول، فلم ألتفت إليه، ودخل عليه أولئك القوم

(١) السلية: الحبل من الكتان أو التيل ونحوه، تقاد به الماشية (عامية) وأصل السلب - بفتحيتين - : ليف المقل، وهو أبيض، أو هو لحاء شجر معروف باليمن تعمل منه الحبال، قال الزبيدى فى (تاج العروس) مادة (س ل ب) : وعلى هذا يخرج قول العامة للحبل المعروف: سلب. «وفى النجوم (٧٥/٩) أنه أصبح مشنوقاً بعمامته.

(٢) هذه الرواية لم نجدها فى المصادر الأخرى لتاريخ هذه الفترة على مثل ذلك النحو من التفصيل والدقة، وفى كنز الدرر وجامع الغرر (٣٠٨/٩) ورد خبر القبض عليه وإيقاع الحوطة على موجوده فى حوادث سنة ٧٢٣هـ وفيه (ص ٣١٤) ورد خبر وفاة كريم الدين فى حوادث سنة ٧٢٤هـ.

(٣) تخت: كلمة فارسية، معناها لوح من خشب (الألفاظ الفارسية ص ٣٤).

فخنقوه، وعلقوه بسلبية بعد أن أغلقوا بينه وبين نسائه باباً، وأغلق باب الدار من داخله وتوجه القوم فعرفت ولده الحال، وقررت معه أن يقول فى بكرة النهار إذا طلب: إنه تخاصم مع أبيه وخرج من عنده، وأنه حرج منه، ففعل ذلك بنفسه، قال: فلما كان من بكرة النهار توجه المتولى وابن موسك إلى باب دار كريم الدين، وطرقوا الباب، فلم يجيبهم أحد، فتوجه المتولى إلى دار قاضى البلد، وهو القاضى شرف الدين شعيب بن القاضى جمال الدين يوسف السيوطى^(١) وهو يصرخ ويقول: هرب كريم الدين، والله لئن تم هربه لأشتقن بنى الكنز، وأخذ القاضى وجماعة من العدول وحضروا إلى الدار، وكسروا الباب، ودخلوا الدار، فوجدوا كريم الدين مشنوقاً، فأخبر القاضى شرف الدين المذكور حاكم الثغر بأنه وجد فى عنقه سلبية ليف كانت وشيعة^(٢) لفرس، وعليها آثار زيل الدواب، وطلب ولده، وسئل عن خبره، فقال ما لقنه؛ أنه تخاصم معه بالأمس وخرج من عنده، وقد أغضبه، فكأنه وجد^(٣) فى نفسه من ذلك فشتق نفسه، فنظم بذلك مشروح وسير إلى الأبواب السلطانية فى التاريخ المذكور. ودفن بشجر أسوان/ (٣٩) ولما وصل الخبر بوفاته إلى الأبواب السلطانية رسم بطلب ولده من ثغر أسوان، ولما تحقق الناس موته، وعلموا طلب ولده خشى من كان عنده وديعة له أن ولده إذا وصل يعترف عليهم، فظهر من ودائع جملة عظيمة منها ما أحضره الأمير علاء^(٤) الدين على بن هلال الدولة - فيما بلغنى - ذهب مصكوك بثمانية عشر ألف دينار، ومصوغ، وزركش وجوهر قيمته اثنا عشر ألف دينار، أحضر صارم الدين أستاذ دار كريم الدين - وهو الذى كان استاذ دار الأمير علم الدين سنجر الجاولى - صندوقاً كبيراً ضمنه من الجواهر والحوايص المجوهرة والفصوص وغير ذلك ما قيمته - فيما قيل - مائة ألف دينار، وقيل أكثر من ذلك.

(١) ترجمته فى الدرر (١٩٤/٢) وذكر أن وفاته كانت فى حدود سنة ٧٣٠هـ وفى (الطالع السعيد) أن وفاته كانت فى يوم الأحد سابع ربيع الآخر سنة ٧٥٧هـ.

(٢) الوشيعة: ليف يقتل ثم يشبك بين خشبتين ينقل فيها البر المحصود وغيره (المعجم الوسيط).

(٣) وجد فى نفسه معنى حزن.

(٤) علاء الدين على بن هلال الدولة، ولد بشيزر ثم قدم مصر وباشر شد العمارة بها، وتدرج فى عدة مناصب، ثم عاد إلى شيزر ومات بها فى سنة ٧٣٩هـ. ترجمته فى الدرر (١٣٦/٣).

ولما حضر ولده علم الدين طُوب بالمال، وسُعط بالخل والجير^(١)، فاعترف أن له وديعة عند صارم الدين أستاذ دار والده، فطلب فأحضر نحو عشرة آلاف دينار، وأنكر عليه كونه آخر إحضار هذا المال، فقال: هذا كان وديعة عندي لهذا، وقد أحضرته الآن، فلم يؤاخذ بذلك. ثم أفرج عن ولده [علم الدين]^(٢) عبد الله بعد ذلك، واستقر بحارة الديلم بدار أبيه الصغرى.

هذا ما كان من خبر القبض على كريم الدين ووفاته. فلنذكر خلاف ذلك من أخباره.

* * *

ذكر شيء من أخبار كريم الدين المذكور وابتداء أمره «وتنقلاته وما كان قد انتهى إليه من القرب من السلطان والتمكن من دولته»

(٤٠) / كان كريم الدين المذكور في ابتداء أمره في حالة شببيته في خدمة خاله تاج الرياسة^(٣) بن سعيد الدولة، وكان معه بمدينة قوص لما كان كاتباً للأمير بهاء الدين قراقوش الظاهري البريدي متولى الأعمال القوصية - كان - في الدولة المنصورية السيفية، وكان هو وخاله إذ ذاك - وبعده بسنين كثيرة - على دين النصرانية، وتوجه معه إلى الأعمال القوصية، ورُتب كريم الدين في كتابة المسطبة بقوص، وهي كتابة نائب الولاية، ثم خدم بعد ذلك الأمراء، فكان ممن خدمه منهم: الأمير سيف الدين جاورشي الحسامي، والأمير سيف الدين قجقرا وغيرهما، وياشر بعد ذلك وظيفة كتابة في البيوت السلطانية، ثم أسلم في الدولة الناصرية، وياشر نظر ديوان الأمير ركن الدين بيبرس أستاذ دار العالية؛ إذ تمكّن منه، وظهر اسمه، وشاع ذكره ونوّه الناس به، وأظهر

(١) يقال: سعط الدواء، وأسعطه إياه: إذا أدخله في أنفه. والتسعط بالخل والجير كان من أنواع التعذيب التي عرفت في مصر في العصور الوسطى.

(٢) الزيادة من السلوك، والنجوم (٧٤/٩).

(٣) ترجمته في الدرر (٥١٥/١) وورد اسمه فيه: تاج الدين بن سعيد الدولة القبطي وسيورده النويري بعد قليل بلقب تاج الدين، ووفاته سنة ٧٠٩هـ.

المكارم، وبذل ماله، فمدحه الشعراء، ورغب الناس في صحبته والاجتماع به، ولم يزل على ذلك وحاله تتزايد إلى أن استقر بيبرس الجاشنكير في السلطنة كما تقدم، فعظم عند ذلك شأنه^(١)، وارتفع مكانه، وعلت رُتبته، وسمت همته، وهو مع ذلك تبع لخاله تاج الدين بن سعيد الدولة، يأتمر بأمره، ويتصرف عن رأيه، ويقف بين يديه، وإذا خاطبه تاج الدين لا ينعته غالباً بل يكتنيه بأبى الفضائل لايزيده على ذلك، سمعته يخاطبه بذلك، وكان تاج الدين المذكور قد تمكن في دولة بيبرس الجاشنكير المنعوت بالملك المظفر، وكان يباشر نظر الدولة، ويجلس إلى جانب نائب السلطنة الأمير سيف الدين / (٤١) سلار بدركاة باب القلعة، ويكتب على سائر ما يكتب عليه السلطان قبل خط السلطان ما مثاله «يحتاج إلى الخط الشريف» ولا تقدم الدواذارية للعلامة إلا بعد مشاهدة خطه بذلك، إلا كتب البريد خاصة، وكانت كتب السلطان الملك المظفر إلى النواب والولاة وغيرهم بالشام وغيره لا تُختم إلا بعد عرضها عليه إذا كان فيها ذكر الأموال، فلما مات تاج الدين بن سعيد الدولة في سنة تسع وسبعماية في سلطنة المظفر بيبرس استقر كريم الدين في وظيفته، فلم تطل المدة إلى أن خلع بيبرس من السلطنة كما ذكرناه، فكانت هذه الولاية كسحابة صيف، أو زيارة طيف.

ولما توجه المظفر بيبرس إلى الصعيد توجه كريم الدين معه، فلما استقر السلطان الملك الناصر بقلعة الجبل حضر كريم الدين إلى الأبواب السلطانية برسالة مخدومه، وأعاد الخزانة التي كانت معه، فخلع السلطان عليه بسبب ذلك، ثم قبض عليه لما قبض على بيبرس، ورُسم بمصادرته، وسَلَّمه السلطان للأمير جمال الدين آقش الأشرفي، وأمره باستصفاء أمواله، وإعدامه بعد ذلك من الوجود، لما كان يبلغ السلطان عنه في زمن خدمته لببرس الجاشنكير، عند ذلك بذل كريم الدين الأموال، وفرّقها فيمن يقبلها من ممالك السلطان وغيرهم، فأعطى مالاً كثيراً، فيقال: إنه أعطى للأمير سيف الدين بكتمر الجوكاندار

(١) انظر في خبر تمكن كريم الدين في دولة بيبرس الجاشنكير ما أورده ابن تغرى بردى في: النجوم الزاهرة

نائب السلطنة يومئذ عشرة آلاف دينار، وأعطى غيره، وأقل ما بذل خمسمائة دينار عَيْنًا فيما بلغني، فمال إليه المماليك السلطانية، واعتنوا به، وتكلم الأمير جمال الدين / (٤٢) آقش الأشرفي مع السلطان في أمره، وتلطف غاية التلطف من غير أن يأخذ منه مصانعة، ولا قبل له بذلا، ولا حسن للسلطان إبقاءه، وقال للسلطان: هذا مطلع على أموال بيبرس ومتاجره، وهي كثيرة ببلاد الفرنج وغيرها، ومتى مات ضاعت على السلطان، فلم يزل يتلطف إلى أن رسم السلطان بالإفراج عنه، ورسم له أن ينظر الخاص بالوجه القبلي وهو الخاص الذي كان لبيبرس في زمن إمرته، وأقر له في السلطنة، فسأل كريم الدين المذكور شهاب الدين أحمد بن (علي بن) ^(١) عبادة - وكيل الخاص الشريف السلطاني - أن يكون وكيله فيما يختص بنفسه، فأجابته إلى ذلك ووكله، وكان يتردد إلى خدمته في كل يوم، ويسلك معه من الآداب ما لا مزيد عليه، ولا يخرج عن أمره، وهو مع هذا يجتمع بالمماليك السلطانية، ويتقرب إليهم بالهدايا والألطف، ويبذل لهم الرغبات، فرسم له بنظر ديوان الملك المنصور «علاء الدين علي» ^(٢) ولد السلطان.

ثم مرض شهاب الدين أحمد بن عبادة ومات في سنة عشر وسبعماية، فتكلم الأمراء المماليك السلطانية مع السلطان في أمره، فوكله وجعله ناظر خواصه على عادة شهاب الدين بن عبادة، وذلك في جمادى الأولى سنة عشر وسبعماية، فباشر هذه الوظيفة، وخدم الأمراء، وبالف في ذلك، وأفرد السلطان لخاصه ثغر الإسكندرية، فاستقل كريم الدين بمباشرة، وانفرد به دون وزير الدولة وغيره، وأخذ من السلطان مالا للمتجر، فحصل منه فوايد كثيرة، وأخذ أمره في / (٤٣) التمكن، وانتمى إلى الأمير سيف الدين طغاي الحسامي ^(٣) الناصري، فكان يحمل إليه الألطف والتحف، ويبالغ في خدمته، وهو يقره من

(١) الزيادة من الدرر (٢١٠/١) وله فيها ترجمة مطولة، ووفاته في سنة ٧١٠هـ.

(٢) علاء الدين علي بن الناصر محمد بن قلاوون لم يكن للناصر حين عاد من الكرك ولد غيره فكان يحبه كثيراً، توفي سنة ٧١٠ (الدرر ١١٥/٣).

(٣) كان من مماليك الناصر، وتمكن منه إلى الغاية، ثم نقم الناصر عليه فاعتقله بالإسكندرية فمات بها في سنة ٧١٨هـ - ترجمته في الدرر (٢٢١/٢ و ٢٢٢).

السلطان، ويشكره، ويذكر محاسنه، واحتفاله بالمصالح، وحسن مباشرته، فتمكن بذلك عند السلطان، وظهر اسمه وعلت رتبته، فعلم أنه لا يستقيم له ما يرومه، ويحصل تمكنه على ما فى نفسه مع بقاء الوزير، فتلطف إلى أن كان من عزل صاحب أمين الدين ما ذكرناه، وحسن للسلطان اختصار الوزارة، وأن السلطان يشاور فى جميع الأمور، ويتصرف فيها عن أمره، ويطلع على أحوال دولته، ما قرب منها وما بعد، فوقع ذلك من السلطان بموقع، ووافق عليه، واختصرت الوزارة، وأضاف السلطان إلى كريم الدين ما كان بيد صاحب أمين الدين من نظر البيمارستان المنصورى والقبة والمدرسة، ومكتب السبيل، وأوقاف ذلك، فعندها استقل كريم الدين بالأمر، وأظهر القوة برفق، ولم يزل أمره يأخذ فى الازدياد والظهور والتقدم وعلو الشأن، وهو مع ذلك يراجع الأمير سيف الدين طغاي؛ ويتردد إليه، ولا يخالف أمره، ثم مال إلى غيره من الأمراء المماليك السلطانية، ورأى فى نفسه أنه قد كبر على مراجعة طغاي أو غيره، فظهر ذلك لطغاي، فتنكر له، وغضب لميل كريم الدين إلى غيره، فأعمل كريم الدين الحيلة والتلطف إلى أن كان من إخراج طغاي إلى نيابة صفد والقبض عليه ما قدّمنا ذكره، فلم يبق له عند ذلك منازع ولا مشارك فى الكلمة، ومال السلطان إليه ميلاً عظيماً، وقرب منه قريباً ما قرّب منه أحد، ولا سمع بمثله، حتى ولا ما بلغنا عن الرشيد والبرامكة ما لو شرحناه لطال، وزاده السلطان فى التشاريف، فكان يخلع عليه أولاً «كنجى» (٤٤) مطلق ثم خلع عليه «كنجى» منقوشاً ثم رفعه عن هذه الرتبة فخلع عليه أطلساً معدنياً أبيض، وتحتانية أطلس أخضر بطرزرزركش على الفرّجتين، ولم يخلع مثل ذلك على متعمّم قبله، ولا على نائب سلطنة، وبلغنى أنه رُسم له أن يلبس فى خلعتة الشاش المثمر الذى لا يخلع إلا على صاحب حماة، وهو شاش سكندرى مقفص بحواش زرق بقبضات ذهب مصرى، فاستعفى من ذلك.

ثم فوّض السلطان إليه بعد ذلك جميع ما بيده من التصرف فى الأموال والولايات، والبيع والابتياح والنكاح والعتق وغير ذلك، أقامه فى جميع ذلك مقام نفسه، وقال السلطان فى مجلس عام: «فوّضت إليه ما هو مفوّض إلى».

وزاد معلومه المُقرَّر له على الدولة، فقرر له ما لم نعلم أنه قُرَّر لمُتَعَمِّم قبله، وكان يستدعى من الحوايج خاناه والمطبخ السلطاني ما يحتاج إليه من الطارى، فيُحمل إليه من غير استئذان أحد، وأضاف السلطان إليه النظر على أوقاف الجامع الطولوني عوضاً عن قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعى، وكان قاضى القضاة يلى ذلك بشرط الواقف، فانتزعه منه، وفوضه إلى كريم الدين، فباشره أحسن مباشرة، وحصل له من السعادة فى مباشرته أنه كان إذا اختلت جهة من الجهات ففوضت إليه صلح أمرها، وتميَّزت أموالها، وصار هو الأمر فى الدولة مصراً وشاماً، وكان أمره يصدر لفظاً لا خطأً، ولا يراجع إذا أمر بولاية أو عزل أو طلاق أو منع أو زيادة أو توفير، فكان يرسل إلى القاضى علاء الدين^(١) على بن الأثير صاحب ديوان الإنشاء أن يوقع بكذا، أو يكتب بكذا، فيفعل ذلك من غير مراجعة ولا توقف على استئذان السلطان، بل يكتب لوقته ما يأمر به، ويكتب فى آخر / (٤٥) المرسوم أو التوقيع حسب الأمر الشريف، فتصرف كريم الدين فى أموال المملكة وولاياتها ووظايفها بلفظه، فكان ساير أرباب الوظائف يتصرفون عن أمره.

ولقد انتهى أمره فى التعاضم إلى أن حضر الأمير علاء الدين الطنبغا^(٢)، نائب السلطنة بحلب إلى الأبواب السلطانية فى سنة اثنتين وعشرين وسبعماية، وركب فى خدمة كريم الدين إلى داره، فلما قرب من الدار ترجل عن فرسه ومشى وكريم الدين راكب ما تغير عن حاله إلى أن انتهى إلى المكان الذى عادته أن يركب منه وينزل فيه، وانتهى تمكنه إلى أن ركب السلطان إلى داره، مراراً، فركب مرة إلى تربته بالقرافة، ونزل ودخل الخانقاه التى أنشأها كريم الدين بها، وأكل طعامه فيها، وركب مرة ثانية إلى داره التى أنشأها ببركة الفيل، ووقف السلطان بنفسه، وقَسَمَها المهندسون بحضوره، والسلطان يشاركهم فى الهندسة والقسمة.

(١) على بن أحمد بن سعيد بن الأثير ولد فى سنة ٦٨٠هـ، ترجمته فى الدرر (١٤/٣) وسيورد النويرى ترجمته فى هذا الجزء فى حوادث سنة ٧٣٠هـ.

(٢) الطنبغا الحاجب الناصرى، ولاء الناصر نيابة حلب سنة ٧١٤، ثم أعيد إلى مصر أميراً سنة ٧٢٧، ثم عاد إلى نيابة حلب سنة ٧٣١هـ ثم عزله الناصر فى ٧٣٢، ومات مخنوقاً - أو مسموماً - فى ذى القعدة سنة ٧٤٢هـ. ترجمته فى الدرر (١٠٨/١ و ٤٠٩).

ولقد مرض قبل أن يأمر السلطان بالقبض عليه بأيام، فأظهر السلطان عليه من القلق والألم ما لا مزيد عليه، وكان يرسل إليه فى كل يوم جماعة من مماليكه الأمراء الخاصكية يسألون عنه، ويعودون إلى السلطان بخبره، ثم يرسل آخرين بعدهم، هذا دأبه فى طول نهاره، وأرسل إليه جملة من المال يتصدق بها فى مرضه. ولما عوفى زينت له القاهرة أحسن زينة، كما تزين للفتوحات الجلييلة، ولعود السلطان من الغزوات المنصورة عند هزيمة أعدائه، ويات الناس بالأسواق، وتُصب فى بعض الجهات أبراج من الخشب، ولبست الأطلس، والذهب وغيره، وكانت الملاهى فى عدة مواضع من القاهرة بالأسواق أياماً، ويظاهر القبة المنصورية، وفعل مثل ذلك / (٤٦) فى مرضه عند عافيته فى غير هذه المرة، وإنما كانت أكثرها احتفالاً المرة الأخيرة.

ولما عوفى من المرضة الأخيرة أمر أن يُتصدق بقمصان بالبيمارستان من وقفه، فاجتمع الفقراء لذلك، وازدحموا قبل وصوله إلى البيمارستان، فمات منهم من شدة الازدحام ثلاثة عشر إنساناً من الرجال والنساء، وتأخر عن الحضور فى ذلك اليوم. هذه حاله فى أمر الدولة والتمكّن منها، والقرب من السلطان، ونفوذ الكلمة.

وأما حاله فى نفسه وأمواله ومتاجره، فإنه اتسعت أمواله ونمت، وكثرت أملاكه، وتضاعفت متاجره، إلى أن منع التجار أن يتجروا فى صنف من الأصناف إلا أن يبتاعوه من حواصله بما يختاره من الثمن، واحتكر الأصناف قليلها وكثيرها حتى حبال القنب للوراقات وقصب الغاب، وقش الحصر، وما بين ذلك إلى المسك والعنبر والعود، وماء الورد، وسائر الأصناف، لا يستثنى منها شيئاً؛ وكان فى كل مدة ينادى بجمع التجار إلى داره واصطبله لحضور حلقة البيع، فتغلق الأسواق، ويحضر الناس على اختلاف طبقاتهم، فيُخرج الأصناف من الأقمشة وغيرها، فيبيعها عليهم بما يختاره هو أو أتباعه، لا يقدر أحد منهم على الامتناع.

فلما كثرت الشُّناعة في ذلك صار يجمع الناس ويُخْرِج إليهم من القماش الكمخا والصوف والنَّصافي^(١) وغير ذلك، فيُنَادى منه على خمسة قطع أو عشرة من أجوده، ويقول للتجار: اشترُوا بالقيمة، فينتهي إلى قيمتها / (٤٧) ثم ترفع إلى حاصله، ويُخْرِج من جنسها ما يساوي أقل من نصف قيمتها، فيعطاه الناس بما انتهت إليه قيمة الجيّد منه، ويفرق عليهم، فكان الذي يأخذه الناس لا يقوم لهم بنصف الثمن الذي يعطونه، ومنه ما لا يحفظ الثلث - وحكى لى بعض من أثق به من التجار العدول كثيراً من ذلك - ثم يستخرج الثمن منهم بأشد طلب وأعنفه، فتضرّر الناس لذلك، وانكسر جماعة منهم، وغلّقوا دكاكينهم، ومنهم من تسحب.

ثم خرج عن هذا الحد إلى تعطيل الأحكام الشرعية، والعمل بغير حكم الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فكان يخرج ما لا في بعض الأوقات إذا بُرِض^(٢)، ويرسم أن يصالح أرباب الديون على مالهم في ذمة من اعتقلوه، ويفرج عنهم، فيطلب المعتقل ومن اعتقله، ويسأل رب الدين عن دينه، ويلزم باحضار وثيقته، فإن اعتذر عن إحضارها رسم عليه حتى يحضرها، فإذا أحضرها أخذت منه، وأمر أن يصرف له عشر مبلغها، أو أقل منه، أو أكثر بيسير، فإن رضى بذلك وإلا قطعت وثيقته، وأفرج عن المعتقل، ويرسم في بعض الأوقات على بعض أرباب الديون حتى يشهدوا عليهم ببراءة غرمائهم فإذا تكامل ذلك أمر كريم الدين أن تغلق أبواب السجون الحُكُميّة، ويمنع نواب الحكام من سماع الدعاوى في الديون الشرعية، فتعطلت الأحكام الشرعية، وتضرر الناس، وكان هذا الفعل من أشد ما فعله، ولا يتجاسر أحد أن يذكر ذلك له، ولا يعيبه عليه، حتى صار المنكر لذلك ينكره بقلبه، وهو أضعف الإيمان.

وكان كثير من المرائين يحسنون / (٤٨) له فعله، ويشكرونه عليه، ويدعون له، فحصل للناس الضرر التام، حتى كادت المعاملات أن تنقطع من بين الناس.

(١) لعله جمع النصيف، وهو الخمار، والعمامة، وكل ما يغطي الرأس، ومن معانيه أيضاً: البرد - بضم فسكون - له لوان (تاج العروس مادة / ن ص ف).

(٢) يقال: برض فلان (بالبناء للمجهول) إذا نفد ماله من كثرة العطاء، ويقال: برض له من ماله: إذا أعطاه شيئاً قليلاً (المعجم الوسيط)، والمعنى على هذا: أنه يلجأ إلى هذه الحيلة كلما بدت له ضائقة مالية.

وعمل نوابه مع بعض من اعتنوا به من التجار عكس هذا، فكان بعض التجار يبيع السلعة الكاسدة على بعض المضرورين من التجار وغيرهم إلى أجل الطويل، فيرغبون في ابتياعها لطول المدة، ويرجون بذلك أن يتسببوا فيها لصالح أحوالهم، ويشترونها بمثلَى القيمة، فإذا استقر البيع، وتسلم المشتري السلعة، وأشهد على نفسه بالثمن أحال التاجر البائع إلى ديوان كريم الدين بالثمن، فيطلب المشتري، ويرسم عليه، ويستخرج الثمن بالضرب والاعتقال، ولا يحملون فيه على حكم الشرع، ولا يستنكف نوابه من ذلك ولا يتحاشون، فتضرر الناس من هذا الوجه أيضاً، حتى كان منهم من يبيع السلعة بعينها بنصف ما ابتاعها به من الثمن، ويعطيه، ويكلف ما بقي، فيستدينه ويعطيه.

وأما غير ذلك من حال كريم الدين فإنه كان قد تعاظم في نفسه، فيخلع الخلع السنية أشرف من خلع السلطان، فكان السلطان إذا خلع على أحد مملوكنا خلع كريم الدين مُصمّتا، وإن خلع مُصمّتا خلع هو طردّ وحش، وإن خلع طردّ وحش خلع طردّ وحش مُقصباً، وإن خلع السلطان مقصباً خلع الأطلس المعدنى بالطرز الزركشى، وأنعم بالحوايص الذهب والكُلُوتات الزركشى وغير ذلك، وإذا خلع على من يخلع السلطان عليه الأطلس / (٤٩) بطرز الزركش خلع عليه المزركش المُكَلَّل باللؤلؤ والمرصع بالجوهر، وأنعم عليه بالخيل المُسوّمة، وبغالى الأقمشة وغير ذلك، وإذا أنعم السلطان بمال أنعم بأضعافه، فكان ذلك مما حَقَّده السلطان عليه، وذكره من عيوبه، وتعاطيه ما لا يصلح.

وكان مما فعله أنه جعل لنفسه بيوتات نحو بيوت السلطان من شرابخاناه، وطست خاناه، وفراش خاناه وغير ذلك، وفي كل بيت منها من الآلات المناسبة له ما لا يكون مثله إلا عند أكابر الملوك، ثم أخذ لنفسه أخيراً بما يفعله الملوك، فكان يمدّ سِماطه وأمامه أستاذ الدار، ومقدم المماليك، والجاشنكير، والمشرف، ويأكل من ذلك الطعام من حضر من الأكابر وغيرهم، وهو بارز عنه لا يأكل منه شيئاً، فإذا رفع ذلك السِماط استدعى الطارى بعد ذلك فيأكل منه، وكان في ليالى شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة يمد بين يديه

السماط الذى لا يمد لنائب سلطنة مثله، ويتقدمه المشروب، ويأكل من حضر السماط من الأعيان وغيرهم، فيأكلون بعد المشروب، ثم تُمدّ الحلوى بعد السماط، وهو جالس على مرتبته لا يأكل من ذلك شيئاً، ثم يؤذن للناس فى الانصراف، ويمد له طعام الطارى فيأكل منه، وبلغنى أنه كان يفعل ذلك فى أسفاره إلى الشام وغيره، وكانت رواتبه وافرة لم يكن لنائب سلطنة نظيرها، وعطاياه وصلاته وإنعامه وتشاريفه متواصلة بمن يتعلق بالسلطان من خواصه وأمرائه/ (٥٠) ومماليكه وغلمايه، لا ينقضى يوم إلا وقد أنعم فيه بالجمل الكثيرة.

وكان الذى أعانه على ذلك أنه تَخَوَّل^(١) فى أموال الدولة، واتسع جاهه، وكثرت متاجره، وتقرب الناس إليه ببذل فوائد المتاجر، وضايق الناس فيما بأيديهم حتى كان يرسل كل سنة إلى تجّار الكارم - عند وصولهم من اليمن إلى ثغر عيذاب - من يأخذ منهم جملة من الفلفل بأقل من قيمته بعدن، ويلزمهم بحمله والقيام بما عليه من الحقوق والمكوس^(٢) إلى أن يصل إلى ساحل مصر، ويقبض منهم، فإذا وصل تجّار الكارم إلى ثغر الإسكندرية لا يمكنون من البيع على تجار الفرنج إلا بعد بيع ما عنده، وحواصله كثيرة جداً فأضر ذلك بالتجار من الكارمية والفرنج حتى لو استمرت ولايته لأدت إلى انقطاع الواصل عن الديار المصرية، وكانت له عدة معاصر أقصاب، ودواليب^(٣) بالوجه القبلى والبحرى، بحيث أنه لا يخلو إقليم من أقاليم الديار المصرية، ولا بلد كبير إلا وله فيه تعلق من دواليب أقصاب ويساتين، أو زراعة أو متجر أو مسلف أو معاملة أو مخرج على صنف من الأصناف التى تكون بذلك البلد.

ولما عزله السلطان أمر بإبطال هذه المتاجر، ومكن الناس من ابتياع الأصناف وبيعها، ورفع عنهم الحجر فى ذلك، فاستبشر الناس بذلك، وانبسّطت

(١) المراد أنه صار مطلق التصرف فى أموال الدولة، وهذا المعنى ليس فى استعمالات هذا الفعل، وإن كان من هذه المادة الخولى: القائم بأمر الناس السائس له (المعجم الوسيط).

(٢) المكوس: جمع المكس وهى الضريبة التى تؤخذ من التجار على ما يدخلونه البلد من تجارة، وهى ما يعرف اليوم باسم الضريبة الجمركية.

(٣) الدولايب: من آلات الاستقاء (مفاتيح العلوم ص ٧١) وانظر المخصص (١٦٢/٩) ويفهم من السياق أنه كان يكرها، ويأخذ أجراً لها.

آمالهم، وطابت نفوسهم، وتحققوا عدلَ السلطان، وانحلت أسعار الأصناف التي كان يحتكرها، فتضاعفت الأدعية بدوام دولة السلطان، وعلموا أن تلك الأفعال الشنيعة لم تكن عن أمر السلطان، ولا برضاه، وقد كان يوهم الناس ويصرح/ (٥١) لبعضهم أنه لولا ما يفعله من إرضاء السلطان بما يحصل له من فائدة المتاجر والدواليب، وسد ما يحتاج إليه السلطان بتدبيره كان السلطان قد استصفى ما فى أيدي الناس من الأموال، فعلم الناس الآن أن الأمر ليس كذلك، فرجوا من الله تعالى دوام الخير، وزيادة العدل والإنصاف.

ولما عزله السلطان فَوَضَّ ما كان بيده لمن نذكر: فَوَضَّ نظر خواصه ووكالته للقاضي تاج الدين أبى إسحاق إبراهيم وكان قبل ذلك يلى نظر الدواوين بالديار المصرية، وفَوَضَّ النظر على البيمارستان المنصوري والقبة والمدرسة ومكتب السبيل وأوقاف ذلك للأمير جمال الدين آقش الأشرفى، وهو رأس الميمنة، وفَوَضَّ نظر الجامع الطولونى وأوقافه للأمير سيف الدين قجلىس أمير سلاح.

ذكر تفويض الوزارة للصاحب الوزير أمين الدين عبد الله

«وهى الوزارة الثانية له»^(١)

قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا أن صاحب الوزير أمين الدين عبد الله بعد عزله من الوزارة فى سنة ثلاث عشرة وسبعماية فوض إليه نظر النظار والصحبة، ثم عزل عن ذلك، ولزم داره، ثم رسم له بنظر المملكة الطرابلسية، ورُتِّب له على هذه الوظيفة نظير معلومه الذى كان له على وظيفة نظر النظار

(١) أورد المقرئى هذا الخبر فى السلوك (٣٤٨/٢) وفى كنز الدرر وجامع الغرر (٣١٢/٩) أورد له وزارة فى سنة ٧٢٣، وذكر اسمه هكذا «الصاحب أمين الدين أمين الملك بن العنّام» وقد ترجم له ابن حجر فى الدرر (٢٥١/٢) باسم: عبد الله بن تاج الرئاسة القبطى، أمين الدين الوزير، وذكر أنه ولى الوزارة ثلاث مرات: الأولى سنة ٧١١ بعد بكتمر الحاجب، فأقام سنتين، ثم وليها ثانياً، ثم أخرج إلى نظر طرابلس سنة ٧١٨ هـ ثم أعيد إلى الوزارة بعد أن أمسك كريم الدين سنة ٧٢٢ هـ ومات فى سنة ٧٤٠ أو ٧٤١. ورواية ابن حجر هذه تختلف عما أورده التويرى هنا. والدواذرى فى كنز الدرر وجامع الغرر (٣١٢/٩) وانظر أيضاً السلوك (٥٥٣/٢).

بالديار المصرية، فتوجه إليها كارهًا في سادس عشر صفر سنة ثمانى عشرة وسبعماية، وأقام بها إلى أن سأل أن يُفَسَّحَ له فى التوجه إلى الحجاز الشريف، فأذن له فى / (٥٢) ذلك، فحج ولم يعد إليها، واستعفى من المباشرة، فرسم له بالإقامة بالقدس الشريف، فأقام هناك، ورُتِّبَ له على سبيل الراتب فى كل شهر ثمانماية درهم وثمانية غراير^(١)، فلم يزل بالقدس الشريف إلى أن قبض على كريم الدين كما تقدم، فرسم السلطان بطلبه إلى الأبواب العلية، وكتب بذلك إلى نائب السلطنة الشريفة بالشام على يد الأمير علاء الدين مُغلطاي الجمالى، فتوجه إلى دمشق، وأرسل إليه البريد منها، فحضر إلى الأبواب السلطانية.

وكان وصوله فى بكرة نهار الأحد الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وسبعماية، فمثل بين يدى المقام الشريف، فأقبل عليه غاية الإقبال، وألبسه تشريفًا، ونزل إلى داره، فلم يستقر به الجلوس حتى طلبه ثانياً، ففوض إليه الوزارة، وأنعم عليه بالدواة والبغلة، وأقام بالقلعة إلى عشية النهار يُنفَّذُ الأشغال، ثم ركب منها إلى داره واجتمع الناس ببابه، وامتلات الأزقة والشوارع والرحبة التى أمام الدار على سعتها، وازدحموا حتى كاد يعجز عن الوصول إلى باب داره والدخول إليها إلا بجهد كبير.

وأصبح فى يوم الاثنين الخامس والعشرين من الشهر، وركب فى موكب الوزارة، وجلس بدار العدل الشريف مع السلطان إلى أن انقضى المجلس، وقام إلى قاعة الوزارة، وقُتِحَ له الشبَّاك بها، وكان قد أُغلق بعد عزله عن الوزارة، فلم يفتح إلا فى هذا اليوم، فجلس فيه، وأظهر الإحسان إلى الناس، ونشر فيهم العدل، ووعدهم عن نفسه وعن السلطان بكل جميل، فسر الناس بمقدمه، وازدحموا عليه حتى منعه من تنفيذ أشغال الدولة، فكانت قلعة الجبل تغص بالناس من أرباب / (٥٣) الأشغال والوظائف والبطالين والمتفرجين، إلى أن رسم بمنع كثير من العوام من طلوع القلعة، وأقام على ذلك أياماً حتى خف الناس، ولما ركب إلى مصر فى يوم الثلاثاء السادس والعشرين من الشهر تلقاه الناس بالفرح والسرور والدعاء له، وازدحموا عليه فيما بين مصر والقاهرة، حتى امتلات بهم الطرق.

(١) الغرائر: جمع الفرارة، وهى وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح ونحوه، وهى أكبر من الجوالق.

ولما استقر في الوزارة رسم للقاضي شرف الدين عبد الهادي^(١) بن زنبور مستوفى الصحبة أن يكون ناظر النظار والصحبة، رفيقاً للقاضي موفق الدين^(٢)، ورتب في استيفاء الصحبة القاضي شمس الدين بن قروينة^(٣) وهو صهر صاحب أمين الدين على ابنته، وأحضر صاحب جماعة من أصحاب كريم الدين وألزامه، فصادروهم بمال حمل من جهتهم إلى بيت المال، وكان في الطلب لين، ثم أفرج عنهم في أثناء جمادى الآخرة.

ذكر القبض على كريم الدين الصغير^(٤) «وشىء من أخباره»

كان كريم الدين هذا يخدم الأمراء الأصاغر، وكان ممن خدمه الأمير علاء الدين أيدُغدى التليلى أستاذ دار الأمير شمس الدين سُفَر الأشقر، وهو من أمراء الأربعين، ثم توصل إلى أن يباشر من جملة عمال الجيش بالديار المصرية، فلما قوى أمر كريم الدين - وهو من أقاربه - نقله من عمالة الجيش إلى نظر النظار والصحبة ليس بين ذلك وظيفة أخرى، فباشر مدة، ثم عزل عن نظر النظار خاصة، ثم أعيد إلى / (٥٤) الوظيفة ثانياً كما تقدم، فلما باشر عَسَف بالناس وظلمهم، واستخف بالأكابر، وشدد على المباشرين والتجار والرعايا، وعاقب بين يديه، واقترح نوعاً من العقوبة سماه «المُقْتَرَح»، ويسط يده ولسانه في أبشار الناس وأعراضهم حتى ضاقوا بذلك ذرعاً، وبلغت منهم القلوب الحناجر، وهو لا يزداد إلا تمادياً، واستخفافاً بخلق الله تعالى، ثم ترقى عن ذلك إلى الاستخفاف بأمراء الدولة الأكابر مقدّمي الألف، وتزايد ظلمه وتفاحش، وضرب جماعة بين يديه حتى ماتوا، وكان إذا علم أنه يُشْتَكى إلى السلطان من أمر من الأمور بادر بالدخول إلى السلطان، وأنهى إليه أنه فعل

(١) في السلوك (٢٤٨/٢) شرف الدين إبراهيم بن زنبور، ولم أجده في ترتيبه من أعلام الدرر الكامنة، وفي الجزء الثاني منه ص ٢٤٠ ترجمته لمن اسمه علم الدين عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن زنبور، وذكر أن أول ظهور أمره كان سنة ٧٣٧هـ حين ولي نظر الإسطنبول وكانت وفاته سنة ٧٥١هـ، ويستبعد أن يكون هو المذكور هنا.

(٢) في السلوك (٢٤٨/٢) موفق الدين هبة الله بن سعيد الدولة إبراهيم.

(٣) في السلوك (٢٤٨/٢) شمس الدين إبراهيم بن قروينة.

(٤) أورد النويري ترجمته حين ذكر وفاته في حوادث سنة ٧٢٦هـ. وانظر ص ١٩٧ حاشية رقم (٢) من هذا الجزء.

كذا وكذا مما يعود نفعه على الدولة، وأن الناس قد كرهوه وربما شكوه، وأنه لا غرض له إلا في مصلحة السلطان، ويقرر معه ذلك، فإذا اشتكى للسلطان لا يسمع فيه شكوى، ولا يلتفت إلى قول قائل، ويقرر في ذهن السلطان أنه أنصح الناس له، وأن سائر الناس كرهوه بسبب نصحه للسلطان، وتحصيل أمواله، فبقى لا يسمع فيه شكوى، فكف الناس عن شكواه.

فلما قبض السلطان على كريم الدين الكبير، استمر هذا على وظيفته في النظر إلى آخر يوم الأحد السابع عشر من شهر ربيع الآخر، فرتبه السلطان في صحابة ديوان الجيوش المنصورة عوضاً عن القاضي معين الدين هبة الله بن حشيش^(١)، وخلع عليه على عادة من تقدمه، وبأشر الوظيفة في يوم الاثنين الثامن عشر من الشهر، وأعيد القاضي معين الدين إلى نظر الجيوش بالشام عوضاً عن قطب الدين / (٥٥) بن شيخ السلامية، واستمر كريم الدين في هذه الوظيفة، وهو مع ذلك يكتب على عاداته في نظر الدواوين، وينفذ الأشغال إلى أن حضر صاحب أمين الدين وفوضت إليه الوزارة، فمنع من ذلك، واستمر في صحابة ديوان الجيوش، والناس في أشد ألم بسبب سلامته.

فلما كان في يوم السبت سلخ ربيع الآخر أمر السلطان بالقبض عليه، فقبض عليه هو وولده سيف الدين، وألزم بالحمل، واعتقل بالبرج بباب القرافة، ولو تمكن الناس منه أو ظهر لهم قتلوه، وكان ولده سيف الدين يخرج في الترسيم ويركب حماراً، ويبيع قماش أبيه، ويحمل الثمن عنه، وأبيعت أملاكه، ثم سأل أن يحمل أربعمائة ألف درهم، ويتصدق السلطان عليه بالإفراج عنه، فأجيب إلى ذلك، ثم نقل من البرج إلى القرافة، فأقام هناك بتربة الأمير سيف الدين طُقْتَمُر^(٢) الدمشقي، بجوار تربة كريم الدين الوكيل، واستمر على ذلك إلى أن رسم بتوجهه إلى مباشرة نظر المملكة الصفدية، فتوجه إلى ذلك في يوم السبت الثاني عشر من جمادى الآخرة من السنة، وخرج من القرافة ليلاً خوفاً

(١) أورد النويري ترجمته عند ذكر وفاته في أخبار سنة ٧٢٩ ص ٢٩٤ من هذا الجزء.

(٢) كان « طقتمر الدمشقي » من مماليك الناصر وهو صبي، وكان الناصر يميل إليه كثيراً، فأمره سنة ٧١٢ ومات في رجب سنة ٧١٦ وانظر ترجمته في (الدرر ٢/ ٢٢٤).

على نفسه أن يقتل، وضمّن على ولده «سعد الدين فرج الله» أن يبيع بقية أملاك والده، ويحمل عنها ليكمل ما قرّر على أبيه، ولم يكن طلبه شديداً على العادة في مثل ذلك إذا طُلب أمثاله بحمل الأموال.

واستمر بصفد إلى أن رسم بإحضاره منها عندما أحضر كريم الدين الوكيل من القدس، فعُزل منها في شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين، وكان وصوله إلى قلعة الجبل في يوم الخميس العاشر / (٥٦) من شهر ربيع الآخر منها، وعند وصوله اعتقل بالبرج بباب القرافة بقلعة الجبل، وطُلب بحمل المال، فحمل من جهته مائة ألف درهم، وأفرج عنه في يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة، وكان من أمره بعد ذلك ما نذكره إن شاء الله تعالى^(١).

ذكر وصول رسل متملك الأرمن إلى الأبواب السلطانية

وفي سنة ثلاث وعشرين وسبعماية في العشر الآخر من جمادى الأولى وصل رسل مُتملك الأرمن إلى الأبواب السلطانية، وفيهم الخليفة عليهم بزعمهم، وأم الملك، وجماعة من أكابرهم يسألون مراحم السلطان في الكف عنهم، وأن يحملوا إلى الخزانة السلطانية قطيعة^(٢) في كل سنة ألف ألف درهم ومائتي ألف درهم، وما جرت به العادة من البغال المُساقاة إلى الإسطبلات، والنعال الحديد، وغير ذلك من التقادم، وسألوا أن يأذن لهم في عمارة ثغر آياس، وأن يكون ما يتحصل منه مناصفة بين السلطان وبينهم، فامتنع السلطان من إجابتهم إلى المناصفة إلا أن يبذلوا عن الثغر في كل سنة ثمانماية ألف درهم لتكملة ألفي ألف درهم.

ثم وصلت رسل الملك أبي سعيد ملك التتار، وكان في جملة رسالتهم سؤال السلطان في أمرهم^(٣)، والشفاعة فيهم، فاستقر حالهم على حمل القطيعة المذكورة، ولم تحصل الموافقة على عمارة ثغر آياس، وأعيدوا إلى بلادهم.

(١) أورد النويري أخبار كريم الدين الصغير في حوادث سنة ٧٢٦هـ فذكر اعتقاله، ومصادرة أمواله، ومصيره بعد ذلك، وانظر (ص ١٩٧) من هذا الجزء.

(٢) القطيعة: المال المقرر على جهة من الجهات.

(٣) في أمرهم: يعنى في أمر الأرمن كما يفهم من السياق.

/ (٥٧) ذكر وصول رسل الملك أبي سعيد

وفى هذه السنة وصل إلى الأبواب السلطانية رسل الملك أبي سعيد بن خُرَيندا ملك العراقين وخراسان وغير ذلك، وكان وصولهم إلى قلعة الجبل فى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة، ومثلوا بين يدى المقام الشريف فى هذا اليوم، وكانوا ثلاثة، المشار إليه منهم من مقدمى التَّوأمين^(١).

ولما وصل هذا الرسول إلى حلب، أظهر كبيراً عظيماً، وحمقاً زائداً، فتلطف الأمير علاء الدين الطُّنبُغا نائب السلطنة بحلب به، وأكرمه وعامله بنهاية الإكرام والاحترام والأدب، فتماذى على حمقه، ولما وصل إلى حمص تلقاه نائبها، فمد يده إلى النايب ليقبلها، واتصلت هذه الأخبار بالأمير سيف الدين تَنكُز نائب السلطنة بالشام المحروس، فأرسل للقاءه الأمير سيف الدين جويان أحد الأمراء المقدَّمين، فلما قدم على الرسول لم يكرمه، ولم يقم له، بل مد إليه يده ليقبلها، فصرف الأمير جويان يده، ووَلَّى ولم يسلم عليه.

ولما قرب الرسول من دمشق المحروسة أمر نائب السلطنة بها العسكر الشامى بالركوب فى أتم زينة، فركبوا بالكلوات الزركش والطُّرُز الزركش والخيول المُسوَّمة، والعُدُد المذهبة والمزركشة، والكنابيش الحرير المذهبة، وخرجوا فى أحسن زى وأجمله، وأمرهم أن يقفوا سِماطين^(٢) من القابون^(٣) إلى باب دار السعادة، وهى سكن نائب السلطنة، ففعلوا ذلك وما ركب نائب السلطنة الأمير سيف الدين تَنكُز للقاءه، ولا خرج من دار السعادة، ولما حضر الرسول قدم بين يدى / (٥٨) نائب السلطنة، وقد حفت به الحجاب، فلم يتحرك له ولا نظر إليه كل النظر، وأوقف بين يديه، فسأله عن جويان نائب الملك أبي سعيد، وعن الأمراء، فأجابه الرسول أنهم فى عافية، ثم أمر بإخراجه ليستريح، فأخرج، وأنزل بالميدان فى جِتر^(٤) أمر بنصبه له، فلما صار الرسول بالدَّهْلِيز سأل العود إلى نائب السلطنة فاستؤذن على ذلك، فلم يؤذن له،

(١) مقدمو التَّوأمين فى مملكة التتار نظراء لمقدمى الألف فى دولة المماليك بمصر فى هذه الفترة.

(٢) تشنية سِماط، وهو الصف (المعجم الوسيط).

(٣) القابون: موضع بينه وبين دمشق ميل واحد فى طريق القاصد إلى العراق. وسط البساتين (عن معجم البلدان لياقوت).

(٤) الجِتر: بكسر فسكون - الخيمة والشمسية فارسيتهما جِتر - بفتح فسكون - والضبط من الألفاظ الفارسية المعربة ص ٣٨.

فأرسل الرسول إليه يقول: أنا إنما أتيت من قبل الملك، ولم أجيء من قبل جويان النائب، ولا الأمراء، فكيف سألني نائب السلطان عنهم، ولم يسألني عن الملك؟ فأجابه الأمير سيف الدين (تَنكَز) بقوله: أنا نائب سلطنة لا أسأل إلا عن نائب سلطنة مثلي أو أمير، وأما الملك فإنما يسأل عنه السلطان خَلْد الله ملكه، ثم أرسل إليه يُعَنِّفه على ما صدر منه من الحمق والترفع على الأمير الذي سيره للقاءه، وقال: «إن ما وراء الفرات من البلاد الحادثة في مملكتكم هي بلاد كفر ونفاق وخوارج، وأما ما وراء الفرات مما يلي الشام فهي بلاد إسلام، ومساكن أنبياء، ومقر العباد والصلحاء والعلماء والفقهاء، فينبغي لمن يحضر إليها أن يتأدب بأدب الله تعالى»، فاستعظم الرسول نائب السلطنة بالشام، وتهذبت أخلاقه وتأدب بعد ذلك مع من يصل إليه، ثم أمره بالمسير إلى الأبواب السلطانية، فتوجه وطالع نائب السلطنة السلطان بصورة الحال، فشكر فعله.

ولما وصل الرسل إلى الأبواب السلطانية، ومثلوا بين يدي السلطان أحسن إليهم وأكرمهم، وأجلسهم في مجلسه، وأدوا الرسالة، فكان مضمونها طلب الصلح، والحلف على ذلك، فحلف لهم السلطان/(٥٩).

وكان الأمير سيف الدين أَيْتَمُش المحمدي لما توجه في الرسالة إلى الملك أبي سعيد حلفه أيضاً على انتظام الصلح، وإطفاء نائرة الحرب، وكف الغارات من الجهتين، وأحضر الرسل معهم هدية من جهة الملك إلى السلطان حياصَتَيْن وقماشاً، فقبل السلطان تقدمتهم، وذكروا أن التقادم واصله صحبة تاجر الملك أبي سعيد، فأقبل السلطان عليهم، وأنزلهم برواق بدار النيابة بقلعة الجبل، ورتب لهم الرواتب الوافرة من المأكل والحلويات والفواكه وأنواع الأشرية المباحة وغير ذلك، ثم أحضرهم يوم الخميس وخلع عليهم؛ فخلع على المشار إليه منهم أطلساً معدنياً بطرز زركش، وحياسة وكلؤة وسيفاً مُحلى بالذهب، وخلع على الاثنين [الآخرين] طردوحش مقصباً بذهب وحوايص وكلؤات، وخلع على من معهم من الأتباع والكبلجية والغلمان ما يناسبهم.

ولما كان في يوم السبت تاسع عشر جمادى الآخرة أمر السلطان بركوبهم بين يديه إلى الميدان، وأنعم عليهم بثلاثة رؤس خيل، فركبوا في خدمته

وشاهدوا مواكب العظيمة، فرأوا ما لم يروا مثله، ثم أحضرهم السلطان فى يوم الاثنين الحادى والعشرين من الشهر، وخلع عليهم ثانياً نظير تلك الخلع، وأجابهم عن رسالتهم، وأنعم عليهم بالأموال الكثيرة، وأحسن إليهم غاية الإحسان.

وكان فى جملة رسالتهم سؤال السلطان أن يزوج ابنته من ابن الأمير جويان نائب الملك أبى سعيد، فاعتذر السلطان عن ذلك بصغرها، وقال: إن هذه عمرها خمس سنين، وإذا صلحت للتزويج أجبتنا سؤالكم إن شاء الله تعالى، وأعادهم مكرمين، فكان توجههم من قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء/ (٦٠) الثانى والعشرين من الشهر، وتوجه معهم الأمير سيف الدين أَيْتَمُش المحمدى حتى أوصلهم إلى غزة، هذا ما كان من خبرهم.

ذكر تجريد طائفة من العسكر إلى بلاد النوبة

وفى هذه السنة - فى شوال منها - أمر السلطان بتجريد طائفة من العسكر المنصور المصرى إلى بلاد النوبة، فجرد ثلاثة من الأمراء^(١) وهم: سيف الدين طُقْصُبَا^(٢) الناصرى الحسامى، وهو المقدم على العسكر، وعلاء الدين على بن قرا^(٣) سنقر المنصورى، وعز الدين أَيْدَمَر الكَبْكَبى^(٤)، وَجَرْد جماعة من المماليك السلطانية، ومن الحلق، ومن أجناد الأمراء، من كل أمير مائة جنديان، ومن كل أمير طَبْلَخَانَاه جندى، فبلغت عدتهم نحو خمسمائة فارس، وكان خروجهم من القاهرة فى مستهل ذى الحجة.

(١) أورد المقرئى فى (السلوك ٢/ ٢٥٠) هذا الخبر فى حوادث سنة ٧٢٣هـ. ولم يجر على ترتيب النويرى فى ذكر أمراء الحملة.

(٢) فى المصدر السابق أورد اسمه الأمير طُقْصُبَا، المرتبة فديته بقوص، وذكر ابن حجر فى الدرر (٢/ ٢٢٥) طُقْصُبَا الظاهرى، وقال فى ترجمته: أنه ولى نيابة قوص وغزا النوبة مرتين فى سنة ٧٠٥هـ، وفى سنة ٧١٦هـ ومات فى سنة ٧٤٥هـ.

(٣) ترجمته فى الدرر (٣/ ٩٥) ووفاته سنة ٧٤٨هـ.

(٤) كذا أورد اسمه أيضاً فى المقرئى (السلوك ٢/ ٢٥٠) ولم يذكره ابن حجر فى الدرر فيمن اسمه «أيدمر» ولم يرد له ذكر فى النجوم.

وسبب تجريد هذا العسكر أن كنز الدولة بن شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك بن الكنز، لما تملك النوبة بعد وفاة خاله إبرام أخى كُرْنُبس^(١) - كما تقدم - واستقل بالملك، واتصل ذلك بالسلطان أفرج عن كُرْنُبس، وجهزه إلى النوبة، وجرد هذا العسكر لنصرته فتوجهوا، فلما قاربوا البلاد فارقها كنز الدولة، وتوجه وصحبته من انضم إليه من العربان، فتبعه العسكر إلى الأبواب، فلم يظفروا به، فلما حصل أمانهم منه، عادوا إلى دُنُقْلَة^(٢)، وملكوا كرنبس بها، وعاد العسكر وتركه، ولما علم كنز الدولة بعود العسكر جمع العربان وعاد إلى دنقلة، وأخرج كرنبس منها، واستقل بملكها، ووصل كرنبس إلى ثغر أسوان، فرسم له بالمقام به، فأقام به إلى أواخر / (٦١) سنة ست وعشرين وسبعمائة، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة أيضاً، فى ليلة يسفر صباحها عن نهار الثلاثاء ثالث المحرم توفى الملك المجاهد أنس^(٣) بن الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى الضرير بالقاهرة، ودفن بتربة والده بالقرافة، وقد جاوز خمسين سنة، وكانت زوجته ابنة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى^(٤) قد اشترت منه ما يخصه من الدار المعروفة بإنشاء والده بالقاهرة، وحصل بينها وبينه خصام قبل وفاته أوجب انتقالها عنه إلى دار الشريف بن ثعلب، وسكنتها بالأجرة، فلما مات حصل بينها وبين إخوته خصام، فباعته ما ملكته من الدار الزينية لوكيل زوجة السلطان طُغَاى أم ولده، واشترى الوكيل من بقية الورثة ما يخصهم من الدار بستمائة ألف وثلثين ألف درهم، وأخرج أولاد العادل منها، وتفرقوا بالقاهرة، وسكنوا فى عدة مساكن بالأجرة.

(١) الضبط من السلوك (٢/ ٢٥٠).

(٢) رسمها المقرئ فى السلوك (٢/ ٢٥٠) دمقلة بميم مكان النون.

(٣) فى النجوم (٩/ ٢٦١) والسلوك (٢/ ٢٥٢) «الملك المجاهد سيف الدين أنص» وفى الدرر (١/ ٤١٧) يقال له: أنس (بالسين والصاد) ابن السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى، مات فى المحرم سنة ٧٢٣هـ بعد ما كف بصره من سهم أصابه.

(٤) نهاية الصفحات التى سقطت من نسخة ك، وأضفناها إلى المتن من نسخة «أ» وقد سبقت الإشارة إلى ذلك فى ص ٤٢ حاشية ٣.

وتوفى الصدر الأمير نجم الدين محمد بن الشيخ فخر الدين عثمان بن الشيخ صفى الدين أبى القاسم بن محمد بن عثمان البصروى^(١) الحنفى، وكانت وفاته بمدينة بصرى^(٢) فى يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان، ودفن بها، وهو من أبناء الخمسين، وكان قد تقدم واشتهر بتحصيل الخيول الجياد، وسياقتها إلى الأبواب السلطانية، وتقدمتها إلى أعيان الأمراء، فأوجب له ذلك التقدم، فولى نظر الحسبة بدمشق، ثم نظر الخزانة، ثم وزر بالشام، ثم سعى فى إقطاع فأنعم عليه بإمرة عشرة، وأقطع إقطاعاً جيداً، وكان قبل ذلك مدرساً ببصرى، وكان يذكر بكرم رحمه الله تعالى / (٦٢).

وفى يوم الخميس الحادى والعشرين من شعبان توفيت^(٣) بدمشق محمودة خاتون ابنة الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن [أيوب توفيت بدارها]^(٤) وتعرف بدار كافور، وصلى عليها بجامع دمشق عقيب صلاة المغرب من ليلة الجمعة ودفنت بالمدرسة الصالحية داخل دمشق بترية جدتها، وكانت جليلة، ولم تتزوج قط، ولم يكن فى بيت العادل من هو فى درجتها رحمها الله تعالى. نقلت وفاتها من تاريخ الشيخ علم الدين القاسم بن البرزالى.

* * *

واستهلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة بيوم الجمعة الموافق للثالث من طوبة من شهور القبط.

وفى يوم الأربعاء السادس من المحرم نودى بالقاهرة ومصر المحروستين أن يتعامل الناس بالفلوس حساباً عن كل رطل درهمين^(٥)، وكانت قبل ذلك

(١) فى الأصل «البصروى» وما أثبتناه من أ ص ٦١، وكذلك رسمه فى السلوك (٢٥٢/٢) وشذرات الذهب (٦٢/٦).

(٢) بصرى: يوجد بهذا الاسم موضعان: أحدهما بالشام وهو قسبة إقليم حوران، والآخر قرية من قرى بغداد قرب عكبرا (معجم البلدان).

(٣) ما بين الحاصرتين من أ ص ٦٢.

(٤) ما بين القوسين من: (الدارس فى تاريخ المدارس ٣١٨/١) ولم يذكر فيه أن اسمها محمودة وعبارته «توفيت الخاتون المصونة خاتون بنت الملك الصالح إسماعيل.. إلخ، وارد وفاتها فى سنة ٧٢٣هـ.

(٥) كذا فى الأصل وفى السلوك (٢٥٣/٢) نودى على الفلوس أن يتعامل الناس بها بالرطل على أن كل رطل منها بدرهمين.

(١٦) / بدرهمين ونصف، فجرت على ذلك، تُضرب بدار الضرب فلوس جُدُد، زنة كل فلس منها أرجح من درهم^(١)، مكتوب على أحد وجهيه «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، وعلى الوجه الآخر - بدائرة - «السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد» فى وسط حلقة مستديرة فى وسط الفلّس، واستمر الأمر على ذلك إلى يوم الخميس الحادى عشر من شهر ربيع الأول من السنة، فرسم السلطان بإبطال المعاملة بالفلوس العتق جملة. ونودى بذلك، وأن من كان عنده شىء منها يحمله إلى دار الضرب ويتعوض عنه^(٢)، وأن يتعامل الناس بالفلوس الجُدُد الناصرية عدداً وحساباً، عن كل درهم ثمانية وأربعين فلساً على ما كانت عليه قديماً.

وإنما أوردنا ذكر الفلوس فى كل واقعة منها؛ لأن كل دفعة من/ (٦٣) إبطال المعاملة بها غرم الناس فيها الجمل الكثيرة من أموالهم، حتى اضمحلت أموال بعضهم، وكانت قد كثرت بالقاهرة عند أرباب الأموال ودواوين الأمراء، حتى اجتمع عند بعضهم منها مائة ألف درهم وأكثر من ذلك وأقل، وهى باقية محفوظة عند أكثر الناس يرجون أن يتعامل بها عدداً.

ذكر وفاة الخوند أردكين ابنة نوكاى^(٣) زوج

السلطان الملك الناصر

كانت وفاتها فى يوم السبت عشية النهار الثالث والعشرين من المحرم من هذه السنة بدارها بالقاهرة، وكان السلطان قبل ذلك قد أخرجها من القلعة، وأنزلها بدارها التى بالقاهرة التى بحارة زويلة، وأجرى عليها فى كل شهر خمسة آلاف درهم ومائة وخمسين درهماً، وفى كل يوم من اللحم والتوابل والفواكه والقلويات والسكر والحلوى والكساوى وغير ذلك ما تزيد قيمته فى كل شهر على خمسة عشر ألف درهم، ولما خرجت من القلعة شاع عند الخواص

(١) فى المصدر السابق (٢٥٣/٢) زنة كل فلس منها درهم وثمان.

(٢) فى المصدر السابق (٢٥٣/٢) ومن عنده منه شىء يحضره إلى دار الضرب ويأخذ عنها فضة.

(٣) فى النجوم (٢٧٥/٩) أردوكين بنت نوكاى بن قطغان الأشرفية، وفى السلوك (٢٥٨/٢) والدرر

(٣٤٧/١) أردكين بنت نوكاى بن قطغان زوج الأشرف خليل بن قلاوون، ومن بعده تزوجها أخوه الناصر

محمد بن قلاوون سنة ٧٠٠هـ وولدت له ولداً مات وهو صغير سنة ٧١٠هـ.

والعوام أن السلطان طلقها^(١)، إلا أن السلطان ما صرّح بطلاقها، فلما توفيت حضر أخوها الأمير جمال الدين خضر بن نوكية إلى دارها، وقصد عرض ما خلفته، وطلب الجوارى المتسلّمات قماشها ومالها، وتهدّدهن بالقتل إن عُدّ من مالها شيء، فبينما هو على ذلك إذ دخل الطواشي شجاع الدين عنبر أمير لالا^(٢)، وزمام الأدر، وأنكر عليه فعله، وأخرجه من الدار، فتوجه إلى منزله، / (٦٤) ولم يشهد جنازتها، ثم ورد مرسوم السلطان قبل دفنها - وكان السلطان يتصيد بأعمال الجيزية - بمنع الأمير جمال الدين أخوها^(٣) من التعرض إلى تركتها والإنكار عليه، والاحتراز على الموجود وضبطه، وإقرار ما كان باسمها من المرتب على جواربها، وخدمها إلى أن يعود السلطان إلى القلعة.

ولما كان في يوم الأحد مستهل صفر أرسل السلطان إلى أخيها المذكور مائة ألف درهم وعشرة آلاف درهم، ووقع الإشهاد عليه بالبراءة من جميع ما خلفته أخته من الأموال والمصوغ والأموال وسائر الأصناف على اختلافها، وأشهد عليه أنه وصل إلى حقه من ذلك كله، وأبرأ ذمة السلطان.

وفي هذا السنة أمر السلطان بحفر خليج الذكر^(٤) من فمه مما يلي نهر النيل إلى أن ينتهي إلى الخليج الحاكمي، فقسم ذلك على الأمراء، وحفر حفراً جيداً حتى ينبع الماء في بعضه، وأصرف^(٥) الأمراء على هذا الحفر الحفير جملة كثيرة من أموالهم وكان الشروع في الحفر في العشر الآخر من جمادى الآخرة فلما فُتح كادت القاهرة أن تغرق لكثرة المياه الجارية منه وحدتها، فاقتضى ذلك سد القنطرة التي عليه وكان قد بنى لها عضادتان^(٦) مما يلي البحر؛

(١) في الدرر (٣٤٧/١) أن الناصر طلقها سنة ٧١٧هـ.

(٢) في السلوك (٢٥٨/٢) «زمام الدور»، وفي الدرر (١٩٩/٣) ورد في ترجمته أنه زمام الوقف، وانظر في تفسير زمام الدور السلوك (٥٧٧/٢) حاشية (١) وأمير لالا = أمير + لالا، ومعنى لالا: المربي من الخدم، وانظر شفاء الغليل ٢٠١.

(٣) كذا بالأصل، والصواب أخيها.

(٤) خليج الذكر: نسبة إلى شمس الدين الذكر الكركي الذي تولى تطهيره زمن الملك الظاهر بيبرس فعرف به. وكان يعرف هذا الخليج في الدولة الأيوبية بخليج المقسى نسبة إلى البستان المقسى الذي كان يروى منه، وهذا الخليج كان كافور الأخشيدي قد أنشأه لرى البستان الكافوري والبساتين الأخرى الواقعة في غربي الخليج الكبير (وانظر تفصيلات كثيرة في «النجوم الزاهرة» ص ١٢٤ حاشية ١).

(٥) يريد «أنفق».

(٦) العضادتان: دعامتان تنصبان للثقوية.

ليدفعها عنها صدمة الماء، فتحامل الماء على القنطرة فاقتلعها، ولم يفد ما عُصِّدَتْ به، ولم يحصل منه من الإفادة ما كان يظن به، فأمر السلطان بحفر خليج مستجد، على ما نذكره فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة.

(١٧) ذكر خبر النيل فى هذه السنة /

(٦٥) وفى سنة أربع وعشرين وفى النيل المبارك بمقياس مصر فى يوم الأربعاء تاسع شعبان الموافق للثامن من مسرى، وحصل التحليق والكسر فى يوم الخميس عاشر الشهر، ثم أخذ فى الزيادة على تدرج إلى أن انتهى إلى ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر أصبعاً بمقياس مصر، ولم ينتهى^(١) فى الزيادة فى هذا العصر إلى مثل هذه الغاية، فغرقت البساتين والأقصاب، وفاض الماء على الجُرُوف حتى أخبرنى جماعة ممن حضر من الصعيد الأعلى أنهم سافروا من مدينة قوص إلى ساحل مصر لم يجدوا من السواحل ما يضرب فيه أوتاد المراكب إلا ساحل أخميم، وكوما بمنية بنى خَصِيب، وما عدا ذلك من السواحل فإن الماء طما عليها، وثبت الماء على ذلك زمناً، حتى خشى الناس من بقاءه، ثم أخذ فى الهبوط عند الحاجة إلى نقصه، فانكشفت الأراضى، وزرع الناس، ولولا هذا الثبات - الذى كرهه الناس - كان قد شَرِقَ جملة من الأراضى مع وجود هذه الزيادة العظيمة، فإن سائر الجسور التى تحبس المياه تقطعت وخرج الماء منها، فلما حصل ثبات النيل بقى الماء على المزارع، حتى استوفت حقها من الرى، فسبحان اللطيف الخبير القادر^(٢).

وقد ذكرنا فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة - فى أيام الحافظ عبد المجيد^(٣) - أن زيادة النيل انتهت إلى تسعة عشر ذراعاً وأربعة أصابع

(١) هكذا فى أ و ك، والصواب: ولم ينته.

(٢) أورد المقرئى فى السلوك (٢٥٨/٢) هذا الخبر موجزاً، وانظر (النجوم الزاهرة ٩/٢٦٢).

(٣) الحافظ لدين الله عبد المجيد بن أبى القاسم بن المستنصر العلوى توفى سنة ٥٤٤هـ ومدة خلافته بمصر عشرون سنة إلا خمسة أشهر، وخلفه عليها ابنه الظافر بأمر الله (أبو الفدا ٣/٢٠).

بمقياس مصر، وبسبب هذه الزيادة العظيمة فى سنتنا هذه شرق^(١) إقليم الفيوم، لأن سكر^(٢) النهر انقطع، وخرج الماء بجملته إلى البحيرة، ففرق ما حولها، وشرق ما سوى ذلك، واجتهد السلطان بعد ذلك فى إصلاح السكر، وندب لذلك الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى الحاجب/ (٦٦) - كان - وهو من أكابر أمراء المشورة الذين يجلسون فى مجلس السلطان، فأصلحه وأتقنه إتقاناً جيداً، فتدارك الناس بسبب إصلاحه زراعة الصيفى خاصة بإقليم الفيوم.

وفيهما - فى شهر ربيع الآخر - وصلت رسل الملك أزيك^(٣) متملك صراى^(٤) والبلاد الشمالية إلى الأبواب السلطانية، ومثلوا بين يدى السلطان، وأحضروا ما معهم من الهدايا فقبلت، وشملهم الإنعام، وأعيدوا إلى مرسلمهم بالهدايا صحبة رسل السلطان إليه.

وفيهما وصل إلى الديار المصرية الملك موسى^(٥) متملك بلاد التكرور^(٦) لقصد الحج، وتوجه إلى الحجاز الشريف، ورجع إلى بلاده فى سنة خمس وعشرين، وكان قد أحضر صحبته جملة كثيرة من الذهب، فأنفقها بجملتها وفرقها، وتعوض ببعضها قماشاً، واحتاج إلى أن استدان جملة من التجار وغيرهم قبل سفره.

(١) فى السلوك (٢٥٨/٢) وغرقت الفيوم لانقطاع جسرهما «وعلى محققه بقوله: وفى إحدى النسخ شرقت». ومعنى شرقت الأرض: جفت من عدم الرى.

(٢) السكر - بكسر السين وسكون الكاف - : ما يسد به النهر ونحوه.

(٣) أزيك خان - ولقبه (القان) بن طغرلجا - (وفى الدور ابن طقطاى) ابن منكوتمر بن طغاي بن ياطو بن جنكيزخان ملك التتار بالمملكة الشمالية توفى سنة ٧٤٢ ومدة ملكه ثمان وعشرون سنة (السلوك ٦١٤/٢) والنجوم (٢٢٦/٩).

(٤) صراى - بفتح الصاد والراء المهملتين - مدينة عظيمة تقع فى مستو من الأرض غربى بحر الخزر كانت قاعدة البلاد الشمالية من مملكة التتار (المصدر السابق).

(٥) اسم هذا الملك - كما ورد فى البداية والنهاية ج ١١٢/١٤ - الملك الأشرف موسى بن أبى بكر، وفى المقرئى (السلوك ٢٥٥/٢) منسا موسى ملك التكرور، وقد أورد خبر وصوله فى شىء من التفصيل.

(٦) بلاد التكرور مملكة واسعة تقع إلى الجنوب الغربى للسودان وكانت تضم أربعة عشر إقليماً من بينها غانة والسفغال ومالى، وتكرور قاعدتها مدينة على النيل تقع بالقرب من ضفافه (وانظر صبح الأعشى ٢٨٦/٥، ٢٨٧، والنجوم الزاهرة ١٧٣/٩ حاشية ٣).

ذكر عزل صاحب أمين الدين عن الوزارة

وصرف من نذكر من ولاية المناصب^(١)، وتفويض الوزارة إلى الأمير علاء الدين مُغلطاي الجمالي وترتيب من نذكر.

وفى يوم الخميس الثامن من شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبعمائة عزل صاحب أمين الدين عبد الله^(٢) عن الوزارة، وسبب ذلك أنه لما فُوض إليه أمر الوزارة ألان جانبه للناس، وكفّ لسانه ويده عن أذاهم، وأخذ نفسه بالتأني والسكون وعدم القلق، فطمع الناس، وقصر الولاة والمباشرون/ (٦٧) فى استخراج الأموال، وتحصيل الغلال، فانساق بعضها إلى الباقي، واتصل ذلك بالسلطان، فأجمع رأيَه على عزله، وشاع ذلك بين الناس فى أوائل الشهر، فلما كان فى هذا اليوم رسم السلطان بانفصاله، وعامله حالة العزل بإحسان كثير، وذلك أنه رسم له فى يوم الخميس هذا تنفيذ الأشغال والكتابة على عادته إلى ما بعد صلاة العصر، ثم قام من مجلس الوزارة، وخرج وحجابه بين يديه، ومن جرت العادة بركوبه فى موكبه من أرباب المناصب، وركب والناس يدعون له، ويستبشرون ببقائه واستمراره، فلما وصل إلى داره بالقاهرة، واستقر بها خرج خادمه، وصرف من على بابه من الغلمان والمقدمين والسعاة وغيرهم، وأعلم من كان على الباب بانفصاله، ولم يستقر فى خدمته من غلمانه إلا من كان فى خدمته من قبل وزارته، وانقطع بداره ولم يركب/ فى يوم الجمعة إلى الجامع، ولا أذن لأحد فى الدخول عليه، ثم رسم السلطان ألا يتعرض إليه، وأقر باسمه ما كان قد رتب له عند انفصاله من طرابلس، وأذن له أن يتصرف ويركب فى مصالحه.

واستوزر السلطان بعده مملوكه الأمير علاء الدين مُغلطاي الجمالي، وهو يومئذ أستاذ الدار العالية^(٣)، وأقره فى الوظيفتين، وخلع عليه فى يوم الجمعة

(١) انظر فى هذا الخبر المقرئى (السلوك ٢/٢٥٦، ٢٥٧).

(٢) هو أمين الدين عبد الله بن تاج الرياسة القبطى، أسلم على يد بيبرس الجاشنكير، توفى سنة ٧٤٠ أو سنة ٧٤١، وترجمته فى ابن حجر (الدرر ٢/٢٥١، ٢٥٢).

(٣) راجع ابن حجر (الدرر ٢/٢٥٢) فقيه أن صاحب أمين الدين هو الذى أشار على السلطان بتولية مُغلطاي الجمالي الوزارة من بعده، وقال له: إن الوزارة، لاتصلح إلا إذا وليها تركى.

التاسع من الشهر، وأمر السلطان بصرف ناظرى النظار، وهما: القاضى موفق الدين والقاضى شرف الدين بن زُنْبُور^(١)، ورتب القاضى شهاب الدين بن سعد الدين الأقفاسى^(٢) فى نظر الدواوين، وكان يلى نظر البيوت السلطانية، وخلع عليه بغير طرحه، وكتب إلى الشام بطلب القاضى شمس الدين غبريال^(٣) ناظر الشام، فحضر على خيل البريد، وكان وصوله إلى قلعة الجبل فى يوم الخميس/ (٦٨) الثانى والعشرين من الشهر فرتب ناظر النظار والصحة، وخلع عليه.

ورُتب كريم الدين عبد الكريم المعروف بالصغير فى نظر الشام عوضاً عن شمس الدين غبريال^(٤)، وخلع عليه فى يوم السبت الرابع والعشرين من شهر^(٥) رمضان، وتوجه من الشام على خيل البريد فى يوم السبت السادس^(٦) عشر من شوال، فوصل إلى دمشق فى يوم السبت الثالث والعشرين من الشهر، وخلع عليه بدمشق أيضاً فى يوم الأحد، وياشر الوظيفة.

وكان قد رسم بطلب الأمير علم الدين سَنَجَر الحمصى - شاد الدواوين بحلب - ليرتب فى شد الدواوين بالأبواب العالية، فحضر، وخلع عليه، ورُتب فى وظيفة الشد، وحضر مع الوزير فى المجلس وشاركه فى الكلمة والتنفيذ، فرسم له ألا يتعدى عادة المشدين فى الجلوس على باب دار الوزارة، فامتنع من ذلك، فلما وصل القاضى شمس الدين من الشام رتب علم الدين المذكور فى ولاية الجيزية، وأظهر له أن الوظيفتين معه ورسم له أن يتوجه إلى الجيزية، ويحضر إلى القلعة فى يومى الخميس والاثنين، ويعود فى بقية النهار إلى

(١) «ابن زنبور» فى الدور (٢٤١/٢) أن اسمه عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم علم الدين المعروف بابن زنبور، ويبدو أنه غير المذكور هنا فهذا لقبه شرف الدين. وانظر: المنهل الصافى (١٧٧/١) حاشية (١).

(٢) فى «أ» و «ك» (الأقفاسى) وفى السلوك (٢٥٦/٢) شهاب الدين بن الأقفهسى، وفى مرصاد الاطلاع: أن أقفاص هو نطق العوام لأقفهس، وهى بلدة بصعيد مصر من كورة البهنسا، وأوردها ابن مماتى فى قوانين الدواوين (١٠٤) فى كورة البهنساوية، وضبطها أقفهس بكسر الهمزة.

(٣) عبد الله بن صنيعة القبطى أسلم سنة ٧٠١هـ ومات فى شوال ٧٣٤هـ (الدور ٢/٢٦٢).

(٤) فى «أ» ص ٦٨ «عوضاً عن شمس الدين المذكور»

(٥) ما بين القوسين زيادة عن «أ» ص ٦٨.

(٦) فى المقرئى (السلوك ٢/٢٥٦) أن توجهه على خيل البريد إلى الشام كان فى يوم الاثنين السابع والعشرين من شوال.

الجيزية، وندب معه شهاب الدين الناظر، ثم رسم بعد ذلك أن يتوجه الأمير علم الدين المذكور إلى طرابلس على وظيفة^(١) الشد بها، فتوجه وباشر الوظيفة المذكورة مدة يسيرة ثم عزل عنها.

وأما ناظرا النظار المنفصلان فإن القاضى شرف الدين بن زنبور لما أفصل من النظر، رتب فى نظر خزائن السلاح، وخلع عليه، ونُقل ناظر خزائن السلاح - وهو القاضى علاء الدين بن القاضى برهان الدين البرلسى^(٢) - إلى نظر بيت المال على عادته القديمة، وأعيد القاضى تاج الدين بن السكرى ناظر بيت المال إلى شهادة الخزانة/ (٦٩).

وفى ذو القعدة من السنة طوّل صاحب أمين الدين والقاضى موفق الدين ناظر النظار - كان - بتفاوت ثمن كتان كان صاحب قد رسم بأخذه من بعض فلاحي الجيزية من جملة ما عليهم من البواقي بمبلغ مائة ألف درهم، ولم يحفظ القيمة وقرر على صاحب أمين الدين خمسون ألف درهم، وعلى القاضى موفق الدين خمسة وعشرون ألف درهم^(٣)، ورسم باستخراج جامكية شهرين من سائر مباشرى الدواوين السلطانية، فاستخرج ذلك منهم.

وفى هذه السنة سقط من منارة الإسكندرية أكشرها، وكان سقوط ذلك شيئاً فشيئاً، وفيها - فى ذى الحجة - وصل إلى الأبواب السلطانية رسل الملك أبى سعيد صاحب خراسان والعراقين وما مع^(٤) ذلك، ومثلوا بين يدي المقام الشريف السلطانى بقلعة الجبل المحروسة فى يوم الاثنين ثامن الشهر، وأحضروا صحبتهم من التقادم والهدايا ما لم تجر بمثله عادة لكشّرتة، وخلع السلطان عليهم، وشملهم بالإنعام الوافر، ورسم بعودهم فى يوم الخميس حادى عشر الشهر.

(١) فى المصدر السابق أنه حين عزل من شد الدواوين ولى الجيزية نحو شهرين ثم أخرج إلى طرابلس شادا للدواوين بها، وفى (الدرر ١٧٣/٢) أن وفاته سنة ٧٤٣هـ.

(٢) فى المقرئى (السلوك ٢٤٥/٢) علاء الدين البرلسى، وفيه صفحة ١٠١١ علاء الدين على بن البرهان إبراهيم بن ظافر البرلسى.

(٣) انظر فى هذا الخبر المصدر السابق ص ٢٥٧.

(٤) فى «أ» ص ٦٩ وتابع ذلك.

ذكر متجددات وحوادث كانت بالشام

فى هذه السنة غلت أسعار الغلال بالشام وانتهت غرارة^(١) القمح بدمشق إلى مائة وعشرين درهماً، فلما اتصل ذلك بالسلطان الملك الناصر - خلد ملكه^(٢) - برز أمره المطاع بما أوجب انحطاط الأسعار / ، وذلك أنه رسم (١٩) بإبطال ما على الغلال من المكس فى سائر البلاد الشامية، وذلك فى شهر ربيع الآخر، ثم رسم للنائب بالكرك المحروس أن ينقل إلى دمشق المحروسة / (٧٠) جملة من الغلال التى بها، فانحلت الأسعار، ثم رسم لسائر الأمراء بالديار المصرية أن يحملوا الغلال إلى دمشق، وقرر على كل أمير حملُ جملة معينة من الغلال، وأن يحضر نائبه ما يدل على وصول ذلك إلى دمشق، فحملت الغلال، وانحطت الأسعار انحطاطاً كبيراً، والله الحمد.

وفىها - فى شهر ربيع الآخر - رسم بعزل قاضى القضاة بالشام جمال الدين الزرعى^(٣) بسبب شكوى نائب السلطنة الأمير سيف الدين تنكز^(٤) منه، فوصل المثال السلطانى إلى دمشق بعزله فى الخامس والعشرين من الشهر، وعرض القضاء على الشيخ برهان الدين بن الشيخ تاج الدين فامتنع عن الإجابة إلى ذلك، واعتذر بالعجز والمرض، وصمم على الامتناع، فعند ذلك طلب الخطيب القاضى جلال الدين محمد بن قاضى القضاة سعد الدين عبد الرحمن بن قاضى القضاة إمام الدين عمر القزوينى^(٥)، فوصل إلى الأبواب السلطانية بقلعة الجبل المحروسة فى يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الأولى، واجتمع بمولانا

(١) الضبط من: الألفاظ الفارسية المعربة ص ١١٥ وفارسيته بكسر الفين.

(٢) فى «أ» ص ٦٩ (خلد الله سلطانه).

(٣) سليمان بن عمر بن سالم بن عمر بن عثمان الشافعى، أصله من المغرب، ولد بأذرعات فعرى بالأذرى، واشتهر بجمال الدين الزرعى توفى سنة ٧٣٤ (الدرر ١٥٩/٢ - ١٦٢).

(٤) تنكز - بضم أوله وثالثه - ومعناه بالتركية البحر (صبح الأعشى ٤٢٥/٥) ويكنى أباً سعيد، جلب إلى مصر وهو صغير فاشتره الأشرف، ثم أخذه لاجين ثم صار إلى الناصر، وأصبح له فى دولته نفوذ، له ترجمة مطولة فى (الدرر ٥٢٠/١ - ٥٢٨). وضبطه ابن تفرى بردى فى النجوم ج ٩ فى جميع المواضع بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه.

(٥) مولده سنة ٦٦٦هـ بالموصل، ووفاته بدمشق فى سنة ٧٣٩، وله فى الدرر (٣/٤) ترجمة واقية، وانظر وفاته فى النجوم (٣١٨/٩).

السلطان وخطب بجامع القلعة، وصلى بالسلطان في يوم الجمعة، وفوض إليه القضاء بالشام، وخلع عليه في يوم الخميس ثالث عشر من جمادى الآخرة، وأنهى إلى السلطان أن عليه ديناً شرعياً، فأنعم عليه بألف دينار ومائة دينار وستين ديناراً عيناً، وأرسل الذهب صحبة البريد إلى نائب السلطنة بالشام [وكرهه]^(١) أن يحضر أرباب الديون، ويعطوا أموالهم بمقتضى حجبهم، ففرق ذلك عليهم، وتوجه القاضي جلال الدين المذكور من الأبواب السلطانية إلى دمشق في يوم الاثنين الرابع والعشرين من جمادى الآخرة، ووصل إلى دمشق في خامس شهر رجب، وفوض قضاء العسكر الشامي للقاضي جمال الدين أحمد بن القاضي الصدر المرحوم شرف الدين/ (٧١) محمد بن محمد القلانسي التميمي^(٢)، وخلع عليه في سادس شهر رجب بدمشق، وخطب بقاضي القضاة، هكذا ذكر الشيخ علم الدين البرزالي^(٣) في تاريخه [وأقام القاضي جمال الدين الزرعي بدمشق بعد أن عزل عن القضاء إلى أواخر سنة ست وعشرين ففارقها، وحضر إلى القاهرة المحروسة فوصل إليها في يوم الأربعاء منتصف ذي الحجة منها، واجتمع بالسلطان في تاسع المحرم سنة سبع وعشرين، ولم يفوض إليه ولاية، وسكن قرب السلمية خارج باب النصر]^(٤).

وفيها فوض السلطان قضاء القضاة بحلب المحروسة للقاضي كمال الدين ابن الزمِّلَكَاني^(٥)، وجهز إليه التقليد السلطاني بالولاية إلى دمشق، فوصل في يوم السبت تاسع عشر شعبان، فامتنع من قبول ذلك، فطولع السلطان بذلك، فغضب منه، وأمر بعزله من مناصبه بدمشق، ثم شُفِّع فيه، فعاد المرسوم بتوجهه، ووصل المثال بذلك إلى دمشق في ثاني عشر شهر رمضان، فقبل

(١) الزيادة من «أ» ص ٧٠.

(٢) أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله التميمي جمال الدين بن شرف الدين القلانسي، وفاته في ذي القعدة سنة ٧٣١هـ (الدرر ٣٠٠/١) وقد أورد النويري ترجمته في وفيات سنة ٧٣٠هـ - من هذا الجزء).

(٣) القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف: علم الدين بن البرزالي مولده سنة ٦٦٥هـ وفاته في ذي الحجة سنة ٧٣٩هـ (عن الدرر ٢٣٧/٣ والنجوم ٣١٨/٩ و٣١٩).

(٤) ما بين القوسين ورد في «أ» بهامش ص ٧١.

(٥) محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري الدمشقي ابن الزمِّلَكَاني نسبة إلى زمِّلَكَان بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه، قرية بغوطة دمشق يسميها أهلها أحياناً زمِّلَكَا - بفتح أوله وثانيه وسكون ثالثه وإسقاط النون - ولد سنة ٦٦٧ وتوفي سنة ٧٢٧ (عن الدرر ٧٤/٤ - ٧٨ ومراصد الاطلاع).

الولاية، وتوجه إلى حلب فى يوم الخميس رابع عشر شوال، ووصل إلى حلب فى السادس والعشرين منه، وكان سبب هذه الولاية^(١) أن قاضى القضاة زين الدين عبد الله بن محمد بن عبد القادر الأنصارى^(٢) الشافعى قاضى حلب توفى إلى رحمه الله تعالى بحلب [فى يوم الخميس تاسع عشر شهر رجب منها]^(٣).

وفى هذه السنة يوم الاثنين - عند الزوال - سابع شهر ربيع الآخر توفى الشيخ الإمام العالم نور الدين على بن يعقوب بن جبريل بن عبد المحسن بن يحيى بن الحسن بن موسى بن يحيى بن يعقوب بن نجم بن عيسى بن شعبان بن عيسى بن داود بن محمد بن نوح بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه^(٤)، وكانت وفاته بمصر بدار القاضى فخر الدين بن مسمار المعروف بابن شكر، ودفن بالقرافة الصغرى فى بكرة نهار الثلاثاء بتربة ابن عم والده الشيخ عبد المؤمن بن إسماعيل بن عبد المحسن البكرى، ويعرف بالطواشى عطا [الله، وكان رحمه]^(٥) / (٧٢) الله تعالى من العلم بالمكان الذى لا يجهل وله مصنفات منها: شرح التسهيل لابن مالك فى مجلدين، وكتاب فى علم البيان، وغير ذلك مما لم يكمله رحمه الله تعالى وإيانا.

وفىها توفى الطواشى الأمير شجاع الدين عنبر أمير لالا الخزندار، وزمام الأدر^(٦)، السلطانية، وكانت / وفاته بقلعة الجبل فى ليلة الأربعاء رابع عشر (٢٠) جمادى الأولى، ودفن بتربته التى أنشأها بالقرافة بجوار الدينورى، وكان يتولى نظر المدرسة الناصرية والمدرسة الأشرفية والتربة الخاتونية ونظر الأحواض، ومشيخة الخدام النبوية، وله إمرة عشرة طواشيه، وكان سىء الخلق، كثير

(١) أورد ابن حجر (الدرر ٧٦/٤) سبباً آخر لرفض ابن الزمكاني للولاية أولاً ثم قبوله إياها بعد ذلك.

(٢) زين الدين الأنصارى: عبدالله بن عبدالقادر بن ناصر بن الحسين بن على ولد سنة ٦٥٤ ومات سنة ٧٢٤ هـ (الدرر ٢٩٥/٢ و٢٩٦).

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من «أ» ص ٧١.

(٤) ترجمته فى ابن حجر (الدرر ١٣٩/٣) وقد أورد النويرى نسبه كاملاً فى هذا الجزء لأنه بكرى مثله.

(٥) زيادة من «أ» ص ٧١.

(٦) هكذا فى «أ» و «ك»، وفى السلوك (٢٥٨/٢) ومات الطواشى عنبر الأكبر زمام الدور. وفى النجوم (٢٦٢/٩) زين الدين عنبر الأكبر زمام الدور السلطانية.

الحق شحيحاً، يستقل لنفسه الكثير، ويستكثر لغيره القليل، وكان كثير التحصيل يبيع ما يهدى إليه من [المأكّل]^(١) وغيرها، ومع ذلك فلم يوجد له طائل موجود، ولما ولى نظر المدرسة الناصرية حجب كتاب وقفها أن يطلع عليه أحد من مستحقى الوقف، ولم يسلك فيها شرط واقفها، وصرف للفقهاء والمعVIDين^(٢) نصف ما شرط لهم فى كتاب الوقف، واقتطع مما صرفه أولاً فى كل سنة ثلاثة أشهر، فلما مات وفوض السلطان نظر المدرسة لنائبه الأمير سيف الدين أرغن الناصرى^(٣) أظهر كتاب الوقف، وتتبع ما شرطه السلطان الواقف فيه، وصرف بمقتضاه، وزاد عدة الفقهاء، وضاعف معلومهم، أثابه الله تعالى.

وفىها توفى القاضى بهاء الدين أبو المنصور محمد بن أحمد [بن أحمد]^(٤) بن الشيخ صفى الدين الحسين بن على بن ظافر بن حسين الأنصارى الخزرجى المعروف بابن أبى المنصور المصرى المالكى، / (٧٣) وكانت وفاته بمصر فى العشر الآخر من جمادى الآخرة، ودفن بالقرافة رحمه الله تعالى.

وتوفى الأمير نصر^(٥) الدين محمد بن الأمير بدر الدين بكّتاش الفخرى أمير سلاح، أحد أمراء الطبليخانات، وكانت وفاته بداره بالقاهرة فى يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة، ودفن بتربة حميه الأمير شمس الدين قَشْتَمُر العجمى خارج باب النصر، وكان رحمه الله حسن المعاملة، كثير الصدقة من بقايا الخير.

(١) ما أثبتناه من «أ» ص ٧٢ وفى «ك» (الأكل).

(٢) المعيد: الذى يتولى تفهيم بعض الطلبة ونفعهم وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة: (معيد النعم ومبيد النقم ١٠٨).

(٣) جرت نسخة «أ» على رسمه هكذا من غير واو بعد الغين، وكذلك يأتى فى «ك» أحياناً وفى السلوك والنجوم ١٤/٩ و ٢٧ و ٣٨ يرسم بالواو، وهو أرغون بن عبد الله الدوادار الناصرى، وانظر ترجمته فى الدرر.

(٤) ما بين الحاصرتين لم يرد فى سلسلة نسبه كما ذكرها ابن حجر (الدرر ٣/٣١٣).

(٥) ترجمته فى الدرر (٣/٣٩٥) وفى النجوم (٩/٢٦٢) ناصر الدين، وذكر أنه كان من مقدمى الألوף بالديار المصرية.

وتوفى الأمير محمد بن الأمير شرف الدين عيسى بن مُهنا وكانت وفاته بسلامية^(١) فى يوم السبت سابع شهر رجب، ودفن عند والده بقرية الأساود^(٢) رحمه الله تعالى.

وفيهما ورد الخبر بوفاة الوزير تاج الدين على شاه بن أبى بكر التبريزى وزير الملك^(٣) أبى سعيد بن خريندا، وأن وفاته كانت فى ثامن جمادى الآخرة بأرجان^(٤)، وحمل إلى تبريز، فدفن بتريته، وكان شيخاً جليلاً، ولى الوزارة بعد مقتل سعد الدين الساوى فى شوال سنة إحدى عشرة وسبعمائة، واستمر فى الوزارة إلى أن مات رحمه الله تعالى.

وفيهما فى ليلة الثلاثاء الثانى والعشرين^(٥) من شعبان توفى الشيخ المحدث نجم الدين أبو بكر عبد الله بن على بن عمر بن سبل بن رافع بن محمود الصنهاجى الحمزى بالقرافة الصغرى ودفن بها، ومولده فى سادس عشر شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة، سمع الكثير من الحديث، وأسمع قبل وفاته، وكان سهلاً فى الإسماع رحمه الله.

/ (٧٤) واستهلّت سنة خمس وعشرين وسبعمائة بيوم الأربعاء الثالث والعشرين من كيهك من شهور القبط.

فى هذه السنة ورد إلى الأبواب السلطانية الملكية الناصرية رسل الملك المجاهد سيف الإسلام على بن الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول متملك^(٦) اليمن يستنجد السلطان، ويستغيث به، ويستصرخ به على ابن عمه

(١) سلمية (بفتح أوله وثانيه وسكون الميم) بليدة بناحية البرية من أعمال حماه بينهما مسيرة يومين بسير الإبل، وأهل الشام ينطقونها بكسر الميم وتشديد الباء (النجوم الزاهرة ١١٩/٢ حاشية ٢).

(٢) الأساود: الذى فى ياقوت (معجم البلدان ٢١٩/١ ط. القاهرة) أنه اسم ماء على يسار الطريق للقاصد إلى مكة من الكوفة.

(٣) انظر ترجمته فى الدرر (٣٤/٣) وفيها أنه «كان فى أول أمره سمساراً، وأنه تمكن من دولة أبى سعيد، وكان مغرمًا بالعمارة، وكان محباً لأهل السنة، مصافياً للناصر محمد بن قلاوون.

(٤) أرجان (براء مفتوحة مشددة) مدينة كبيرة كثيرة الخير وهى قصبة كورة من مور فارس (عن معجم البلدان ١٨٠/١).

(٥) ترجمته فى الدرر (٢٧٦/٣، ٢٧٧) وفيها أن وفاته كانت فى عاشر شعبان.

(٦) فى «أ» ص ٧٤ ملك اليمن. وانظر ترجمته فى الدرر (٤٩/٣ و ٥٠) وفيها أن وفاته كانت سنة ٧٦٤ أو ٧٦٧هـ. وفى الخزرجى (العقود اللؤلؤية ١٢٤/٢) أنها كانت فى الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٧٦٤هـ.

الملك الظاهر أسد الدين عبد الله بن الملك المنصور زين الدين أيوب بن الملك المظفر شمس الدين، وغيره ممن خرج عليه من المماليك، واستولوا على بلاده، وحصروه بقلعة تعز على ما نذكر ذلك.

وقد رأينا أن نبداً في هذا الموضع بذكر أخبار بلاد اليمن، وسياسة أخبار ملوكها، إلى أن انتهى الملوك إلى الملك المجاهد هذا المرسل الآن.

* * *

ذكر أخبار اليمن ومن وليه من العمال ومن استقل بملكه وسميت أيامهم بالدولة الفلانية

اعلم - وفقك الله تعالى وإيانا - أيها المطالع / لهذا الكتاب، المتأمل (٢١) لما اشتمل عليه من الفصول والأبواب، الباحث عن جملة وتفصيله، المستوعب لتراجمه وفصوله، أننا لم نترك أفراد بلاد اليمن بباب مستقل يشتمل على أخبارها، ويستدل / (٧٥) من مضمونه على آثارها، ويعلم منه أخبار من وليها من العمال في السنين السالفة، ومن استقل بملكها في المدد الماضية والآنف، ذهولاً عنه ولا إهمالاً، ولا أخراؤه استخفافاً بقدرها ولا استقلالاً، لكننا لم نقف فيما سلف على تاريخ جردً لذكرها وألف، ولا كتاب أفرد في أخبارها وصنف، وإنما كنا نقف من أخبارها على النبذة الشاردة، والإشارة التي تكون في أخبار غيرها من الدول واردة، فنورد من ذلك ما نقف عليه في أثناء أخبار الدولة الأموية والعباسية، والملوك الأيوبيية، والأيام المنصورية والناصرية، ونحن مع ذلك نتوكل^(١) أن نقف على مؤلف يجمع سيرها وأخبارها، ومُصنّف يكشف أستارها ويبرز أسرارها، ونسأل عن ذلك كل قادم ووارد، فلا نجد من يرد ضالّة هذه الشوارد، إلى أن وصل إلى الديار المصرية المولى القاضى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله اليماني كاتب درج^(٢) الملك المؤيد داود - كان - من البلاد اليمنية وهو الذي أشرنا إليه فيما سلف من هذا الكتاب، وذكرنا جملة من رسائله البليغة، وآدابه البديعة، فأوقفنى على كتاب ألفه لما عاد إلى البلاد اليمنية سماه: «بهجة الزمن في تاريخ اليمن» وهو في مجلدة خدم بها الملك الظاهر المذكور آنفاً، فلخصت منه ما أورده الآن، فاجتمعت أخبار اليمن في هذا المكان بحسب الإمكان، وهي نبذة / (٧٦) يستدل بها على أخباره، ولمعة تهدى المتأمل إليها إلى آثاره، وإذا انتهينا - إن شاء الله تعالى إلى آخر ما أورده من أخبار اليمن - إلى آخر سنة أربع وعشرين وسبعمائة، عدنا إلى سياقة أخبار الدولة الناصرية لسنة خمس وعشرين وسبعمائة وما بعدها.

(١) يقال: تركف الأثر إذا تتبعه.

(٢) كاتب الدرج: هو الذى يكتب المكاتبات والولايات وغيرها غالباً، وربما شاركه فى ذلك كتاب الدست. (صبح الأعشى ٤٦٥/٥).

قال - أدام الله الانتفاع بفوائده، وأجزاه^(١) من ألطافه على أجمل عوائده - في كتابه ما مختصره - وفي بعض ألفاظه ما أوردناه بالمعنى - :

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاية اليمن ثلاثة، وهم: أبان بن سعيد بن العاص بن أمية على صنعاء وأعمالها، ومُعَاذ بن جبل الأنصاري على الجند ومخاليقها، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي على حضرموت.

فلما ظهر الأسود العنسي باليمن - كما قدمناه - لحق الأمراء المذكورون بأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فاستخلف معاذ على عمله عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وهو والد عمر بن أبي ربيعة الشاعر المشهور، واستخلف أبان بن سعيد على عمله يعلى بن منبه^(٢) التميمي حليف بني نوفل بن عبد مناف، واستخلف المهاجر عكرمة بن أبي جهل^(٣).

فلما قُتِلَ العنسي، وفاء أهل اليمن إلى الإسلام، أقر أبو بكر رضي الله تعالى عنه عبد الله بن أبي ربيعة على الجند ومخاليقه، ويعلى على صنعاء وأعمالها، واستمر أهل حضرموت على الردة والعصيان.

فلما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقر عبد الله ويعلى على عمليهما، ثم عزل عمر يعلى لشكاية، واستعمل المغيرة بن شعبه على صنعاء، فشخص يعلى إلى عمر يظهر بطلان / (٧٧) الشكاية وأن الحق كان بيد يعلى، فردّه عمر إلى عمله بعد سنتين، فأقام ما شاء الله، ثم شكى إلى عمر، فأمر بإشخاصه إليه ماشياً، فخرج حتى إذا كان على أميال من صنعاء لقيه الخبر

(١) كذا بالأصل، والصواب أن يقال : جزاه أو جازاه.

(٢) في المقتطف من تاريخ اليمن ص ٤٤ «يعلى بن أمية»، وفي زامباور (معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ١٧٥ يعلى بن منبه (ببياً مشددة) أو أمية. وفي صبح الأعشى (٢٦/٥) يعلى بن منبه - بالباء مكان الياء.

(٣) في هامش «أ» ص ٧٦ وردت العبارة الآتية بخط مغاير «قلت : إن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منام أنه دخل الجنة، فرأى في الجنة عذقا لطيفاً، فسأل عن صاحبه، ولمن أعده الله تعالى؟ قالوا: لأبي جهل، فانتبه فزعاً، وكان يقول - صلى الله عليه وسلم - حيناً بعد حين: ما لأبي جهل والجنة؟ فوالله الذي نفس محمد بيده لا يصير هذا أبداً، فلما جاء عكرمة مريداً الإسلام، ورآه صلى الله عليه وسلم من بعيد، فبادر يقول: هذا هو العذق الذي كنت رأيت في الجنة، فأسلم عكرمة، وحسن إسلامه رضي الله عنه».

بقتل عمر وخلافه عثمان، وإقراره على عمله، فعاد راكباً، فلم يزل على عمله إلى أن قُتِلَ عثمان، وكذلك ابن أبي ربيعة.

فلما استُخْلِفَ على بن أبي طالب رضى الله عنه استعمل على جميع اليمن ابن عمه عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب، ففارق يعلى وابن أبي ربيعة اليمن، وأتيا مكة، وانضمَّ يعلى إلى طلحة والزبير وعائشة، وخالف عليا، وأعان بمال وإبل كما قدمنا فى أخبار على بن أبي طالب رضى الله عنه، واستمر عبيد الله باليمن أيام على، ثم تنازل عنه أصحابه.

وأرسل معاوية بُسرَ بن^(١) أرطاة إلى اليمن، فسفك الدماء وارتكب الأفعال الشنيعة، وقتل ابنى عبيد الله كما تقدم، فلما ولى معاوية بعث إلى اليمن عثمان الثقفى، ثم عزله وجمع اليمن بكماله لأخيه عتبة بن أبى سفيان، فولى ثلاث سنين، ثم مات فاستعمل / معاوية على اليمن النعمان بن بشير (٢٢) الأنصارى، فمكث سنة ثم عزله واستعمل [سعيد بن]^(٢) دادوية من أبناء الفرس، فولى تسعة أشهر، ومات، فاستعمل الضحاک بن فيروز، فولى بقية أيام معاوية.

فلما مات معاوية استعمل يزيدُ بُجَيْرَ بن زيان الحميرى على المخلافين: مخلاف صنعاء ومخلاف الجند، قاطعه عليهما بمال عظيم فى كل سنة يرسله إليه، وكان بجير عاتياً متجبراً، فكان باليمن حتى هلك يزيد بن معاوية، وظهر عبد الله بن الزبير بمكة فأطاعه أهل اليمن إلا القليل منهم، فاستعمل ابن الزبير الضحاک بن / (٧٨) فيروز فمكث سنة، ثم عزله بعبد الله بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فولى سنة، ثم عزله بعبد الله بن أبى وداعة السهمى، فمكث سنة وثمانية أشهر، ثم عزله بأخيه عبيدة بن الزبير، فمكث خمسة أشهر، وعزله وولى قيس بن يزيد السعدى أحد بنى تميم، فمكث عشرة أشهر، ثم عزله واستعمل ولادة كان الرجل منهم يلى أربعة أشهر وخمسة أشهر ويعزله، حتى قتل عبد الله بن الزبير.

(١) فى «ك» «بشر» وما أثبتناه من «أ» ص ٧٧ وتاج العروس (٤٢/٣). ويقال بسر بن أبى أرطاة العامرى القرشى.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من «أ» ص ٧٧.

وولى الحجاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان، فبعث الحجاج على اليمن أخاه محمد بن يوسف، فولى إلى آخر أيام عبد الملك وتوفى، وكان قد جمع المجذومين بصنعاء، وجمع لهم الحطب ليحرقهم، فمات قبل ذلك، فاستعمل الحجاج - بأمر الوليد بن عبد الملك - ابن عمه أيوب بن يحيى^(١) الثقفى، فولى مدة أيام الوليد.

فلما تولى سليمان بن عبد الملك استعمل على اليمن عروة بن محمد السعدى، فولى ست سنين.

فلما ولى يزيد بن عبد الملك استعمل مسعود بن عوف الكلبي، فولى أيام يزيد.

فلما ولى هشام بن عبد الملك بعث يوسف بن عمر الثقفى على جميع مخاليف اليمن، فمكث عليه ثلاث عشرة سنة، ثم نقله هشام بن عبد الملك إلى ولاية العراق، كما قدمناه فى سنة ست وعشرين ومائة، واستخلف على اليمن ابنه الصلت، فولى خمس سنين إلى أن توفى هشام.

وولى الوليد بن يزيد، فاستعمل مروان بن محمد بن يوسف، وهو ابن أخى الحجاج.

فلما ولى يزيد بن الوليد الناقص استعمل الضحاك بن واصل السكسكى^(٢).

فلما غلب مروان بن محمد على الأمر استعمل القاسم بن عمر^(٣) الثقفى أخا يوسف بن عمر.

وكان قد/ (٧٩) ثار بحضرموت الأعور الخارجى^(٤)، فلم يلبث القاسم أن قصده الأعور إلى صنعاء فانهزم عنه، وقتل ابن أخيه الصلت بن يوسف، وغلب

(١) فى الواسعى (تاريخ اليمن ص ١٤٧) أيوب بن يحيى الثقفى، وفى الجرافى (المقتطف ٤٧) أيوب بن محمد.

(٢) السكاسك: من بطون كندة، قال ابن خلدون (العبر ٢/ ٢٧٦) لهم مجالات شرقى اليمن متميزة، وهم معروفون بالسحر.

(٣) فى الواسعى (تاريخ اليمن ١٤٧) «القاسم بن عميرة الثقفى».

(٤) هو عبد الله بن يحيى الحضرمى، وانظر المصدر السابق ١٤٧ و ١٤٨ والمقتطف للجرافى ص ٤٨.

عبد الله بن يحيى الأعور على اليمن سنة وأربعة أشهر، واستولى نايبُه أبو حمزة الخارجي على مكة، وقتل أهل قُدَيْد^(١)، وسار فاستولى على المدينة فأقام بها أربعة أشهر، ثم سار يريد الشام، فبلغ وادي القُرى، فلقى جيش الشام الذين بعثهم مروان بن محمد مع عبد الملك بن عطية السعدي، فقتلهم عبد الملك بوادي القري حتى أصفى اليمن منهم، وسار إلى حضرموت، فأثابه كتاب مروان بتوليته الموسم، فصالحهم وسار في ركب قليل، فقتل كما قدمنا، فبعث مروان الوليد بن عروة بن محمد على اليمن، فكان عليه إلى أن انقضت الدولة الأموية.

ذكر عمال اليمن في الدولة العباسية

لما بويع أبو العباس السفاح بالخلافة في سنة اثنين وثلاثين ومائة بعث على الحجاز واليمن عمه داود بن علي بن عبد الله بن العباس، فاستخلف داود على اليمن عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن يزيد بن الخطاب العدوي القرشي، فمكث خمسة أشهر ومات، فاستعمل أبو العباس على اليمن محمد بن زيد^(٢) بن عبد الله بن زيد بن عبد المَدان الحارثي، فقدمها لسبع مَضِين^(٣) من شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وبعث أخاً له على عدن، وقصد إحراق المجذومين بالنيران بصنعاء، وجمع لهم الحطب، فمرض أياماً يسيرة ومات قبل إحراقهم، ومات أخوه بعدن، وكانت ولاية محمد بن زيد خمسة أشهر/ (٨٠) فبعث السفاح عبد الله بن مالك الحارثي، فمكث أربعة أشهر ثم عزله واستعمل على بن الربيع بن عبد الله بن عبد المَدان، فولى أربع سنين وأشهرًا.

فلما استخلف أبو جعفر المنصور استعمل على اليمن عبد الله بن الربيع/ (٢٣) ابن عبد الله بن عبد المَدان الحارثي، فأقام مدة وسار نحو المنصور، واستخلف ابنه، فأقام باليمن حتى قدم عليه معن بن زائدة الشيباني في شهر ربيع الأول

(١) قديد: موضع قرب مكة (مراسد الاطلاع) وفي المقتطف ٤٩: أن هذه الرقعة كانت في مكان يقال له «بدبد» وعبارته: وقتل أهل المدينة في واد يقال له واد بدبد.

(٢) في تاريخ ابن خلدون (١٧٧/٣) محمد بن يزيد بن عبيد الله.

(٣) في المقتطف ص ٤٨ «لسبع بقين».

سنة أربعين ومائة، وقيل سنة اثنتين وأربعين، وبعث معن ابن عم له يقال له سليمان إلى المعافر^(١)، فقتلوه، فغزاهم، فقتل منهم وأكثر، ثم انتقضت حضرموت على معن فسار إليهم، وأوقع بهم عدة وقعات قيل بلغت قتلهم خمسة عشر ألفاً، فأعظم الناس ذلك، ثم رجع إلى صنعاء وكتب إلى المنصور بذلك فاستصوب فعله؛ لأنهم بقية الخوارج الذين قتلوا أهل قُدَيْد ومن أهل المدينة.

ثم سار معن إلى المنصور، واستخلف ابنه زائدة، فلما قدم العراق استعمله المنصور على سجستان، فكانت ولايته اليمن - بمقام ابنه - تسع سنين.

وبعث المنصور على اليمن الضراب^(٢) بن سالم العبسي، فمكث ثلاث سنين، ثم عزله بيزيد بن منصور الحميري ابن خال^(٣) المهدي، وذلك في سنة أربع وخمسين ومائة، فأقام بقية خلافة أبي جعفر، وأقره المهدي بعده، فلما كان الموسم كتب إليه بموافاته ففعل، واستخلف عبد الخالق بن محمد الشهابي^(٤) فولى شهرين ونصفاً، وقدم عليه رجاء بن روح الجذامي^(٥) في ذي الحجة سنة تسع وخمسين ومائة فأقام رجاء ثلاثة عشر شهراً.

ثم بعث المهدي على اليمن على بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، فقدمها في المحرم سنة إحدى وستين ومائة، فأقام إلى سنة اثنتين وستين، وسار نحو العراق/ (٨١) واستخلف رجلاً يقال له واسع بن عقيمة^(٦)، فأقام أحد عشر شهراً، ثم بعث إلى اليمن عبد الله بن سليمان أخا علي، فقدم

(١) المعافر - بفتح الميم وكسر الفاء - من مخاليف اليمن (مراصد الاطلاع) وفي المقتطف ٥٧ مخلاف المعافر: أشهر مخاليف منطقة الجبال والسهول الشرقية، وهو بلاد الحجرية.

(٢) في «أ» ص ٨٠ تقرأ الكلمة أقرب إلى لفظ الضراب، في «ك» وردت مهملة من النقط. وفي المقتطف ص ٥٠ «الفرات بن سالم العبسي».

(٣) أم المهدي هي «أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن شمر بن يزيد الحميري» (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب ص ٨٢ ط. المجمع العلمي بدمشق).

(٤) في المقتطف ص ٥٠ «عبد الخالق بن محمد الشيباني».

(٥) كذا في «أ» و «ك»، ومثله في الخزرجي، وفي المقتطف ص ٥٠ نقلاً عن تاريخ الكبسي «رجاء بن حيوة الجذامي».

(٦) كذا في «ك»، وفي «أ» ص ٨١ عصمه، وهو يوافق ما جاء في المقتطف ص ٥٠.

لتسع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين ومائة، فأقام سبعة عشر شهراً، وبعث المهدي منصور بن زيد بن منصور الحميري، فقدم في سنة خمس وستين [ومائة]، فمكث سنة، ثم عزله بعبد الله بن سليمان النوفلي فمكث سنة، ثم عزله بسليمان بن يزيد بن عبد المدان فأقام بقية خلافة المهدي.

فلما ولي الهادي - في المحرم سنة تسع وستين ومائة - استعمل عبد الله ابن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن عباس، ثم عزله بإبراهيم بن سليمان بن قتيبة بن مسلم الباهلي، فمكث أربعة أشهر، وتوفي الهادي.

فلما ولي الرشيد في شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة استعمل خاله الغطريف بن عطاء فقدم اليمن والفتنة ثائرة بين الجند وأهل صنعاء، فأصلح أمرهم، وأقام على اليمن ثلاث سنين وتسعة أشهر، ثم سار نحو الرشيد واستخلف عبّاد بن محمد الشهابي، فبعث الرشيد على اليمن الربيع بن عبد الله ابن عبد المدان فقدم آخر سنة أربع وسبعين، فمكث سنة ثم عزله الرشيد بعاصم ابن عتبة الغساني، فمكث سنة، ثم عزل بأيوب بن جعفر بن سليمان بن علي ابن عبد الله، فمكث سنة، ثم^(١) عزل بالربيع بن عبد الله الحارثي، والعباس ابن سعيد مولى بني هاشم: الربيع على الصلاة والحرب، والعباس على الجباية، فأقام سنتين، وعزلا بمحمد بن إبراهيم القاسمي، وقد جمع له الحجاز واليمن، فأقام بالحجاز وبعث ابنه العباس فشكاه الناس، فعزله، وولى الرشيد اليمن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن الزبير^(٢)، / (٨٢) وكان رزق عامل صنعاء في الشهر ألف دينار، فجعل له الرشيد ألفي دينار، فقال له يحيى بن خالد: هذا يفسد عليك من توليه من أهل بيتك، فرد رزقه إلى ألف دينار ووصله بصلة جلييلة، فأقام سنة ثم عزله، واستعمل أحمد بن إسماعيل بن علي الهاشمي في سنة إحدى وثمانين ومائة، ثم عزله واستعمل إبراهيم بن عبد الله بن طلحة بن أبي طلحة، من بني عبد الدار، فأقام سنة ووثب به الجند، فعزله الرشيد، واستعمل محمد بن خالد بن برمك^(٣)، فدخل صنعاء في شوال سنة ثلاث

(١) ما بين الحاصرتين سقط من «ك»، والزيادة عن «أ» ص ٨١.

(٢) في الجغرافى (المقتطف ص ٥١) «عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن الزبير».

(٣) توصف ولاية محمد بن خالد بن برمك على اليمن بالعدل، ومن آثار هذا الوالى أنه استخرج النهر الذى فى جنوبى صنعاء والمعروف «بغيل البرمكى».

وثمانين، فأقام سنة ثم عزله الرشيد، واستعمل مولاه حماداً البربري، فقدم في شوال سنة أربع وثمانين، فلم يزل على اليمن بقية خلافة الرشيد إلى سنة ثلاث وتسعين، وعمر اليمن في أيامه، وأمنت السبل، وظفر بالهيصم بن عبد الحميد^(١) لما خالف عليه.

ولما ولي الأمين الأمر أقر حماداً مديدة، ثم سار نحو العراق واستخلف ابن أخيه، فكتب أهل اليمن إلى الأمين يشكونه، فعزله واستعمل محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي، فقدم خليفة له، ثم قدم فاستخرج من عمال حماد أموالاً جليلة، وعدل في الناس ثم عزله الأمين واستعمل سعيد بن السرح الكنانى، فقدم صنعاء / في شعبان سنة خمس وتسعين، فأقام حتى ثارت الفتنة بين الأمين والمأمون، وسار طاهر بن الحسين لمحاربة الأمين، وضعف أمره. (٢٤)

فبعث طاهر بن الحسين على اليمن يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري^(٢)، فقدم صنعاء آخر سنة ست وتسعين، فقُبِّحت سيرته في الناس، ثم آتاه رجل من أهل العراق يكنى أبا الصلت / (٨٣) قدم عليه طالبا، فلم يعطه شيئاً، فرجع حتى إذا كان بِضَمْرٍ من بلد هَمْدَان وجد عمر بن إبراهيم بن واقد بن محمد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، وكان نازلاً مع أخواله أرحب من السلمانيين، فأخبره خبره، فقال: بثس والله ما صنع يزيد، ووصله بعشرين ديناراً، فقال أبو الصلت: لا جرم، لأحسنن مكافأتك إن شاء الله تعالى، فخرج من عنده ومكث وقتاً، ثم قدم عليه بكتاب افتعله بولايته اليمن^(٣)، فقدم عمر ابنه محمداً في نفر من الأعراب وقوم جمعهم، فقدم صنعاء في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة، وحبس يزيد بن جرير، ثم قدم أبوه فأقام وقتاً، وأخرج يزيد من الحبس ميتاً، وكانت ولاية عمر شهراً، ثم عزله المأمون

(١) كذا في «أ» و«ك»، وفي المقتطف (٥٢/٥١) الهيصم بن عبد المجيد، وأنه ثار في جبل مسور، وحارب جند بنى العباس وهزمهم.

(٢) في الواسعي (تاريخ اليمن ص ١٤٩): «يزيد بن جرير بن زيد بن خالد بن عبد الله القسري» وفي الجرافى (المقتطف ص ٥٢): «يزيد بن جرير بن يزيد بن جرير بن خالد بن عبد الله القسري».

(٣) في المصدرين السابقين - الموضع نفسه - وردت ولاية عمر بن إبراهيم بن واقد المذكور دون إشارة إلى هذه القصة، وكلا المرجعين يذكر أن المأمون هو الذي عزل يزيد بعمر، وأن ولايته لم تكن مفتعلة.

بإسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي، فقدمها في ذي القعدة سنة ثمان وتسعين [وماية]، فأقام بها سنة تسع وتسعين [وماية]، ثم سار يريد الحجاز، واستخلف ابن عمه القاسم بن إسماعيل وذلك حين بلغه ظهور محمد بن إبراهيم المعروف بابن طباطبا بالكوفة، واستيلائه عليها، وإرساله جماعة من الطالبين نحو الحجاز، فاستولوا على المدينة ومكة، فلما انتهى إسحاق إلى ضمر وثب به الأعراب فقاتلوه، فرجع إلى صنعاء، فاتصل به قدوم إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد الطالبى والياً على اليمن بعثه الحسين بن الحسن الطالبى المعروف بالأفطس لما استولى على مكة والموسم، فقدم إبراهيم اليمن في صفر سنة مائتين، فأسرف في القتل حتى سمي الجزار، ولم تزل أموره مستقيمة باليمن حتى ثار محمد بن إبراهيم، وقام بعده محمد بن محمد بن محمد بن زيد بن علي، فلما أسر محمد، وقتل أبو السرايا - كما / (٨٤) قدمناه - انحلت أمور الطالبين بالحجاز واليمن، فبعث المأمون محمد بن علي بن عيسى بن ماهان^(١)، فكانت بينه وبين إبراهيم وقائع استظهر فيها ابن ماهان على إبراهيم، فأقام إبراهيم يتردد في القرى التي حول صنعاء حتى قدم عليه عهد المأمون بولاية اليمن، فأبى ابن ماهان أن يسلمها إليه، فالتقيا عند صنعاء فهزمه ابن ماهان، فعاد إبراهيم، ولم يستقم له أمر بعد ذلك، فقدم عيسى بن يزيد الخلودى^(٢) التميمي والياً، فجمع ابن ماهان عشرة آلاف مقاتل وخرج إليه ولده عبد الله من صنعاء، وقد خندق الخلودى على نفسه، فالتقوا فهزمه الخلودى، ودخل صنعاء، واستمرت الهزيمة بعبد الله حتى دخل مكة، واختفى أبوه بصنعاء، فقبض عليه الخلودى وحبسه، وفرق عماله في المخاليف، وشخص نحو العراق.

* * *

(١) ورد اسمه في المقتطف ص ٥٣ «حمدويه بن عيسى بن ماهان» وفي الواسع (تاريخ اليمن ص ١٤٩) ورد اسمه كما ذكره النويرى هنا، ولم يذكره زامباور (معجم الأنساب ص ١٧٦) فيمن ولى اليمن من قبل العباسيين.

(٢) في «أ» ص ٨٤ الخلودى «بمهملة» والغالب على هذه النسخة عدم الإعجام، وفي «ك» الخلودى (بخاء معجمة) وأورده الجرافى (المقتطف ص ٥٣) عيسى بن يزيد الجلودى بجيم مفتوحة، وذكره الواسع (تاريخ اليمن: ١٤٩) عيسى بن زيد الجلودى بالجيم أيضاً. وانظر معجم البلدان (جلود).

ذكر أخبار دولة بني زياد

كان المأمون قد قلد محمد بن عبد الله بن زياد الأعمال التهامية، وما استولى عليه من الجبال، فقدم اليمن في سنة ثلاث ومائتين ومعه رجل تغلبى يسمى محمد بن هارون قاضياً، وهو جد بني عُقَّامة، ولم يزل الحكم فيهم يُتَوَارَث حتى أزالهم ابن مهدي حين أزال دولة الحبشة على رأس الخمسين وخمسمائة، فاستولى ابن زياد على تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب، واختط مدينة زَبِيد في سنة أربع ومائتين، وكان مع ابن زياد مولى له يسمى جعفر، وهو الذي نسب إليه مخلاف جعفر، / (٨٥) وكان فيه دهاء وكفاية حتى كانوا يقولون: «ابن زياد بجعفره» واشترط على عرب تهامة ألا يركبوا الخيل، وسيره مولاة إلى المأمون في سنة خمس ومائتين بهدايا جليلة وأموال عظيمة، فعاد في سنة ست ومعه ألفا فارس فيهم من مسودة خراسان تسعمائة فعظم أمر ابن زياد، وملك حضرموت وديار كندة والشحر ومرباط، وأبين ولحج وعدن والتهاميم إلى حلى، وملك من الجبال أعمال المعافر / والجند والمخلاف وقلده جعفر^(١)، فاخط به مدينة المَذْيَخرة في جبل ذي أنهار ورياحين واسعة، وخُطِب لابن زياد بصنعاء وصعدة ونجران ويحان، ومات سنة خمس وأربعين ومائتين.

وقام بعده زياد بن إبراهيم فلم تطل مدته.

فملك بعده أخوه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم، فامتنع عليه أهل الأطراف، وانقطعت الخطبة له في الجبال، واستولى سليمان بن طَرْف على المخلاف، وهو من الشُرْجة إلى حلى، وجعل السُّكَّة والخُطبة باسمه، فكان مبلغ ارتفاع^(٢) عمله في السنة خمسمائة ألف دينار عَشْرِيَّة^(٣)، وهذا المخلاف هو

(١) رواية ابن المجاور (صفة بلاد اليمن ٦٧/١ و١٨٣/٢) في هذا الموضع هكذا: «وملك ابن زياد حضرموت، وديار كندة، والشحر، والمرباط وأبين ولحج وعدن والتهاميم إلى حلى، وملك من الجبال: الجند وأعماله، ومخلاف جعفر المعافر، وصنعاء، وصعدة، ونجران، ويحان، وواصل ابن زياد الخطبة لبني العباس، وحمل الأموال والهدايا السنوية هو وأولاده من بعده».

(٢) الارتفاع: يقصد به النورى، العمل الجامع الشامل لكل عمل، (نهاية الأرب ٢٨٥/٨).

(٣) في الهمداني (صفة جزيرة العرب ص ١٢٠) عشر - بفتح العين وسكون الشاء - وفي الجرافى (المقتطف ص ٥٥ حاشية ١) مخلاف مشهور في أقصى تهامة الشمالية كان به معدن الذهب، وفي المقدسى (أحسن التقاسيم ص ٨٦) ضبطه بفتح العين والشاء المشددة.

المعروف بالسليمانى، نسبته إلى سليمان هذا، وخرج أيضاً من ولاية أبى الجيش - لحج وأبين وما عداها - إلى البلاد الشرقية.

ومات أبو الجيش فى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة عن طفل اسمه عبد الله، وقيل زياد، فتولت كفالته أخته هند بنت أبى الجيش وعبدُ لأبيها يسمى رشدًا، / (٨٦) أستاذ حبشى، فقام بأمر الطفل، فلما مات رشد قام بكفالته حسين بن سلامة، وصيف من أولاد النوبة، وينسب إلى أمه، وقد كان هذبه رشد وأحسن تأديبه، فخرج حازماً عفيفاً وقام بالأمر، ووزر لولد أبى الجيش وأخته، وكانت دولتهم قد تضعضعت أطرافها، وغلبت ملوك الجبال على الحصون والمخالفين، فقام الحسين^(١) بحربهم حتى استرجع أكثر مملكة ابن زياد الأولى، واختطّ مدينة الكدرا أعلى وادى سَهام، ومدينة المَعْقِر على وادى ذُؤال، وكان عادلاً فى الرعية، كثير الصدقات، وأنشأ الجوامع الكبار، والمنارات الطوال والقلُب^(٢) العادية فى المفاوز المنقطعة، وبنى الأميال والفراسخ والبرد على الطرقات من حضرموت إلى مكة شرفها الله تعالى.

ومات حسين فى سنة اثنتين وأربعمائة، وقد انتقل الأمر إلى طفل آخر من آل زياد، فتولت كفالته عمة له وعبد أستاذ اسمه مرجان من عبيد الحسين بن سلامة، وكان له عبْدان فحلان من الحبشة رباهما صغيرين، وولاهما الأمور كبيرين، أحدهما يسمى نفيساً جعل إليه تدبير الحضرة، والثانى يسمى نجاحاً، وهو والد سعيد الأحوال وجيَّاش، وكان يتولى أعمال الكدرا والمَهْجَم ومَور والواديين، فوقع التنافس بين نجاح ونفيس على وزارة الحضرة، وكان نفيس غشوماً مرهوباً، ونجاح ذا رفق بالناس عادلاً محبباً / (٨٧) إلى الرعية، وكان مولاهما مرجان يميل إلى نفيس، فنمى إلى نفيس، أن عمة ابن زياد تكاتب نجاحاً، وتميل إليه، فأعلم مولاه، فأمره بالقبض عليها وعلى ابن زياد، فقبض

(١) يعنى حسين بن سلامة المذكور قبلاً، ويورده مؤرخو اليمن دائماً باسم الحسين (بال) وانظر «المقتطف

٥٥ و ٦٢ و ٦٩» وابن المجاور (صفة بلاد اليمن ٧٢ و ٧٣)، وبلغ المرام ص ٣٥.

(٢) القلب : جمع القليب وهى البئر.

عليهما، وبنى عليهما جداراً وهما حيان يناشدانه الله حتى ختم عليهما، فكان بموت هذا الصبي انقراضُ دولة بني زياد، وكانت مائتي سنة وثلاثاً وستين سنة^(١).

وكان بنو زياد قائمين بخدمة خلفاء الدولة العباسية، وتولى صلتهم بالهدايا والأموال، فلما اختل أمرهم، وغلب أهل الأطراف على ما بأيديهم، فغلب بنو زياد على ما بأيديهم من أعمال اليمن، وركبوا بالمظلة، وساسوا قلوب الرعية بإبقاء الخطبة العباسية.

قال: «ولما بلغ نجاحاً ما فعله نفيس في مواليه استنفر الناس، وجمع العرب وقصده بزَيد، فجرت بينهما عدة وقائع قُتل نفيس في آخرها على باب زيد، واستولى نجاح على زيد في سنة اثنتين وعشرين وأربعمئة وقال نجاح [لمرجان]^(٢) مولاه: ما فعل مواليك وموالينا^(٣)؟ قال: هم في ذلك الجدار فأخرجهما وصلى عليهما، وجعل مرجان في موضعهما وبنى عليه حياً، وركب بالمظلة، وضربت السكة باسمه، وكاتب أهل العراق، وبذل لهم الطاعة.

وقد كان حين توفي الحسين بن سلامة، واختلف عبيده، هرب ملوك الجبال من سجنه، ولحقوا ببلادهم، فغلب بنو معن على عدن ولحج وأبين والشحر وحضرموت، وغلب بنو الكرندى^(٤) - / (٨٨) وهم قوم من حمير كانت لهم سلطنة ومكارم ظاهرة ومفاخر - على السوا والسُمدان والدُمْلُوة وحصن صَبْر وحصن ذَخِر والتَعَكْر ومخاليفها، والمعاقرية والجعفرية والجندية، وتغلب على حَبّ / وحصن الشعر رجل يعرف بالحسين بن النُّبَيعي^(٥)، وبنو عبد الواحد على (٢٦)

(١) في ابن المجاور (صفة بلاد اليمن ٧١) كانت دولة بني زياد في اليمن مائتين وثلاث سنين لأنهم اختطوا مدينة زيد سنة أربع ومائتين، وزالت عنهم سنة سبع وأربعمئة.

(٢) ما بين العاصرتين زيادة من «أ» ص ٨٨.

(٣) في ابن المجاور (صفة بلاد اليمن ٧٢) ما فعل مولاك بموالينا، وفي هامشه «ما فعل بمواليك وموالينا.

(٤) في «ك» الكرندى ومثله في بلوغ المرام ص ٢٠، وفي «أ» ص ٨٨ غير منقوط، وفي صفة بلاد اليمن ٧٢ (قوم من حمير يقال لهم بنو الكرندى) «وفي المقتطف ص ٥٥» يعفر بن أحمد الكرندى الحميري.

(٥) في «ك»، وفي «أ» ص ٨٨ غير منقوط، وفي المقتطف ص ٥٥ «أبو عبد الله الحسين التبعي - بالتاء والباء المشددين/ نسبة إلى تبع. وهو ما رجحناه.

بُرْع والعمد^(١) ونَعَمَان، ولم يزل نجاح متولياً على الأعمال التَّهامية حتى ملكها الصُّلُحى على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ثم كانت لهم دولة يأتى ذكرها بعد أخبار الصُّلُحى - إن شاء الله تعالى - فنرجع إلى أخبار صنعاء، ومن وليها بعد الخلودى^(٢).

ذكر أخبار صنعاء ومن وليها بعد الخلودى

قال: ولما شخص الخلودى إلى العراق قيل: إنه استخلف رجلاً يقال له حُصْن بن المِنْهَال، فأقام حتى قدم عليه إبراهيم الإفريقى، وهو رجل من بنى شيبان بن ربيعة، فأقام على اليمن مدة، ثم عزل بنُعَيْم بن الوضاح^(٣) الأزدى، والمظفر بن يحيى الكندى اشتركا فى العمل، فقدم صنعاء فى صفر سنة ست ومائتين، وسار المظفر يجبى الجند ومخاليقها، وقام بها مدة، ورجع إلى صنعاء فمات بعد أيام من رجوعه، فاستقل نعيم بالأمر حتى عزل بمحمد بن عبد الله ابن مُحَرِّز^(٤) مولى المأمون، فقدم اليمن سنة ثمان ومائتين ولم يلبث أن شغب عليه / (٨٩) الجند، فخرج نحو الحجاز واستخلف عَبَّاد بن الغَمَر^(٥) الشهابى، فأقام حتى قدم إسحاق بن العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس اليمن، وهى ولايته الثانية وكان مقدمه آخر شهر رجب سنة تسع [ومائتين]^(٦) فأساء السيرة، وظلم الناس، ونال من التَّهامية كل منال، فكان لا يسأل أحداً عن نسبه فينتسب إلا ضرب عنقه، حتى كان من سألته بعد ذلك عن نسبه قال: مولى بنى العباسى، ولم يترك بحمير ذكراً ولا رسماً، ولم يزل كذلك حتى مات سنة عشرة ومائتين، وقيل: إن أهل صنعاء شكَّوه إلى المأمون، فأمر بإشخاصه، فلما مثل بين يديه، قال له المأمون: ضع يدك على رأسى، ففعل، قال: قل:

(١) لم أجده فى كتب البلدان بهذا الاسم، ولعله تحريف يعمد (بوزن يضرب) وذو يعمد قرية باليمن - أو تحريف القمر، وهو من جبال اليمن.

(٢) انظر الحاشية السابقة (٢) ص ٨٧.

(٣) فى تاريخ اليمن للواسعى ص ١٥٠، (وضاح) من غير أَل.

(٤) فى «ك» محبوب، وفى «أ» ص ٨٨ محرز، وما أثبتناه من تاريخ اليمن ص ١٥٠ وعبارته: «وعزل نعيم بمحمد بن عبد الله بن محرز مولى المأمون» ومثله فى بلوغ المرام ص ١٢.

(٥) فى بلوغ المرام ص ١٢ وتاريخ اليمن ص ١٥٠ «عباد بن عمر الشهابى».

(٦) زيادة عن المصدرين السابقين والسياق يقتضيه.

وحياة رأسك لا ضربت عنقاً، فقال، فقال له: «عد إلى عملك» فعاد، فكان بعد ذلك يُوسَطُ^(١) الناس.

ولما مات إسحاق استخلف عند موته ابنه يعقوب، فحاربه أهل الجند وأهل صنعاء فسار إلى ذمار^(٢)، وقدم إلى صنعاء - من قبل المأمون - عبد الله ابن عبيد الله بن العباس الهاشمي، فكان بها حتى توفي المأمون سنة ثمان عشرة ومائتين، فلحق بالعراق واستخلف عباد بن الغمر الشهابي، وباع الناس للمعتصم بالله بن الرشيد، فأقر الغمر سنين.

ثم ولي المعتصم صنعاء ومخاليفها عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي، فقدم صنعاء آخر المحرم سنة إحدى وعشرين ومائتين، فأقام مدة، وحبس عباد بن الغمر الشهابي، وابنه عند يعفر بن عبد الرحيم الحوالي.

ثم عزل عبد الرحيم بجعفر بن دينار، / (٩٠) مولى المعتصم، فقدم خليفة له يقال له منصور بن عبد الرحمن التَّنُوخي في صفر سنة خمس وعشرين، فضبط البلد ووجه عماله، ثم قدم عليه عبد الله بن محمد بن علي بن ماهان، وقد أشرك مع جعفر في الولاية، فأقام مع منصور وقتاً، ثم عزل جعفر بإيتاخ التركي مولى المعتصم، فأقر منصوراً وعبد الله على عمليهما.

ومات المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين وولي الواثق، فأقر إيتاخ على اليمن فوجه أبا العلاء أحمد بن^(٣) العلاء العامري، فلما وصل صعدة أرسل يعفر الحوالي غلامه طريف بن ثابت في عسكر نحو صنعاء، فخرج إليه من بها من الجند مع منصور بن عبد الرحمن الذي كان خليفة لجعفر بن دينار، فقاتلوه فهزموه، وقتلوا من موالى يعفر نحو ألف رجل، وأسروا أسرى ثم ضرب منصور أعناقهم، وقدم أبو العلاء صنعاء بعد الوقعة بأيام، فأقام حتى توفي، واستخلف أخاه عمرو بن^(٤) العلاء، فأقام والياً حتى ولي إيتاخ هرثمة بن البشير مولى المعتصم، فورد كتاب هرثمة على منصور بن عبد الرحمن يستخلفه، وقدم هرثمة آخر المحرم سنة ثلاثين ومائتين فأقام أياماً، وخرج لمحاربة يعفر^(٤) بن

(١) يوسَطُه : يضرب وسطه بالسيف ليقطعه نصفين.

(٢) الضبط من تاريخ اليمن (٣٢ و ٣٣) وفيها أنها مدينة أهلة بالسكان بينها وبين صنعاء عشرون ساعة.

(٣) في بلوغ المرام ص ١٢٠ وتاريخ اليمن ص ١٥٠ «عامر بن العلاء».

(٤) في المصدرين السابقين : «يعفر بن عبد الرحيم الحوالي».

عبد الرحمن وهو بشبام، فنزل بالجيش أسفل وادى ضُلع، وأقام هنالك محارباً ليعفر وقتاً، ثم عاد.

وعزل الوثائق إيتاخ عن اليمن، وولاه جعفر بن دينار مولاهم، فقدم وحاصر يعفر مدة، وعاد إلى صنعاء فأقام بها سنة، وسار نحو العراق، واستخلف ابنه محمداً، فأتته ولايته من المتوكل، فلم يزل على ولايته حتى / (٩١) قتل المتوكل وأقره / المنتصر والمستعين ومن بعدهما إلى أن انتهت الخلافة إلى (٢٧) المعتمد على الله، وفوض الأمور لأخيه أبى أحمد الموفق، فوردت كتب الموفق فى سنة ثمان وخمسين ومائتين على محمد بن يعفر بولاية اليمن، فوجه عماله على المخاليف، وفتح حضرموت وكانت قد امتنعت على من قبله.

ثم أنه استخلف فى سنة اثنتين وستين ومائتين على عمله ابنه إبراهيم بن محمد، وحج وجدد له عهداً من الموفق، واستمر إبراهيم على ولايته إلى سنة سبعين ومائتين، وأمره جده يعفر بقتل ولديه محمد وأحمد ابنى يعفر، فقتلا بعد المغرب فى صومعة مسجد شبام، فانتشرت الأمور^(١) عليه، وخالف عليه الفضل بن يونس المرادى بالجوف، وولد طريف غلامه بسحب ورعين والمكرمان ببيجان، ومالوا إلى جعفر بن إبراهيم المناخي^(٢) فوجه ابن يعفر إلى المخالفين عليه من حاربهم فكانت سجالا، وولى إبراهيم محمد الدعام^(٣) الجوفين، ثم تغير عليه الدعام ونصب له الحرب، فسارت إليه عساكر إبراهيم فالتقوا بورور، فهزمهم الدعام وقتل منهم بشرا كثيراً، وقدم عهد بن يعفر على صنعاء ومخاليفها من الوزير صاعد^(٤) بن مخلد وزير المعتمد، فاعتزل إبراهيم ابن محمد عن الإمارة، وولى أبو يعفر ابنه عبد الرحيم، فأقام بصنعاء مدة، ثم عزله أبوه حين قدم صنعاء سنة ثلاث وسبعين ومائتين، واستعمل على صنعاء ولاية كثيرة، وكان أكثر مقامه بشبام، ثم اجتمع أهل صنعاء — من الأبناء

(١) فى المقتطف (٥٦ و ٥٧) وردت هذه الحادثة مفصلة وعبارته «أن إبراهيم بن محمد قتل أباه وعمه نزولا على أمر جده يعفر بن عبد الرحيم، وانظر أيضاً (بلوغ المرام ص ١٨).

(٢) فى «ك»، وفى «أ» ما بعد الميم غير منقوط، وفى بلوغ المرام ص ١٨ جعفر بن أحمد المناخي صاحب المذيخر، وهو ما رجحناه.

(٣) يرد اسمه فى المراجع الأخرى: «الدعام بن إبراهيم» وفى الإكليل قال الهمداني: كان الدعام بن إبراهيم كبير أرحب وسيد همدان فى عصره، وانظر فى خبره معدنى يعفر الحوالى «المقتطف ٥٦ و ٥٧».

(٤) فى زامبارو ص ٧ ورد اسمه الحسن بن مخلد بن الجراح توفى فى ذى القعدة ٢٦٣.

وغيرهم - والشهابيون على عماله بصنعاء، فقاتلوهم فقتل منهم/ (٩٢) خلق كثير، ثم طردوهم، ونهبوا دار أبي يعفر، وأحرقوها، ولم يلبث أبو يعفر بعد ذلك أن قتل بشبام آخر المحرم سنة تسع وسبعين ومائتين، فقام بالأمر بعده عبد القاهر بن أحمد بن أبي يعفر أياما حتى قدم من العراق على بن الحسين المعروف بجُفْتُم^(١) في صفر من السنة عاملاً على صنعاء وأعمالها، فقاتله الدعام بمدينة صنعاء فهزمهم جُفْتُم، وأقام بها إلى سنة اثنين وثمانين [ومايتين]، ورجع إلى العراق فسار الدعام نحو صنعاء، فدخلها ثم هرب منها، ورجع الأمر إلى بني يعفر ومواليهم.

ثم إن أبا العتاهية بن الرويَّة المَذْحَجِي استدعى الهادي إلى الحق يحيى ابن الحسين بن القاسم من صَعْدَة إلى صنعاء، فدخلها في آخر المحرم سنة ثمان وثمانين ومائتين، فدعا الهادي إلى نفسه، فبايعه الناس، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وكتب في الطُّرْز، ووجه عماله إلى المخاليف، فقبضوا الأعشار، وخرج إلى يحصب ورعين ونواحيها، واستخلف على صنعاء أخاه عبد الله بن الحسين، فأقام أياماً، وعاد إلى صنعاء، ثم خرج منها إلى^(٢) شبام واستخلف ابن عمته على بن سليمان على صنعاء، وكان بنو يعفر وآل طريف بعضهم في سجن صنعاء، وبعضهم في سجن شبام، فاجتمعت همدان^(٣) وسواها، وقصدوا الهادي إلى شبام، فقابلوه بها، ووثب من بصنعاء على نائبه فأخرجوه، وكسروا السجن، وأخرجوا من به من آل يعفر وآل طريف، فاستولى عبد القاهر بن أبي الخير بن يعفر على صنعاء وخرج الهادي من شبام فأقام/ (٩٣) بريدة وبيت^(٤) زُود شهراً ثم عاد إلى صنعاء في جيش كبير وجعل صاحب جيشه أبا العتاهية فلقبته جيوش آل يعفر بالرحبة^(٥)، فهزمهم، ودخل

(١) الضبط من المقتطف ص ٥٧.

(٢) شبام - ككتاب - جبل عظيم بصنعاء، وفي اليمن أربعة مواضع تضاف إلى شبام هي: شبام كوكبان، وشبام سخيم، شبام حراز، وشبام حضرموت. (مراسد الاطلاع ٢ / ٧٧٩ وتاج العروس ش ب م).

(٣) في الإكليل (للهمداني ج ١٠) آل طريف بن ثابت: من بنى مرب من همدان منهم فرسان العرب وذوو شوكتها، وكانت لهم ولادة يعفر الحوالي (المقتطف ٦٠ حاشية ص ١).

(٤) في ك «وثبت بزود» تحريف، والمثبت من «أ» ص ٩٢ بريدة: مدينة باليمن شمالي صنعاء بينهما عشرون ميلاً (بلوغ المرام ص ١٣٦) وزود: من ظاهر همدان (الإكليل ٤٦/١٠) من قرى جبل تغلي (صفة جزيرة العرب ص ١٩٠).

(٥) الرحبة، ويقال لها رحبة صنعاء، وتبعد عنها ستة أميال (مراسد ٢ ص ٦٠٨).

صنعاء، وانحاز آل يعفر^(١) إلى شبام، ومتولى الأمر فيهم أسعد بن أبي يعفر، وابن عمه عثمان بن أبي الخير، فأقامت الحرب بينهم سجلاً مدة، ثم رجع الهادي إلى صعدة في جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين ومائتين، فعادت صنعاء إلى آل أبي يعفر، ودخلها مولاها إبراهيم بن خلف، وصالح أبا العشيرة ابن الروية على أن مخاليف مذحج في جميع اليمن إليه.

ولما توفي المعتضد بالله في سنة تسع وثمانين [ومائتين]، وولى ولده المكتفى، ولى اليمن مولاهام نجح بن نجاح، فوردت كتبه على عثمان بن أبي الخير، وأسعد بن أبي يعفر بتجديد ولايتهم، ثم قدم جفتم للمرة الثانية والياً على اليمن، فلما وصل إلى يأزل (قرية من قرى بني شهاب) خرج إليه جراح وإبراهيم ابنا خلف كالمسلمين عليه، فقبضا عليه، وصار جيشه إليهما، وحساه مدة، ثم احتال وخرج، وسار إلى صنعاء فانضم إليه الجند الذين بها، وأصحابه الذين وصلوا معه، وأسعد وعثمان يغدوان عليه في كل يوم يسلمان عليه، وسألهما تسليم الأمر إليه فاستنظراه أياماً، فجمع أصحابه وكبسهما، / (٢٨) فأراد^(٢) الهرب، فلم يمكنهما، فخرجا في مواليهما ومن انضم إليهما من أهل صنعاء فقاتلاه، فقتل في نفر من أصحابه، ومال الجيش إليهما وأكل قوم من أهل صنعاء من لحم جفتم، ثم وثب أسعد على ابن عمه عثمان فحبسه، واستبد بالأمر إلى سنة ثلاث وتسعين ومائتين.

(٩٤) / ذكر أخبار علي بن الفضل والمنصور بن حسن بن

زادان دعاة عبيد الله المنعوت بالمهدى

قال: ودخل علي بن الفضل القرمطي، وأصله من اليمن من حمير، والمنصور وهو [ابن] الحسن بن زادان بلاد اليمن داعيين لعبيد الله المنعوت بالمهدى، وتحيلًا وتلطفاً، واستمالا الناس حتى غلبا على أكثر البلاد، وكانت

(١) في «أ» ص ٩٣ «وانحاز آل يعفر».

(٢) الزيادة من «أ» ص ٩٤، وفي المقتطف ص ٥٩ «منصور بن حسن الكوفي»، وفي بلوغ المرام ص ٢٢ ورد اسمه «منصور بن حسن بن جيوشب بن باذان، قيل: إنه من ولد عقيل بن أبي طالب».

لهما حروب باليمن، وقتلى كثيرة يطول الشرح بذكرها، وخرج الأمر فى غالب بلاد اليمن عن بنى العباس سنين كثيرة، ثم ظهر الزيدية والإمامية، وكانت لهم حروب كثيرة، ووقائع مشهورة، حتى استولى على بن الفضل على صنعاء، فانهزم منه أسعد بن أبى يعفر، فعند ذلك أظهر ابن الفضل مذهبه الخبيث، وادعى النبوة، وكان يؤذن فى عساكره بالشهادة أنه رسول الله، وأباح المحرمات، وفى ذلك يقول شاعر فى عصرهم^(١):

خُذِي الدَفَّ يا هذه واضْرِبِي	وغنى هَـزارِكِ ثم اطرِبِي
تولّى نبى بنى هاشم	وهذا نبى بنى يعرب
لكلّ نبى مضى شرعة	وهذى شريعة هذا النبى
فقد حَطَّ عنا فروض الصلاة	وحطَّ الصيام ولم يُتَعَب
إذا الناس صلوا فلا تنهضى	وإن صَوِّمُوا فكلّى واشترِبِي
ولا تطلبى السعى عند الصفا	ولا زَوْرَةَ القبر فى يثرب
/ (٩٥) ولا تمنعى نفسك المُعْرِسِي	ن ^(٢) من الأقربين ومن أجنبي
فمن أين حُلِّلتَ للأبعدي	ن وصرت محرمة للأب؟
أليس الغِراسُ لمن أسَّه	وسقَّاه فى الزمن المُجْدِب
وما الخمر إلا كماء السماء	حلال فـقدُست من مذهب

وجعل دار ملكه المَذْيَخِرَة. ولما ادعى ابن الفضل النبوة، وأسقط اسم عبيد الله المهدي، وغضب المنصور بن الحسن بن زاذان - وهو صاحب مسور -

(١) المراجع التى أوردت هذه الأبيات لم تنسبها لشاعر بعينه، وفى بعضها تختلف الرواية كثيراً أو قليلاً عما ورد هنا، وفى بلوغ المرام ص ٢٣ وتاريخ اليمن ص ١٦٠ ورد بعد البيت الرابع هنا البيت التالى:

وحل البنات مع الأمهات * ومن فضله زاد حل الصبي

(٢) فى «أ» ص ٩٥ (المعزيين) والمُعْرِس: الذى أعرس بالمرأة، أى دخل بها، ولا يبعد أن تكون المعربين، والمعرب: طالب الفحش كما فى: (اللسان).

لذلك، وخالف على ابن الفضل، خرج ابن الفضل لحربه، وذلك فى سنة تسع وتسعين ومائتين، فذكره المنصور حقوق عبيد الله المهدي وابنه، وأنهما نعمة من نعمهما، فلم يلتفت إليه ابن الفضل وحصره ببيت دحان^(١) أشهراً، ثم انصرف عنه ابن الفضل.

ومات المنصور فى سنة اثنتين وثلاثمائة، ثم مات ابن الفضل بالمُذْيَخرة فى سنة ثلاث وثلاثمائة، وذلك أنه احتاج إلى الفصاد، فأحضر طبيباً وجرده من ثيابه، وغسل المفصد، وهو ينظر إليه، وكان الطبيب قد جعل السم فى شعر رأسه، فلما غسل المفصد مسح على شعره كالمجفف له، فعلق به السم، فلما فصده أهلكه الله تعالى، فاجتمعت رؤساء اليمن مع الحوالى، وقصدوا المُذْيَخرة، فحصرها سنة ورمها بالمجانيق، حتى تسلمها، وسبى منها بنات على بن الفضل، ففرقهن فى رؤساء العرب، واضمحل أمر القرامطة الدعاة للعبّديين باليمن إلى أن قام بأمرهم على بن محمد الصُّلُحى فى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، على ما نذكر ذلك، / (٩٦) إن شاء الله تعالى، فلنذكر أخبار الزيدية^(٢).

ذكر نبذة من أخبار الزيدية وغيرهم

/ قال: وقام الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بعد موت أبيه، واعتزال أخيه المرتضى، فاستولى على أكثر اليمن الأعلى، ودخل عدن فى ثمانين ألفاً، ومات فى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وكان أسعد بن أبى يعفر قد صالح ابن الفضل، فولاه صنعاء، فلم يزل عليها وعلى مخاليفها إلى سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، ومات بحصن كحلان، ودامت صنعاء بيد بنى يعفر ومواليهم مع كثرة اختلافهم وقيام من قام عليهم بسبب ذلك إلى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، ووصل المختار بن الناصر بن الهادي إلى ريذة، فخرج من صنعاء من بنى الضحاك إليه، فولاه المختار أبا القاسم بن يحيى بن

(١) هكذا فى «ك»، ولم يتضح فى «أ»، وفى مرصاد الاطلاع ٢٣٧/١ بيت دحان (بالباء وقبلها دال مضمومة)

قرية من قرى اليمن: وفى معجم البلدان والقبائل اليمنية ٢٣٢ «دحان: فرع من المعافر من كهلان».

(٢) أورد الجرافى أخبار الزيدية فى الباب الخامس من كتابه (المقتطف) تحت اسم الدولة الهاشمية، وقال:

إنها الدولة الشرعية التى قامت بالأمر فى اليمن، وانظر المقتطف من أول ١٠٢ - ١١١).

خلف، ولم يلبث الضحاك أن غدر بالمختار، فحبسه في قصر رِيْدَة في صفر سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، فاستمر في الحبس إلى شوال من السنة، وقتله^(١)، وكان على بن وُرْدَان - من موالى آل يعفر - قد غلب على صنعاء، وثار الأسمر يوسف ابن أبي الفتوح - وقام معه قومه خُولَان - يعارض بني يعفر وبني الضحاك، فقصده وهو بجَدَان^(٢)، فهزّمهم، وقتل من همدان خلقاً كثيراً، ثم مات في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة واستخلف أخاه سابورا، فسار إليه الضحاك وابن أبي الفتوح إلى / (٩٧) بلد خُولَان فلم يظفرا منه بشيء، فعاد الضحاك إلى صنعاء، وسار سابور يريد ذِمَار، فلحقه الأسمر فقتله في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، وكاتب الضحاك أبا الجيش ابن زياد صاحب زييد بالطاعة، وخطب له بصنعاء في شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة.

ولما تعطلت المخاليف من يَحْصُب ورُعَيْن، وظهر أمر السفهاء اجتمع الوجوه إلى الأسمر بن أبي الفتوح، وسألوه أن يكاتب الأمير^(٣) عبد الله بن قحطان بن أبي يعفر - وهو يومئذ بشبام - أن يقوم بالأمر، فخرج الأمير^(٣) إلى السر^(٤) فأقام به مع ابن أبي الفتوح أياماً، ثم سار نحو كحلان، فأقام به مدة، ورجع إلى صنعاء، فدخلها في سنة ثلاث وخمسين [وثلاثمائة]، فانهزم الضحاك منها^(٥)، ولم يلبث ابن قحطان أن خرج من صنعاء واستعادها الضحاك، وأعاد الخطبة لابن زياد، فلم يستقر له أمر، وعاد أمر البلاد لابن قحطان، فأقام يتردد من شبام إلى كحلان إلى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة، وتجهز للنزول بزَيد^(٦)، فلقيه صاحبها ابن زياد، واقتتلوا، وكانت الدائرة على ابن زياد، وقتل من عسكره خلق كثير، ودخل ابن قحطان زَيد في شهر ربيع من السنة، فنهب دور ابن زياد، ونهب عسكر زييد أقبح نهب، وأقام بها ستة أيام، وعاد نحو كحلان،

(١) في ابن خلدون (١١١/٤) أن المختار قتله أبو القاسم الضحاك الهمداني سنة ٣٤٤هـ.

(٢) لم أجده في كتب البلدان، ولعله تحريف «حدان» أو «جران» أو «جداد»، وانظر الأكيلى (١٣٨/٨، ١٧٨) أو جهران وهو من مخاليف اليمن (مراسد ١/ ٢٣٦).

(٣) في «أ» ص ٩٧ (الأمين) في الموضوعين.

(٤) السر من مخاليف اليمن، قبالة مرسى للبحر (مراسد ٧/٢).

(٥) في «أ» ص ٩٧ (منه).

(٦) في «أ» ص ٩٧ (النزول بزييد).

وخطب للعزیز صاحب مصر، وقطع ذکر بنی العباس، ثم قصد ابن قحطان مخلاف جعفر، فملكه فی سنة ثمانین [وثلاثمائة]، وأقام باباً، فاضطرب علیه أهل المخلاف، فأمر بعمارة المنظر، وتحول إليه من إِب وجعل أمر ألهان^(١) إلى أسعد بن أبی الفتوح.

ثم مات فی سنة سبع وثمانین وثلاثمائة، / (٩٨) فقام بما كان إليه بعده ولده أسعد بن عبد الله، وكان ظهور الإمام یوسف بن یحیی بن الناصر بن الهادی فی سنة ثمان وستین وثلاثمائة، وكانت له حروب مع ابن أبی الفتوح وابن الضحاک وغيرهما، ودخل صنعاء ثم فارقها، وكان یحارب ابن أبی الفتوح مرة وبصالحه أخرى، ولم یزل أمر صنعاء فی غایة الاضطراب إلى سنة ثمان وثمانین وثلاثمائة، تارة یغلب علیها الإمام وابن أبی الفتوح، وتارة الضحاک، وتارة حاشد، والعرب من همدان وحِمیر وخولان وبنی شهاب مفترقة علی هؤلاء، فمن کثر جمعه غلب علیها، ولم یکن الإمام یوسف هذا من الأئمة السابقین عند أهل البيت، ولا عدوه من أئمة الزیدية.

فلما كان فی سنة تسع وثمانین وثلاثمائة وصل الإمام المنصور القاسم بن علی بن عبد الله / بن محمد بن القاسم بن إبراهیم، وهو أحد أئمة الزیدية (٣٠) فاضلاً فیهم مصنفاً، وكان مقامه قبل ذلك بترح^(٢) من بلد خثعم، ثم أقام بتبالة، ووصل صعدة وملكها، وسار إلى نجران، وأرسل إلى صنعاء من قبله شریفاً یعرف بالقاسم بن الحسین الزیدی، فتصرف فی صنعاء بأحكام الإمامية، ثم خالف أهل نجران علی الإمام، وكانت له حروب إلى أن مات سنة ثلاث وتسعین وثلاثمائة، فوصل ابن أبی حاشد إلى صنعاء، وخطب للزیدی، ثم تغیرت علیه الأحوال، فخرج منها بغير سلطان، ودامت الفتنة بصنعاء، وهی فی أكثر أوقاتها / (٩٩) بغير سلطان، والغالب علیها الضحاک إلى سنة أربعمائة، فسار جماعة من همدان وبنی شهاب إلى الزیدی إلى ذمار، فسار معهم إلى صنعاء، فدخلها فی ذی القعدة من السنة.

(١) ألهان: قال الهمدانی فی الأكلیل (٨٣/٨) جبل ألهان معروف فی مخلاف أنس بن ألهان بن مالک، وفی بلوغ المرام ص ١٥٧ «جبل أبی أنس ألهان بن زید بن مالک، وهو وجیل ضوران. وفیه العجر العتیق من العقیق الیمانی».

(٢) هکذا فی «أ» و «ک»، ولم أجده فی البلدان ولعله تحریف برج، وهو جبل فی أسفل سهام. وانظر الأكلیل (١٠٩/١٠) وفی یاقوت ترح - بفتح فسکون - واد إلى جنب تبالة علی طریق الیمن.

فلما كان في صفر سنة إحدى وأربعمئة وصل الحسين بن القاسم بن علي إلى قاعة^(١) وادعى أنه المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم، فأجابه حمير وهمدان وسائر أهل المغارب، وتخلوا عن الزيدي، فوصل إلى صنعاء اليمن، وكانت بينه وبين الزيدي حروب، فقتل الزيدي في حقل^(٢) صنعاء في سنة ثلاث وأربعمئة، ورجع الإمام الحسين بن القاسم الزيدي إلى ريذة وترك أخاه جعفرًا بصنعاء، ثم كانت له حروب مع محمد بن القاسم الزيدي، وكان ابن الزيدي قد جمع جموعاً كثيرة، فانهزم ابن الزيدي، واستولى الحسين على صعدة وغيرها، ثم خالفه المنصور بن أبي الفتوح بصنعاء وبنو شهاب وبنو حريم وغيرهم، ونهبوا داره، وخرجت الشيعة من صنعاء بعد أن نهبت دورهم، فجمع الإمام عسكريهم، فقاتلوه فهزموه، وقتل من عسكريه خلق كثير، وأعاد الناس أبا جعفر قيس بن الضحّاك إلى إمارة صنعاء، فأقام بها إلى المحرم سنة أربع وأربعمئة، فبلغه ما جمع الإمام من العساكر، فخرج من صنعاء محتقراً مهزوماً، وكانت القبائل المخالفة على الإمام تجتمع إليه فاضطربوا، ثم قويت قلوبهم وساروا إلى الإمام فقاتلوه فهزموه، فبقى في مائة فارس، فعلمت به همدان فلقوه وقاتلوه/(١٠٠) فغشيهم بنفسه مراراً في كلها. يخرق صفوفهم، ثم قتلوه، وذلك في صفر سنة^(٣) أربع وأربعمئة، وقتل وهو لم يبلغ الثلاثين سنة.

ولما قتل سار ابن أبي حاشد إلى صنعاء فأقام بها إلى ذي الحجة من السنة ولم يتم له أمر مع همدان، فخرج منها، وتعطلت من السلطنة إلى النصف من شوال سنة خمس وأربعمئة، ووصلها أبو جعفر أحمد بن قيس [بن محمد بن الضحّاك الهمداني]^(٤) فأقام بها إلى ربيع سنة ست [وأربعمئة] وخرج منها، ورفع أيدي عماله، فتعطلت أيضاً إلى سنة ثمان [وأربعمئة]، وراجعت همدان أبا جعفر في الرجوع إلى الإمام، فأجابهم.

(١) القاعة: من ديار سعد من بني تميم قبل يبرين (مراصد ١٠٥٩) وفي أحسن التقاسيم ص ٩١: أنها من مخاليف اليمن.

(٢) في مراصد الاطلاع (٤١٥/١) «مخلاف الحقل باليمن، ويقال له: حقل جهران، وقيل: الحقل من بلاد خولان من نواحي صعدة.

(٣) هذا التاريخ يوافق ما ذكره الواسعي (تاريخ اليمن ص ١٧٤) وفي المقتطف أنه قتل سنة ٤٠٣.

(٤) ما بين الحاصرتين من المقتطف ١٠٩ وتاريخ اليمن ١٧٤، وفي بلوغ المرام ص ٢٠ كان بنو الضحّاك الحاشدي سكان ريذة ملوك همدان وعظماءها.

وفى سنة عشر وأربعمائة ثار يزيد بن القاسم الزيدى مع قوم من بنى شهاب بن مروان، فقتلوه بأشيع^(١)، فسار إليهم ابن أبى الفتوح، وأمدّه القائد مرجان صاحب الكدراء، وعاضده ابن أبى حاشد، ثم نزل ابن أبى الفتوح إلى تهامة، فتلقيه القائد بالكدراء بأحسن لقاء، وعاد فأقام بالأهّان، حتى خرج زيد من أشيع وسلمه للقائد، وتحالفت همدان والأبناء على بنى شهاب بأمر القائد، فحاربوهم مراراً، ثم اصطلحوا، ووصل جعفر بن القاسم أخو الحسين من صعدة إلى [محلة]^(٢) عيَّان، فاستدعته همدان وحمير، فسار إلى صنعاء، فدخلها آخر سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، فأقام بها إلى المحرم، وسار إلى صعدة بطائفة من الناس، فنهبها، وخرَّب دوراً، وقتل ناساً، وقد كان دَعْفَان^(٣) وابن أبى حاشد خالفاً عليه عند مسيره إلى صنعاء، فلما رجع جعفر إلى عيَّان سأله همدان / (١٠١) العود إلى صنعاء فكرهه، ثم وقع الخلاف بين همدان ودَعْفَان وابن أبى حاشد، فاستدعوا جعفر بن القاسم، فأدخلوه صنعاء فى صفر سنة خمس عشرة، وطالب الناس مطالبة شديدة، وأقام بها مدة يحارب دَعْفَان وابن أبى / (٣١) الفتوح ثم اصطلحوا ونزل دَعْفَان إلى القائد فى الكدراء فأحسن القائد تلقيه، وأمدّه بأموال جلييلة، وكتب معه إلى المُنْتَاب صاحب مِسُور، وأمرهم جميعاً بحرب جعفر، فاجتمعوا عليه، فخرج إلى بيت شعيب، فحصرته همدان وحمير، وأعادوا ابن أبى حاشد إلى إمارة صنعاء، وهجم أهل بيت خولان على محطة حمير، وقتلوا منهم مائة رجل، وانهزم عسكر المُنْتَاب، وذلك فى المحرم سنة ست عشرة وأربعمائة، ثم تهادنوا إلى آخر السنة.

ولما كان فى ثمان عشرة وأربعمائة ظهر إنسان بناعط، ولم يعرف الناس اسمه، وذكر أنه يتسمى عند ظهور رايته من المشرق، وسار إلى مأرب وبها المؤمن^(٤) بن أسعد بن أبى الفتوح، وتلقاه أحسن لقاء، وأقام عنده واطر كتبه

(١) أشيع - كأحمر - اسم حصن منيع عال جداً فى جبال اليمن (مرصد الاطلاع ٨٥/١) وهو فى آنس، وكان به مقام سبأ بن أحمد الصليحي (معجم البلدان).

(٢) الزيادة عن المقتطف: ١١٠، وفيه أنها من بلاد سفيان.

(٣) دَعْفَان: ينسبون إلى دَعْفَان بن سلمان، ويعرفون بهجن أرحب، لأنهم لأمهات شتى غرائب (الأكليل ٢٢٨/١).

(٤) بنو المنتاب أهل جبل مسور، وجدهم عبد الحميد بن محمد بن الحجاج صاحب نفائس كان من حزب الباطنية، وابنه إبراهيم الذى أخرج أولاد منصور بن حسن من جبل مسور، ومنهم الحسين المنتاب (بلوغ المرام ص ٢٠).

من عبد الله الإمام المُعِيد لدين الله الداعي إلى طاعة الله الدافع لأعداء الله، وأنفذها إلى النواحي، فبلغ القائد مرجان قيام المؤمن^(١) بن أسعد معه، فغضب على المنصور بن أسعد، وأعاد كتبه مختومة، فغضب المنصور، وانضم إلى هذا الإمام، ودخل صنعاء في شهر رمضان سنة ثمان عشرة (وأربعمئة) وخطب له بها ابن التَّقوى قاضى صنعاء بالإمامة، ثم خرج منها، وخالف عليه من كان انضم إليه، فقتلوه في آخر ذى الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمئة، واشتد القحط باليمن من هذه السنة إلى سنة اثنتين وعشرين، وصنعاء خالية من/ (١٠٢) السلطنة.

وفي شهر رجب سنة ست وعشرين وأربعمئة ظهر الإمام أبو^(٢) هاشم الحسن بن عبد الرحمن إماماً، وتسمى بالنفس الزكية، ومعه ولده حمزة بن أبي هاشم وإليه ينسب الأشراف الحمزيون، فقصد صنعاء، فهرب منه ابن أبي حاشد، ووصل المنصور بن أبي الفتوح، فبايعه ورجع إلى بلده، واستمر هذا الإمام إلى سنة تسع وعشرين، فخالفت عليه همدان، فدخل ابن أبي حاشد صنعاء، ثم خرج منها فتعطلت من السلطنة إلى سنة إحدى وثلاثين، فاستدعت همدان جعفر بن القاسم، فدخل صنعاء في ربيع من السنة، ثم كان بينهم اختلاف يطول شرحه، وخلت صنعاء أيضاً من السلطنة إلى شوال سنة سبع وثلاثين وأربعمئة.

ووصل الإمام أبو الفتوح الناصر بن الحسين الديلمي^(٣) مُدْعياً للإمامة، وانضمت إليه همدان وجميع العساكر، ونهب صعدة، وخرب دوراً، وقتل من خولان مقتلة عظيمة، ودخل صنعاء في ذى القعدة من السنة، وأقام إلى صفر

(١) في بلوغ المرام ص ٣٦ وتاريخ اليمن ص ١٧٥ يرد اسمه «عبد المؤمن بن أسعد بن أبي الفتوح».
(٢) في بلوغ المرام ص ٣٦ وتاريخ اليمن ص ١٣٥ «أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وأنه وصل من الحجاز، ومعه ابنه: حمزة وعلى، فدعا بناعط، وتلقب بالمعيد لدين الله، وعضده الأشراف وغيرهم ورؤساء همدان، وابن أبي الفتوح».
(٣) كان وصوله من بلاد الديلم، ورواية النويري هنا تتفق مع ما أورده الجرافى في المقتطف ص ١١١ وفي بلوغ المرام ص ٣٦ وتاريخ اليمن ص ١٧٥ أن الديلمي وصل طالباً للجهاد سنة ٤٣٠، وكانت بينه وبين على بن محمد الصليحي حروب طويلة، وقتله الصليحي سنة ٤٤٤ في وقعة بينهما بنجد الحاج من بلاد عنس وقبره بردمان. وفي المقتطف ص ١١١ أنه قتل بقاع فيد، وقبره بقرية أفيق.

سنة ثمان وثلاثين [وأربعمئة]، ودخل ابن أبي الفتوح، فبنى له فى حصن عكب قصرًا بالجص والآجر، وكاتب له المنصور عبسًا، فأقبل من رؤسائهم مائة فارس، فدخلوا فى طاعة الإمام، وباعوه، والتحق به أيضاً الأمير جعفر بن القاسم، فجعله أمير الأمراء بينهما، ولم يتم.

وتمالأ جعفر وابن أبي حاشد على حرب الإمام، وخرجا من صنعاء فأمر الإمام بخراب دور بنى الحارث، / (١٠٣) وبنى مروان، فغضب ابن أبي الفتوح وابن أبي حاشد لذلك، ودخلا صنعاء، ورفعوا أيدي ولاية الإمام، وقطعا اسمه من الخطبة، فخرج هارياً، ثم رجع إلى بلد عنس، ووصل إليه جعفر، وأقاموا بصنعاء، ثم مات السلطان يحيى بن أبي حاشد فى أول سنة أربعين وأربعمئة، فأغلقت أبواب صنعاء ولم يبايع الناس ثلاثة أيام، وأقام الناس ابنه أبا حاشد، وحلفت له همدان.

ذكر أخبار دولة على بن محمد الصليحيّ

وفى ليلة الاثنين ثالث جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وأربعمئة^(١) ظهر على بن محمد الصليحي / واستولى على اليمن فى أقرب مدة داعياً إلى (٣٢) الدولة العبّيدية، وكان من خبر قيامه وابتداء أمره أنه لما مات المنصور الحسن ابن زاذان صاحب مسور الذى قدمنا ذكره - وهو أحد الداعيين لبنى عبّيد [الله] فى سنة اثنتين وثلاثمئة - كما ذكرنا - استخلف على أهل دعوته رجلاً من بنى شاور يقال له «عبد الله بن عباس»^(٢) وابنه حسين بن المنصور، وأمرهما بالمحافظة على دينهما، وألا يقطعا دعوة بنى عبّيد الله، وأمرهما بمكاتبة المهدي، فإذا ورد أمره بولاية أحدهما سمع الآخر له وأطاع، وكان المهدي يعرف عبد الله بن عباس^(٢) فكتب إليه ابن عباس^(٢) يعرفه وفاة المنصور،

(١) ما أورده النويرى هنا فى تاريخ ظهور على بن محمد الصليحي يتفق مع ما رجحه المقتطف ص ٦٤، وهو يختلف عما جاء فى بلوغ المرام ص ٢٤، وتاريخ اليمن ص ١٦٢.

(٢) فى «أ» ص ١٠٣ (عباش) وفى «ك» (عباس) وفى المقتطف ص ٦١ «عبد الله الشاورى» وفى بلوغ المرام ص ٢٤، وتاريخ اليمن ص ١٦١ «عبد الشاورى».

وأنه قد قام بالدعوة فوصلت إليه كتب المهدي بولايته، وعزل أولاد المنصور، وبعث إليه سبع رايات، فسار أبو الحسين^(١) بن المنصور إلى المهدي / (١٠٤) بإفريقية، فأمره بطاعة ابن عياش^(*) وقد أيس من الرئاسة، فعمل على قتل ابن عياش^(٢) فنهاه أخوته فلم ينته، واستولى على الأمر، ولم يدع مكاتبة المهدي، ثم خرج أبو الحسين^(٣) بن منصور إلى عين محرم، وفيه رجل من قبله يقال له ابن العرجي واستخلف على مسور إبراهيم بن عبد الحميد السباعي^(٤)، وهو جد^(٥) بني المنتاب، فوثب ابن العرجي على أبي الحسين^(٦) فقتله، فاستولى إبراهيم على مسور، وادعى الأمر لنفسه، وأخرج أولاد المنصور وحریمهم عن مسور إلى جبل بني أعسب، فوثب عليهم المسلمون، فقتلوهم الصغير والكبير، وسبوا حريمهم.

ثم اتفق إبراهيم وابن العرجي، فاقتسما المغرب نصفين، لكل واحد منهما ما يليه، ورجع إبراهيم إلى مذهب السنية، وخطب للخليفة العباسي، وتتبع القرامطة بالقتل والسبي^(٨)، ونصب من بقى منهم داعياً يعرف بابن الطفيل، فقتله إبراهيم، ثم مات إبراهيم، فولى بعده ابنه المنتاب بن إبراهيم، وانتقلت الدعوة الخبيثة بعد ابن الطفيل إلى رجل يعرف بابن أقحم^(٩)، فخاف على نفسه من المنتاب، فكان لا يستقر في موضع واحد، وكاتب المعز بعد وصوله إلى مضر، فلما حضرته الوفاة استخلف رجلاً من شبام^(١٠) يعرف بيوسف بن الأسد^(١١)، فأقام دعوتها مدة حياته، واستخلف رجلاً من شبام اسمه سليمان بن عبد الله الزواحي^(١٢) من حمير، فدعا إلى الحاكم ومن بعده، وكان كثير المال والجاه، فاستمال الرعاع والطغام إلى مذهبه، وكان إذا هم به المسلمون يقول:

(١) المصادر السابقة يرد اسمه «حسن بن منصور».

— (*) انظر الهامش رقم (٢) في الصفحة السابقة.

٥ (٢) في بلوغ المرام ص ٢٤ وتاريخ اليمن ص ١٦١ ورد اسمه «إبراهيم بن عبد الحميد» من غير هذه النسبة.

٦ (٣) في «ك»: وهو أحد بني المنتاب، وما أثبتناه من «أ»، وهو الصواب لأن المنتاب هو ابن إبراهيم المذكور، فيكون إبراهيم جداً لبنيه.

٧ (٤) انظر في هذا الخبر الجرافي (المقتطف ص ٦١) والواسعي (تاريخ اليمن ص ١٦١) والعرشي (بلوغ المرام ص ٢٤).

٨ (٥) في «أ» ص ١٠٤ محم «غير منقوط» وفي بلوغ المرام ص ٢٤ فخيم.

٩ (٦) في «أ» ص ١٠٤ «من شبام حمير».

١٠ (٧) في «أ» ص ١٠٤ «الأشر» ورجحنا ما في بلوغ المرام ص ٢٤ وتاريخ اليمن ص ١٦٢ «يوسف بن الأسد» وفي المقتطف ص ٦٢ «رجلاً من حراز يعرف بابن الأسد».

١١ (٨) في هامش «أ» ص ١٠٤ بخط مغاير: الزواحي (بالجيم) نسبة إلى زواحي وذكر أنها قرية من أعمال حراز، وفي المقتطف ص ٦٢ «زواحي: قرية من بلاد حراز، وحراز قبيلة من حمير وإليها ينسب مخلاف حراز. وفي مرآة الاطلاع ٢/ ٦٧٣ زواحي (مثل قوافي) قرية من مخلاف حراز في أوائل اليمن».

«أنا رجل مسلم فكيف يحل قتلى؟»، وكان فيه كرم نفس،/(١٠٥) وإفضال على الناس.

وكان الصُّلُحِيُّ كثير الاختلاط به، والحظوة لديه، فتفرَّس فيه، فلما حضرته الوفاة أوصاه بالدعوة، وأعطاه مالا كثيراً كان قد جمعه من أهل دعوتهم، وأقام الصليحي باليمن دليلاً للحاج على طريق السراة خمس عشرة سنة، وهو مع ذلك يُعْمَلُ الحيلة في ظهور أمره، فطلع مَسَاراً^(١)، وهو أعلى ذروة في جبال حراز^(٢)، ومعه قوم قد بايعوه على الموت، فأحاط بهم جميع أهل حراز^(٣)، وتهددوه بالقتل، فدافعهم بالحيل، وقال: إنما لزمته خوفاً أن يلزمه الغير فتلحقنا جميعاً المَضْرَّة، ولم يمض عليه أشهر حتى بناه وحَصَّنَه وأمره يستفحل، وشأنه يظهر، فلما ظهر بمسار^(٤) - ومعه قوم من الحجاز وسنحان ويام وجُشَم وهَبْرَة - حصره جعفر بن القاسم في الأحبوش، وهم خلق كثير، ورجل يسمى جعفر بن العباس^(٥) شافعي المذهب سار مع جعفر لحصاره في ثلاثين ألفاً، فأوقع الصليحي بجعفر بن العباس^(٦) في محطته في شعبان من السنة، فقتله في جمع عظيم، فتفرق الناس عنه، ثم طلع إلى جبل حَضُور فافتتحه، وأخذ حصن يناع، وجمع له ابن أبي حاشد صاحب صنعاء فالتقوا [بصَوْف]^(٧)، فقتل ابن أبي حاشد وألف رجل، وسار إلى صنعاء فملكها، وطوى اليمن طياً بسهولة وجبله.

وفي سنة خمس وخمسين وأربعمائة استقرَّ ملك الصُّلُحِيِّ بجميع اليمن من مكة إلى حَضْرَمَوْت سهلها وجبلها، واستقر بصنعاء، وأسكن معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم، واختط بصنعاء عدة قصور، واستعمل صهره/(١٠٦) - أخا زوجته - أسعد بن شهاب على زبيد، فدخلها في سنة ست وخمسين وأربعمائة، وأحسن سيرته في الرعية، وفسح لأهل السنة في إظهار مذهبهم، وكان يحمل من تهامة / إلى صنعاء في كل سنة - بعد أرزاق الجند الذين بها وغير ذلك من الأسباب اللازمة - ألف ألف دينار عيَّناً.

(١) هكذا في «أ» ص ١٠٥ و «ك» وفي مراصد الاطلاع ١٢٧٣/٣ ومعجم البلدان «مشار: قلة في أعلى جبل حراز، وحراز مخلاف باليمن قرب زبيد» وانظر المقتطف ص ٦٤.

(٢) سنحان من مخاليف اليمن، ويام اسم قبيلة أضيف إليها مخلاف من مخاليف اليمن (مراصد ١٤٧٢/٣) وجشم وهبيرة قبيلتان.

(٣) ما بين القوسين زيادة من «أ» ص ١٠٥.

(٤) زيادة عن معجم البلدان والقبائل اليمنية ص ٣٨٨ وقال: «صوف: قرية خربة بالقرب من قرية يازك» كانت بها الوقعة التي مهدت السبيل لملك علي بن محمد الصليحي.

ذكر مقتل الصليحي وقيام ابنه المكرم

وفى سنة تسع وخمسين وأربعمائة توجه الصليحي إلى مكة شرفها الله تعالى، واستخلف ابنه المكرم على الملك، وسار فى ألفى فارس منهم من آل الصليحي مائة وستون رجلاً واستصحب معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم خوفاً أن يثوروا بعده فى البلاد، وسار حتى نزل بظاهر المهجم بضبعة تعرف بأمر الدهيم ويثر أم معبد، وخيمت عساكره حوله، فلما كان فى الثانى عشر من ذى القعدة لم يشعر الناس فى نصف النهار إلا وقد قيل لهم قتل الصليحي.

وكان سبب قتله أنه لما استولى على زبيد فى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وقتل صاحبها نجاحاً بالسهم، وكان قد أهدى له جارية وأمرها فسمته، فهرب أولاد نجاح: سعيد الأحوال وجيآش وغيرهما، فلاحقوا بأرض الحبشة، وشاع على ألسنة المنجمين وأهل الملاحم أن سعيداً الأحول قاتل على ابن محمد الصليحي، وبلغ ذلك الصليحي فاستشعره، وبلغ سعيداً فترقت إليه همته، وتهياً لأسبابه، فلما بلغه مسير/ (١٠٧) الصليحي إلى الحجاز خرج من أرض الحبشة، فعارضه فى خمسة آلاف حربة كان قد انتقاها حين خرج من ساحل المهجم، وهجم على الصليحي فى نصف النهار، والناس مقيلون فى خيامهم غير مستعدين لحرب، فدخل عليه خيمته فى أهل بيته، وعنده دواب النوبة، وهو يريد الركوب، فقتلوه^(١)، وقتلوا أخاه عبد الله، وتفرقوا فى المحطة، فقتلوا من وجدوا، واستولى سعيد الأحوال على خزائن الصليحي وأمواله، وكان قد استصحب منها أموالاً جلييلة، وجمع آل الصليحي خاصة فقتلهم رمياً بالحرايب، وأخذ أسماء بنت شهاب، فأركبها هودجا، وجعل رأس الصليحي ورأس أخيه أمام هودجها حتى دخل زبيد، وتركها فى دار والرأسان منصوبان قبالة طاق الدار التى هى فيها، وفى ذلك يقول شاعرهم العثماني^(٢) من قصيدة:

(١) راجع خبر مصرع الصليحي فى ابن الجاور (صفة بلاد اليمن ٧٥ و ١٦٧).

(٢) أوردته عمارة فى: مختصر المفيد فى أخبار زبيد ص ١٥٢، وذكر له هذه الأبيات، ومعها مناسبتها كما جاءت هنا.

بكرت مظلّته عليه فلم تُرَحْ إلا على المَلِكِ الأجلِّ سعيدها
 ما كان أقبحَ وجهه في ظلها ما كان أحسنَ رأسه في عُودها
 سود الأراقم قابلت أسد الشرى يا رَحْمَتَا لَأَسودها من سُودها
 فأقامت تحت الأسر سنة، ثم تلطفت في الكتابة إلى ابنها المَكْرَمِ تقول:
 إنها قد حملت من الأحول، ولم يكن رآها قطُّ وإنما أرادت أن تستنفر حفايظ
 العرب، فلما وصل الكتاب إلى ابنها جمع رؤوس القبائل، وقرأه عليهم، فثارت
 حفايظهم، وخرج من صنعاء في ثلاثة^(١) آلاف فارس غير الراجل، فخطبهم في
 الطريق، وقال: «إنما تقدمون على الموت، فمن أراد أن يرجع فمن مكانه»
 فيقال: إنه رجع بعضهم وسار في الباقيين، وبلغ الأحول، / (١٠٨) فجمع جموعه
 في عشرين ألف حرية، فطحنتهم خيل العرب، وقتل أكثرهم، فركب الأحول في
 خواصه وأهل بيته خيولا مُضْمَرَةً كان أعدها للهرب، وهرب إلى الساحل، وقد
 أعدت له هناك سفن فركبها، وتوجه نحو دهلك^(٢)، ودخلت العرب زبيد، فكان
 أول فارس وقف تحت طاق أسماء ولدها المكرم، فسلم عليها، فلم تعرفه،
 وقالت: من أنت؟ فقال: أحمد بن علي، فقالت أحمد بن علي في العرب كثير،
 وأمرته أن يرفع المغفر، فرفعه، فقالت: مرحبا بمولانا المكرم، فأصابته ريح
 ارتعش لها، واختلج وجهه، فكان كذلك سنين كثيرة حتى مات، وأعاد المَكْرَمُ
 خاله أسعد بن شهاب إلى ولاية زبيد والأعمال التهامية، ورجع بأمه إلى صنعاء
 فأقامت مدة وماتت.

ثم جمعت الحبشة لأسعد بن شهاب، فأخرجوه من زبيد، وعادت إلى
 ملكهم على ما نذكره إن شاء الله تعالى في أخبارهم.

قال: ثم إن المكرم بن الصليحي فَوَضَ الأمور إلى زوجته الحرة، واسمها
 سَيِّدَة^(٣) ابنة أحمد بن جعفر الصليحي، وكان الصليحي يكرمها / قبل مقتله، (٣٤)

(١) في الأصل، ومثله في «أ» ص ١٠٧ «ألف» والصواب ما أثبتناه.

(٢) دهلك - ويقال دهلك أيضاً - : جزيرة في بحر اليمن، وهي مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة
 حرجة حارة، كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها (مراسد الاطلاع ٥٤٦/٢).

(٣) في المقتطف ص ٦٨ أن «اسمها أروى بنت أحمد بن جعفر بن موسى بن محمد الصليحي» وموسى هو
 آخر على بن محمد الصليحي.

ويقول لزوجته أسماء: هي والله كافلة ذرارينا، القائمة بهذا الأمر لمن بقى منا، فلما ماتت أسماء فوض المكرم الملك والأمر لزوجته الحرّة، وخلا للشراب واللذات، فارتحلت من صنعاء حتى بنت دارها بذى^(١) جبلة، وتعرف بدار العز، ونقلته إليها، فاستخلف على صنعاء عمران بن الفضل الياصمى، حتى مات فى سنة/ (١٠٩) أربع وثمانين وأربعمائة، فأسند الأمر إلى ابن عمه.

السلطان سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي

وكان دَمِيم الخلق لا يكاد يظهر من السرج بطائل، وكان جواداً شاعراً قائماً بأحوال الملك، وأياه عنى ابن^(٢) القم بقوله:

ولما مدحتُ الهَبْرَيزيَّ^(٣) ابن أحمد أجازَ وكافانى على المدح بالمدح
وعوَّضنى شِعْراً بشِعْرى وزادنى عطاءً فهذا رأسُ مالى وذا رِيحى
شققتُ إليه الناسَ حتى رأيتُه فكنت كمن شقَّ الظلام إلى الصُّبح

وكان مستقر ملكه حصن أشيخ وما إليه من الجبال المُطَلَّة على زبيد، وكانت الحرب بينه وبين أهل نجاح سجالاً، فبَيَّتُوهُ فى بعض الليالى، وكبسوا عسكره، فقتلوا أكثرهم، ونجا سبأ على قدميه عامة ليلته حتى وجد من حملة على فرس فى آخر الليل، فلم تعد العرب بعد ذلك إلى تهامة.

وخطبَ سَبَأُ الحرّةَ السيدة، فلم تُجبه، وأنكرت ذلك غاية الإنكار، فتحارباً مدة، فقليل له: ما تجيب إلا بأمر المستنصر خليفة مصر، فأرسل فى ذلك إلى المستنصر رسولين، فعادا ومعهما خادم من أكابر خُدّام المستنصر بألفاظ حسنة، فردت بأحسن منها، وقال لها: أمير المؤمنين يقول لك:

(١) ذى جبلة من مخلاف جعفر (وانظر صفة البلاد اليمن ص ١٦٨).

(٢) فى المقتطف ٦٨ الحسين بن القم، وضبطه بكسر القاف، وفى ابن المجاور ص ١٧٣ عبد الله بن الحسن ابن على بن القم، بضم القاف.

(٣) كذا فى «الأصل»، وفى اللسان أنها يمانية، ومن معانيها: الجيد الرمى بالسهام والحسن الثبات على ظهر الفرس، وفى «أ» ١٠٩ الهبزي (بتقديم الزاى على الراء) وفى هامشه الهبزي: الجواد.

﴿وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى اللهُ ورَسُولُهُ أمراً أن يَكُون لَهُم الخيرةُ من أمرِهِم﴾^(١) قالت: وما ذاك؟ قال: «قد زَوَّجَكَ أميرُ المؤمنين من الداعي الأوحَد المظفر عمدة الخلافة، أمير الأمراء أبي حميرَ سبأ بن أحمد/ (١١٠) بن المظفر الصليحي على ما حَضَرَ من المال، وهو مائة ألف دينار عَيْنًا، وخَمْسُونَ ألفًا من التحف والألطف والطيب والكساء»، فقالت: أما كتاب مولانا صلوات الله عليه، وأمره فأقول فيه: ﴿إِنِّي أَلْقَى إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ، وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢) ولا أقول في أمر مولانا ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾^(٣) وأجابت إلى العقد، فأقبلَ سبأ في جموع عظيمة إلى ذِي جَبَلَة، فتلقتهُم من الضيافات والعطايا الواسعة للناس، والنفقات على العساكر بما بهر سبأ، وصَغُرَ قدر نفسه عنده، وأقام هو ومن معه على ذلك شهرًا، ثم استأذَنَهَا في الدخول عليها، فأذنت له، فقيل: إنه اجتمع بها ساعة واحدة، وقيل بعثت إليه بجارية تشبهها، وأصبح سائرًا، فلم يجتمعا بعد ذلك، وماتَ سبأ، فأقامت الحُرَّة للذَّبِّ عن ملكها، والقيام بأمرها.

المُفَضَّل بن أبي البركات بن الوليد الحميري

وهو تربيتها، فعظم شأنه وعلت كلمته، وغزا تهامة مرارا، وكان إليه ولاية التَّعَكُّر^(٤) وبه ذخائر بني الصليحي وأموالهم، وكان يتولاه من قبله رجل من الفقهاء فطلع إليه جماعة من الفقهاء السُّنِّيَّة من المخلاف، فحسنوا له الخلاف، فخالف على المفضل، واستولى على الحصن وما فيه من الذخائر، فجاء المفضل، وحصره أشد حصار، فقال بعض الفقهاء: والله لا بت حتى أقتل المفضل، فعمد إلى حظايا المفضل اللواتي يميل إليهن،/(١١١) فألبسهن فاخر الحلَى والحلل، وأطلعهن أسطح القصور، فضربن بالدفوف والمعازف بحيث يراهن المفضل وجميع عسكره، وكان المفضل أشد الناس غيرة، فمات

جزوب
معين التارح
لأهل التارح

(١) سورة الأحزاب آية ٣٦.

(٢) سورة النمل آية ٢٧، ٢٨.

(٣) سورة النمل الآية ٣٢.

(٤) في مرصاد الاطلاع ٢٦٥/١ ضبطه بضم الكاف وقال: قلعة حصينة باليمن في مخلاف جعفر مطلة على ذِي جَبَلَة ليس في اليمن قلعة أحصن منها. وفي ابن المجاور (صفة بلاد اليمن) والواسمي (تاريخ اليمن) ضبطت بفتح الكاف.

(٣٥) من ليلته كمداً وقيل: امتص خاتماً فأصبح/ ميتاً والخاتم في فمه، فعند ذلك طلعت الحرة من ذى جبلة، فخيمت بالرّبادى، وكاتبت الفقهاء ولاطفتهم، وكتبت لهم خطها بما اقترحوه من أمان وأموال، وتسلمت الحصن فولته أحد مواليتها.

وقدم على أثر ذلك على بن أحمد^(١) المعروف بابن نجيب الدولة رسولا من قبل الخليفة بمصر إلى الحرة، وكان عاقلا حسن التدبير فقام بأمر الحرة، وغزا أهل الأطراف، فاستقر أمره، واشتدت شوكته، واستخدم أربعمئة فارس من همدان وغيرهم من عرب اليمن، ففوى بهم، وغزا ملوك زبيد، ولم تزل أموره مستقيمة حتى بلغ الحرة عنه أنه قال: إنها قد خرفت ولا تصلح لتدبير الملك، فتنكرت له، وأغرت به ملوك اليمن، وكانوا تحت طاعتها كعمران الياضى، وعمرو الجنبى، وكل منهما يسير فى ألف فارس، فحصره حتى جهد، فلما اشتد به الحصار فرقت الحرة عشرة آلاف دينار مصرية، وأشاعت فى الناس أنها من ابن نجيب الدولة، فطلبت العساكر من ملوكها الأموال والأرزاق، فغالطوهم فارتحلوا، وتفرق الناس، فليل لابن نجيب الدولة: هذا من تدبير التى قلت إنها قد خرفت، فركب إليها إلى ذى جبلة، فاعتذر إليها.

ثم قدم رسول/ (١١٢) من الديار المصرية، فلم يحتفل به ابن نجيب الدولة، فشق عليه ذلك، والتحق به أعداء ابن نجيب الدولة، فقال لهم: اكتبوا على يدي كتابا» أنه دعاكم إلى البيعة لنزار^(٢)، واضربوا سكة نزار، وأنا أوصلها إلى الخليفة الأمر^(٣) بأحكام الله» ففعلوا ذلك وفعل، فبعث الأمر أميراً، فقبض عليه، وسيره إلى مصر، فأرسلت الحرة إلى مصر رسولا، فشفع فيه، فلما توسطوا البحر غرقهم الموكلون بهم بمواطاة ذلك الأمير، وانتقلت الدعوة إلى آل زريع.

(١) فى ابن المجاور (صفة بلاد اليمن ص ١٢٢) «على بن إبراهيم بن نجيب الدولة».

(٢) أبو منصور نزار بن المستنصر بن الظاهر بن الحاكم، أخو المستعلى، وعم الأمر بأحكام الله بن المستعلى، وانظر المصدر السابق ص ١٤٦.

(٣) فى «ك» الحاكم بأمر الله، وهو خطأ من الناسخ، لأن الحاكم مات سنة ٤١١هـ أما الأمر فهو المعاصر لهذا التاريخ، لأنه قتل سنة ٥٢٤ وما أثبتناه من «أ» ١١٢ وانظر زامباور (معجم الأنساب ١/١٤٥) ..

ذكر أخبار ملوك الدولة الزرعية

قال: ولما جهز ابن نجيب الدولة إلى الديار المصرية انتقلت الدعوة إلى الداعي سبأ بن أبي السعد بن زريع بن العباس بن المكرم بن يام بن أصبى^(١)، من حاشد من همدان، وهو من بيت شرف ورئاسة، وكان لجده العباس سابقة محمودة، وبلاء حسن مع الصليحي في القيام بالدعوة، ومع المكرم في نزول زبيد.

ولما تغلب بنو معن على عدن وافتتحها المكرم، ونفى بني معن، ولاها العباس ومسعود ابني المكرم، فكانا كذلك إلى أن سارا مع المفضل بن أبي البركات إلى زبيد لقتال الحبشة، فقتلا على باب زبيد، فانتقل الأمر بعدن إلى أبي السعد بن زريع،/ (١١٣) وأبى الغارات بن مسعود حتى ماتا، فولى الأمر بعدهما الداعي سبأ بن أبي السعد، ومحمد بن أبي الغارات، فلما مات محمد ولي ما كان إليه من الأمر أخوه علي بن أبي الغارات، ويبد الداعي سبأ مع عدن تبالة^(٢)، وله في الجبال حصن الدملوة، والسانة، ومطر، وغيدان، وذبحان^(٣) وبعض المعافر وبعض الجند، ثم وقع بينه وبين ابن عمه خلاف وقاتل أجلت الحرب عن هزيمة أبي الغارات واستقلال الداعي سبأ بالأمر بمفرده، وصفت له البلاد، ودخل عدن، وأقام بها سبعة أشهر، ومات في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، فولى الأمر بعده ولده علي الأعز، ووصل القاضي الرشيد أحمد بن الزبير من مصر بتقليده الدعوة، فوافاه قد مات في سنة أربع وثلاثين، فقلدها أخاه.

محمد بن سبأ، ولقبه المعظم المتوج المكين

وكان الداعي محمد هذا ممدحا [يقصده الشعراء، فيجزل لهم العطاء، وكان جواداً كريماً، وتوسع في الملك، وغلب على أكثر البلاد^(٤)]، وتوفيت الحرة السيدة بذى جبلة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وانتقل ما كان بيدها

(١) في «ك» (أصنى) بالنون، وما أثبتناه من «أ» ص ١١٢ لموافقتة ما أورده ابن الجاور (صفة بلاد اليمن ص ١٢١) وعبارته: أن نسبهم من همدان ثم من جشم بن يام بن أصبى.

(٢) تبالة: يضرب بها المثل في الخصب وانظر: مرصد الاطلاع ٢٥١/١ وتاج العروس مادة (ت ب ل).

(٣) في أ، ك ذبحان - تصحيف - والمثبت عن معجم البلدان والقبائل اليمنية ص ٢٤٨.

(٤) ما بين القوسين زيادة عن «أ» ص ١١٣.

(٣٦) من الحصون والذخائر إلى المنصور بن المفضل، فابتاع الداعي محمد بن سبأ هذا منه الحصون والبلاد في سنة ست وأربعين وخمسمائة، مثل مدينة جبلة والتعكر وحب / وغيرها من حصون المخلاف وسواه، وطلع / (١١٤) الداعي المخلاف، فسكن بذي^(١) جبلة، وكانت وفاته في سنة ستين وخمسمائة، ولم يزل الأمر في ذراريهم إلى أن نفاهم سيف الإسلام بن أيوب.

وأما صنعاء فملكها بعد الداعي سبأ بن أحمد الصليحي رجل من همدان يعرف بحاتم بن الغشم^(٢)، وكان ناهضاً كافياً، وكان له ولد اسمه محمد لم يشاركه أحد في شجاعته وجوده، إلا أنه كانت فيه لؤثة واختلاط عقل، فكان إذا تزوج امرأة وأحبها قتلها، فتحاماه الناس فلم يزوجه^(٣) أحد بعد ذلك، فخطب إلى بني الصليحي أهل قيصان^(٤)، فأبوا أن يزوجه، فألح عليهم فقالوا: «إذا ضمن أبوك زواجنا» فلم يزل بأبيه حتى ضمن، وقال له أبوه: «إن قتلتها قتلتك» فقتلها بعد مدة، ولحق بحصن برأش صنعاء، فلم يزل أبوه يخادعه ويلطفه، حتى التقيا تحت المدرج، فوثب عليه أبوه فقتله، وقطع برأسه ودخل به صنعاء على رمح، وكانت لمحمد بنية في بيت جدها، وقد سمعت أن جدها خرج ليأتي بأمها، فلم يفجأها إلا رأس أبيها على الرمح، فماتت فجأة، ثم مات حاتم بن الغشم، فانتقل ملك صنعاء ومخاليفها إلى:

السلطان حاتم بن أحمد بن عمران الياي

وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وكانت له حروب مع الإمام أحمد ابن سليمان، ومات حاتم بن أحمد في سنة ست^(٥) وخمسين وخمسمائة، فولى بعده ابنه حميد الدولة على بن حاتم، فخالفت عليه همدان، وقتلوا أخاه عمران،

(١) ذو جبلة: مدينة باليمن تحت جبل صبر، ويقال لها: ذات النهرين (مراصد الاطلاع ٣١٢/١ وصفة بلاد اليمن ص ١٧١).

(٢) في «أ» ١١٤ وك «الغشيم»، ورجحنا المثبت عن المقتطف ٧١ وتاريخ اليمن ١٧٨ «حاتم بن الغشم الهمداني، وفي بلوغ المرام ٢٩ «حاتم المغنم الهمداني المغلسي، وسمى الجرائي في المقتطف هذه الدولة باسم «دولة السلاطين بني حاتم الهمدانيين».

(٣) في «ك» فلم يزوجه أحد، وما أثبتنا عبارة «أ» ص ١١٤.

(٤) في ياقوت (معجم البلدان ١٩٧/٧) قبطان: مخلاف باليمن قرب ذي جبلة.

(٥) في المقتطف ص ٧٢ أن وفاته كانت سنة خمسين وخمسمائة.

ثم استقاموا له،/(١١٥) وقويت شوكته ونزل اليمن الأسفل لقتال بنى مهدي، فأوقع بهم في الجبال، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وذلك في ربيع سنة تسع وستين [وخمسمائة].

ذكر أخبار سعيد الأحول، واستيلائه على زبيد ثانيا

ومن ملك بعده من آل نجاح

قد ذكرنا أن المكرم هزم سعيداً الأحول، وقتل رجاله واستولى على زبيد، وأعاد إليها خاله أسعد بن شهاب في سنة ستين وأربعمائة، فلما رجع المكرم بأمه إلى صنعاء وثب سعيد الأحول، فطرد أسعد بن شهاب من زبيد فلاحق بابن أخته، واستولى سعيد الأحول على زبيد والأعمال التهامية بها إلى أن تحيلت الحرة السيدة على قتله، فأمرت والي الشعر أن يكاتبه، وبياطنه أنه يسلم إليه جبل الشعر^(١)، ومنه يستولى على الحرة وما بيدها من الأعمال، فطمع في ذلك فخرج للميعاد، وأمرت الحرة ملوك اليمن الأعلى بحشد عساكرهم وراءهم ونزولهم من الجبال المطلة على زبيد، وأن يطوروا المراحل خلف سعيد، فلما صار تحت الشعر أطبقت عليه جيوش العرب وجيوش الحرة، فقتل هو وأكثر من معه، وذلك في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة.

وعادت زبيد إلى المكرم، وأعادت الحرة إليها أسعد بن شهاب، ثم انتزعها منه «جياش بن نجاح» أخو سعيد، وذلك أنه كان عند مقتل أخيه ببلاد الهند، وكان قد توجه إليها/(١١٦) متنكراً في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، فلما عاد وجد أخاه قد قُتل، وخرجت زبيد عنهم، فدخل زبيد متنكراً، ولم يزل يتحيل ويتكلف حتى اجتمع له من مواليه وأصحابه خمسة آلاف حربة، وساعده على ظهوره على ابن القم^(٢) الشاعر، وكان وزيراً لأسعد بن شهاب، فوثب بزبيد، وملكها وأعانه عوام المدينة، وأتى بأسعد بن شهاب أسيراً، فأكرمه وأطلقه، وكان جياش قد أحضر معه جارية من الهند حاملاً، فولدت له ابنة

(١) جبل الشعر معروف قرب زبيد، واشتهر سكانه بصنع نوع من الثياب تشبه الغزلية في مصر والألاجة في الشام والعراق، ضبطه في بلوغ المرام ص ١٤٥ بفتح الشين، وضبطه الواسعي (تاريخ اليمن ص ١٦٤) بكسرها.

(٢) في ابن المجاور (صفة بلاد اليمن ص ١٧٣) ضبطه بضم القاف وفي موضع آخر منه ضبطه بالكسر. وانظر (ص ١٠٨ حاشية ٢) من هذا الجزء.

(٣٧) فاتكاً، وفي ساعة وضعها كان وثوبه بزيب، ولم يزل جياش في ملك زيب
وتهمته من سنة اثنتين / وثمانين وأربعمائة إلى سنة ثمان وتسعين، فمات في
ذى الحجة منها، وقيل في شهر رمضان سنة خمس مائة^(١). قال: والأول أظهر،
وخلف من الأولاد الفاتك - ابن الهندية - ومنصوراً وإبراهيم وعبد الواحد
والذخيرة ومعاركاً، فولى بعده ابنه الفاتك، وخالف عليه أخوه إبراهيم، وخالف
عليه أيضاً أخوه عبد الواحد، وجرت بينهم وقائع وحروب، فظفر فاتك بأخيه
عبد الواحد، فعفا عنه، وأكرمه، ونزل إبراهيم بن جياش بأسعد بن وائل بن
عيسى الوحاظي، فأكرمه إكراماً عظيماً، وكانت عبيد فاتك بن جياش قد عظم
شأنهم، وكثروا واشتدت شوكتهم، ثم مات فاتك في سنة ثلاث وخمسمائة،
وترك ولده المنصور بن فاتك صغيراً، فملكه عبيد أبيه، وحشد إبراهيم بن
جياش بعد موت أخيه / (١١٧) فاتك، فتوافقوا^(٢)، وحين خلت زيب منهم
وثب بها عبد الواحد بن جياش فملكها، وحاز دار الإمارة، فأخرج الأستاذون
والوصفان مولاها منصور بن فاتك ودلوه من سور البلد خوفاً عليه، ولحق
بعبيد أبيه.

ولما بلغ إبراهيم بن جياش أن أخاه عبد الواحد قد حصل على زيب
وسبقه^(٣) إليها، توجه إلى الحسين بن أبي الحفاظ الحجوري.

وأما عبيد فاتك، فإنهم توجهوا بالمنصور ابن مولاها، ونزلوا بالملك
المفضل بن أبي البركات الحميري صاحب التّعكر، وبالحرة السيدة بنت أحمد
الصليحي بذي جبلة، فأكرما مثواهم، والتزم عبيد فاتك للمفضل بريع البلاد
على نصرتهم على «ابن جياش» فأخرجه من زيب، وملكهم إياها، وهم المفضل
أن يغدر بآل فاتك، ويملك البلاد، فبلغه ما كان من أمر الفقهاء، واستيلائهم
على حصن التّعكر، ففارق زيب، وتوجه إليهم، وكان من أمر وفاته ما قدمناه.

(١) اقتصر المقتطف ص ٦٣ على التاريخ الأول. وذكر أن جياشاً كان من أهل العلم، وأنه وضع تاريخاً اسمه
المفيد، ويقال له «مفيد جياش» تمييزاً له من المفيد الذي وضعه عمارة اليمنى.

(٢) في «أ» ص ١١٧ فتوافقوا.

(٣) في «أ» ص ١١٧ وسبق.

واستقر الأمر بتهامة للمنصور بن فاتك وعبيد أبيه، فمن أولاد فاتك الأمراء ومن عبيده الوزراء، فأما الأمراء فمنهم [المنصور بن فاتك، ثم فاتك بن المنصور^(١)] وهو ابن الحرّة الصالحة الحاجة.

ثم مات فاتك بن منصور، فانتقل الأمر إلى ابن عمه، واسمه أيضا الفاتك ابن محمد بن منصور بن فاتك بن جياش في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، وقتله عبيده في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وعنهم زالت الدولة إلى على بن مهدي الخارج باليمن في شهر رجب سنة أربع وخمسين وخمسمائة، ولم يكن لأولاد فاتك / (١١٨) بن جياش من الأمر شيء سوى النواميس الظاهرة، من الخطبة لهم، بعد بنى العباس، والسكة، والركوب بالمظلة في أيام الموسم، وعقد الآراء في مجالسهم^(٢)، وما عدا ذلك من الأمر والنهي والتدبير وإقامة الحدود، وإجازة الوفود، فلعبيدهم الوزراء، وهم عبيد فاتك بن جياش، وعبيد منصور ابنه.

وأول من وزر منهم أنيس الفاتكي، وكان من بطن في الحبشة يقال لهم الجرليون^(٣)، وملوك بنى نجاح من هذا البطن، وكان أنيس هذا جبارا غشوما مهوبا^(٤)، وبنى قصورا عظيمة، ولما اشتدت شوكته عزم على قتل مولاة المنصور بن فاتك، وتهيأ للاستقلال بالملك، فبدره^(٥) ابن مولاة، بأن عمل وليمة واستدعاه، فقطع رأسه واستصفى أمواله. ووزر بعده الشيخ أبو منصور من الله الفاتكي، وكان كريما شجاعا، وله وقعات مشهورة في العرب، ومآثر مذكورة، ولما وزر لمنصور بن فاتك بن جياش في سنة تسع عشرة وخمسمائة لم يقدم شيئا على قتل منصور ابن مولاة بالسّم، ومكّ ابنه فاتك بن منصور، وهو طفل صغير، ثم تعرض إلى حريم مولاة، فيقال: إن منصور بن فاتك وأباه فاتك ابن جياش، وغيرهما من آل نجاح، ماتوا عن أكثر من ألف سُرّة، ما منهم واحدة سلمت من الوزير «من الله» إلا عشرة نساء من حظايا منصور بن فاتك

(١) ما بين الحاصرتين سقط من «ك»، والزيادة من «أ» ص ١١٧.

(٢) في «أ» ص ١١٨ «محالهم».

(٣) في مختصر المفيد في أخبار زبيد ص ٩٧ «السحريون».

(٤) في المصدر السابق «غشوما متهورا».

(٥) يقال: يدره بالشئ إذا عاجله به.

منهن الحرّة الملكة أم فاتك بن المنصور الملك، وكانت / (١١٩) من جوارى الوزير أنيس ابتاعها منصور من ورثته، وكانت حبشية مغنية، واسمها علم، فخرجت امرأة صالحة خيرة كانت تحج بأهل اليمن برا وبحرا في خفارتها من الأخطار والمكوس، فاعتزلت القصر، وسكنت خارج المدينة، وبنت لها داراً. هذا والملك ولدها.

قال: ولما أراد الله تعالى هلاك الوزير «من الله» حاول بنت معارك بن جياش وراودها، وكانت موصوفة بجمال، فافتدت [نفسها^(١)] منه بأربعين بكرا فذكرت ذلك لعبيد عمها فاتك، وعبيد ابن عمها منصور بن فاتك فهابوه، ولم يقدروا على شيء فقالت / لهم الحرّة أم أبي الجيش - وكانت مولدة ذات جمال (٣٨) - : أنا أكفيكموه ، ثم أرسلت إلى الوزير من الله. تقول له: «إنك أسأت السمعة علينا وعليك فيما تقدم، ولو كنت أعلمتني خدمتك أتم خدمة، ولم يعلم بك أحد، ففرح الوزير بذلك، وتواترت الرسائل بينه وبينها، حتى قال: فيأني أزورك في هذه الليلة إلى دارك متنكرا، فقالت لرسوله: إن الله قد أجل قدر الوزير عن ذلك، بل أنا أزوره في داره، وأتته عند المساء، فغنته وشرب وطرب، فيقال: إنها مكنته من نفسها، فوقع عليها، فلما فرغ مسحته بخرقه مسمومة، فتهرأ ومات^(٢) من ليلته، فدفنه ولده منصور في إسطنبول، وسوى به الأرض، فلم يعرف له قبر، وكانت وفاته في ليلة السبت خامس عشر جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

ثم وزر بعده لفاتك بن منصور زريق الفاتكي^(٣) «وكان شجاعا كريما، وكان له من الأموال والأراضي ما لا تحصى قيمته، / (١٢٠) وكان له ثلاثون ولدا إلا أنه لم يكن له نفاذ في سياسة العسكر، ولا خبرة بإقامة نواميس السلطنة، فاستقال من الوزارة، واستدعى لها الوزير أبا منصور مُفْلِحاً الفاتكي،

(١) ما بين الحاصرتين زيادة من «مختصر المفيد»، وقد أورد هذه القصة مفصلة في صفحتي ١٠٠ و ١٠١.

(٢) يقال: تهرأ اللحم، إذا اشتد نضجه حتى سقط عن العظم.

(٣) في ابن خلدون (٢١٨/٤) أنه كان من موالى أم فاتك المختصين بها.

وهو من بطن من الحبشة يقال لهم «سَحَرْتُ»، وكان يكنى بولده منصور، وكان منصور هذا من الأعيان أهل الخبرة والفقه والأدب والصباحة والسماحة والشجاعة والرئاسة الكاملة، وكان مُفْلِحٌ يُنْبِزُ في صغره «بالبغل»، وكان يقال: «مفلح البغل» ولا يغضب من ذلك، وكان عفيفا لم تعلم له صبوة في صغر ولا كبر، ولما عظم شأنه في الوزارة ثقل على أهل الدولة، فتُحِيلُ في إخراجِه، فأخرج من الوزارة، وكانت له حروب مع سُرُور الفاتكى، ثم مات في سنة سبع^(١) وعشرين وخمسمائة.

وكان لمنصور ابنه مع العساكر حروب، ثم خَذَلَهُ أصحابه وتَفَلَّلُوا^(٢) عنه، فاستأمن إلى القائد «سرور» ودخل معه إلى زبيد، والوزير يومئذ «إقبال» الفاتكى، فخلع على منصور، وأنزله في دار أبيه، ثم قبض عليه من الغد، وقتل في دار الوزير «إقبال»، فأنكر الملك فاتك ذلك، وهَمَّ بإقبال، ثم أبقاه على دَخَنٍ، فتلطف إقبال، حتى سقى مولاه فاتكا السم، فمات فاتك بن منصور في شعبان سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة.

ومنهم القائد «أبو محمد سُرُور الفاتكى» وجنسه من الحبشة «أُمَحْرَة»، وكانت له مآثر وصدقات وصلات / (١٢١) يطول الشرح بذكرها . وكان كثير الصلاة والعبادة والخير والبر، فكانت هذه حاله من سنة تسع وعشرين وخمسمائة إلى أن قتل في مسجده بزبيد في الركعة الثالثة من صلاة العصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، قتله رجل يُقال له «محرّم» من أصحاب على بن مَهْدَى، ثم قُتِلَ قاتله في تلك العشية بعد أن قَتَلَ جماعة من الناس، ولم تلبث الدولة بعد قتله إلا يسيرا حتى أزالها على بن مَهْدَى، وملك زبيد وأعمالها في سنة أربع وخمسين وخمسمائة، في آخر يوم من شهر رجب.

(١) في زامباور (معجم الأنساب ١/ ١٨٢) أن وفاته كانت سنة تسع وعشرين وخمسمائة.

(٢) تفللوا عنه : انهزموا، وتخلوا عنه.

ذكر أخبار دولة علي بن مهدي الحميري وبنيه

وهم من أهل قرية يقال لها العنبرة من سواحل زبيد، وكان أبوه رجلاً صالحاً سليم القلب، ونشأ ولده عليّ هذا على طريقة أبيه في العزلة والتمسك بالصلاح، وحج وزار ولقى حاج العراق وعلماءها ووُعّاظها، وتضلّع في^(١) معارفهم، وعاد إلى اليمن، فاعتزل وأظهر الوعظ، وإطلاق التحذير من صحبة العسكرية، وكان فصيحاً صريحاً أخضر اللون طويل القامة مخروط الجسم بين عَيْنَيْهِ سَجَادَةٌ^(٢)، حسن الصوت، طيب النغمة، حلو الإيراد، غزير المحفوظات، قائماً بالوعظ والتفسير وطريقة الصوفية، وكان يُحَدِّثُ بشيء من أحواله المستقبلات فيصْدُقُ، وكان ذلك من أقوى عُدَدِهِ في استمالة قلوب العالم، وظهر أمره بساحل زبيد بقرية العنبرة وقرية واسط وقرية القضييب والأهواب / (١٢٢) والمقتفى وساحل الفازة وكان يتنقل بينها. وكانت عِبْرَتُهُ لا ترقأ على ممر الأوقات، ولم يزل يعظ الناس في البوادي من سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة فإذا دنا الموسم خرج حاجاً على نجيب له إلى سنة ست وثلاثين [وخمسمائة].

ثم أطلقت الحرة أم فاتك ابن منصور له ولأخوته وأصهاره ومن يلوذ بهم خراج أملاكهم، فلم تمض بهم هنيهة حتى أثروا، واتسعت حالهم، فركبوا الخيل.

ثم حالفه قوم من أهل الجبال على النصرة، فخرج من تهامة إليهم في سنة ثمان وثلاثين، فجمع جموعاً تبلغ أربعين ألفاً، وقصد بهم مدينة الكدراء، فلقبه القائد إسحاق بن مرزوق السحرتي^(٣) في قومه، فهزموا أصحابه، وقتلوا خلقاً من جموعه، وعفوا عن أكثرهم، وعاد ابن مهدي إلى الجبال، وأقام بها إلى سنة إحدى وأربعين [وخمسمائة]، ثم كاتب الحرّة بزبيد، وسألها في ذمّة له ولمن يلوذ به، ويعود إلى وطنه، ففعلت له ذلك على كره من أهل دولتها، ومن فقهاء عصرها، لِيَقْضِيَ اللَّهُ أمراً كان مَفْعُولاً.

(١) في «أ» ص ١٢١ «من معارفهم».

(٢) السجادة: أثر السجود في الجبهة.

(٣) في «أ» ص ١٢٢ والمثبت من المفيد ص ٢١٨.

وأقام ابن مهدي يستغل أملاكه سنين عدة، وهي مطلقة الخراج، فاجتمع له من ذلك مال، وكان يقول في وعظه: «أيها الناس، دنا الوقت، أُرِف الأمر، كَأَتَكُمْ بما أقولُ لكم وقد رأيتموه عياناً»، فما هو إلا أن ماتت الحرة في سنة خمس وأربعين حتى أصبح في الجبال في موضع يقل له الدائر^(١) «من بلاد خَوْلان» ثم ارتفع منه إلى حصن يقال له الشرف، وهو لبطن من خولان، يقال لهم خَيَّوان - بإسكان الياء - وسماهم الأنصار وسمى كل / (١٢٣) من صعد معه من تهامة المهاجرين، ثم [سَاء ظَنَّهُ]^(٢) / بكل أحد ممن معه خوفاً على نفسه، (٣٩) فأقام للأنصار رجلاً من خولان يسمى سبأ بن يوسف وكناه «شيخ الإسلام» وللمهاجرين رجلاً يسمى التوتى لقبه أيضاً شيخ الإسلام، وجعلهما نقيبين على الطائفتين، ولا يخاطبه ولا يصل إليه أحد سواهما، وربما احتجب فلا يرونه وهم يتصرفون في الغزو، فلم يزل يغادى الغارات ويرأو حها على تهامة حتى أخرج الحزوز المصاقبة^(٣) للجبال، والحبشة يومئذ تبعث الأبدال في المراكز، فلا يغنون شيئاً، فلم يزل ذلك دأبه مع أهل زبيد إلى أن أخلى جميع أهل البوادي، وقطع الحرث، ومنع القوافل، وكان يأمر أصحابه أن يسوقوا الأنعام والقوافل، وما عجز عن السير عَقَرُوهُ، ففعلوا من ذلك ما أَرْعَب وأرهب، وقضى بخراب الأعمال، ثم توجه إلى الداعي محمد بن سبأ صاحب عدن إلى مدينة ذي جيلة في سنة تسع وأربعين وخمسمائة، يستنجد على أهل زبيد، فلم يجبه إلى ذلك، فعاد إلى حصن الشرف، ودبر في قتل القائد «سرور الفاتكي» فقتل في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة كما تقدم.

وانشغل رؤساء زبيد بالتنافس والتحاسد على رتبة القائد سرور، فكان ذلك مما أعان ابن مهدي، وفارق ابن مهدي حصن الشرف، وهبط إلى الداسر، وبينه وبين زبيد أقل من نصف يوم، فانضمت إليه الرعايا وعرب البلاد، فلما كثر جمعه زحف إلى زبيد في جموع لا تحصى كثرة وحصر أهل زبيد بها،

(١) في «أ» الداسر، وما أثبتناه من «ك» وانظر مرصداً الاطلاع (٥٠٩/٢) ففيه أنها مدينة باليمن على مسيرة ليلة من زبيد، وهي لخولان، وفي معجم البلدان والقبائل اليمنية ص ٢٣٠ «أنه حصن.. ويسمى اليوم «المصباح».

(٢) ما بين الحاصرتين بياض في «ك»، وأثبتناه من «أ» ص ١٢٣ وهو متفق مع المفيد ص ٢٣١.

(٣) المصاقبة: المجاورة والمتاخمة.

فصبروا، وقاتلوه اثنين وسبعين زحفا يُقتل من أصحابه مثل ما يقتل منهم، واشتد بهم الضر والبلاء / (١٢٤) والجوع حتى أكلوا الميتة، فاستنجدوا بالشريف الزيدى ثم الرُسى، أحمد بن سليمان صاحب صعدة، وشرطوا له أن يملكوه عليهم، فقال: «إن قتلتم مولاكم فاتكاً حلفت لكم ونصرتكم، فوثب عبيد فاتك بن محمد بن فاتك بن جياش بن نجاح مولى مرجان، ومرجان مولى أبى عبد الله الحسين بن سلامة، والحسين بن سلامة مولى رشد الزمام، ورشد مولى زياد بن إبراهيم بن أبى الجيش إسحاق بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن زياد - فقتلوه فى شهور سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، ثم عجز الشريف عن نصرهم على ابن مهدى، ثم كانت بينهم وبين ابن مهدى حروب، وهم يتحصنون بالمدينة إلى أن فتحها فى يوم الجمعة رابع عشر شهر رجب سنة أربع وخمسين، وأقام بها على بن مهدى بقية شهر رجب وشعبان ورمضان، ومات فى شوال من السنة، فكانت مدة ملكه أحد وثمانين يوماً.

ثم انتقل (الملك) بعده إلى ولده «المهدى» ثم إلى ولده «عبد النبى»، ثم إلى ولده «عبد الله»، ثم عاد الأمر إلى [عبد النبى^(١)] والأمر فى اليمن بأسره إليه ما عدا عدن، فإن أهلها هادنوه عليها بمال فى كل سنة، واجتمع لعبد النبى هذا ملك الجبال والتهاميم، وانتقل إليه ملك جميع ملوك اليمن وذخائرها، يقال: إنه حصل فى خزائن ابن مهدى ملك خمس وعشرين دولة من دول أهل اليمن.

قال: «وكان ابن مهدى يَتَمَذَّهَبَ بمذهب أبى حنيفة فى الفروع، ثم أضاف إلى عقيدته التكفير بالمعاصى، والقتل بها / (١٢٥) وقتل من خالف اعتقاده من أهل القبلة، واستباحة الوطء لنسائهم، واسترقاق ذرايهم، وكان اعتقاد أصحابه فيه أن الواحد من آل مهدى إذا قتل جماعة من عسكره ثم قَدَرُوا عليه لم يقتلوه ديناً وعقيدة، وإذا غضب ابن مهدى على رجل من أكابرهم وأعيانهم حبس المغضوب عليه نفسه فى الشمس، ولم يطعم ولم يشرب ولم يصل إليه ولد ولا زوجة، ولا يقدر أحد أن يشفع فيه حتى يرضى عنه ابتداءً من نفسه،

(١) فى «ك» بياض، والزيادة من «أ» ص ١٢٤ ومثله فى المقتطف ص ٧٣ وبلوغ المرام ١٢ و ١٨.

ومن طاعتهم له أن كل واحد يحمل ما تغزله زوجته وبناته إلى بيت المال، ويكون ابن مهدي هو الذي يكسوهم [هم] وأهاليهم من عنده، وليس لأحد من العسكرية فرس يملكه ولا يرتبطه، ولا عدة من سلاح ولا غيرها، بل الخيل في إسطبلاته، والسلاح في خزائنه، فإذا عنّ له أمر دفع من الخيل والسلاح ما يحتاجون إليه، ومن سيرته قتل من انهزم من عسكره ولا سبيل إلى حياته، وقتل من شرب المسكر، ومن سمع الغناء، ومن زنى، وقتل من تأخر عن صلاة الجماعة، أو عن مجلس وعظه في يومى الخميس والاثنين، وقتل من تأخر فيهما عن زيارة قبر أبيه، هذه رسومه فى العسكرية^(١).

ولم يزل أمره على ذلك حتى اتصل خبره بالسلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، واتصل به أن عبد النبي يزعم أن دولته تطبق الأرض، وأن ملكه يسير مسير الشمس، فجهز أخاه الملك المعظم فخر الدين^(٢) فى شهر رجب سنة تسع وستين وخمسائة، وملك زييد، وأسر عبد النبي، وقتله على ما نذكره - إن شاء الله تعالى - فى أخبار الدولة الأيوبية.

/ (١٢٦) ذكر أخبار ملوك الدولة الأيوبية باليمن

قد ذكرنا أخبار الدولة الأيوبية بالديار المصرية والشام وبلاد الشرق، فيما تقدم من كتابنا، وأتينا على أخبار ملوكها ملكا ملكا، وأشرنا إلى نبذٍ يسيرة من أخبار ملوكهم باليمن، ونحن الآن نذكر أخبار ملوكهم ببلاد اليمن بما هو أبسط مما تقدم، لتكون أخبار اليمن سياقة يتلو بعضها بعضا.

كان من خبر دولتهم باليمن أن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب لما ملك الديار المصرية، وأزال الدولة العبّيدية كان من جملة من اتصل بخدمته عمارة اليمنى الشاعر، فذكر له أخبار اليمن قال:

(١) عبارة عمارة فى هذا الموضع هى : « وهذه الرسوم إنما هى على العسكرية، وأما الرعايا فالأمر فيهم ألطف من العسكرية، وقد بلغنى فى هذا الوقت (٥٦٣هـ) أن الأمر قد هان عما كان عليه... » (مختصر المفيد فى أخبار زييد ص ١٢١).

(٢) فخر الدين: « هو الملك المعظم تورانشاه بن أيوب خرج إليها وفى صحبتته خمسة من آل رسول كانوا يقيمون فى مصر، وكانوا موصوفين بالشجاعة والقوة وهم: على بن رسول، وبنوه: الحسن وعمر وأبو بكر، وموسى. (الخزرجى: العقود اللؤلؤة ٢٨/١).

/ (١٢٧) [في^(١) سنة تسع وستين وخمسمائة، توجه إلى مكة شرفها الله تعالى، ومنها إلى مدينة زبيد، فلما شاهده أهلها انهزموا عن الأسوار إلى المدينة، فلما انتهى العسكر إلى السور وجده خالياً، فنصب عليه السلايم، وصعدوا عليها إلى السور، فنال البلد عتوة، وذلك في يوم الاثنين التاسع من شوال من السنة، وأسر عبد النبي بن علي مهدي، فسلمه الملك المعظم إلى الأمير سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ، وأمره أن يستخرج منه الأموال، فاستخرج منه شيئاً كثيراً، وأظهر دفائن كانت له، ودلّتهم الحرّة على ودائع لها كثيرة. ومات عبد النبي في أسره، وقيل شنقه، وخطب من بعده لأخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف.

ثم سار من زبيد إلى ثغر عدن، وصاحبها يومئذ بلال بن جرير^(٢) المحمدي. نائب آل زريع بها، فخرج إليه وقاتله، فانهزم هو ومن معه، فسبقهم عسكر المعظم إلى الثغر، فدخلوه، وأسر صاحبه، وقصد العسكر نهب البلد، فمنعهم الملك المعظم، وقال: «ما جئنا لنخرب البلاد، وإنما جئنا لنملكها ونعمرها»

ثم توجه من عدن إلى صنعاء في أول المحرم سنة سبعين وخمسمائة، فملكها، وبنى بها المبانى، ثم ملك الحصون والمعقل منها: قلعة تعز، وهي الدُمْلُوَّة^(٣)، ورتب النواب في بلاد اليمن: فرتب في زبيد سيف الدولة مبارك بن كامل بن منقذ، وبثغر عدن عز الدين عثمان الزنجيلي، وفي تعز ياقوت التغزي / (١٢٨) وفي ذي جَبَلَة مظفر الدين قايماز، ورتب في كل حصن نائباً، ولم يعجب الملك المعظم المقام باليمن، ففارقها وعاد إلى أخيه السلطان الملك الناصر إسماعيل إلى دمشق بعد أن ملكها الملك الناصر، وكان وصوله في سنة إحدى وسبعين^(٤) / (٤٠)

قال: ثم ادعى كل من النواب الملك لنفسه، وضرب سكة باسمه، وكان كل واحد لا يتعامل بسكة الآخر، فأما سيف الدولة [مبارك بن كامل] بن منقذ فإنه

(١) ما بين الحاصرتين سقط من «ك»، وقد أثبتناه من «أ» ص ١٢٧ و١٢٨.

(٢) لم يتضح في «أ» ص ١٢٧ وفي ابن المجاور (صفة بلاد اليمن ١/١٢٦) «ياسر بن بلال بن حرير المحمدي مولى الداعي محمد بن أبي المسعود بن زريع».

(٣) الضبط من مرادد الاطلاع ٥٣٤/٢، ودرج الخزرجي في (العقود اللؤلؤية) على كتابتها بالهمزة بدلاً من الواو.

(٤) آخر ما سقط من نسخة «ك».

مرض، وكره المُقام باليمن، فعاد إلى الملك الناصر، واستناب أخاه خطاب^(١) ابن منقذ بزبيد، وأما مظفر الدين قايماز فإنه ضعف أمره ولم ينقذ بلده.

ولما علم الملك الناصر بفساد الحال، وما وقع باليمن، أرسل الأمير المقدم فارس الدين خطباً في البحر إلى فخر الدين عثمان الزنجيلي^(٢) بعدن، فلما وصل إليه قابله بالإجلال والتعظيم، واتفقا على المسير إلى خطاب بن منقذ، وسارا فلقيهما ياقوت التعزى وقايماز، فاصطلحوا وساروا جميعاً إلى خطاب^(١)، فلما سمع بذلك خطاب ارتفع إلى حصن قوارير، وأخلى زبيد، ودخل خطباً زبيد، وملكها في سنة أربع وسبعين وخمسمائة، وكان خطاب يغير في بعض الأوقات على أطراف زبيد، ثم مرض خطباً وأشرف على الموت، فراسل خطاباً سرا، وقال له: أنت أولى بالأمر من عثمان الزنجيلي^(٢)، فدخل خطاب^(١) زبيد مختفياً، وبلغ ذلك عثمان، فسار بجيشه إلى زبيد فخُذِل، ومات خطباً، واستمر خطاب^(١) / (١٢٩) بزبيد إلى سنة تسع وسبعين وخمسمائة.

ولما اتصل ذلك بالملك الناصر بعث أخاه الملك العزيز أبا الفوارس سيف الإسلام طُغْتَكِين بن أيوب، ومعه ألف فارس وخمسمائة جبلي، فتوجه في سنة تسع وسبعين [وخمسمائة]، ودخل مكة معتمراً في شهر رمضان، وبها صاحبها الشريف فليته بن مطاعن الهاشمي، فتلقاه الشريف، وخلع عليه الملك العزيز خلعة سنية قيمتها ألف دينار، وتوجه إلى اليمن قبل الحج، فوصل إلى زبيد في أواخر سنة تسع وسبعين [وخمسمائة]، فتلقاه خطاب، فخلع عليه الملك العزيز وعلى عسكره، ودخلا جميعاً زبيد، فأقام معه أياماً، واستأذنه خطاب في المسير إلى الشام، فأذن له، فأخرج جميع أثقاله وأمواله إلى ظاهر زبيد، فعند ذلك أمر سيف الإسلام بالقبض على خطاب، والاحتياط على أثقاله، وخُتِقَ بعد ليالٍ بحصن تعز، وأما ياقوت، فسلم إليه حصن تعز ومعشاه، وأما مظفر الدين قايماز فتغلب على جبلة ومخاليقها، وأرسل إليه من أخذه، وأما عثمان الزنجيلي^(٢) فعمر سفناً عظيمة وشحن فيها جميع ما يملكه من الصامت^(٣) والناطق، وتوجه إلى العراق.

(١) في ابن خلكان ٤٤٢/١، وزمابور ١٦٥/١ «حطان»

(٢) في ابن الجاور (صفة بلاد اليمن ١٢٧/١) «الزنجيلي».

(٣) الصامت من المال: الذهب والفضة، والناطق: الإبل والغنم (اللسان: ص م ت).

وملك سيف الإسلام اليمن كله وَعَرَهَ وَسَهْلَه، ودخل أماكن ما دخلها أحد قبله بالسيف، وجرت بينه وبين الإمام عبد الله بن حمزة عدة وقائع على صنعاء، وأقام خمس سنين وصنعاء ليست في ملكه.

وفي سنة خمس وثمانين استولى على حصن كوكبان / (١٣٠) ودان له ملك اليمن بكماله، وأزال ملك بنى حاتم من صنعاء، وسور زبيد سوراً جديداً، وسور^(١) صنعاء بعد أن أخرب سورها، ورمى النفط في دورها، واستمر في الملك إلى أن مات بالمنصورة بين الجند وجيلة في شوال سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وكان حسن السيرة، إذا تعرض له أحد وهو في موكبه وقف له، ولا ينصرف من مكانه حتى يكشف ظلامته، وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة، وكان قبل وفاته قد سلطن مملوكه « همام الدين أبو زبّا » وأرسله إلى البلاد العليا، ولما مات ملك بعده ولده.

الملك المُعزّ^(٢) فتح الدين أبو الفدا إسماعيل

وكان الملك المُعزّ هذا قبل وفاة والده قد غضب على أبيه وفارقه، وأراد اللحاق بأعمامه بالديار المصرية، فأدرّكته الرجال على النُجُب بوفاة والده، وهو على ساعد حَرَض^(٣) فجزّ شعره، ولبس السواد حزناً على أبيه، وعاد، وملك البلاد وقتل جماعة كثيرة من غلمان أبيه، ثم صعد إلى صنعاء فقبض على « همام الدين أبو زبّا »، وقتله، وذلك في المحرم سنة أربع وتسعين، وعاد إلى اليمن.

ثم أقام الإمام المنصور الدعوة في سنة أربع وتسعين، وانضم إليه جماعة من عسكر سيف الاسلام، فبلغ ذلك المُعزّ، فرجع من فوره إلى صنعاء، فوجد الإمام على الحقل^(٤) ومعه الأمير جكوا^(٥) في مائتي فارس، فلما تراءى

(١) في الجوافي (المقتطف ص ٧٥) أنه حين سور صنعاء أدخل فيها الجهة الغربية من السائلة إلى السبحة، وبنى داراً في البستان المعروف الآن ببستان السلطان.

(٢) في المقتطف ص ٧٦: العزيز وفي الخزرجي (العقود اللؤلؤية ٢٩/١) المعز.

(٣) حرض بفتح الحاء: بلد في أول اليمن من جهة مكة (مراسد الاطلاع ٣٩٢/١) وانظر بلوغ المرام ص ٤١.

(٤) الحقل، ويقال له حقل جهران: مخلاف باليمن، وقيل الحقل من بلاد خولان من نواحي صعدة (مراسد الاطلاع ٤١٥/١).

(٥) الضبط من: المقتطف ص ١١٧.

الجمعان انحاز أصحاب جَكُوا إلى المعز، وثبت جَكُوا، وقاتل إلى أن قتل وانهزم / (١٣١) الإمام، ودخل المعز صنعاء، وعاد منها إلى زيد، وبنى المدرسة المعروفة بالميلين، ثم داخلته الخيلاء في عقله، وادعى الخلافة، وانتمى إلى بني أمية، وتلقب بالإمام الهادي بنور الله المُعزّ لدين الله أمير المؤمنين، فكتب إليه أعمامُه ينكرون هذه الدعوى، ثم أخاف ممالك أبيه، فهرب منهم سُنُقَرُ الأتابك في طائفة كبيرة من الممالك، وبقي أكثر من معه من الأكراد.

ولما تفاحش أمره بدعوى الخلافة قتله الأكراد على باب زيد في سنة ثمان وتسعين، ونهب الأكراد زيد نهباً شنيعاً، وكانت ولايته ست سنين.

ولما مات أرجع الأتابك سُنُقَرُ حصون حَجَّة، فوصل إلى تهامة، فتلقيه الأكراد والعساكر، وجعلوه أتابكاً / للملك الناصر أيوب بن سيف الإسلام، وهو (٤١) يومئذ صغير، وقيل: إن الأكراد لم يمكنوا الأتابك من زيد، وكان للأتابك عدن، ومخلاف جعفر، ومخلاف تعز، وصنعاء وأعمالها، ونائبه فيها وفي حرب الإمام المنصور علم الدين وَرْد سار^(١)، ونزل الأتابك إلى تهامة، فقتل الأكراد قتلاً ذريعاً بقرية الزريّة^(٢)، وهزمهم إلى زيد، ودخلها الأتابك، وأمر بغلق مدرسة المعز، وأخرج الفقهاء الشافعية منها، وأخرج وقفها، وبنى مدرسة كبيرة بزيد تعرف الآن بمدرسة ابن دُحمان^(٣) وبنى بالدمْلُوة قناطر ومباني، واستقامت أحوال الأتابك إلى سنة ثمان وستمئة، فمات / (١٣٢) بحصن تعز، والأتابك هو والد بنت جورا^(٤).

(١) هكذا في «أ» ص ١٣١ و «ك»، وفي بلوغ المرام ص ٤٢ وفي ص ٤٠٠ «وردشار» وفي تاريخ اليمن ص ١٨٢ «وردسال» وفي المقتطف ص ١١٧ «وردسان».

(٢) في مراصد الاطلاع ٦٦٢/٢ وتاج العروس (٢٨٧/١) الزرائب - بلفظ الجمع - وفسرها فيهما بأنها بليدة في أول اليمن من ناحية زيد، وفي معجم البلدان والقبائل اليمنية ص ٢٩٠ «الزريّة: قرية من ناحية زيد».

(٣) في تاج العروس (٢٨٧/٨) أن اسمها الدحمانية، واشتهرت باسم العاصمة نسبة إلى نجم الدين عمر بن عاصم الكنانى، لأنه أول من درس فيها.

(٤) درج الخزرجى فى: العقود اللؤلؤية على تسميتها باسم «بنت حوزة» بالحاء المهملة وبالزاي مكان الراء.

واستقل الملك الناصر أيوب بالأمر، ووزر له غازي بن جبريل، وطلع إلى صنعاء في جيوش عظيمة، فلما استقر بها سمّه أستاذ داره غازي بن جبريل في المحرم سنة إحدى عشرة وستمائة، واستقل بالملك، وخطب له، وضربت السكة باسمه، فلما صار بالسَّحُول وثب عليه مماليك الملك الناصر فقتلوه، ورجع الإمام المنصور إلى صنعاء بعد أن كان الملك الناصر أخرجه منها.

ثم وصل سليمان بن موسى الحَمَزِي إلى ذمار بعسكر جرار، فمر على طريق بني حبيش، فغزا لَحْجاً، فأخذها، وأقام بالرَّعَارِع أياماً، وعاد فافتقر أهل اليمن إلى سلطان فوجدوا:

سليمان بن شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب^(١)

وكان قد تَجَرَّد وخرج في زى الصوفية، فوصل إلى اليمن، وأهله على هذه الحال، فملكوه عليهم، وأطلعوه حصن تعز، وذلك في أواخر سنة إحدى عشرة وستمائة، وتزوج بأم الملك الناصر، وكانت أموره ضعيفة.

ذكر ملك الملك المسعود صلاح الدين أئسر

وهو أقسيس بن السلطان الملك الكامل بن السلطان الملك العادل [أبويكر^(٢)] بن أيوب.

كان من خبر ملكه اليمن أنه لما اتصل خبر اليمن بالسلطان/ (١٣٣) الملك الكامل ناصر الدين محمد، وكان ينوب عن والده السلطان الملك العادل بالديار المصرية، جهز ابنه الملك المسعود المذكور إلى اليمن في سنة إحدى عشرة وستمائة، فرحل من بركة الجُبِّ ظاهر القاهرة في يوم الاثنين سابع عشر شهر رمضان، ومعه ألف فارس، ومن الجاندارية والرماة خمسمائة، فتوجه إلى مكة شرفها الله تعالى، وحج، ثم توجه إلى اليمن، فكان دخوله إلى زيد في مستهل المحرم سنة اثنتى عشرة وستمائة، فملكها من غير قتال، وندب قطعة

(١) في الخزرجي (العقود ٣٠/١) سليمان بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب المعروف بالصوفي.

(٢) زيادة من الخزرجي (العقود ٣٠/١) وانظر مرآة الزمان (٥٦٩/٨ و ٦٥٨).

من العسكر لحصار تعز، وكان سليمان قد تحصن بها، ففتح الحصن فى ثالث صفر من السنة، وقبض على سليمان واعتقله، ثم جهزه إلى الديار المصرية هو وزوجته، وتزوج الملك المسعود بنت جوزا وشغف بها، وكانت صنعا فى يد الإمام المنصور، فخرج منها فى شهر ربيع، ودخلها الأتابك فُليت بطائفة من العسكر المسعودى فى مستهل جمادى الأولى، ونزل الإمام بموضع يسمى الليطة، وقامت الفتنة بينهما، وكانت بينهم وبين عز الدين محمد - ولد الإمام - وقائع كثيرة.

ثم مات الإمام بكوكبان فى المحرم سنة أربع عشرة وستمائة، فدفن ثم نقل إلى مشهده بظفار، وتوفى الأتابك فُليت بعده بصنعا فى شهر ربيع الأول من السنة.

ثم وقع الصلح بين الملك مسعود وبين عز الدين بن الإمام على تسليم كوكبان، فسلمه، ولحق عز الدين ببلاده، وتسلم الملك مسعود حصن برّاش^(١) صنعا فى جمادى الآخرة، وعاد إلى اليمن فى شهر رجب، / (١٣٤) وعاد إلى صنعا فى شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة، وعاد إلى اليمن فى شهر ربيع الآخر، ثم عاد إلى صنعا مرة ثالثة فى شهر رمضان من السنة، وعاد عنها، ورجع إليها مرة رابعة فى شهر رجب سنة سبع عشرة، فحط على حصن بُكر، وهو بيد عماد الدين يحيى بن حمزة، وبه من أولاد الإمام وأمّهات أولاده طائفة، فأقام عليه تسعة أشهر، وأنفق أموالا جليلة، فجمع عز الدين جموعا كثيرة، وقصد تهامة، فخالف عليه علم الدين سليمان بن موسى الحمزوى^(٢)، ووصل إلى محطة بُكر، فتلقاه الملك المسعود وأكرمه، وأعطاه العطايا الجليلة، وجهاز معه جيشا لحرب عز الدين، فكانت بينهما حروب عظيمة، وتسلم الملك المسعود حصن بُكر فى شهر ربيع الأول سنة ثمانى عشرة وستمائة، وسار إلى مكة لقتال الشريف حسن بن قتادة، فدخلها بالسيف فى شهر ربيع الأول سنة تسع عشرة، وعاد إلى اليمن، ثم فارق تعز فى شهر رمضان سنة عشرين وستمائة، وتوجه إلى الديار المصرية [لخدمة والده السلطان^(٣) الملك] الكامل،

(١) فى «ك» براس - بالسين - وما أثبتناه من «أ» ص ١٣٣ وفى مرصد الاطلاع (١٧٤/١) برّاش: حصن على جبل نغم مظل على مدينة صنعا.

(٢) كذا فى الأصل، وقياسى الحمزى.

(٣) ما بين الحاصرتين من «أ» ص ١٣٤ وعبارة «ك» فى هذا الموضع «لخلافة والده الكامل».

(٤٢) واستناب باليمن الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، وهو أتابك عسكره، ووصل إلى / الديار المصرية في سنة إحدى وعشرين وستمائة كما ذكرنا، ولما فارق اليمن أقام مُرغم^(١) الصوفي فتنةً في الحقل وبلاد زبيد، فسار إليه عسكر من جهة الأمير نور الدين النائب، عليه راشد بن مظفر بن الهرش، فهزمهم مُرغم، وقتل راشد، وذلك في سنة / (١٣٥) اثنتين وعشرين، وكانت وقعة [عُصْر^(٢)] بين الأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول، وهو مُقْطَع صنعاء وأعمالها، وبين عز الدين بن الإمام بعد العصر في يوم الأربعاء السادس والعشرين من شهر رجب سنة ثلاث وعشرين.

ثم عاد الملك المسعود من الديار المصرية في سنة أربع وعشرين وستمائة، وقبض على بدر الدين حسن بن علي بن رسول وإخوته في سنة ست وعشرين، وسيرهم مُقيدين إلى مصر، ثم توجه إلى الديار المصرية في سنة ست وعشرين، واستناب نور الدين عمر بن علي بن رسول، فمات الملك بمكة شرفها الله تعالى في ثالث^(٣) عشر جمادى الأولى من السنة، كما ذكرنا في أخبار والده الملك الكامل. ثم كانت الدولة الرسولية.

ذكر أخبار الدولة الرسولية ببلاد اليمن

أول من ملك منهم الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول^(٤) بن هارون بن أبي الفتح بن نوح^(٥) من ولد جبلة بن الأيهم كما زعموا، وذلك أنه كان ينوب عن الملك المسعود، كما ذكرنا، فلما مات بمكة استولى على زبيد والأعمال التهامية في سنة ست وعشرين وستمائة، وتلقب بالملك المنصور،

(١) في الخزرجي (العقود ٣٣/١ و ٣٤) يزعم، وذكر من خبره أنه قام في الحقل وبلاد زبيد، وجبل مسلم المسمى سحر، فدعا لنفسه، وأخبرهم أنه داع لإمام حق فانضاف إليه من الناس جم غفيرة.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من الخزرجي (العقود ٣٤/١).

(٣) في العقود اللؤلؤية (٤٢/١) روايات كثيرة في تاريخ وفاة المسعود، وأقربها إلى رواية المؤلف هو يوم الاثنين ١٤ من جمادى الآخرة سنة ٦٢٦.

(٤) في (طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب) ٢٤ «علي بن الرسول» والرسول اسمه محمد بن هارون.

(٥) في المرجع السابق ص ٨٨ لم يرد اسم نوح أو نوحى في سلسلة نسبه، وفي بلوغ المرام ص ٤٤ «... بن نوح بن رستم».

وتزوج زوجة الملك المسعود، وهى بنت جوزا، وأقام بزييد حتى قرر قواعدها، وسار منها إلى حصن تَعَزْ / (١٣٦) وتسلم التَّعَكُّرُ فى سنة سبع وعشرين، ثم استولى فى السنة على الأعمال الصنعانية. فأقطعها ابن أخيه الأمير أسد الدين محمد بن بدر الدين، وتسلم حصنى بيت عز وحَبَّ فى سنة ثمان وعشرين وستمئة.

وفىها طلع إلى صنعاء، وحصل الصلح بينه وبين الأمير شمس الدين بن الإمام، وعمه عماد الدين يحيى بن حمزة، وعقدوا صلحا عاما بينهم، وطلع المنصور صنعاء مرة أخرى فى سنة تسع وعشرين، وتسلم حصنى بُكْر وكوكبان، وحصن براش^(١)، واستولى على بلد علوان [بن عبد الله بن سعيد^(٢)] الجُحْدَرى وحصونه فى سنة ثلاثين، وتسلم حصون حَجَّة والمخلافة، ومخلافيهما فى سنة أربع وثلاثين، وهى من حصون الإمام، ثم أعادهما عليه، وتم الصلح بينهما، ثم طلع المنصور مرة ثالثة إلى صنعاء فى سنة سبع وثلاثين، وتسلم حصن الكميم، وأتاه وهو بصنعاء خبر مقتل نجم الدين بن أبى زكرى^(٣) بحضرموت، وتسلم جبل حُفَاش، وهو من معاقل اليمن المشهورة فى سنة إحدى وأربعين، واستولى على جبال العوادر وحصونهم فى سنة خمس وأربعين، وكانت بينه وبين الإمام أحمد بن الحسين القاسمى الحسنى^(٤) فى سنة ست وأربعين حروب وعاد إلى صنعاء فى شهر رمضان سنة ست وأربعين، ورجع منها فى شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين، فلما استقر بمستقر ملكه، ونزل قصر الجند، وثَبَّتْ عليه جماعة من مماليكه فقتلوه وذلك فى / (١٣٧) سنة سبع وأربعين وستمئة باتفاق من أسد الدين محمد، وفخر الدين أبى بكر ولدى أخيه بدر الدين حسن، وكان سبب ذلك أن أسد الدين استشعر من عمه [أنه يقصد أخذ صنعاء^(٥)] منه، ويقطعها لابنه الملك المظفر يوسف، فكره ذلك، وباطن مماليك عمه ووعدهم، وحسُنْ لهم قتله، فقتلوه، وكان ملكا حازما كريما سريع النهضة حسن السياسة.

(١) ضبطه فى تاج العروس (مادة ب ر ش) بفتح الباء، وعبارته براش (كسحاب) وبريش (كزير) حصنان من حصون صنعاء اليمن. وفى ياقوت (معجم البلدان ٩٨/٢) بكسر الباء، قال وهو حصن على جبل تقم مطل على صنعاء.

(٢) الزيادة من الخزرجى (العقود ٧٣/١، ٩٤) وانظر فهرس أعلام العقود للؤلؤة.

(٣) فى المصدر السابق (٦٤/١) نجم الدين أحمد بن أبى زكرى.

(٤) كان الزيدية قد أقاموه فى «ثلا» إماماً عليهم فى شهر صفر من السنة (العقود للؤلؤة ٧٥/١).

(٥) ما بين الحاصرتين من «أ» ص ١٣٧، وفى «ك» «استشعر عمه أن يأخذ صنعاء منه».

ومن جملة سياسته ودهائه أنه لما ملك اليمن، جهّز الملك الكامل إليه أسد الدين جفريل وصحبته ألفى فارس، فلما اتصل به ذلك كتب أجوبة عن كتب الأمراء الذين كانوا مع الأسد جفريل، وتَحَيَّل في وصولها إلى الأسد جفريل، فلما ظفر بها وقرأها ظن أنها حقيقة، وأن العسكر قد فسدت نياتهم، فرجع بالعسكر قبل وصوله إلى مكة، والتحق بالمنصور من العسكر الكاملى من أمراء الطبلخانة ابن برطاس وفيروز^(١).

وملك بعد المنصور ولده الملك :

المُظَفَّر أبو المنصور شمس الدين يوسف

وهو الثانى من ملوكهم، وذلك أنه لما قُتل والده كان الملك المظفر بإقطاعه بالمهْجَم، وكانت المماليك المنصورية لما قتلوا الملك المنصور بالجند أقاموا الأمير فخر الدين أبا بكر بن بدر الدين حسن بن على، ولقبوه بالملك المعظم، وساروا به نحو تهامة، وكانت الشمسية ابنة الملك المنصور بزيد (١٣٨) / (٤٣) وزمام دارها / الطواشى تاج الدين بدر الصغير فى السجن، فحين بلغها قتل والدها أخرجت الخادم، واستولت على المدينة، وحفظتها، فجاء فخر الدين والمماليك، فوجد المدينة قد حفظت، فنزل على باب المجرى.

أما الملك المظفر فإنه لما بلغه قتل والده سار من المهْجَم بمن معه، وكان كلما مر يقوم من العرب استصحبهم معه، فارسهم وراجلهم، حتى نزل بالأقواز، فراسل ممالك والده ووعدهم، وكان من جملة رسالته لهم: «لا تجمعوا علينا بين قتل أبينا وخروج الملك^(٢) منا» فأجابوه، ودخلوا على فخر المعظم وهو فى خيمته، فكتفوه بطنب من أطناب الخيمة، وساروا بأجمعهم إلى ابن مولاهم الملك المظفر يوسف، فقبض على فخر الدين، ودخل زبيد فى موكب عظيم، واستولى عليها وعلى الأعمال التهامية، ثم سار فى سنة ثمان وأربعين إلى عَدَن فاستولى عليها وعلى لَحْج وأَبْيَنَ فى صفر من السنة، وطلع الجبال، فاستولى

(١) مبارز الدين على بن الحسين بن برطاس، وفيروز من ذريته الأمراء بنو فيروز أصحاب «إب» وانظر الخزرجى (العقود ٦٨/١ و ٦٩).

(٢) فى الخزرجى (العقود ٩١/١) «وأخرج الملك من أيدينا».

على بلد المَعافِر وحصونها في الشهر أيضا، وخطَّ على تعز، وبه الخدام^(١) والأمير علم الدين سنجر الشعبي في ربيع الأول، وتسَلَّمه في جمادى الأولى، وتسَلَّم حصن حَبَّ^(٢)، وطلع صنعاء في ذي الحجة آخر السنة.

وكان الأمير شمس الدين بن الإمام اتفق هو والإمام أحمد بن الحسين وقصدا أسد الدين بصنعاء فأخرجاه منها إلى حصن براش، وقابلته عساكر الأشراف بالمدْرَج، فكانت هناك وقائع مشهورة، فلما قرب السلطان من صنعاء، خرج منها / (١٣٩) الإمام إلى سناع، وترك الحسن بن وهاس الحمزي^١ رتيبه في صفوة^(٣) [فقصده الأمير أسد الدين بعساكر المظفر فأسره وطائفة من أصحابه، وعاد الملك المظفر إلى اليمن فاستولى على حصن التَّعْكُر سنة تسع [وأربعين وستمائة^(٤)] ووصل الأمير بدر الدين حسن بن علي بن رسول من الديار المصرية في سلخ المحرم سنة تسع، فلقية إلى حيس، وقبض عليه، وحمله إلى حصن تعز، فأودعه دار الأدب، وبها ولده فخر الدين.

ثم اتفق الأمير أسد الدين هو والإمام أحمد بن الحسين في سنة خمسين، ودخل أسد الدين في طاعته، وباع عليه حصن براش صنعاء [بمائتي^(٥)] ألف درهم، وسيره بعساكره وعساكر من قبله عليهم الشريف هبة الله^(٦) بن الفضل العلوي إلى ذمار، واستولى الطواشي المظفري على حصن الدُمْلُوة وهو بيد بنت جوزا، وكانت فيه هي وولداها الفائز والمفضل، وخدامها، ومعها أربعمئة فارس، وكان الملك المظفر قد هادنها، ورهن ولده الأشراف عندها، ومعه مولاه الخادم ياقوت، وكان خادما حازما، فغافل أهل الحصن، ثم أمر من قال لها:

(١) عبارة الخزرجي في هذا الموضع: «وكان أمير الحصن يومئذ علم الدين الشعبي، والزمام أستاذ دار يقال له عنبر» (العقود ٩٤/١).

(٢) الضبط من ابن المجاور (صفة بلاد اليمن ٧٣/١) وفي الخزرجي (العقود ٩٥/١) أنه تسلمه في رجب ٦٤٨.

(٣) لم يتضح في «أ» و «ك» وما بين الحاصرتين من الخزرجي (العقود ٩٧/١) وعبارته في هذا الموضع قريبة من عبارة النويري هنا.

(٤) الزيادة من المصدر السابق، وكان ذلك في أول المحرم من السنة.

(٥) في «الأصل» (بثمانين) وما بين الحاصرتين من «أ» ص ١٣٩ لموافقته للخزرجي (١٠٠/١).

(٦) هكذا في «الأصل»، وفي «أ» ١٣٩ هبة بن الفضل، وفي الخزرجي (١٠٠/١) عز الدين هبة بن الفضل العلوي.

«إن البقرة الفلانية ولدت عجلاً برأسين بالجوة»، فنزلت لتنظر إلى ذلك ، فتسلم الحصن فى تاسع عشر ذى القعدة سنة خمسين، وأوقد النار بأعلاه، وكانت هذه إشارة بينه وبين مولاه الملك المظفر، فركب المظفر من فوره وطلع إلى الحصن، وسير الطواشى تاج الدين بدر إلى ذمار، ففر عنها أسد الدين وهبة بن الفضل، ثم عاد أسد الدين إلى طاعة/ (١٤٠) السلطان، فأكرمه السلطان، وأمده بالعساكر، فعاد إلى صنعاء، فخرج منها الإمام، وطلع الملك المظفر إلى صنعاء، ثم عاد فى شهر رجب سنة إحدى وخمسين وستمائة، واختلف الأمير شمس الدين الإمام وأصحابه، فاستنصروا بالمظفر، وأمر أسد الدين بمساعدتهم، فخرج إليهم إلى البيون^(١)، وتسلم المظفر حصن براقش والزاهر^(٢)، وسار شمس الدين وأسد الدين إلى صعدة إلى الإمام، فخرج منها وترك بها السيد الحسن بن وهاش، فدخلا عليه قهراً بالسيف فأسراه وعاد أسد الدين إلى صنعاء وشمس الدين إلى الظاهر، ثم اجتمعا وقصدا الإمام بالظرف من بلد ابن شاور، فالتقوا بحلم^(٣) فانكسر الإمام، وقتل من عسكره طائفة، وأسر شمس الدين أحمد بن يحيى بن حمزة، وكان بعسكره مع الإمام، وذلك فى شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين.

وجهز المظفر مبارز الدين بن برطاس إلى مكة فى شوال من السنة، فجرت الواقعة المشهورة بينه وبين الشريف ابن أبى نمى، وإدريس بن قتادة، فكانت الدائرة عليه، فانهزم، وقتل بعض عسكره، وأخذ ما كان معه.

قال: « ولما ضعف الأمير شمس الدين بن الإمام عن مناوأة الإمام أحمد بن الحسين قصد الملك المظفر بزييد، فأكرمه المظفر، وأعطاه أموالاً جزيلة، وأقطعه مدينة القحمة^(٤)، وذلك فى شوال سنة اثنتين وخمسين، فعاد/ (١٤١) وسكن بصنعاء.

(١) هكذا فى «أ» و«ك»، وفى الخزرجى «النوب» وانظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية ص ٦٦٧.
(٢) فى «ك» الراهن، وفى «أ» ١٤٠ «الزاهر» وفى الخزرجى (١٠٧/١) «فاستولوا على براقش ثم ساروا جميعاً فحطوا على الزهراء فأخذوه وأخربون» وقد أورد الخزرجى فى مواضع كثيرة اسم الزاهر من بين حصون اليمن.

(٣) فى «أ» و«ك»، حلکم. ولم أجده فى البلدان، والمثبت من: بهجة الزمن ص ١٤٩ تحقيق عبد الله الحبشى، وحلم: قريتان من عزلة الأشمور.

(٤) القحمة: بلد قرب زييد، وهى قصبة وادى ذوال بينها وبين زييد يوم واحد من ناحية مكة.

ثم اختلف الزيدية على الإمام ، وطعنوا عليه فى شىء من سيرته ، وكان بينهم اختلاف وحروب ، قتل فيها الإمام أحمد بن الحسين ، ووقع الخلاف بين الملك المظفر وبين عمه أسد الدين ، فأخرجه من صنعاء ، فتوجه إلى ظفار .

ولما قتل الإمام أحمد بن الحسين طلع شمس الدين على بن يحيى ، فحط على الكُميم بعسكره المظفر ، فتسلم المظفر حصن أشيخ فى ذى الحجة سنة ست وخمسين ، وتسلم الكُميم وهذا^(١) فى سنة سبع ، وطلع نحو رداع ، فأخذ براش العرش^(٢) / بالسيف ، وأسر منه ولد أسد الدين فى جماعة كثيرة ، وقصد (٤٤) الملك المظفر صنعاء ودخلها فى المحرم سنة ثمان وخمسين ، وقد خرج منها أسد الدين ، فأقام المظفر بصنعاء أياما ، ورتب بها جيشا ، وعاد إلى اليمن ، فجمع أسد الدين جيشا ، وكانت له حروب مع عسكر صنعاء ، فجهز الملك المظفر الأمير علم الدين سنجر الشعبى إلى صنعاء ، فارتحل أسد الدين ، ولحق ببلاد الأشراف ، ولم تقم له بعد ذلك راية ، ثم حصل له ضرر شديد ، حتى باع ثيابه ، فاضطر إلى مكاتبة المظفر وكتب إليه :

« فإن كنت مأكولاً فكسن خير آكلٍ وإلا فأدركنى ولما أمزق^(٣) »

ثم سار إلى زبيد فى شوال سنة ثمان وخمسين ، فقبض عليه وعلى شمس الدين بن على بن يحيى وأرسلهما إلى تعز ، واجتمع أسد الدين بها بابنه وأخيه فى حبس المظفر ، وكان أسد الدين فى حبسه إلى أن / (١٤٢) مات فى ثالث عشر ذى الحجة سنة سبع وسبعين وستمائة .

وفى سنة تسع وخمسين فى رجب تسلم الملك المظفر حصن براش صنعاء من الشريف أحمد بن محمد وعوضه عنه بالمصنعة^(٤) وعزان ببلاد حمير ، وبمال أعطاه إياه ، ثم استعادهما فى سنة أربع وستين ، وعوضه حصن اللحام^(٥) ومال .

(١) الضبط من تاج العروس مادة (ه د د) والكُميم : « لم أجده فى البلدان ، وفى تاج العروس كم - كسر - موضع .

(٢) لم ترد هذه الإضافة فى الخزرجى (١٢٧/١) والذى فيه أنه طلع إلى مخلاف ذمار فأخذ براش قهرا .

(٣) البيت للممزق العبدى ، وبه لُقّب .

(٤) فى « أ » ص ١٤٢ و « ك » عنوان ، والذى أثبتناه من الخزرجى (١٣٣/١) وعبارته « ثم تسلم براش فى رجب من الشريف أحمد بن محمد العلوى وعوضه عنه المصنعة وعزان من بلاد حمير » . وفى ياقوت : بيت عزان ، من حصون اليمن .

(٥) فى « أ » و « ك » (بالحدم) وما أثبتناه من الخزرجى حيث ورد ذكره فى هذا الخبر .

وفى شوال سنة تسع وخمسين طلع الأمير علم الدين سَنَجَر الشَّعْبِي إلى صنعاء مُقْطَعاً لهما، وفيها فى شوال أيضاً توجه الملك المظفر لقصد الحج، فحج، وعاد فى صفر سنة ستين.

وفى سنة إحدى وستين وستمئة تسلم المظفر حصن الجاهلى ^(١) وَحَجَّه وسَراة من الشريف أحمد بن قاسم القاسمى بمال.

وفى سنة اثنين وستين تسلم حصن مُدَع من بنى وهيب، وعوضهم حصن بيت أنعم ودراهم اشترطوها، وفيها دخلت عساكره صعدة.

وفى سنة ثلاث وستين قبض على محمد بن ^(٢) الوشاح الشهابى، وقبض على حصون بيت بُرام وصوايب، وفيها فى شعبان تسلم حصن ذى مَرْمَر ^(٣) وبعده الفص الكبير، وفى جمادى الآخرة سنة أربع وستين تسلم الشعبى حصن ونعان ^(٤) وهو للأمير شجاع الدين يحيى بن الحسن.

وفىها تسلم المظفر حصن الفَصّ الصغير، وفيها تسلم حصن بيت ردم وحصن اللحام بالابتياح من الأشراف أولاد سليمان بن موسى.

وفىها توجه بَكْتُمَر الغلاب ^(٥) بعسكر المظفر لعمارة الزاهر فى / (١٤٣) الجوف فقصدته الأشراف الحمزيون، فقتلوه فى بعض عسكره، وانحاز من سلم إلى براش. وفيها تسلم الملك المظفر حصن مَبِين بِحَجَّة وتسلم الموقر وحصونه والمخلاة من الشريف أحمد بن قاسم القاسمى، وأعطاه مالا جزيلا.

وفى المحرم سنة ست وستين تسلم حصن العرايس وبلادها من علوان الجُحْدُرَى.

(١) لم يورد الخزرجى فى هذا الخبر ذكراً لغير حصن الجاهلى، وذكر أن المظفر اشتراه من الشريف أحمد بن قاسم القاسمى فى ربيع الأول من السنة.

(٢) فى «أ» ص ١٤٢ و «ك» (الوساج) وفى الخزرجى (١٤٦/١) الوشاح - بشين مشددة وحاء - مكان الجيم.

(٣) يرد فى الخزرجى، ومراسد الاطلاع ٥٨٧/٢ «ذمرمر» بدون ياء بعد الذال.

(٤) فى «أ» ١٤٢ (ديغان) وفى «ك» (ونعان) ولم أجدها فى البلدان، وفى الخزرجى (العقود ١٥٣/١) أن الذى تسلمه الشعبى فى هذا التاريخ هو حصن «ردمان» وفى بهجة الزمن ص ١٥٤ (تحقيق عبد الله الحبشى): ديفان.

(٥) فى: بهجة الزمن ص ١٥٤ «الغلاب» بالقاف.

وفى سنة سبع وستين تسلم حصن براش صعدة من عز الدين [محمد]^(١)
ابن شمس الدين، وكان فى سجنه، ففدى نفسه به.

وفىها كان بين جيوش المظفر وبين الأشراف اختلاف وحروب استمرت
إلى سنة اثنتين وسبعين، ثم صالحهم واستقر كل منهم ببلده.

وفى سنة ثلاث وسبعين وستمئة كان باليمن قحط شديد، ومات خلق
كثير، وأكل من عاش الميتة.

وفى سنة أربع وسبعين توجه الأمير علم سنجر الشعبى إلى مخلاف ذمار
لقبض الحقوق، وترك الأسدية بصنعاء مع ابن الغلاب، ومعه منهم رجل، فوقع
بينه وبين مملوكه المعروف بالداوى خصومة على شراب، فقتله الداوى، فلما
بلغ ذلك الأسدية استولوا على صنعاء، وقبضوا ما وجدوه للشعبى، وذلك فى
الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر، وكاتبوا الأشراف بالوصول إليهم، فوصل
إليهم الشريف على بن عبد الله يوم السبت التاسع والعشرين بسبعة آلاف
رجل، فسكن القصر، وجاء الإمام والأمير صارم الدين داود^(٢)، وعز الدين،
وسار الأشراف فى خامس جمادى الأولى، فأقاموا بصنعاء إلى نصف
الشهر،/(١٤٤) وخرجوا متوجهين نحو ذمار لقصد الشعبى، وظنوا أن الملك
المظفر لا يبادر بالحضور، فلما وصلوا جهّز أتاهاهم الخبر بطلوعه، فهموا
بالرجوع واستقبحوه، فأنحازوا إلى أقق، وسار إليهم المظفر، والتقوا فى يوم
الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى، فانهزم الأشراف بعد قتال يسير وكان الإمام
منحازا فى الحصن، فقبضت عليه العساكر، وأحضِر إلى المظفر، فأكرمه
وأنسه وأركبه بغلة، وكان يسايره حتى دخل حصن^(٣) تعز، ودعا الإمام المظفر
إلى نفسه.

ثم كانت بين الأشراف وبين الأمير علم الدين الشعبى حروب، وانتصر
عليهم فيها، فصالحوه على تسليم الحصون الحضرية، وتسليم ردّمان، وعلى
خروج من فيها من الأشراف.

(١) الزيادة من الخزرجى (١/١٧٠).

(٢) أورد الخزرجى هذا الخبر مفصلاً فى العقود اللؤلؤة (١/١٩٠ وما بعدها).

(٣) فى الخزرجى (١/١٩٠ وما بعدها) أن السلطان بعد أن أدخله حصن تعز أودعه فيه دار الأدب، وأمر
بإكرامه فلم يزل بها إلى أن توفى.

ذكر استيلاء المظفر على ظفار وحضرموت ومدينة شبام

كان سبب ذلك أن شوانى^(١) [سالم^(٢)] بن إدريس الحبوظي أغارت على ثغر عدن، فعظم ذلك على المظفر، ونزل إلى ثغر عدن، وجهز الجيوش في البر والبحر، وسارت ثلاث قطع: قطعة في البحر، وهم معظم الرجالة ومعهم الأزواد، وقطعة / فيها أربعمائة فارس مع شمس الدين أزدَمَر المظفرى استاذ الدار (٤٥) وطريقهم على الساحل معارضين لسفنهم، والقطعة الثالثة فيها الشيخان عبد الله بن عمرو^(٣) الجند، وشهوان بن منصور العبيدى وهم مائتا فارس من فرسان العرب / (١٤٥) وطريقهم حضر موت، فالتقت العساكر الثلاثة قريبا من ظفار، وقصدوا سالماً، فلما قاربوا المدينة خرج إليهم سالم، وصَفُّ لهم، والتقوا، فأجَلَّت المعركة عن قتله في جماعة كثيرة من عسكره، وذلك في يوم السبت السابع والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وسبعين [وستمائة]، ودخلت أعلام المظفر المدينة في الثامن والعشرين، ودخل شمس الدين أزدَمَر والعساكر في سلخ الشهر، وخطب للمظفر بها، ورتب بها أزدَمَر سُنقر البرنجلى^(٤)، والخادم التوزيرى^(٥)، وعاد إلى اليمن، وتسلم حضرموت ومدينة شبام، واستعاد المظفر حصن كوكبان من الحواليين بحصن ردْمان، ومالٍ يسير، وذلك في شهر ربيع الأول سنة تسع^(٥) وستين [وستمائة].

وفى سنة اثنتين وثمانين وستمائة في الثامن عشر من شهر ربيع الآخر سقط القصر بصنعاء على مُقْطَعِها الأمير علم الدين سَنَجَر الشعبى، فمات ومات معه تحت الهدم الأمير على بن حاتم وصهره محمد بن الجحافى^(٦) وجماعة من مماليكه وكتابه، وأقطع الملك المظفر صنعاء لولده الملك الواصل

(١) الشوانى: جمع الشونة وهى المركب المعد للجهاد فى البحر، قال فى (تاج العروس) مادة (ش و ن) وهى لغة مصرية.

(٢) زيادة من «أ» ص ١٤٤ والخزرجى (٢٠٧/١).

(٣) فى الخزرجى (٢٠٩/١) بدر الدين عبد الله بن عمرو بن الجنيد، وفى ص ٢١٠: «... بن الجند» ولم يرد فى هذا الخبر ذكر لشهوان بن منصور العبيدى المذكور هنا.

(٤) فى المصدر السابق (٢١٣/١) «سيف الدين سنقر الترنجلى» و«حسام الدين لؤلؤ التوريزى» والتوريزى نسبة إلى توريز = تبريز.

(٥) كذا فى «أ» و «ك»، وصوابه سنة تسع وسبعين كما فى الخزرجى ٢١٨/١.

(٦) فى ك تقرأ الحمامى، وفى أ ص ١٤٥ الحمامى من غير نقط، وفى الخزرجى ٢٢٨/١ وكان فىمن سقط عليهم القصر صهره محمد بن يزيد، والمثبت من: بهجة الزمن ص ١٦٢ (تحقيق الحبشى).

نور الدين إبراهيم، فطلع إليها، ودخلها في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثمانين، وتسلم حصن براش صنعاء، وقبض على الأمير سيف الدين بكبان الدوادار العلمي، واستمرت صنعاء في إقطاع الوثائق إلى أن أخرجها الملك المظفر عنه لولده الملك الأشرف في سنة ست وثمانين وستمئة، ثم أقطعها هي وأعمالها لولده الملك / (١٤٦) المؤيد هزبر الدين داود في سنة سبع وثمانين فدخلها في رابع عشر ذي القعدة.

وفي صفر سنة تسع وثمانين توفي الأمير صارم الدين داود بن الإمام، وكانت له فيما تقدم حروب وخلاف وطاعة للملك المظفر يطول بذكرها الشرح، وقام مقامه بعده ابن أخيه الأمير همام الدين سليمان بن القاسم، ومملك حصون ظفار، فقبض تكمص^(١) صعدة.

وكان سبب استيلائه على ذلك أن الملك المظفر نزل إلى زيد ليختن أولاد أولاده، ونزل بسبب ذلك الملك المؤيد، والشريف على بن عبد الله، والأمير نجم الدين موسى بن أحمد بن الإمام، فخلت تلك النواحي منهم، فاستولى على ذلك، وكان بسبب ذلك حرب بين المؤيد والأشراف، انتصر فيها المؤيد، واستولى على تنعم^(٢) في سنة تسعين وستمئة، وأخربها وعاد إلى صنعاء وأقطع الملك المظفر ولده الملك الوثائق ظفار الحبوظي^(٣)، فركب البحر من عدن في سنة اثنتين وتسعين وستمئة.

وفي السنة المذكورة خالف الأشراف، واجتمعت كلمتهم على الخلاف، وكان بينهم وبين المؤيد بصنعاء حرب إلى سنة أربع وتسعين. فنزل المؤيد من صنعاء إلى اليمن، وطلع الملك الأشرف إلى صنعاء للصلح، ودخل إليه الشريف على بن عبد الله، وانعقد الصلح العام، وذلك أول المحرم من السنة،

ثم نزل الملك الأشرف من صنعاء إلى اليمن، فقلده والده الملك المظفر المملكة بإقليم اليمن جميعه، وأسكنه حصن تعز، وأقام هو بثعبات^(٤)، وتوجه

(١) في ك تلمض، وفي أ ص ١٤٦ نلمص غير منقوط والضبط من (مراسد الاطلاع) ٢٧٣/١.

(٢) تنعم: قرية من أعمال صنعاء (مراسد الاطلاع) ٢٧٧/١.

(٣) نسبة إلى آل الحبوظي وظفار هذه واقعة بين عمان وحضرموت وميناؤها على البحر مرباط، ويوردها الخزرجي في العقود اللؤلؤية باسم ظفار الحبوظي، وانظر المقتطف ص ١١ و ٧٨.

(٤) في الأصل غير منقوط، وكذلك في «أ» ص ١٤٦ والضبط والنقط من الخزرجي ٢٧٥/١.

الملك المؤيد/ (١٤٧) إلى جهة المشرق - الشَّحْر وَحَضْرَمَوْت - وفي نفسه ما فيها من تخصيص الأشرف بالأمر، وسارت معه عمته الشمسية.

ذكر وفاة الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر، وملك ولده الأشرف

كانت وفاته آخر نهار الثلاثاء ثالث عشر شهر رمضان سنة أربع وتسعين وستمائة^(١) وهو ابن أربع وسبعين سنة وثمانية أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات تقريبا، ومدة ملكه ستة وأربعون سنة وعشرة أشهر وأحد عشر يوما، وكان ملكا جوادا كريما كثير البذل للأموال في الحروب خاصة، حسن السياسة، وكان له من الأولاد خمسة، هم: الملك الأشرف مُمَهَّد الدين عمر، والملك المُؤَيَّد هَزَبْرُ الدين داود، والملك الواثق نور الدين إبراهيم، والملك المسعود تاج الدين حسن، والملك المنصور زَنْدُ الدين أيوب، ولما مات ملك بعده ولده.

الملك الأشرف مُمَهَّد الدين عمر

ولما اتصل خبر ملكه بأخيه الملك المُؤَيَّد أقبل من الشَّحْر لطلب الملك، ولما قرب من اليمن وصل إليه كتاب من أخيه الملك المنصور يحذره التقدم إلى جهة اليمن، وعرض عليه حصن السَّمْدَان، وكان بيد المنصور، ولم يقع بينه وبين أخيه الأشرف اتفاق، فمال إلى المؤيد، ثم وصله كتاب الوزير^(٢) موفق الدين علي بن محمد يخبره أن الملك/ (١٤٨) الأشرف / أرسل إليه نفرين من الفداوية، وأوصاه أن يحترز على نفسه، فعند ذلك جهز حريمه وأثقاله إلى السَّمْدَان، وتوجهه إلى عدن، فاستولى عليها في مدة ثلاثة عشر يوما، وكان النائب بشغر عَدَن الأمير سيف الدين بن برطاس.

ولما اتصل الخبر بالملك الأشرف جهز ولده الملك الناصر جلال الدين في ثلاثمائة فارس، وألحقه بجيوش صنعاء منهم الأمير الشريف جمال الدين علي

(١) أورد الخزرجي (العقود ٢٧٥/١) خبر وفاة المظفر وعبارته متفقة مع ما أورده النويري هنا.

(٢) في الخزرجي (العقود ٢٨٤/١) القاضي موفق الدين علي بن محمد اليعقوبي.

بن عبد الله الحمزى، وولدا أزدمر: نجم الدين وبدر الدين، ومع المؤيد ولداه المظفر والظافر، وعسكره الذى وصل معه من الشحر، وجماعة من الجحافل مقدمهم عمر بن سهل، فالتقوا فيما بين تعز وعدن بمكان يسمى الدُعيس^(١). وذلك فى آخر المحرم سنة خمس وتسعين، فحمل المؤيد على جيش الأشرف، فضعضعه، ثم خذله الجحافل، وتفرقوا عنه، وبقي فى نفر يسير، فتقدم إليه الملك الناصر جلال الدين بن الملك الأشرف، وألان له القول، وأشار عليه فى الدخول فى الطاعة، وحذره عاقبة المخالفة، فمال إلى ذلك، ورجع إلى الطاعة، فأراد الناصر أن يتوجه به إلى والده على حالته، فامتنع الشريف جمال الدين على بن عبد الله [الحمزى^(٢)]: وقال: أمر هذا الجيش إلى وقيد المؤيد، وحمله إلى الملك الأشرف، ووصل إليه وهو بالجوة، وهو تحت حصن الدُمَّلوة، فنقله إلى الحصن، واعتقله ببعض القاعات، فاستمر فى الاعتقال إلى أن مات الملك الأشرف، وكانت وفاته لسبع خلون^(٣) من المحرم سنة ست وتسعين وستمائة والله أعلم.

(١٤٩) / ذكر ملك الملك المؤيد هزبر الدين داود

[وهو] ابن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول.

ملك فى ليلة وفاة أخيه الملك الأشرف لسبع خلون من المحرم سنة ست وتسعين وستمائة، وذلك أنه لما مات الأشرف كان ولداه: الملك الناصر^(٤) بالقحمة، والملك العادل صلاح الدين بصنعاء، فنهضت عمته الشمسية فى أمره، واستمالت الخدّام ومن بالحصن، فامتثلوا أمرها، وحضر الخدام إلى الملك فظن أنهم يقصدون قتله، فأخبروه بوفاة أخيه الملك الأشرف، وأخرجوه من

(١) لم أجده فى كتب البلدان وأورده الخزرجى فى: (العقود) فى مواضع من الجزء الأول (٣٠١ و ٣٠٤ و ٣٣٠ و ٣٣٩) محرفاً إلى الدعيس، والدعيس، وصوبه ناشره فى فهرس العقود اللؤلؤية (٤٥٢/٢) الدعيس.

(٢) الزيادة من الخزرجى ٢٨٩/١

(٣) فى المصدر السابق (٢٩٧/١) لسبع يقين من المحرم.

(٤) فى الأصل بالمقحمة، وما هنا من أ ص ١٤٩، وياقوت (معجم البلدان ٣٤/٧).

الدار التي هو معتقل بها إلى دار السلطنة، فلما شاهد أخاه ميتا سكن روعه عند ذلك، وأصبح الحراس، فأعلنوا بالترحُّم على الملك الأشرف، والدعاء والصياح للملك المؤيد، وكانت حاشية الملك المؤيد قد تفرَّقوا، فأعلن المنادى من رأس الحصن بجمعهم من تلك الليلة، فاجتمعوا من خادم ومملوك، وغلّام، وحُمِلوا في المكاتِل والحبال، فلما وثق بمن اجتمع له من حاشيته وغلّمانه أمر بفتح أبواب الحصن، فكان أول من صعد إلى الحصن، صاحب حسام الدين حسان بن محمد العمراني، وزير أخيه الملك الأشرف، فاجتمع بالمؤيد، وحلف له الأيمان المؤكدة، واستحلف له الأمراء والجند وأعيان الدولة، / (١٥٠) وأمر بتجهيز الملك الأشرف وأُخْرِج من الحصن في تابوته، وأمامه ولدا [المؤيد^(١)] المظفر والظافر، وأعيان الدولة، ودفن بمدرسته التي أنشأها بمُغْرِيَّة تَعَز، وأنشأ تاج الدين بن الموصل في ذلك اليوم الكتب عن المؤيد إلى بلاد التَّهَامِيم، وبلاد الجبال بأجمعها، وإلى جهة صنعاء والأشراف يُعَلِّمُهُم أمر سلطنة المؤيد، فدخل الناس في الطاعة، وأتته كتب الأشراف ورسُلها بالتهنئة بالملك، وعقد الصلح، وكانوا عقيب موت الأشرف استولوا على عدة حصون^(٢) وعلى صَعْدَة فوق الصلح، وأعيدت الحصون.

وكان حصن الدُمْلُوة بيد الطواشي «فاخر الأشرفي» قد ولاه إياه الملك الأشرف، ونقل إليه ذخائره التي كانت بالتَّعُكُر، وأربعاً من بناته، فراسله الملك المؤيد مرارا، فامتنع فاخر من تسليم الحصن، فجهز إليه المؤيد الأمير شمس الدين الطُّنْبَا «أمير جاندَار» بالعسكر، فحاصروه، فلم يتمكنوا منه، وامتنع الخادم من تسليمه إلا أن تصل إليه كتب أولاد مولاه الناصر والعاذل، فكتب المؤيد إليهما في ذلك، فكتبوا إلى الخادم وأمره بالتسليم، فامتنع من قبول الكتب، وقال: لا أقبلها حتى يأتيني ثقتيَّهما، فثقة الناصر خادمه مسك، وثقة العادل أنيس، فأرسل الملكان خادميَّهما إليه بالرسالة، فاشتراط فاخر أن ينزل بجميع المال الذي طلع به من التَّعُكُر، فأجابه المؤيد إلى ذلك، فنزل ببنات مولاه الأربع، وبما كان عنده، واقتسمه الورثة الأشرفية، ولم يكن فيه نقد غير

(١) عبارة الأصل (وأمامه ولداه) وقد آثرنا إظهار المراد بالضمير منعاً للبس، وهكذا وردت العبارة في الخزرجي (العقود ٢٩٩/١).

(٢) أورد الخزرجي (العقود ٣٠٤/١) أسماء هذه الحصون وهي: الكولة، واللحام، ونعمان.

الأقمشة النفيسة،/ (١٥١) وتسلم نواب الملك المؤيد حصن الدملة في السنة المذكورة، وزوج [المؤيد^(١)] ولديه الظافر والمظفر باثنتين من بنات عمهما الأشرف، واستمر الوزير حسام الدين بالوزارة، وفي خاطر المؤيد منه ومن أخوته ما فيه.

ثم استوزر صاحب موقف الدين على بن محمد في جمادى الأولى سنة ست وتسعين [وستمائة]، وتمكن منه تمكنا عظيما، وكان بين الملك / المؤيد (٤٧) وبين الفقيه رضى الدين محمد بن أبى بكر بن محمد بن عمر اليعقوبى^(٢) صفة متأكدة، ومودة قديمة، وكان من الصلحاء العلماء الفضلاء، فكره وزارة أخيه، فلم يجتمع به منذ وزر.

ثم قبض الملك المؤيد على جماعة من الأمراء، وهم: نجم الدين ويدر الدين ولدا أزدمر، وابن الهكارى، وقبض بعدهما على الطنبا أمير جاندر، ونقلهم إلى حصن الدملة، واعتقلهم بمكان يعرف بدار الأدب.

ثم قبض على الوزراء العمرانيين: حسام الدين حسان، وأخوته، لأمر بلغته عنهم، وأحضرهم قبل القبض عليهم، وقال لهم: «أنتم قضاة القضاة وبأيديكم أموال الأيتام ودفاترها وحساب الأوقاف». فقالوا: «لا نعلم شيئا منها»، فراجعهم مرارا، فأصروا على الإنكار، فأمر بهجم منازلهم، فوجد بها عدة صناديق فارغة، فسئلوا عما كان فيها، فقالوا: أثاث، ولم يقرأوا بشيء، وأمر بهم إلى عدن، وبنى لهم سجن مفرد على باب دار الولاية/ (١٥٢) فحبسوا به، وأمر بقبض أملاكهم لبيت المال. فقبضت، وكانت كثيرة.

ذكر وصول أولاد^(٣) الملك الأشرف إلى عمهما الملك المؤيد، ونزولهما عما بأيديهما

قال: ووصل الملك الناصر جلال الدين محمد، وكان مقطعا بالقحمة، ثم وصل إليه أخوه الملك العادل صلاح الدين، وكان بصنعاء فأكرمهما، وأحسن إليهما، وعرض عليهما أن يستمرا على إقطاعيهما، فاستعفيا من الخدمة،

(١) ما بين الحاصرتين للتوضيح.

(٢) فى الأصل اليعقوبى، وفى أ ص ١٥١ غير منقوط، وورد فى الخزرجى (العقود اللؤلؤة) فى مواضع كثيرة وفى نقطة اضطراب فمرة يذكره اليعقوبى كالرسم المبت، ومرة التحيوى - بقاء قبل الحاء.

(٣) كذا فى «ك» و «أ» ص ١٥٢ والسياق يقتضى التثنية لا الجمع.

وقالا: « لا نحب الخدمة بعد أبينا، ولكننا نكون فى ظلّ أسياف السلطان » وحلفا له على المناصحة، وعدم المنازعة، وحلف لهما على ما أرادا، وتوثقوا بالعهود بواسطة الفقيه رضى الدين، فعند ذلك عقد السلطان الألوية لولديه المظفر والظافر، وأقطع المظفر ضرغام الدين صنعاء، والظافر عيسى الفخرية والحازتتين^(١)، وتوجه المظفر إلى صنعاء فى شهر رجب سنة ست وتسعين، واستعاد حصن ود من بنى الحارث فى شعبان بالمنجنيق.

وتوجه الملك المؤيد إلى زبيد فى جمادى الآخرة من السنة، ففرح به أهلها، ثم رجع إلى تعز فى شعبان، وفى آخر السنة أخذ الحصون الحَجَّية والمخلافية من الأمير الصارم إبراهيم بن يوسف [بن منصور^(٢)] وكانت فى يده من سنة إحدى وتسعين وستمئة، واشترط الصارم شروطا منها: إقطاع موزع ونصف خيس^(٣)، والذمة الأكيدة [والعفو^(٤)] عما جناه.

(١٥٣) / ذكر خلاف الملك المسعود تاج الدين [الحسن^(٥)]

ابن الملك المظفر على أخيه الملك المؤيد

قال: « ولما ولى الملك المؤيد كان أخوه الملك المسعود مقطعا للأعمال السُرْدَدِيَّة^(٦) من جهة أخيه الملك الأشرف، فتألم أن أفضت السلطنة إلى المؤيد، فلما استقر الصلح بين السلطان والأمير الصارم إبراهيم بن يوسف، وسأل الأمان على تسليم الحصون الحَجَّية على ما تقدم، سأل أن يكون تسليمها إلى الملك المنصور زُئْد الدين أيوب أخى المؤيد، والقاضى الوزير موفق الدين، وأن يحضر معهما إلى الملك المؤيد، فأمر الملك المؤيد أخاه ووزيره بذلك، فقبل للملك المسعود: إن ذلك أحبولة ومكيدة للقبض عليه، وأخذ المهجم منه،

(١) فى «أ» و «ك» غير منقوطة، والنقط والضبط من: (مراسد الاطلاع) ٣٧١/١، وهما حازة بنى شهاب: مخلاف باليمن، وحازة بنى موفق: بلد دون زبيد قرب حرض فى أوائل أرض اليمن. وفى: (بهجة الزمن) ص ١٨٨ (تحقيق حبشى) الفخرية والحازتتين.

(٢) زيادة عن الخزرجى (العقود ٣٠٥/١).

(٣) ضبطه الخزرجى (٣٠٥/١) بفتح الخاء وسكون الياء، وفى المراسد ٤٩٥/١ بكسر الخاء.

(٤) بياض فى «أ» و «ك»، والزيادة من الخزرجى (٣٠٥/١) وقد وردت فيه عبارة المصنف هنا بنصها.

(٥) زيادة عن «أ» ص ١٥٣.

(٦) نسبة إلى سردد - بضم أوله وثالثه وسكون ثانيه - وهى ولاية قصبته المهجم (مراسد الاطلاع ٧٠٦/٢).

وكان طريقهما عليه، فاستوحش من ذلك، وكتب إلى أخيه المؤيد يستعطفه ويترفق له، ويقول: «إنه خائف، ويسأله أن يكون هو الذى يقبض الحصون الحِجِّيَّة، وأنه لا فرق بينه وبين أخيه المنصور، فأجابه الملك المؤيد: أن إبراهيم لم يطلب إلا صِنُونَا الملك المنصور، والوزير، ولو طلبك لفعلنا، فاتركهما يَمْرَأَن الطريق، ولا يكن لك إليهما سبيل اعتراض، فلم يجب إلى ذلك، فكتب إليه ثانيا ذِمَّة أنه باق على ما بينه وبينه، وأن ليس القصد فى تجهيز العسكر إلا أخذ الحصون/(١٥٤) الحِجِّيَّة، وإذا كرهت أن أخاك المنصور لا يصل إلى المَهْجَم أمرناه بطريق الحازة، فلا يصل إليك، وكتب إلى المنصور أن يتوجه على طريق الحازة، ففعل ذلك، ولما صار المنصور بالفخريَّة حسن أتباع الملك المسعود له الخروج، فخرج وقصد المحالب، وتم إلى حَرَض^(١)، وأقام الفتنة، وأما المنصور والوزير فطلعا إلى جهة حَجَّة، وقبضا الحصون الحِجِّيَّة.

وجمع المسعود العريان من كل ناحية، وكان عقيد رأيه والمدير لجيشه على بن محمد بن إبراهيم^(٢)، وكان مقدما بحرَض فى الدولة الأشرافية، فلما اتصل خبره بالملك المظفر جهز ولده الملك الظافر عيسى، وكتب إلى المنصور والصاحب [على بن محمد الـيحيوى^(٣)] أن يكون مع ولده، وفوض تدبير الحرب إليهما، فتوجهوا إليه والتقوا فيما بين حَرَض / والمحالب، فلم يكن للمسعود (٤٨) بهم طاقة، وتفرق جمعه، وقبض على المسعود وولده أسد الإسلام فى المحرم سنة سبع وتسعين وستمائة، فلما أحضرا إلى الملك المؤيد جعلهما فى «دار الأدب»، فكانا فيها دون السنة، ثم أطلقهما وأسكنهما حَيْس^(٤)، وقرر لهما ولغلماهما جامِكِيَّة.

(١) حرَض - بفتح حين - بلد فى أوائل اليمن من جهة مكة (مراسد الاطلاع ٣٩٢/١)

(٢) هكذا فى ك، أ ص ١٥٤ والصواب «المؤيد» كما فى الخزرجى وعبارته «فواجهه العسكر السلطانى المؤيدى صحبة الملك الظافر عيسى بن الملك المؤيد (العقود ٣٠٨/١).

(٣) الزيادة من الخزرجى (٣٠٨/١).

(٤) فى «ك» (حسن) وفى أ ص ١٥٤ «حيس»، وفى الخزرجى (٣٠٩/١) حيس وفى ياقوت حيس - بالحاء المهملة - بلد وكورة من نواحي زبيد.

ذكر مُتجددات كانت فى شهور سنة سبع وتسعين وستمئة

فى شهر ربيع الأول منها قُتِلَ الأمير علم الدين سليمان بن محمد بن سليمان بن موسى، قتله عبيده بالوادى الحار.

وفى جمادى الآخرة/ (١٥٥) توجه الملك المظفر من صنعاء إلى خدمة والده الملك المؤيد متبرئاً من الأعمال الصنعانية، ثم عاد إليها فى السنة المذكورة، واستولى على حصن غراس، وأخذه بالسيف، ثم انتقل إلى حصن إرياب^(١) فاستولى عليه بعد حرب، وطلع إلى جهة صنعاء مقطوعاً لها.

وفى جمادى الآخرة وقع مطر شديد عظيم لم ير مثله عم القطر اليماني بكماله، وحصل رعد شديد، وريح باردة، وكان معظم ذلك بتهامة، وأخرجت الريح سفناً - من الأهواب وساحل الشرجة^(٢) - بما فيها إلى البر، وكسرت بعضها ببعض، وهدمت حصونا شامخة، واقتلعت أشجاراً كباراً بأصولها.

وفى يوم الاثنين ثانى عشر من شهر رمضان من السنة توفى الشريف المطهر بن يحيى بن حمزة بحصنه بذروان^(٣).

وفى شعبان تجهز العسكر المؤيدى إلى جهة حجة، وتقدمه الأمير بدر الدين محمد بن عمر بن ميكائيل أستاذ الدار، والفقيه شرف الدين أحمد بن على بن الجنيد ونزلاً على «ابن الصليحي» بمبّين، وعلى عمر بن يوسف بظفر، وأخذاً منهما الحصنين، ونزلاً على الذمة.

وفى السنة المذكورة توجه الملك المؤيد إلى البلاد العليا، وذلك عند امتناع الأشراف من الصلح، ودخل صنعاء لخمس مضيئ من ذى القعدة، وطلع

(١) فى أ، ك أرياب، وفى ياقوت (معجم البلدان ٢١٠/١) أرياب - بكسر الهمزة وفتحها وياء بعد الراء - وفى مرصّد الاطلاع ٦٣/١ أرياب (بب، مكان الياء) وفسره بأنه قرية باليمن من مخلاف قيطان من أعمال ذى جيلة.

(٢) الشرجة: من أوائل أرض اليمن، وهو أول كورة عشر (ياقوت/ معجم البلدان ٢٥١/٥).

(٣) الضبط من المقتطف ١٢٦، وفيه وفى الخزرجى (٣١٠/١) أن وفاته كانت بحصنه بذروان حجه.

إلى الظاهر عن طريق حدة^(١) فى رابع عشر ذى الحجة، واستقر فيه بعسكره، ثم سار نحو الميقاع بعساكره، فقاتل عليه وعاد إلى منزلته، وأقام بالعسكر ثمانية عشر يوما، وفى انتهائها دخلت عساكره صعدة / (١٥٦) مع جمال الدين [على^(٢)] بن بهرام، والأمير أسد الدين محمد بن أحمد بن عز الدين.

وفى يوم الخميس أول المحرم سنة ثمان وتسعين وستمائة نهض الملك المؤيد من محطته «وهى منزلة العسكر»، طالبا للظاهر لقطع الأغاب^(٣) فوقف بها ثمانية أيام، ثم نهض منها إلى جهران، فأقام بها ثمانية أيام، وحط بالظاهر الأسفل، وسار نحو جبل ظفار، فتأهب الأشراف للحرب، وأخرب ما حوله من الأغاب^(٣) ونهض فى يوم الاثنين ثالث صفر من محطته بالسبيغ، فبات عند الكوثة، ثم سار منها وحط على الميقاع، وهو إذ ذاك بيد الأمير جمال الدين على بن عبد الله، ونصب المجانيق على الحصن، وبه الأمير عماد الدين إدريس ابن على، وتوالى الزحف على الحصن، ثم حصل الاتفاق، وحضر الأمير عماد الدين على إلى خدمة الملك المؤيد، فلما قرب من مخيمه ركب إليه وتلقاه وانعقد الصلح بينهم، وأخذ لأصحابه الأشراف ذمة سبعة^(٤) أشهر، ودخلت الأعلام المؤيدية الميقاع، لإظهار الطاعة، وأنعم عليه المؤيد بالطبلخانة والأموال والكساء والخلع، وأعاد عليه بلاده التى كانت بيده.

ثم توجه الملك المؤيد فى يوم السبت أول شهر ربيع الأول قاصدا صنعاء، ولما استقر بها وصل إليه الأمراء الأشراف ومشايخ العربان، وفى جملتهم الأمير أحمد بن على بن موسى لتمام صلح الأشراف، فتم صلح الأشراف على تسليم نعمان واللحام وصعدة، وقسمة بلاد مدع^(٥) كما كانت فى / (١٥٧) زمن الملك المظفر، ثم توجه إلى تعز وصحبته الأمير جمال الدين على بن عبد الله، والأمير

(١) فى بهجة الزمن ص ١٩٣ (تحقيق الحبشى) حدة.

(٢) زيادة عن الخزرجى (٣١١/١).

(٣) هكذا فى ك، وفى «أ» ص ١٥٦ غير منقرط، وعبارة الخزرجى فى هذا الموضع «وتأهب الأشراف لقتاله فأحرقت ما حوله من الأعشاب» (العقود ٣١١/١).

(٤) فى المصدر السابق (٣١٥/١) أن الأمير جمال الدين المذكور سلم السلطان - ثنا لهذه الذمة - حصن ذيقان.

(٥) مدع - بضم أوله وفتح ثانيه - من حصون حمير باليمن (مرصد الاطلاع ١٢٤٥/٣).

أحمد بن علي، والأمير ابن وهّاس، وأمراء العرب، ثم توجه إلى زبيد في جمادى الآخرة، وصحبته الأشراف والأمراء، وطلع من زبيد في آخر شعبان، فلما كان عيد الفطر ودعه الأمير جمال الدين علي السّمّاط، وتوجه إلى البلاد العليا، والذي حصل له من الإنعام من حين خرج من الميقاع إلى أن عاد إلى بلاده ما يزيد على سبعين ألف دينار «الدينار: أربعة دراهم، والدرهم: عشرة قرايط».

وفي شوال من السنة توجه الملك المؤيد إلى عَدَن، فأقام إلى ثاني ذي الحجة وعيّدَ عيدَ النحر بفور^(١)، وعاد إلى تعز في آخر ذي الحجة سنة ثمان وتسعين.

وفي سنة تسع وتسعين وستمئة توفي الأمير جمال الدين علي بن عبد الله المُقَدَّم الذكر، وكان من أكابر الأشراف وأعيانهم، ورؤسائهم وصدورهم، وقد ناف عمره على السبعين، ولما مات أجمع أهله على تقديم ولده الأمير عماد الدين إدريس، وكاتب الملك المؤيد في ذلك، فكتب بأن يصل إلى بابه / (٤٩) فطلب ذمّةً، فكتب إليه، وحضر إلى الملك المؤيد في ذي القعدة، والمؤيد يومئذ بثُعَبَات.

فلما كان بعد عيد النحر تقرر الحال على أن يُسَلِّمَ الحصون التي بيده - وهما الميقاع والعظيمة - فتسلمهما نواب الملك المؤيد في سنة سبعمئة، وأنعم على الشريف عماد الدين إدريس بعشرة أحمال طبلخانة، وثمانية عشر ألف درهم، وسنَجَقًا وخلعًا وملابس ومماليك وخيول/ (١٥٨) وبغال، وركب معه الأمراء، وأعطى القَحْمَة.

وفي سنة تسع وتسعين وستمئة حطَّ الملك المظفر على أشيخ، وأخذ حصن إرياب وغراس بالحقْل قَهْرًا، فزينت صنعاء لذلك.

وفي سنة سبعمئة توجه الملك الظافر عيسى بن المؤيد مُقْطَعًا لصنعاء وأعمالها، فدخل صنعاء في العشر الآخر من شهر رمضان.

(١) هكذا في الأصل، ومثله في ص ١٥٧ ولم أجده في رسمه من كتب البلدان ولعله تحريف «قور» ففي مراصد الاطلاع ١١٣٢/٣ قور - بضم أوله وكسر ثانيه مشددًا - جبل باليمن من ناحية الدملوة، وفي الخزرجي «أن الملك المؤيد أقام بعدن من آخر شوال إلى سلخ ذي الحجة وعيد النحر بها، فلعل ما هنا تحريف «بعدن».

وفى رابع عشر شهر رجب من السنة أخذ الأمير صارم الدين داود بن على حصن الجميمة بجبال شَطْب^(١) والأمير على بن أحمد حصن العجرد بشطب بموافقة من فيها.

وفى سنه إحدى وسبعمائة خالف الأشراف السلماييون، وقتلوا المقدم حُطْلُبًا، وكان مقيماً بالراحة^(٢)، فأخذوا من خيله أربعين فرساً، فرسم الملك المؤيد إلى الأمير عماد الدين إدريس بالتوجه إلى الراحة، وأضاف إليه عسكرياً من الحلقة، وأمر الأمير شهاب الدين أحمد بن الخرترتي^(٣) شادّ تهامة، وأمر متولى حَرَضَ بالمسير، فسار العسكر، بكماله، ودخلوا الراحة، وأحرقت بلاد المفسدين، وتتبعوهم إلى قُرَيْب^(٤) اللؤلؤة، وسألوا الصلح، وأعادوا الخيل التى أخذوها، وتسلم نائب الملك المؤيد - وهو الشريف على بن سليمان - الراحة وبلادها، وعاد العسكر.

وفيهما أوقع الأمير سيف الدين طُغْرِيل - وهو مُقْطَع لَحَج - بالجحافل والعجالم، وقتل منهم ما ينيف على أربعين رجلاً، واتفقت له وقعة أخرى بالدُعَيْس، فقتل منهم ما ينيف على سبعين.

(١) فى أ، ك تقرأ شطنب، ولعله تحريف شطب أو شطب، وفى (مراصد الاطلاع) ٧٩٧/٢ شطب بفتحين: جبل باليمن به قلعة سميت به، وفى (تاج العروس) ش ظ ب أورده بالطاء وقال : موضع باليمن قرب صنعاء، وفى: (القاموس) شطيبي: جبل وفى الخزرجي (١/٢٣٦ و ٢٦٦ و ٣٩٧) ورد شطب وشطب، وانظر معجم البلدان والقبائل اليمنية ص ٣٥٦.

(٢) الراحة : قرية فى أوائل أرض اليمن، قال صاحب (مراصد الاطلاع) (٢/٥٩٢) وهى غير راحة فروع التى فى بلاد خزاعة.

(٣) فى أ الخرترتي، وفى ك الحريرتي، وفى الخزرجي (١/٣٣٠) الحريرتي، وعبارته: «وأضاف إليه عسكرياً من الحلقة المنصورة ومشد زبيد أحمد بن الحريرتي، وخرتبرت: بلد ذكرها ياقوت.

(٤) فى ك إلى بلاد اللؤلؤة، وما أثبتناه من أ لموافقة الخزرجي (١/٣٣٠).

(١٥٩) ذكر ما وقع بين الأشراف من الاختلاف وما وقع

بسبب ذلك من الحرب والحصار

وفى سنة إحدى وسبعمئة توجه الملك المؤيد إلى البلاد العليا، فأقام بالجدد أياماً، وبالموسعة أياماً، وبصنعاء أياماً، ثم خرج منها إلى الظاهر، وطلع من نُقَيْل^(١) عجيب، والموجب لطلوعه ما جرى بين الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى، وبين الشيخ قاسم بن منصور الضَّرَبَةُ - صاحب^(٢) ثُلا - من التشاجر على البلاد التى بينهما، فأخرب كل منهما على الآخر بعض بلاده، وكان الشيخ ممن يحالف الملك المؤيد، فاجتمع الأشراف إلى ظفار: منهم الأمير همام الدين سليمان بن القاسم، فسألهم تاج الدين القيام معه لمحاربة صاحب ثُلا، فذكروا أنه حليف الملك، ولا يمكن حربه إلا بمحاربة السلطان، ورأوا إخراج القُتَّة، وبعض ثغر ظفار من المصلحة، وأن يرسلوا القاضى أحمد بن محمد الذمارى إلى الملك المؤيد ليتحقق رأيه، فأرسلوه، وعاد كل منهم إلى بلاده.

فأما الأمير موسى بن أحمد فإنه لما وصل إلى صعدة قبض بعض بلاد الأمير سليمان بن القاسم، وكتب إلى الأمير شرف الدين شكر بن على يستدعيه إلى صعدة، فوصل إليه فأرسله إلى الملك المؤيد^(٣)، وسير معه ابنه الأمير علم الدين موسى، وقبض منه رهينة، فلما وصل إلى صنعاء ترك الرهينة فى حصن ذَهَبان عند الأمير محمد بن أحمد الحاتمي / (١٦٠) الهمداني، ثم وصل إلى المؤيد وهو على الحركة إلى البلاد العليا، فأكرمة المؤيد، وأنعم عليه، وسار معه إلى الموسعة، ومن هناك تقدم إلى صوب ابنه.

وأما الأمير تاج الدين فإنه تقدم إلى الجهات الغربية، وأوقد نار الحرب فى بلاد المُوقَّر والعارضة^(٤) وما يليها من بلاد السلطان، ومال إليه بنو شاور^(٥)، وجماعة من قبائل العرب ودخل المؤيد صنعاء، وأقام بها أياماً، ثم

(١) نقيل: جبل عظيم بين مغلاف جعفر وحقل ذمار وفى رأسه قلعة تسمى سمارة (مراسد ٢٩٨/١) وفى ياقوت ٣١٤/٨ نقيل صيد.

(٢) ثلا - بضم أوله - حصن من حصون اليمن.

(٣) ذهبان - بفتح تين - قرية بينها وبين حرض يوم من نواحي زبيد (المراسد ٥٩٠ / ٢).

(٤) العارضة، ويقال: العارضة السفلى، من قرى اليمن من الأعمال البعدانية (المراسد ٩٠٨ / ١).

(٥) هكذا فى ك، أ، ص ١٦٠ وفى الخزرجى (٣٣١/١) بنو شاور.

سار إلى اليمن، ولقيه الأمير نور الدين موسى بن أحمد، والأمير عبد الله بن وهّاس، وطلع الملك المؤيد القنّة من طريق جبل^(١) صُبَيْح، وتسلم سعده القنّة، ونزل فيها بجميع عساكره، وذلك يوم العيد، وأشرف على أخذ ظفار من الجهة التى تلى القاهرة من غربيها، ولم يبق إلا أخذها، وعاد المؤيد إلى القنّة، وأقام بها ثمانية أيام، وشرع فى عمارتها، وسماها المنصورة، وحصل للعسكر ضرر شديد، لعدم الماء والطعام والعلف، حتى بيعت القرية بعشرة دراهم، والزيدى الدقيق بعشرة دراهم، فعند ذلك أمر السلطان بضرب مخيمه بورور^(٢)، ورتب فى القنّة الأمير نجم الدين موسى بن أحمد، ورتب فى تعز وهو الحصن المقدم الذى أخربه الأمير سليمان بن قاسم - الحسام بن مسعود بن طاهر، وأمر بعمارة الموضعين، ونصب فى تعز منجنيقين ترمى إلى ظفار وإلى المدينة فأضرهم المنجنيق غاية الضرر، وعيد الملك المؤيد عيد الأضحى فى محطة ورور.

ثم طلع المؤيد إلى تعز ليشاهد العمارة، / (١٦١) ورَمَى المنجنيق، فعلم الأمير علم الدين سليمان بن قاسم صاحب ظفار أنه إن دام هذا الأمر أدى إلى خراب [بلاده^(٣)]، فأعمل الحيلة، وأخرج بنى أخيه وجماعة من الأشراف إلى خارج درب ظفار ومعهم وزيره على بن دحروج، وصاح بأعلى / صوته أن الأمير (٥٠) والأشراف قصدهم أن يخدموا السلطان، وسؤالهم أن يشرف عليهم، فأشرف عليهم فخدموا^(٤) بأجمعهم، وقالوا: نحن غلمان السلطان، وهذه المواضع مواضعه، وأشار ابن دحروج أن معه خطابا يفضى إلى المصلحة، ويسأل أن يرهن به الفقيه شرف الدين، فأجيب إلى ذلك، ونزل الشيخ ابن دحروج، واجتمع بالملك المؤيد بحضور القاضى الوزير موفق الدين، واستقر الأمر أن الأمير سليمان بن قاسم يبيع المؤيد حصن تَلْمُص بخمسين ألف دينار، ويرهن بذلك ولدى أخيه محمداً وداود، ووزيره على بن محمد بن دحروج، وأن يخرب الملك

(١) أرض صبيح باليمامة، وجبال صبيح فى ديار فزارة (المراصد ٨٣١/٢) والقنّة الثانية: القلّة، وهى أعلى الجبل أراد الجناس.

(٢) ورور - يفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه - حصن بالبسن من جبال صنعاء فى بلاد همدان (مراصد ١٤٣٥/٣).

(٣) الزيادة من الخزرجى ٣٣٢/١.

(٤) ترد كلمة «يخدم، وخدم» بهذا الاستعمال عند مؤرخى هذه الفترة مراداً بها تأدية التحية اللاتقة، وإظهار الولاء والطاعة.

المؤيد تعز المعمورة على ظفار والقنّة، فأشار من حول الملك المؤيد عليه بذلك وقالوا: السلطان يملك صعدة بغير شريك، والرهائن توثقة لمن صدق، فركن إلى ذلك، وقبض الرهائن، ونزل الفقيه شرف الدين أحمد بن علي من ظفار، وأطلع لهم المال المشروط، وأرسل الملك المؤيد الفقيه شرف الدين أحمد بن علي (الجنيد) ^(١) بعسكر لقبض تلمص، وأرسل الشريف سليمان بن قاسم ثقة ^(٢) منه، وتقدموا إلى جهة صعدة.

وتوجه المؤيد من محطة ورور، والرهائن صحبته، وقصد صنعاء في يوم الجمعة نصف ذي الحجة، فانتهى إلى جريان ^(٣) في يوم الأحد سابع عشر الشهر، فزحف العسكر في اليوم الثاني، وقاتلوا قتالاً عظيماً وبلغ الشفاليات ^(٤) / (١٦٢) باب الحصن، ونزل للشفاليات الكسوة، فأخرب أهل الحصن الحملة وعاد الشفاليات فوجدوها خراباً، وكان قد تجمع إليه خلق كثير من همدان وغيرهم، ونصب الملك المؤيد المنجنيق، وأقام ثمانية أيام على جريان، ثم توجه إلى صنعاء، وتولى الحصار الأمير شمس الدين عباس بن محمد، والأمير عماد الدين إدريس والأمير محمد بن حاتم، ومحمد بن أحمد بن عمرو، ووصل المؤيد إلى صنعاء في المحرم سنة اثنين وسبعمئة.

وأما سليمان بن قاسم صاحب ظفار، فإنه لما نظر إلى المال عنده والخلع، وقد أخربت القنّة وتعز، وارتفعت عساكر السلطان عنها، نوى الغدر، وزهد في الرهائن، فكتب إلى المقيم بتلمص أن يسلم تلمص إلى الشريف أبي سلطان، ففعل ذلك، وكتب سليمان بن قاسم إلى الملك المؤيد: أنه غلب على تلمص أبو سلطان، وأنه قد صار في حرزه، وانتقض ما كان تقرر، فأرسل المؤيد شكر بن علي إلى صاحب ظفار يطالبه بإعادة المال، وأخذ الرهائن، فغالظ في الجواب، وبادر بعمارة تعز الذي كان أخربه، وأكد بناءه، وعاد الذين توجهوا ليتسلموا تلمص، وتهدد السلطان صاحب ظفار أنه إذا لم يعد المال أشهر رهائنه، فلم

(١) الزيادة من الخزرجي (٣٣٢/١).

(٢) المراد أنه أرسل رسولا ممن يثق بهم، وعبارة الخزرجي.. وأرسل الشريف سليمان بن قاسم رسولا معهم

من أحد ثقاته (العقود ٣٣٢/١).

(٣) هكذا في أ، ك، وفي الخزرجي (٣٣٤/١ و ٣٣٥) خريان - بخاء.

(٤) الشفاليات: ويفهم من السياق أن المراد بها الرعاع والدهماء. وفي: (بهجة الزمن) ص ٢١٤ (تحقيق

الحبشي) حاشية (٢) أن الشفاليات: جمع شفلوت: طائفة من العسكر غير النظاميين، واللفظة عامية.

يحتفل بالرهائن، فتقدم المظفر بإشهار^(١) ولديه، وولد عمه، ونعاه بالعيب، كعادة العرب في الغادر بعد الوفاء، ولما نظر الشيخ على بن محمد بن دحروج أن الشهرة لاحقته لا محالة، بذل للملك المؤيد / (١٦٣) الخدمة والنصيحة، ووثقه من نفسه، وأرسله صحبة سيف الدين طغرل - بعد إقطاعه صنعا، وذلك في يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعمئة - بالعساكر إلى عمارة المنصورة وهي القنّة، وكان عند الأشراف أن العسكر لا يطلع إليها، ولا يعمرها فطلّعها العسكر قهراً، وتسنموا القنّة، وعمرت المنصورة، واستمرت العمارة بها، واستمرت المحطة بورور، ولحق الناس قحطاً شديداً، بلغ الزيدى في ورور أربعة دنائير وأكثر من ذلك، فخلا كثير من أهل^(٢) البلاد.

فلما كان في أثناء شهر رجب تداعى الناس إلى الصلح على رد المال المسلم في تلمص، فردوا منه ستة عشر ألف دينار نقداً، وحريرا وحليا باثني عشر ألف دينار، ورهنوا على ما بقى ولدى الأمير أحمد بن قاسم وحصن^(٣) المدارة على يد الأمير ابن وهاس إلى عشرة أيام في شوال والقنّة للسلطان.

ومالت قبائل المرقان وبنو أسد الصيد، وبنو حسن ومخلاف تلمص وبنو دحروج إلى جنب السلطان، وما كان إليهم من مال وغيره، وأخرجوا حريمهم من ظفار وسكنوا صنعا، وسلم الأمير تاج الدين الحدة^(٤) وخرب شريب، ورهن ولده مع رهينة الأمير همام الدين سليمان بن القاسم، وانعقد الصلح بين الملك المؤيد وبين أصحاب ظفار وتاج الدين، على أن المؤيد يحارب تلمص، ويعمل فيه ما شاء.

وعاد الملك المؤيد إلى اليمن في الثامن عشر من شعبان سنة اثنتين وسبعمئة ووصل تعز في غرة / (١٦٤) رمضان منها.

(١) الصواب «ولدى أخيه» كما تقدم، وقد صرح بذلك الخزرجي في (٣٣٨/١).

(٢) في بهجة الزمن ص ٢١٦ (ط. الحبشى) «فخلا كثير من البلاد عن أهلها».

(٣) لم يتضح في أ، ك، وفي الخزرجي (٣٣٩/١) المدارة.

(٤) كذا في أ، ك، وفي الخزرجي (٣٣٩/١) الحدود، والصواب الحدة - بالحاء - المفتوحة والبدال المشددة -

وهي - كما في مراصد الاطلاع ٣٨٦/١: حصن باليمن من أعمال حب.

وفيهما توفي الملك العادل صلاح الدين أبو بكر ابن الملك الأشرف بن الملك المظفر، ودفن في أول شهر رمضان في^(١) ضراس.

وتوفي الأمير نجم الدين موسى بن شمس الدين بنواحي صعدة.

وفيهما أمر الملك المؤيد بإنشاء مدرسة بمغربة تعز، ووقفها على طائفة الشافعية، ورتب بها مدرسا ومعيدا وعشرة من الطلبة، ومتصدرا لإقراء القراءات السبعة، ومعلما يقرئ جماعة من الأيتام القرآن، وأماما يصلى بالناس الخمس، ووقف بها خزانة كتب، ونقل إليها كتب كثيرة من كتب العلوم^(٢) والتفاسير.

(٥١) / وفي سنة ثلاث وسبعمائة في العشرين من المحرم توفي الملك الظاهر قطب الدين عيسى بن الملك المؤيد بحصن تعز، ودفن بمدرسة أبيه، ورتب والده قراء يقرأون القرآن على قبره، وتألم والده عليه، وأمر بذبح خيله الخواص فذبحت، وتصدق بلحمها حالة حمله إلى قبره، وعملت له الأعزية في سائر المملكة.

وفيهما توفي الأمير أبو سلطان المتولى على تلمص المتقدمة الذكر، فغلب المرتبون في الحصن عليه، وباعوه من الأمير على بن موسى بن شمس الدين، فسار نحوه، ونقل إليه الطعام، ووقعت الحرب بين عسكر السلطان والأشراف بسبب ذلك، وذلك في / (١٦٥) النصف الأخير من شعبان، ثم حصل الصلح، وانعقدت الذمة إلى سلخ ذى الحجة على إخلاء صعدة من الفتنتين.

وفي سنة أربع وسبعمائة أمر الملك المؤيد بالقبض على الأمير أسد الدين محمد بن أحمد بن عز الدين، وولده، والشريف شكر بن علي، وسبب ذلك أنه بلغه مباطنتهم في صعدة وتلمص.

وفي ذى الحجة من السنة فارق الأمير سيف الدين طغرل الخزندار صنعاء وأقطعها السلطان ولده الملك المظفر، وأقطع طغرل الخزندار المذكور

(١) ضراس: قرية في جبال اليمن (مرصد الاطلاع ٨٦٧/٢).

(٢) في الخزرجي (٣٤٣/١) أن هذه المدرسة عرفت باسم المدرسة المؤيدية وأن المؤيد وقف عليها من الأراضي والكروم ما يقوم بكفاية المرتبين عليها.

الأعمال الأبنينية^(١)، ونزل إليها في المحرم سنة خمس وسبعمائة، ثم فارق المظفر صنعاء في آخر شعبان من هذه السنة، وتوجه إلى أبيه، فأقطعت الأمير سيف الدين طغرل المذكور، وأقطع الأمير عماد الدين إدريس [بن علي^(٢)] الأعمال الأبنينية، وفيها تم الصلح بين الملك المؤيد والأشرف، وقبض رهائنهم، ورجع أهل مدينة صعدة إليها وسكنوها.

وفي سنة سبع^(٣) وسبعمائة ملك الملك المؤيد حصن القرائع^(٤) وهو مزاحم الطويلة بينهما رمية حجر، وحصلت الحرب بين تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة وبين الأمير سيف الدين طغرل مقطع صنعاء.

وفيها في جمادى الأولى خالف ابن أصهوب بأصاب^(٥) وأخذ حصن السانة^(٦) بها، وهو حصن منيع / (١٦٦) مرتفع، فتوجه الملك المؤيد إليه بعسكر، وحصره به، فراجع ابن أصهوب إلى الطاعة، ونزل على الذمة هو وأولاده وحریمه، واستعاد الحصن ومعه حصوناً آخر، ورجع إلى زبيد، وأقيمت التهانى والأفراح بسائر المملكة، ومدحه الشعراء.

ذكر إنشاء القصر المعقلى والمنتخب

وفي سنة ثمان وسبعمائة في النصف من صفر من عمارة القصر المسمى بالمعقلى بشعبات، وهو مجلس طوله خمسة وعشرون ذراعاً في عرض عشرين ذراعاً بسقفين مذهبين بغير أعمدة بأربع مناظر بأربع رواشن^(٧)، وفيه طشتيات^(٨) من رخام شكل حلزون، وفي صدره شبابيك تفتح على بستان، وكذلك الرواشين وأمامه بركة طولها مائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعاً على

(١) الأعمال الأبنينية: نسبة إلى أبين، وكان يليها قبله ابن بهرام فانفصل عنها بتوليتهما سيف الدين طغرل (الخزرجي ٣٦٧/١).

(٢) الزيادة عن الخزرجي (٣٦٧/١).

(٣) في بهجة الزمن ص ٢٤٥ (ط. الحبشى) ذكره في حوادث سنة ست وسبعمائة.

(٤) أورده الخزرجي (٣٦٩/١) باسم القرائع، وذكره في حوادث سنة ست وسبعمائة، وفي مرصد الاطلاع ١٠٧٥/٣ القرائع - بضم القاف وكسر النون - حصن حصين من حصون صنعاء يقابل المصانع.

(٥) هكذا في ك، أ، ولعله تحريف وصاب، أو لغة فيه، وفي المرصد ١٤٣٩ / ١ وصاب: جبل يحاذي زبيد باليمن، فيه عدة حصون وبلاد.

(٦) السانة: من حصون جبل وصاب (مرصد ٦٨٥/٢).

(٧) الرواشن: الرفوف جمع روشن (تاج العروس مادة ر ش ن).

(٨) في بهجة الزمن ص ٢٥١ (ط. الحبشى) «طشتان.. حلزونيان».

حافتيها الأوزَّ الصُّفْر^(١) ترمى بالماء من أفواهها، ويقابل المجلس شاذروان^(٢) بعيد المدى ينصب ماؤه إلى البركة، ولما كَمَلَ أمر الملك المؤيد بمجتمع حضره الأمراء والوزراء والفقهاء والأعيان والعامّة من أهل البلد، وجلس الملك فى الطبقة الثانية ينظر إلى الناس، وخلع على الأعيان وامتدحه الشعراء.

وعند الفراغ من هذا القصر أمر ببناء قصر ثان سَمَاهُ المُنْتَخَب، ويستأن / (١٦٧) وفى السنة المذكورة توجه الملك المؤيد إلى زبيد فى رابع جمادى الأولى، فأقام بها نصف شهر، وتوجه إلى المَهْجَم، فأقام به إلى تاسع عشر شهر رجب، وسار إلى جهة حَجَّة، ورجع منها فى تاسع عشر شعبان، ودخل المَهْجَم فى الثالث والعشرين منه، وخرج منه وعيّد بزبيد.

وفى السادس عشر من شوال وصل الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة إلى الملك المؤيد، ولم يَطَأْ بساطه قبل ذلك، وهو من أعيان الأشراف ورؤسائهم، وله حصون منها كَحُلان والطويلة وعدة حصون غيرهما، فأكرمهُ المؤيد، وأنعم عليه، وتوجه به إلى صوب البحر^(٣)، وركب الملك المؤيد فيلاً، وأرْدَفَ الشريف تاج الدين خلفه، ودخل البحر فلجج الفيل بهما فى الماء، فبادر الفيال بأن ركب فيلة، ودخل البحر، واتبع الفيل وأسرع حتى أدركه، فلما شم الفيل رائحة الفيلة رجع إليها، ورجع الفيال بالفيلة أمامه، واتبعه الفيل إلى البر، وهذا دليل على خفة وطيش، وعدم ثبات وتغريب بالنفس، وكانت سقطة من الملك المؤيد، ثم عاد إلى زبيد، ثم إلى تعز، ودخلها فى السابع والعشرين من ذى القعدة والشريف تاج الدين معه، وفرَّجَه فى قصور ثعبات.

وفى سنة تسع وسبعمائة رسم الملك المؤيد للأمير عماد الدين إدريس أن يتوجه إلى صوب الشرفين^(٤) لاستفتاحهما بعد أن استخدم له مَذْجَج، وأصحابه جماعة من العسكر فتوجه وطلع من الطهرة / (١٦٨) إلى الشرف الأعلى،

(١) الصفر : النحاس، وعبارة الخزرجى (٢٧٧/١) «... وعلى حافاتها صفة طيور ووحوش من صفر أصفر ترمى الماء».

(٢) الشاذروان: أساس يوثق حول القناطر ونحوها (الألفاظ الفارسية المعربة) وفى: (شفاء الغليل) ١٣٥ ما يترك من عرض الأساس فى الجدار خارجاً «عربيته إزار».

(٣) أورد الخزرجى هذا الخبر فى شيء من التفصيل، وذكر أن هذه الحادثة كانت بالأهواب على ساحل زبيد (العقود ٢٨٢/١).

(٤) الشرفان: جبلان دون زبيد باليمن (مراصد الاطلاع ٧٩١/٢) أحدهما يسمى الشرف الأسفل والآخر يسمى الشرف الأعلى.

واستولى على جبل سعد ببلد الجبر، وحصن القاهرة ببلد المحابسة، وأخذها من أهل الشرفين، وتوجه إلى الشرف الأسفل وحط بقلحاح^(١)، وتسلم في ذلك اليوم حصن / القُفل وكان يومئذ بيد ابن مقرعة مولى الشريف إبراهيم بن (٥٢) قاسم، ثم توجه إلى جبل الشاهل، فاستولى على حصن أقتاب^(٢) وحصن الناصرة واستولى على الشرف الأسفل بكماله، ولم يبق إلا حصن المسوكة^(٣) للأشراف أهل جبل حرام، ومنهم عند الملك المؤيد [محمد^(٤)] بن على، وأخوه يقصدان بيع الحصن عليه، فأخذه الأمير عماد الدين بمصالحة على ألفى دينار، وكتب إلى المؤيد بذلك فصادف وصول كتابه وقد عقد القاضي صاحب موفق الدين مجلسا لشراء الحصن من الشريف محمد بخمسة آلاف دينار وكساوى، ولم يبق إلا وقوع المعاقدة، فقرأ الملك المؤيد الكتاب، وأمر بنقض المجلس، ثم تسلم الأمير عماد الدين حصن المفتاح في سنة عشر، وسلم جميع ذلك إلى غلام الدولة حسن بن الطماح^(٥) بن ناجي بحكم ما بيده من ولايتها من جهة الملك المؤيد .

ذكر^(٦) مقتل الأمير سيف الدين طُغريل مقطع صنعا

وفى سنة تسع وسبعمائة غدر الأكراد بالأمير سيف الدين طُغريل الخزندار مقطع صنعا، وقتلوه في يوم الاثنين سادس عشر / (١٦٩) شهر ربيع الآخر.

وسبب ذلك أنهم توهموا أنه يريد القبض عليهم، وأتاه النذير بذلك في تلك الليلة، فلم يعبأ به، فخرج الأكراد من المدينة، وقصدوا عسكر صنعا، فعقروا خيلهم، وتوجهوا نحو القصر الذي به الأمير المذكور، فاستولوا على اسطبله وحالوا بينه وبين مراكبيه، وسألوه الخروج إليهم على ذمة، فامتنع، فحصروه إلى أن طلعت الشمس، فخرج إليهم على ذمتهم، فقتلوه، وقُتل معه

(١) قلحاح - بكسر فسكون - : جبل قرب زبيد، به قلعة يقال لها شرف قلحاح (المرصد ١١١٧/٣).

(٢) في أ، ك «أقياب» والمثبت من بهجة الزمن (ط. الحشى).

(٣) في الخزرجي (٣٨٥/١) المسولة. ولم يذكر ياقوت في رسمه. وفي بهجة الزمن ص ٢٥٩ المشتركة.

(٤) زيادة من الخزرجي (٣٨٥/١).

(٥) في الأصل «الطماح» والمثبت من الخزرجي (٣٩٣/١) حسن بن الطماح بن ناجي نائب السلطان.

(٦) انظر هذا الخبر في الخزرجي (العقود ٣٨٦ / ١) فقد أورده مبسوطاً عما ذكره النويرى هنا.

صهره وهو أستاذ داره، وكاتبه، ووالى ذمار، ونقيبه، وأربعة من مماليكه، فوصل عسكر صنعاء إلى الملك المؤيد فعوضهم ما أخذه الأكراد، وجرد الأمير شجاع الدين عمر بن القاضى العماد أمير جاندارة، والأمير شمس الدين عباس ابن محمد إلى جهة صنعاء من طريق تهامة، فدخلوا ذمار، وانحازت الأكراد بجملتها إلى الوادى الحار، فقصدهم العسكر، وقتلواهم ثلاثة أيام، وقتل من الأكراد ثلاثة نفر، وأخذت خيلهم، ثم تفرقت الأكراد فى كل ناحية، وعاد الأميران إلى ذمار، ثم حصر الأميران الأكراد بمصنعة عبدة ثلاثة أشهر إلى نصف رمضان، وأنفقت أموال جلييلة، فلم تجد المحاصرة شيئاً، فتركا الحصار، وسار الأمير عباس بعسكر صنعاء إلى صنعاء، واجتمع الأكراد إلى الإمام ابن المطهر^(١)، وحالف بنى شهاب وأهل الحصون، فقويت شوكتهم، وقصد حصن ظفار، فأخذه وحط فى حدة، فقاتل من بصنعاء، ووقعت حرب عظيمة على باب صنعاء ولم يكن فيها إلا / (١٧٠) الأمير شمس الدين عباس فى جمع قليل من عسكرها، فثبت حتى وصلت إليه عساكر السلطان، وابن المطهر مقيم فى حدة، وظهره بلاد بنى شهاب، فلما اتصل ذلك بالملك المؤيد بادر بنفسه إلى صنعاء، فدخلها فى يوم الخميس الثالث والعشرين من شوال، ووجه ولده الملك المظفر إلى قاع بيت الناهم^(٢) فنزل به يوم الاثنين السادس من ذى القعدة، واستولى على بيت^(٣) خبص، وانهزم ابن المطهر هو ومن معه من الأكراد إلى حاقد^(٤)، ثم طلّعوا إلى سبأ، وأقام ابن المطهر بجبل رهقة، والأكراد فى البروية، ثم افترقوا فسار الأكراد نحو طوران، وقد باطتوا أصحابه، وسار ابن مطهر نحو ذروان.

وفى سنة عشر وسبعمائة تسلم الأمير شمس الدين عباس حصن عزان، ونقل محطته نحو ظفار فحط بالطفة^(٥)، ونصب المنجنيق على حصن تعز، فرغب الأشراف فى الصلح، فوقع، وعاد الملك المؤيد من صنعاء إلى تعز فى

(١) هو الإمام محمد بن المطهر بن يحيى، خلف والده المطهر بن يحيى بن المرتضى بن القاسم وتوفى سنة ٧٢٨هـ فى ذى الحجة بحصن ذمرمر، ودفن به (المقتطف ١٢٧).

(٢) فى الخزرجى (٣٨٨/١) «إلى قاع بيت الباهم» ومثل المثبت فى بهجة الزمن ص ٢٦٢ (ط. الحبشى) وقال فى هامشه: وبعضهم يقول القاهم بالفاء، وهو من حضور.

(٣) كذا فى أ، ك، وفى (مراسد الاطلاع) ٤٣١/١ حصن - بضم الحاء والنون - من نواحي ذمار باليمن.

(٤) حاقد : من حصون صنعاء من حازة بنى شهاب (مراسد ٣٧٢/١).

(٥) فى الخزرجى (٣٩٣/١) الطفة: الطفة مشرفة على حصن تعز.

الخامس والعشرين من صفر سنة عشر وسبعمائة، وأقطع صنعاء للأمير أسد الدين محمد بن حسن بن^(١) نور، وفي سنة تسع توفي الفقيه رضى الدين أبو بكر بن محمد بن عمر صاحب الملك المؤيد، وأخو وزيره، وكانت وفاته بزبيد، وفيها توفي الأمير تاج الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن حمزة.

وفي عشر وسبعمائة فى سابع عشر جمادى الآخرة دخل الأكراد فى / (١٧١) الطاعة، وبذلوها من أنفسهم، ورهنوا رهائن وأعطوا حصن هرا^(٢) واستخدم من أراد الخدمة منهم. وفيها أقطع المؤيد الأمير جمال الدين نور بن حسن بن نور الأعمال الصعدية والجوفية^(٣) والجثة بتهامة وعوض الإمام عماد الدين عن الجثة^(٣) بالقحمة.

وفى سنة إحدى عشرة وسبعمائة توفي الملك الواثق نور الدين إبراهيم بن الملك المظفر يوسف بن عمر، وكانت وفاته فى آخر المحرم بظفار الجبوظى.

وفى سنة اثنتى عشرة وسبعمائة، وفى شهر رجب احترقت دار المرتبة بتعز، واحترق فيها أشياء كثيرة.

وفىها فى يوم الأحد سادس ذى القعدة توفي الملك المظفر ولد الملك المؤيد بتعز وأوصى قبل يوم وفاته ألا يصاح عليه، ولا يشق عليه ثوب، ولا يغطى نعشه إلا بثوب قطن، وأن / يدفن فى مقابر المسلمين، وألا يعقر عليه (٥٣) شئ من خيله، فنفذت وصيته فى جميع ذلك إلا الدفن، فإنه دفن مع أخيه الظافر فى المدرسة المؤيدية، وكان من جملة وصيته أن يعمل له فى تربة المحارب^(٤) مدرسة، وأن يجرى لها الماء، ويجرى الماء منها إلى حوض تحتها، ففعل ذلك، ورتب بها جماعة من الطلبة.

وفى ثالث ذى الحجة توفي صاحب القاضى موفق الدين وزير الملك المؤيد المقدم الذكر، وكان مكينا عند السلطان كما تقدم.

(١) ورد هذا الاسم فى ك محرفاً، فمرة يذكر نوز، ومرة بوز، وفى أ ص ١٧٠ ورد غير منقوط، وقد جارينا

الخزرجى فى العقود (٣٩٣/١) فى رسمه، فقد ذكره «أسد الدين محمد بن حسن بن نور».

(٢) هرا^(٢) : من حصون ذمار باليمن (المراسد ١٤٥٥/٣).

(٣) فى أ، ك (بالحاء فى الموضعين) وفى الخزرجى (٣٩٤/١) الجثة - بالجيم - وفى (مراسد الاطلاع) :

٣٤١/١ الجث: من قرى اليمن.

(٤) فى الخزرجى (٤٠٣/١) المحارب، وفى بهجة الزمن ص ٢٦٩ (ط. الحبشى) «المخادر» وقال محققه:

هى بلدة فى الشمال من اب بمسافة ٢٠ كم.

وفي السنة المذكورة أمر الملك المؤيد بإنشاء قصر ظاهر / (١٧٢) الشَّارِق بزييد في البستان الذي أمر بإنشائه هنالك.

قال: وصورة بنائه أن وضع به أيوان طوله خمسة وأربعون ذراعاً، وفي صدره مقعد عرضه ستة أذرع، وله دهليز متسع، وفوق الدهليز قصر بأربعة^(١) أو اوين، والجميع^(٢) جملون، وفيه المبانى الغربية المشرفة على البستان المذكور من جميع نواحيه.

وفي سنة ثلاث عشرة وسبعمائة توجه الملك المؤيد من تعز إلى الجند، وكان قد رسم للأمير أسد الدين محمد بن نور أن يخرج من ذمار، وينازل حصن هرآن الذي هو بيد الأكراد، وينصب عليه المنجنيق، ففعل ذلك، وقتل الأكراد بعض المماليك وجماعة، فأردفه الملك المؤيد بالأمير شمس الدين عباس في خمسين فارساً غير عسكريه الذين معه، فراسل الأكراد السلطان المذكور، ما سبق لهم من الذمة، فأبقى عليهم لشهامتهم، وأمر بحضور أعيانهم، فحضر الأميران إبراهيم بن شكر، والجلال بن أسد إلى السلطان بالجند، فاستقرت الحال بينهم على أن يسلموا هرآن، وعادوا إلى ذمار على عاداتهم، وذلك في مستهل شهر رجب من السنة، وتوجه الملك المؤيد إلى زييد، فدخلها في ثاني عشر شهر رجب.

وفي سنة أربع عشرة توفي الأمير عماد الدين إدريس المُقَدِّم ذكره.

ذكر وصول الأمير علاء الدين كشتغدي^(٣) إلى خدمة

السلطان الملك المؤيد

/ (١٧٣) وفي سنة خمس عشر وسبعمائة وصل الأمير علاء الدين كُشْتُغْدِي من الشام إلى خدمة الملك المؤيد باستدعاء من المؤيد، وكان قبل ذلك أستاذ دار الملك المُظَفَّر صاحب حماه، وكان خبيراً باللعب بالجوارح،

(١) الأواوين: جمع إيوان، وهو مجلس كبير على هيئة صفة لها سقف محمول من الأمام على عقد، يجلس فيها كبار القوم (المعجم الوسيط ٣١/١).

(٢) الجملون: سقف محدب على هيئة سنام الجمل (المعجم الوسيط ١٣٧/١).

(٣) في الخرجي (٤١٥/١) ذكر اسمه بدال مكان التاء هكذا «كشدغدي» وفي النجوم ٢٥/٩ رسمه بدال مكان التاء وضبطه بضم أوله وثالثه وسكون ثانيه وكسر رابعه.

فتقدم عند الملك المؤيد تقدماً عظيماً، ونادمه في خلواته، ثم استنابه بعد ذلك، ورد إليه أمور دولته على ما ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيهما ولي القاضي جمال الدين محمد بن الفقيه رضى الدين أبى بكر - الذى تقدم ذكر والده وعمه - قضاء الأقضية وعمره عشرون سنة، وكان الملك المؤيد يكرمه ويعظمه لحقوق أبيه السالفة،

فلما كان فى سنة ست عشرة مرض الملك المؤيد مرضاً خيف عليه فيه التلغ، وأرجف الناس بموته، فراسل القاضي المذكور الملك الناصر جلال الدين بن الملك الأشرف بالأمور الباطنة، وأشار عليه بنشر الدعوة، وآيسه من عمه، فلما اتصل بذلك المؤيد خرج من تعز إلى الجند، وبه بقية التوعك، فخاف ابن أخيه الناصر من ذلك، ولجأ إلى جبل يقال له السُّورْق^(١)، وهو جبل حصين، وحوله أناس من العربان، وهو مطل على مدينة الجند، فجهز له المؤيد العساكر، ومقدمها الأمير جمال الدين بن نور، فنزل الناصر بدمّة، وحضر إلى خدمة عمه الملك المؤيد، ووقع الصلح بينهم والاتفاق، ويقال: إنه عرفه ما وصل إليه من كتب القاضي، فعزله عن القضاء، واعتقله بحصن تعز، وفوض القضاء إلى القاضي رضى الدين أبى بكر بن أحمد الأديب الشافعى (١٧٤).

وفى سنة سبع عشرة وسبعمائة، وصل القاضي الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد من دمشق إلى اليمن إلى خدمة الملك المؤيد باستدعاء منه له، وولاه كتابة إنشائه، وأكرمه وقربه.

وفيهما دخل عسكر المؤيد قلّة^(٢) وملكوها، وضربت البشائر فى سائر البلاد.

وفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة وصل صفى الدين عبد الله بن عبد الرازق الواسطى، وهو من جملة الكتاب ببلد حماة، وياشر كتابة بيت المال بطرابلس

(١) كذا فى ك، ومثله فى الخزرجى (٤١٨/١) وفى «أ» ص ١٧٣ «الشورق» بالشين.

(٢) هكذا فى أ، ك، ولم أجد فى كتب البلدان، وفى معجم البلدان والقبائل اليمنية ص ٤٩٧ «أنها بصعدة بالقرب من هجرة قطابر».

الشام، فلما استقر علاء الدين كُشْتُغْدَى في الخدمة المؤيدية نوه بذكره وشكره، وأثنى عليه، وذكر معرفته ونهضته، فاقتضى ذلك طلبه، فطلب طلبا حثيثا وأنفق عليه إلى حين وصوله من الذهب العين ألفى مثقال، ولما وصل فَوَضَّ إليه شاد الاستيفاء، وحظى عند المؤيد وانبسطت يده في الدواوين، والمذكور زوج ابنة الأمير علاء الدين كشتغدى، وتوجه المذكور في السنة المذكورة إلى عدن وحمل منها ثلاثمائة ألف دينار، وعاد بها والمؤيد بالجند فأكرمه وعظمه.

وفي السنة المذكورة رتب الأمير علاء الدين كشتغدى الجيش اليمنى على قاعدة الجيوش المصرية، وجعل له حاجبا لليمين، وحاجبا للميسرة، ورُتِّبَ خلف السلطان إذا ركب العصايب والجُمْدَارِيَّة والطَّبَرْدَارِيَّة^(١)، فركب المؤيد بهذا الزى / (١٧٥).

(٥٤) وفي سنة تسع عشر وسبعمائة فوض الملك المؤيد للأمير علاء / الدين كشتغدى نيابة السلطنة وأتابكية العسكر، وتقدم عنده تقدماً لم يسمع بمثله، وقرئ منشوره بأيوان الراحة، وكان يوما مشهودا، ووقع بينه وبين صهره صفى الدين منافسة ظاهرا، وباطنا، ثم كانت وفاة كشتغدى في سنة عشرين وسبعمائة.

وفي سنة عشرين وسبعمائة حصلت مرافعات^(٢) من الكتاب على صفى الدين، وحاqqه الكتاب بمجلس الملك المؤيد، ونسبوا إليه أنه أخذ جملة من المال، ولم يظهر عليه أثر ذلك، فعزله المؤيد عن شد الاستيفاء، وفوض ذلك إلى الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد.

وفيها وصل القاضي محيي الدين يحيى بن القاضي سراج الدين عبد اللطيف التكريتي الكارمي من الديار المصرية على طريق مكة، واجتمع بالملك المؤيد، وقدم له جملة من الزُمُرْد واللاكي، وتقدم عنده تقدما كثيرا، وأحله محل

(١) الطبردارية: اسم الواحد منهم طبردار، مركب من لفظين فارسيين هما: طبر = فأس - دار = ممسك. أي حملة الفأس حول السلطان حين ركوبه (صبح الأعشى ٤٥٨/٥) والمراد بالفأس هنا البلطة.

(٢) مرافعات: شكاوى واتهامات. وفي مفاتيح العلوم ص ٦٢ المرافعة، والمصادرة والمفارقة والمصالحة كلها متقاربة المعاني، وفي اللسان: فارقت فلانا من حسابي على كذا وكذا: إذا قطعت الأمر بينك وبينه على أمر وقع اتفاقكما عليه، وكذلك صادرته.

الوزارة، وفوض إليه الوكالة، وصرفه في عدن تصرفاً عاماً تاماً مطلقاً، وأعطاه من ماله - على حكم المتجر - مائة ألف دينار، وأطلق له من عدن خمسين ألف دينار، وتوجه إلى عدن، وعاد منها في سنة إحدى وعشرين، وحصل بينه وبين صفي الدين مرافعات^(١) بمجلس السلطان، ولم ينتصر أحدهما على الآخر، وركب السلطان ومحبي الدين في يوم العيد في موضع الوزارة، وركب بالطرحة على عادة وزراء مصر / (١٧٦).

ذكر وفاة الملك المؤيد هزبر^(١) الدين داود

كانت وفاته رحمه الله تعالى في نصف الليلة المسفرة عن يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، وكان قد هم بالنزول من تعز إلى زبيد على عادته، فنزل قصر الشجرة، وحصل له وجع، فأقام بالقصر عشرة أيام، ومات وغسل بدار العدل أسفل الحصن، ودفن بمدرسته التي أنشأها [بمغربة^(٢) تعز] وكانت مدة ملكه خمسا وعشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوما. وكان ملكا حازما فاضلا محبا للعلوم مقربا لأهلها يستميلهم إليه حيث كانوا، ويرغب فيهم، ويرغبهم فيما عنده، ويكرم من وفد عليه من الديار المصرية وغيرها، وكان محبا لجمع الكتب والتحف، جمع من مصنفات العالم على اختلافها وتباينها ما ينيف على مائة ألف مجلدة، وحملت إليه الكتب والتحف من كل جهة، وكان عنده مع ذلك زيادة على عشرة نساخ ينسخون الكتب، وترفع إلى خزائنه بعد مقابلتها وتحريها، رحمه الله تعالى.

وملك بعده ابنه سيف الاسلام.

(١) أورد خبر وفاته مفصلاً في العقود اللؤلؤية (٤٤٠/١) وترجمته في الدرر الكامنة (٩٩/٢ - ١٠٠) وفي أبي الفدا (٩٣/٤) أنه توفي بمرض ذات الجنب.

(٢) زيادة عن الخزرجي (٤٤١/١).

ذكر ملك الملك المجاهد سيف الإسلام علي بن الملك المؤيد هزبر داود بن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول وخلعه من الملك / (١٧٧)

ملك بعد وفاة والده رحمه الله تعالى، وعمره يوم ذاك خمس عشرة سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوما، فإن مولده في ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ست وسبعمائة.

وكان سبب ملكه أنه لما مات والده نزل الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب بن الجواد - وكان الملك المؤيد قد فوض إليه الأستاذارية والأتابكية، ونيابة السلطنة - فتوجه إلى الشجرة حفظا للجهات السلطانية، ومعه جماعة من العسكر وأعيان الأمراء، وثبت ثباتا حسنا في تلك الليلة وحفظ نظام السلطنة، وضرب بركا على الشجرة^(١). وكان الملك المجاهد عصر تلك الليلة قد تقدم إلى الحصن ودخله، فكاتب الأمراء والأعيان، ورغبهم فرغبوا إليه، وصعدوا إلى خدمته، وتم له نظام السلطنة، فلما استقر في الملك عزل الأمير جمال الدين، وفوض النيابة والأتابكية إلى الأمير شجاع الدين عمر بن يوسف بن منصور، وكان شاد الدواوين، وكُتِبَ له منشور وقرئ في دار الضيف، وفي ذلك اليوم عقد لولدى أخيه المفضل والفائز الألوية، ورفع لهما الطبلخانة، وقرئ منشور شجاع الدين بحضورهما، فتغيرت قلوب الأمراء والجند من تلك الساعة، وحصل بينه وبين ابن عمه الملك الناصر مراسلة اقتضت أيمانا وعهودا، فأرسل إليه من جهته الطواشي صلاح الدين، والفقيه وجيه الدين عبد الرحمن معلمه، فحلف الناصر اليمن المغلظة.

ولما تمكن شجاع الدين من الملك المجاهد، حسن له أشياء منها أن يقبض على / (١٧٨) الناصر، وسعى شجاع الدين في خلاص المعتقلين بمعقل الدملة، وكان فيه الأميران نجم الدين ويدر الدين ولدا أزدمر المظفرى، وشمس الدين الطُّنبَا^(٢) أمير جندار والشريفان داود وأخوه، ولدا الشريف قاسم بن

(١) يريد قصر دار الشجرة الذي مات به الملك المؤيد، وعبارة الخزرجي (١/ ٤٤٠) وضرب أركا على الشجرة إلى آخر الليل، وفي: (بهجة الزمن) ص ٢٨٥ (ط. الحبشى) «يزكا» وقال محققه: اليزك: (الطلع من العسكر أو حراس الليل)، واللفظة فارسية، ومنها «يسك» العامة المستعملة في صنعاء.

(٢) هكذا في أ، ك، وفي الخزرجي (٢/ ٢) «شمس الدين أطينا» أمير خازندار الخليفة.

حمزة، ونجم الدين أحمد بن أيدير الخزندار الفارس المظفرى، وكانت لهم مدة طويلة، ومنها أن يغير ممالك أبيه، ويستجد له عسكرياً، وكان هو والفقير عبد الرحمن^(١) مدبرى دولته، وفوض قضاء الأقضية للفقير عبد الرحمن المذكور، فأرسل شجاع الدين جماعة رايتهم / الشيخ عيسى بن الحريرى^(٢) ناظر (٥٥) المخلاف، وبدر الدين محمد بن الصليحي، والشيخ أحمد بن عمران رأس مذبح، للقبض على الناصر، فلما علم بذلك لجأ إلى تربة الفقير عمر بن سعيد بذى عقيب من أعمال جبلة، فأحاطوا به، وأخذوه من التربة، ودخلوا به تعز، ثم نقل إلى عدن.

ونزل الملك المجاهد من الحصن فى ثالث المحرم إلى الشجرة، فلبث بها إلى مستهل شهر ربيع الأول، ثم تقدم إلى الجند فلبث بها أياماً، ثم توجه إلى الدملوة، فدخلها وخرج منها، ولم يعط أحداً مما جرت به العادة إلا قليلاً ممن يختص به، ومنع الملوك من الدخول إلى المنصورة، فتغيرت قلوب الناس عليه، ولما نزل من الدملوة توجه إلى ثعبات، وعزم على أخذ حصن السمدان من عمه الملك المنصور.

فلما علم الأمراء البحرية وأكابر الدولة ما أضمره شجاع الدين لهم، بادر جماعة / (١٧٩) منهم فى النصف الأخير من جمادى الآخرة، فقتلوا شجاع الدين المذكور فى داره بالمحارب هو وقاضيه الفقير عبد الرحمن، ثم قبضوا على الملك المجاهد وهو بثعبات، ونهبت تلك الليلة دور كثيرة بالمغرب^(٣) والمحارب.

ذكر ملك الملك المنصور زَنَد^(٤) الدين أيوب بن الملك المظفر يوسف بن الملك المنصور عمر بن على بن رسول، وخلعه

قال: ولما قبض الأمراء والعسكر على الملك المجاهد بادروا إلى عمه الملك المنصور وملكوه، وحلفوا له، وصعد إلى الحصن، وبذل الأموال، وأنفق

(١) ذكر الخزرجى (٣/٢) اسمه «عبد الرحمن الظنارى» وكان المجاهد قد جعله فى منصب قاضى القضاة.

(٢) فى أ ص ١٧٨ حريرى من غير آل.

(٣) فى الخزرجى (٣/٢) (المغربة والمجازيب) والمثبت من بهجة الزمن ص ٢٨٨ (ط. الحبشى).

(٤) لم يذكر الخزرجى هذا اللقب فى اسم الملك المنصور، ويورده دائماً «الملك المنصور أيوب».

فى العساكر وصرف فى مدة سلطنته سبعمائة ألف دينار خارجا عن التشاريف، وكاتبه الأشراف، وهنؤه، فبعث إلى كل شريف منهم ما جرت العادة به، وفوض نيابة السلطنة إلى الأمير شجاع الدين عمر بن علاء^(١) [الشهابى] فأقام أياما، ثم حصل بينه وبين الأمراء البحرية منافرة أوجبت أن استبدل به الأمير جمال الدين يوسف بن يعقوب [بن^(٢) الجواد] المقدم ذكره، وفوض إليه أمر بابه بكماله.

قال: وفى ليلة جلوس الملك المنصور أرسل إلى الملك الناصر جلال الدين ابن أخيه الملك الأشرف يطالبه، فلما وصل إلى الجند تلقاه بالطبلخانة، وأقطعه المهجم، وعقد أيضا للأمير بدر الدين حسن بن الأسد الألوية، ورفع له / (١٨٠) الطبلخانة وأقطعه صعدة وما والاها، وعقد للأمير نجم الدين أحمد بن أزدمرر الألوية، ورفع له الطبلخانة، وأقطعة حرّض، وعقد لولديه الملك الكامل تامور الدين، والملك الواثق شمس الدين الألوية، ورفع لهما الطبلخانة وعين لهما الإقطاعات، وأرسل ولده الملك الظاهر أسد الدين عبد الله إلى حصنى الدملوة والمنصورة، وفى خدمته الشيخ افتخار الدين ياقوت العزيزى^(٣) فتسلم الحصنين.

ذكر عود الملك المجاهد إلى الملك والقبض على عمه الملك المنصور ووفاته

وكان الملك المنصور لما ملك أبقى على حاشية أخيه الملك المؤيد، ولم يغير أحدا منهم، وكان منهم من يميل إلى الملك المجاهد ولد مخدمهم، فتقدم بعض غلمان المجاهد إلى بلاد العربيين، واتفق هو وجماعة منهم مقدمهم بشر الذهابى^(٤)، وكانوا عاملوا شخصا يقال له صالح ابن القواس^(٥) على طلوع الحصن من ورائه باتفاق جماعة من عبيد الشراب

(١) زيادة من الخزرجى (٤/٢).

(٢) زيادة من الخزرجى (٤/٢) وفيه أنه كان يلتب بالخصى.

(٣) فى الخزرجى (٤/٢) التعزى.

(٤) فى ك الهمدانى، وفى أ الذهابى ومثله فى الخزرجى (٤/٢) وبهجة الزمن ص ٢٨٩ (ط. الحبشى).

(٥) فى أ، ك تقرأ: «الفواس» أو «القواس» وفى الخزرجى (٥/٢) الفوارس.

خانة وكانوا مؤيديه، فوصل العرب إلى المكان الذي تقرر طلوهم منه، وكان بينهم وبين العبيد إشارة، فلما علم العبيد بهم أرسلوا لهم الحبال التي أعدوها للطلوع، فطلع الحصن أربعون رجلا، وباتوا تلك الليلة في الشراب خانة، وهي الليلة السادسة من شهر رمضان، فلما نزل الطواشي شهاب الدين / (١٨١) موفق الخادم بمفاتيح أبواب الحصن خرجوا عليه فضربوه بالسيوف وأخذوا منه المفاتيح، ودخلوا على الملك المنصور، وطلع العرب بظاهر البيوت، ونادوا باسم المجاهد، فترامى العرب المنصورية من الحصن، وقاتل شمس الدين الطنبا والى الحصن قتالا عظيما، فقتل.

ولما علم الناصر بهذه الحادثة ركب في جماعة من العسكر إلى أسفل الحصن، فلم يتهيا لهم ما أرادوا، وقام سواد البلد على الناصر، ونادوا بشعار المجاهد، وحمل الناس إلى المجاهد بالحبال، وملك الحصن ثانيا، واستولى على ما فيه، وقبض على عمه المنصور، فلم يزل في اعتقاله إلى أن مات في المحرم سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة، ودفن بمدرسة أبيه المظفر.

ولما ملك المجاهد ثانيا حلف لممالك أبيه، وكتب لهم ذراعة^(١) بالأمان والوفاء، وجمع ملوك بني رسول كلهم عنده تحت الاحتياط ما خلا ولدى الوراق، فإنه لم يعثر عليهما، واستناب في السلطنة الأمير جمال الدين نور، وكان شديد الكراهية له، وطلب من عمه الملك المنصور أن يكتب إلى ولده الملك الظاهر بتسليم الدمولة، فكتب إليه كتابا شافيا، فامتنع الظاهر من / (٥٦) تسليمها، فأرسل إليه عسكرا مقدمه الأمير شجاع الدين عمر بن علاء الدين والشيخ أحمد بن عمران الغياتي^(٢)، والشيخ عمران بن أبي بكر المغلسي^(٣)، فخامر^(٤) جماعة من الأشعوب على الظاهر مقدمهم، ومكنوا عسكر المجاهد من طريق يفضى بهم إلى الصلى^(٥)، وحاصروا / (١٨٢) حصن المنصورة،

(١) في بهجة الزمن ص ٢٨٩ «ذمامة».

(٢) هكذا في أ، ك، وفي الخزرجي (٦/٢) العبابي.

(٣) هكذا في أ، ك، وفي الخزرجي (٦/٢) الشيخ عمر بن أبي بكر العنسي وورد في (٣٠/٢) «... وكان طريقه على بلاد المغلسي» وفي بهجة الزمن ص ٢٩٠ «العياني».

(٤) في أ ص ١٨١ «جامر» وما أثبتناه من ك، والخزرجي (٦/٢) والذي في اللغة «المخامرة: المقاربة والمخالطة والاستتار».

(٥) الضبط من: (مراسد الاطلاع ٨٥١/٢) وفسره بأنه ناحية قرب زبيد باليمن، وفي بهجة الزمن ص ٢٩٠ «الصلو» وفي هامشه «انه جبل في بلاد المعافر».

وحصل بينهم وبين عسكر الظاهر زحوف كثيرة، ولم ينالوا من الحصن شيئاً، فرجعوا وتركوا أكثر أثقالهم وخيامهم، فخرج أصحاب الظاهر من المنصورة، فانتهبوا ذلك.

وفى آخر سنة اثنتين وعشرين اختل أمر المخلاف، وخرج عن السلطنة، وثار به مشايخ العربان والقبائل، وملكوا أملاك الملوك، ونهبوا جبلّة، وأخذوا جميع ما فيها حتى حصر المسجد الجامع، وخالف بنو فيروز وعسكر الدروب، واتسعت دائرة الخلاف.

وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة التحق جماعة من الجند إلى الملك الظاهر، وجماعة من عرب ذمار، فأكرمهم، وصاروا يغيرون على أطراف بلاد الملك المجاهد، وسار جماعة من المماليك إليه، ووصل إليه الأمير غياث الدين محمد بن يحيى بن منصور الشبابة^(١)، فأكرمه، وكاتب الأمير بدر الدين حسن بن الأسد والى ذمار، فأجابه،

وكان فى جملة المماليك البحرية جماعة يكاتبون الظاهر، ويميلون إليه، منهم: الأمير عز الدين أيبك الدوادار المؤيدى فجيش الأمير بدر الدين حسن ابن الأسد، وجمع وحشد، ودخل إلى الجند قاصدا حصار تعز، وأمدّه الظاهر بأموال جمّة من الذهب والفضة، فخرج إليه العسكر المجاهدى، ومقدمهم إبراهيم بن شكر، وكان قد نزل إلى المجاهد من بلاده لما عاد الملك إليه، ومعهم الفائز قطب الدين بن أخى المجاهد، فلما تراءى الجمعان / (١٨٣) نكس جماعة من المماليك والجند رماحهم، والتحقوا بعسكر الظاهر، وصار العسكر بكماله ظاهرياً، وعاد الفائز من ليلته بمساعدة إبراهيم بن شكر، وحصل بين ابن شكر وبين الأمير بدر الدين حسن بن الأسد أيّمان وعهود^(٢)، وأجمع العسكر على دخول تعز، ولاقاهم الأمير غياث الدين بن الشبابة^(١) من ناحية الدملة، وضربت الخيام بمزارع عدنية، وأقامت المحطة سبعة أيام، وكان أهل تعز فى أشد ما يكون من التعب من قوة الحصار، ثم التحق جماعة من العسكر بالمجاهد، فارتفعت المحطة.

(١) كذا فى أ. ك، وفى الخزرجى (١١/٢) «الغياث بن الشيبانى».

(٢) فى الخزرجى (١١/٢) ورجع ابن شكر إلى تعز على موادة بينه وبين ابن الأسد.

ثم اضطربت أحوال المجاهد واختلفت آراء من حوله، فأشار عليه بعض من عنده - ويقال إنه ابن شكر - بالقبض على الأمراء البحرية والمماليك، وكان المحرض له عبد الرحمن المعروف بابن العنقاء، وهجموا عليهم سحرا، فنجا بعضهم، وقبض على جماعة كثيرة، ونهبت منازلهم، وشنق بعضهم، والتحق من هرب بالظاهر وانضموا إليه، فلما تحقق نفورهم عن المجاهد، ووثق بمناصحتهم، وكان منهم الأمير بهاء الدين بهادر الصقري، أرسلهم الظاهر إلى الخوخية^(١)، وكان للظاهر بها محطة تبلغ مائتي فارس، وكانوا بين إقدام وإحجام، فلما انتهوا إليهم، وكان الحاث لهم على النزول، والمتدرك لهم بالبلاد بهادر الصقري فنزلوا [إلى تهامة، ودخلوا السلامة، وتوجهوا إلى حيس، ثم توجهوا]^(٢) إلى زيد، فلما صاروا بالقرتب^(٣) اختلفت آراؤهم، فهم جماعة منهم / (١٨٤) بالتوجه إلى جهة أخرى، وهم آخرون بالرجوع إلى الظاهر، ثم جمعهم الصقري، وثبتهم، وتوجه هو وجماعة من المماليك إلى زيد، وكان بها الأمير بدر الدين محمد بن طرنطاي، وأمر البلد إليه، فكاتبه الصقري، فلم يعد إليه جوابا، وأصر على حفظ البلد.

وكان أهل زيد يرغبون في الصقري، ويميلون إليه لتقدم ولايته عليهم في الأيام المؤبدية، ووقع بين أهل زيد اختلاف على قتيل، فخرج جماعة من عوارين^(٤) البلد إلى الصقري والعسكر بكماله قد نزل بستان الراحة بباب الشبارق، فتكفلوا للعسكر أنهم يطلعون رجالهم بالحبال، فبادر عسكر الظاهر إلى ذلك ودخلوا البلد في مستهل شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وقت الظهر، ونهبت بيوت مخصوصة منسوبة إلى المجاهد: كدور بني النقاش، ومن والاهم، وكان بها جملة من الطعام، وظفر الصقري بآلات وتحف للمجاهد منها:

(١) في الخزرجي (١٢/٢) «ساروا إلى قرية الخوخية».

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من ك، وأثبتناه من أ ص ١٨٣، والخزرجي (١٢/٢) وعبارته: «فنزلوا إلى تهامة، ودخلوا قرية السلامة».

(٣) هكذا في أ، ك، وفي الخزرجي (١٣/٢) القرتب، وفي (مراسد الاطلاع ٣/٧٥-١) القرتب - بضم القاف والياء وسكون الراء - : من قرى وادي زيد.

(٤) هكذا في ك، وفي أ ص ١٨٤ «الفوارين» بالغين المعجمة، وكلاهما غير واضح المعنى، وقد وردت في الخزرجي (٢٧/٢) في سياق يفهم منه أنهم جماعة يستعين بهم من أراد نصرتهم لقاء مال، ويعرفون بالقوة والفتك. وفي ص ٤٢ ذكر أن المجاهد استأصلهم وقبض على شيخهم أحمد الأسد في جمادى الآخرة سنة ٧٢٦هـ.

حياصتان مرصعتان بالجواهر النفسية، وكانت للملك المؤيد، وسرموزه مُرَصَّعة بالجواهر يقال أنها كانت لبنت جوزا، أخذها المجاهد من الدمْلوه حال طلوعه، فأحضرها الصقري إلى الظاهر، واستولى الظاهر على زبيد والبلاد التهامية. وقامت دعوته بها، وضُرِبَت السُّكَّة باسمه، وخطب له فى التهايم كلها، وسكن عسكر الظاهر بكماله زبيد.

ولما اتصل ذلك بالمجاهد جهز عسكره، وقدم عليهم الأمير نجم الدين أحمد بن أزدمر: / (١٨٥) وابن العماد، والزعيم بن الافتخار، وكانوا يزدون على ثلاثمائة فارس، وأربعمائة راجل، ومقدم الرجالة أخو الورد بن الشبيلي، ولما دخلوا إلى السلامة^(١) نهبوا أكثر بيوتها، وساروا إلى جهة زبيد، فخرج إليهم جماعة من العسكر وأقام الصقري بالبلد، فالتقوا بالمنصورة، فانهزم عسكر المجاهد، وقتل منهم خلق كثير، وأخذ العَلَمَ والحمل الذى كان مع ابن أزدمر وأسرره، ودخل رديفا خلف الشريف صارم الدين داود بن قاسم بن حمزة، وقتل أخو الورد بن الشبيلي^(٢)، وابن العماد، وتفرق العسكر، واستأمن منهم جماعة، وقوى الظاهر بذلك.

(٥٧) / وكانت عدن بيد الملك المجاهد، وواليتها ابن النقاش، فوقع بينه وبين الأمير شجاع الدين عمر بن بلبان العلمى^(٣) منافرة، فكتب إلى المجاهد يشكو منه، فظفر بعض غلمان الظاهر بإنسان وصل من عدن^(٤) ومعه كتب فقتله، وأخذ كتبه، وأحضرها إلى الظاهر، فوجد فى جملتها جوابا لابن النقاش، وفيه فصول تتعلق بالأمير شجاع الدين المذكور وإخوته لا ترضى، وكان قبل ذلك قد توجه شجاع الدين إلى المجاهد بمال، وصحبته جماعة من الجحافل، فلم يقابلهم المجاهد بما جرت به العادة، فنفروا، ونفر شجاع الدين معهم، وأنضم إلى ذلك أن المجاهد طلب من شجاع الدين أن يقرضه سبعين ألف دينار فرفض فزاد نفوره مع مشاحنة ابن النقاش.

فلما وقف / (١٨٦) الظاهر على الكتاب أرسل به إلى الأمير شجاع الدين، فلما وقف عليه أعلن أنه ظاهرى، وتوجه من ساعته، وحاصر عدن،

(١) السلامة : من قرى تهامة.

(٢) فى بهجة الزمن ص ٢٩٤ «السبى» ظنا وفى العقود «السبلى».

(٣) فى ك المعمل، والاسم المثبت من أ ص ١٨٥، وفى الخزرجى (١٩/٢) «عمر بن تاليل العلمى الدويدار».

(٤) فى بهجة الزمن ص ٢٩٤ «من تعز».

فأقام عليها عشرين ليلة، ثم افتتحها في الثامن والعشرين من شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة برجال أدخلهم، وتَحَيَّلُوا على فتح الباب، ودخلوا البلد دخولا صعبا، نهبت فيه أكثر البيوت الخصوصية، وعاث الجحافل في البلد، وقبضوا على ابن النقاش، ونهبوا داره، واستقر الثغر للأمير نجم الدين يوسف ابن على الصليحي، وهو رجل شهيم من بيت الزعامة والرئاسة، واستقرت المملكة كلها بيد الظاهر ونوابه، ولم يبق مع الملك المجاهد غير حصن تعز، وهو يبذل لأهل صبر^(١) في كل شهر جملة من المال، خوفا منهم أن يقطعوا عنه الماء ويحاصروه.

وفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة ثار الزعيم ابن الافتخار ببلاد المحالب، وتوجه إليه البحرية من قبل الظاهر، وكسروه كسرة شنيعة، وقتلوا من أصحابه جماعة.

وفي السنة المذكورة عقد الظاهر للأمير بهاء الدين بهادر الصقري الأتوية ورُفِعت إليه الطبلخانة، ودخل زبيد دخولا لم يعهد مثله، وعامله الظاهر بأتم إحسان، وهو مع ذلك «يُسِرُّ حَسَوًا في ارتِغَاء»^(٢)

وفي السنة المذكورة خالف أهل صبر على المجاهد، وقطعوا المياه عنه، وضعف حاله، وشعث أهل المغربة وعدنية بين أهل صبر والمجاهد / (١٨٧) فجهز الظاهر الأمراء البحرية ومقدمهم الأمير نجم الدين محمد بن طرنطاي، ووافاه الأمير شجاع الدين عمر بن بلبان الدوادار العلمي من عدن، فخطوا على الحصن وحاصروه.

وكان غياث الدين بن بوز^(٣) من خواص أصحاب المجاهد قد فوض إليه أمر أستاذ داريته، وأتابكية عسكره، فلما حوَصِر المجاهد استأذنه غياث الدين

(١) صبر - بفتح أوله وكسر ثانيه - : جبل شامخ عظيم مظل على قلعة تعز فيه عدة حصون وقرى، وبه قلعة تسمى صبر أيضاً (مراسد الاطلاع ٢/ ٨٣٢).

(٢) مثل يضرب فيمن يظهر طلب القليل وهو يسر أخذ الكثير، وانظر مجمع الأمثال ٣١٢/٢ ط. بولاق، ولسان العرب مادة: ر غ و.

(٣) هكذا في ك، وفي أ ص ١٨٧ غير منقوط، وفي الخزرجي (١٩/٢) وكان الغياث بن نور مع السلطان في الحصن.

فى اللحاق بهم، وقال: إنه إذا وصل إليهم تحيّل على استمالتهم إليه، فإن مالوا إليه، وإلا تحيّل أن يسقى ابن الدوادار السم، فأذن له: فلما التحق بهم قالوا له: لا نقبلك ونتحقق نصحك إلا إذا نصبت المنجنيق على تعز، ورميتها به، وبالغت بالنصيحة للملك الظاهر، فراسل المجاهد فى ذلك، وقال له: إنهم لا يرضون منى إلا أن أرمىك بالمنجنيق^(١)، فأذن له فى ذلك، فنصب عليه المنجنيق ورموه بها، وأزالوا ما بتعز من المناظر والمنازل.

قال القاضى تاج الدين: فأخبرنى المحقق للحال، أن الذى وصل إلى الحصن من الحجارة المنحوتة أربعة آلاف حجر، وحصل قتل كثير، وخرت تعز خراباً لا يتدارك، وملت أكثر بيوتها، واستمر الحصار إلى ذى الحجة سنة أربع وعشرين وسبعمائة.

ولما اشتد الحصار على المجاهد، ورأى تألّب الناس عليه، وخروج البلاد عنه، راسل السلطان الملك الناصر^(٢) فى ذلك، واستغاث به، وتضرع إلى مراحمه، والتزم تحمل الأموال، والتحف والنفقة فى العساكر، فوصلت رسله إلى الأبواب السلطانية / (١٨٨) وذلك فى سنة خمس وعشرين كما تقدم، فكان من تجهيز العساكر المصرية ما نذكره إن شاء الله تعالى.

قال: واتفق أن الأشراف كانوا قد استولوا على صنعاء بعد وفاة الملك المؤيد عندما وقع الاختلاف بين الملكين باليمن، فلما علموا أن الصقرى ومن معه من المماليك استولوا على زبيد وبلاد تهامة، وأنهم مظهرون الطاعة للملك الظاهر بن الملك المنصور، مخالفون على المجاهد، وأنهم استقلوا بأموال البلاد لا يحملون منها إلى الظاهر شيئاً، تحرك الأشراف عند ذلك، ونزلوا فى جمع كبير يقال إن عدتهم كانت خمسمائة فارس وكثير من الرجال، وراسلوا الأمير بهاء الدين بهادر الصقرى أن يعطيهم نصف بلاد تهامة، فقال: لا جواب لكم عندنا إلا السيف، ف وقعت الحرب^(٣) بينهم على وادى سهام من عمل الكدراء،

(١) المنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة، فارسيتها من جه نيك = وانظر (الألفاظ الفارسية المعربة ص ١٤٦) ويقال فيه المنجليق والمنجنوق (ج) مجائق ومجانيق (شفاء الغليل ٢٠٧).

(٢) يعنى الناصر «محمد بن قلاوون الصالحى» وهذا الخبر أورده ابن تغرى بردى فى (النجوم الزاهرة ٨٤/٩) وأبو الفدا (٩٤/٤) وابن خلدون (٤٣٤/٥) والمقرئى (السلوك ٢٦٤/٢).

(٣) أورد الخزرجى هذه الواقعة، وذكر أنها تعرف بيوم جاحف، نسبة إلى الوادى الذى وقعت فيه، وأورده بعبارة مبسطة عما ذكره النوبرى هنا (العقود اللؤلؤية ٢٢/٢ وما بعدها).

فكانت الدائرة على المماليك، وأسر الأشراف جماعة من أعيانهم، فعند ذلك اضطربت المحطة^(١) الذين كانوا يحاصرون المجاهد بتعز، وفارقوا الحصار، وتوجهوا لإنجاد أصحابهم، وأظهر الأشراف عند ذلك الانتصار للمجاهد.

وكان الحامل لهم على ذلك ولدا المظفر أخى المجاهد، وهما: الملك المفضل شمس الدين يوسف، والملك الفائز قطب الدين أبو بكر، فإنهما التمساً من الأشراف نصرة عمهما الملك المجاهد.

ولما حصل من الأشراف ما حصل رجع المماليك البحرية - الصقري وغيره، وغياث^(٢) بن نور - إلى خدمة الملك المجاهد، ورجعت زبيد وتهامة إليه.

/ (١٨٩) هذا ما أورده المولى تاج الدين فى تاريخه، وبعضه شافهنى به، فلنرجع إلى سياقة أخبار الدولة الناصرية لسنة خمس وعشرين وسبعمئة، وما بعدها.

(٥٨) / ذكر تجريد طائفة من العساكر المنصورة إلى البلاد اليمنية وما كان من خبرها إلى أن عادت^(٣)

قد ذكرنا وصول رسل^(٤) الملك المجاهد سيف الإسلام على بن الملك المؤيد هزبر الدين داود إلى الأبواب السلطانية الملكية الناصرية يستغيث به، ويستنجد به لتفريج ما به من الكرب، وإعادة ما أخذ من بلاده إليه، فبرزت المراسيم الشريفة السلطانية فى يوم الاثنين الخامس من صفر سنة خمس وعشرين وسبعمئة بتجريد طائفة من العساكر المنصورة لإنجاده، فجرد لذلك من نذكر من الأمراء والمماليك السلطانية، ورجال الحلقة، وأجناد الأمراء، وهم:

(١) المحطة فى استعمال المؤلف يراد بها الجماعة المرابطة فى مكان ما للغارة أو للحصار.

(٢) فى الخزرجى (٢٣/٢) «الغياث بن نور» وعبارته: «.. فلما ارتفعت المحطة عن تعز رجع جماعة إلى السلطان منهم الغياث بن نور، فقابلته السلطان بالقبول».

(٣) ما أورده النويرى من أخبار هذه الحملة لا نجده عند غيره على هذا النحو من التفصيل.

(٤) فى النجوم (٨٤/٩) أن رسل المجاهد كان على رأسهم كافور الشبلى خدام الملك، وفى السلوك (٢٦٥/٢) «كافور الشبلى».

الأمير ركن الدين بيبَرُس الحاجب، كان وهو مُقَدَّم العسكر، وصحبته من طلبة خمسين [خمسون^(١)] فارسا، ومن المماليك السلطانية سبعة عشر فارسا ومن الأجناد والأمراء ثلاث وسبعين فارسا، ومضافيه ومن أمراء الطبلخانة خمسة وهم: / (١٩٠) الأمير سيف الدين أقول الحاجب، وصحبته اثنين^(٢) وخمسين فارسا من طلبة عشرين، ومن المماليك السلطانية عشر، ومن أجناد الأمراء اثنين وعشرين.

والأمير سيف الدين قجماز بنخاص^(٣) وصحبة ثمانية وأربعين فارسا من طلبه عشرين، ومن المماليك السلطانية عشرة، ومن أجناد الأمراء ثمانية عشر، والأمير سيف الدين بَلْبَان الصرُّخْدِي، وصحبة ثلاثة وخمسين فارسا من طلبة خمسة وعشرين، ومن المماليك السلطانية عشرة، ومن أجناد الأمراء ثمانية عشر.

والأمير سيف الدين بَكْتَمُرُ العلّائي أستاذ^(٤) الدار، كان، وصحبة خمسة وخمسين فارسا من طلبة خمسة وعشرين، ومن المماليك السلطانية عشرة، ومن أجناد الأمراء عشرين.

والأمير سيف الدين أَلْجَای الساقی الناصري، وصحبته ثلاثة وخمسون فارسا من طلبة خمسة وعشرين، ومن المماليك السلطانية عشرة، ومن أجناد الأمراء ثمانية عشر. ومن أمراء العشرات الأمير عز الدين أَيْدَمُرُ الكُونْدَكِي، وثلاثة من أصحابه.

والأمير شمس الدين إبراهيم التُّرْكُمَانِي كذلك، ومن مقدمي الحلقة المنصورة خمسة، وهم: سيف الدين كُكْتَمُرُ بن كراي الظاهري، ومضافية ثلاثين فارسا. علاء الدين علي بن أميرك الدَّوَادَار، ومن مضافية ثلاثة وثلاثين. عز الدين

(١) زيادة من «أ» ص ١٨٩.

(٢) كذا في الأصلين والصواب اثنان وكذلك ما بعده في هذا السرد، ويمكن تصويبه على الإضافة «ومن صحبة كذا...».

(٣) في أ، ك غير منقوط، وفي الدرر (٤٧٢/١) رجع بنخاص في الحاشية. وفي السلوك (٢٦٠/٢) قجماز الجوكندار ومعرف باسم بشاش.

(٤) في السلوك (٢٦٠/٢) أستاذار، وفي صبح الأعشى (٤٥٧/٥) الإستدار - بكسر الهمزة وتشديد الدال، قال ومعناه: متولى الأخذ، سمي بذلك لأنه يتولى قبض المال وخطأ القلقشندي من يقوله أستاذار أو أستاذ الدار.

أَيَّدَمُرُ الحسامي، ومن مضافية اثنين وثلاثين، بهاء الدين بَكْمَش^(١) الحُسامي ومضافية كذلك، عز الدين أَزْدَمُرُ السيفي^(٢)، ومن / (١٩١) مضافية تسعة وعشرين. هذه التقديمة الأولى،

والتقديمة الثانية: الأمير سيف الدين طِينَال حَاجِب الميسرة، وهو أحد مُقَدَّمَى الألوف، وصحبته من طلبة أربعين فارسا، من المماليك السلطانية، خمسة عشر فارسا، ومن أجناد الأمراء اثنين وأربعين فارسا، ومضافيه من أمراء الطبلخانة خمسة، وهم: الأمير سيف الدين^(٣) طَطْقَر العفيفي الناصري وصحبة أربعة وخمسين فارسا من طلبة خمسة وعشرين فارسا، ومن المماليك السلطانية تسعة نفر، ومن أجناد الأمراء عشرين، والأمير سيف الدين كوكاي طاز وصحبة تسعة وأربعين فارسا من طلبة عشرين فارسا، ومن المماليك السلطانية تسعة، ومن أجناد الأمراء عشرين فارسا، والأمير علاء الدين على ابن الأمير سيف الدين طَغْرِيل الإِتْقَانِي^(٤) وصحبته كذلك، والأمير عز الدين أَيْيَك الكُونْدُكِي، وصحبة ستة وأربعين فارسا من طلبة عشرين فارسا، ومن المماليك السلطانية ثمانية، ومن أجناد الأمراء ثمانية عشر، والأمير سيف الدين جَرِيَّاش^(٥) أمير علم، وصحبة أحد وأربعين فارسا من طلبة خمسة عشر، ومن المماليك السلطانية تسعة، ومن أجناد الأمراء سبعة عشر، ومن أمراء العشرات: الأمير سيف الدين بَلْبَان الدَّوَادَارِي، وثلاثة من أصحابه، والأمير حسام الدين طَرْنُطَاي الإِسْمَاعِيلِي كذلك.

/ (١٩٢) ومن مُقَدَّمَى الحلقة المنصورة خمسة، وهم: سيف الدين سونديك الجاشنكير، ومن مضافية ثلاثين فارسا بدر الدين بيليك أمير آخُور، ومن مضافية تسعة وعشرين: سيف الدين طاجار الفَخْرِي، ومن مضافيه كذلك شمس الدين سُنْقَرُ الشَّمْسِي، ومن مضافية ثمانية وعشرين سيف الدين أَسْنَدَمُرُ السَّيْفِي، ومن مضافية كذلك.

(١) لم أجده ولعله تحريف بكتمش.

(٢) هو أزدمر الكاشف الأعْمَى، وقد ولي - بعد عودته من اليمن - البهنسا، ثم تولى الكشف بالوجه القبلي، ثم البحري، وعَمِيَ سنة ٧٤٢هـ (الدرر الكامنة ١/٣٥٥).

(٣) في السلوك (٢/٢٦٠) ططر الناصري، وفي النجوم ٧٨/٩ ططقرا من غير ضبط.

(٤) في «أ» و «ك»، وكذلك في السلوك ٢/٢٦٠، الإيفاني، والمثبت من (الدرر ٢/٢٢٢) وورد اسم والده فيه طغريل الأتقاني من مماليك اتقان الملقب بسم الموت. وترجمته في الدرر (٣/٥٦).

(٥) في ك (جربابين) وهو تحريف وما أثبتناه من أ ص ١٩١ والسلوك (٢/٢٦٠). والنجوم ٧٨/٩ وضبط فيه كما أثبتناه.

فكانت عدة هذا العسكر ألف فارس وخمسة وسبعين فارساً، ومن أمراء
 الطُّبُلْخَانَاةِ اثني عشرة، عدتهم ثلاثمائة، وخمسة من أمراء العَشَرَاتِ ممن
 عدتهم ستة عشر، ومن المماليك السلطانية مائة وستة وعشرين، ومن مقدمي
 الحلقة المنصورة ومضافيهم ثلاثمائة ومن أجناد الأمراء ثلاثمائة
 وستة^(١)، فتجهز هذا العسكر أحسن جهاز وأجمله، وجهاز السلطان - خلد الله
 ملكه - معهم خزانة مال، ورسم / لمقدم الجيش الأمير ركن الدين المذكور [أن
 ينفق^(٢) المال] لمن نفق له فرس، أو تَنَبَّل^(٣) له جمل، وجهاز صحبة المقدم
 المذكور عدة تشاريف لملك^(٤) اليمن، وأمراء الحجاز، وغيرهم من العُربان. (٥٩)

قال: وكان بروز هذا العسكر من القاهرة المحروسة في يوم الخميس
 خامس شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، ورحل أوائل العسكر من بركة
 الجب بظاهر القاهرة المحروسة في يوم الاثنين التاسع^(٥) من الشهر، وتكامل
 رحيله في يوم الأربعاء حادي عشر، واستمر بهم السير إلى أن وصلوا إلى
 / (١٩٣) مكة - شرفها الله تعالى - معتمرين في السادس والعشرين من
 جمادى الأولى، وأقاموا بمكة عشرة أيام، وكتب الأمير ركن الدين مقدم
 العسكر الأمانات، وسيرها أمامه إلى العُربان، وإلى أهل حَلَى بن يعقوب^(٦)،
 وإلى الأشراف بالمخلاف السليمانى، وضمنها ما برزت به الأوامر السلطانية
 من الوصية بمن تَمَرُّ العساكر عليه منهم، وعدم التعرض إلى أموالهم وغلالهم،
 والإحسان إليهم، فاستقرت خواطرهم بذلك، ولم ينفروا من العسكر.

(١) في الخزرجي (العقود ٣٢/٢) «أنهم كانوا ألقى فارس، وألف راحلة. فيهم أربعة أمراء، والمُعَوَّل على
 أميرين منهم، وهما: سيف الدين (ركن الدين) بيبرس، وجمال الدين طيلان (طينال) وكان معهم اثنان
 وعشرون ألف جمل، تحمل عددهم وأزوادهم...».

(٢) ما بين الحاصرتين سقط من ك، والزيادة من أ ص ١٩٢.

(٣) يقال: تنبَّل البعير، والرجل: مات. (تاج العروس: ن ب ل).

(٤) في أ ص ١٩٢ «لملكي اليمن».

(٥) في السلوك (٢٦١/٢) «... وبرزوا من القاهرة إلى بركة الحاج يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر».

(٦) في تاج العروس (ح ل ي) حلى بنى يعقوب، وفي (أحسن التقاسيم) ٨٦ حلى: مدينة ساحلية عامرة،

وفي مراصد الاطلاع ٤٢١/١ أن بينها وبين السرين يوم واحد وبينها وبين مكة ثمانية أيام.

وحضر الرسل إلى مقدم العسكر وهو بمكة، وسأله أن يكتب إلى الملك المجاهد كتابا يخبره فيه بوصول العسكر، فكتب إليه، وجهاز الكتاب على يد بعض رفقتهم إليه في البحر، ورحل العسكر من مكة - شرفها الله تعالى - في السادس من جمادى الآخرة، وفي صحبتته الأمير السيد الشريف سيف الدين عَطِيفَة^(١) أمير مكة، والأمير الشريف ناصر الدين عَقِيل أمير يَنْبُع، وتأخر الأمير عز الدين رُمَيْشَة^(٢) عن الحضور، حتى حلف له مقدم العسكر وأمنه، فلاحق بالعسكر المنصور في الخامس والعشرين من الشهر في أثناء الطريق، ووصل العسكر إلى حَلَى ابن يعقوب في سادس عشر الشهر، وأقام العسكر به يومين للراحة والاستراحة، ورحل في تاسع عشر الشهر، ونزل جَعْل، وتعرف بعمق وهو أول بلاد اليمن، ووصل إلى حَرَض في التاسع والعشرين من جمادى الآخرة، وهي أول بلد يُجَبَى خواجه لملك^(٣) اليمن، وهي / (١٩٤) خاص الملك، وعند الوصول إليها أشهر مقدم العسكر النداء بالعدل، وألا يتعرض أحد للرعية، ورحل منها ووصل إلى المَحَالِب في ثالث شهر رجب .

ووصل جواب الملك المجاهد إلى مقدم العسكر بهذه المنزلة، وظهر من فحوى جوابه ما دل على أنه سَقِطَ في يده، وندم على طلب العسكر، وخاف على نفسه، فأعيد جوابه صحبة جمال الدين عبد الله الدواداري البريدي بما يُسَكِّن خاطره، وَيُطَيِّب نفسه، وكان الحصار قد ارتفع عن الملك المجاهد لما بلغهم إقبال العسكر، وأطاعه جماعة ممن كان خالفه، وخرج عليه كما تقدم، وقبض المجاهد عند ذلك على ابن عمه جلال الدين بن الملك الأشرف وابن طُرْنُطَاي وحضر إلى مدينة زبيد، ليتلقى العسكر، فلما قرب العسكر من زبيد قويت إشاعة أن الملك المجاهد عزم على ألا يتلقى العسكر، وأن يعود إلى تعز، ووصل العسكر إلى بلد تسمى فَشَال^(٤) في ثامن رجب، فأرسل مقدم العسكر

(١) عطيفة بن محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسنى أمير مكة ترجمته في الدرر (٤٥٥/٢).

(٢) الضبط من الدرر (١١١/٢) وترجمته واردة فيه، وفاته سنة ٧٤٨هـ.

(٣) في «أ» ص ١٩٣ لملك.

(٤) فشال - بفتح أوله - قرية كبيرة بينها وبين زبيد نصف يوم على وادي رمع، وهي أم قرى الوادي المذكور (مراد الاطلاع ١٠٣٧/٣).

إلى المجاهد مُلَطَّفًا كان على يده من جهة السلطان يخبره فيه بما رسم فيه باطنا وأرسله على يد الأميرين: عز الدين أَيْدَمَرُ^(١) الكُونْدَكِي، وحسام الدين طُرُنْطَاي الإسماعيلي، وهما من أمراء العشرات، فتوجها إليه، وعرفاه أن يقف على الملطف، ويكتم ما تضمنه، وإذا وصل المثال السلطاني، وقرئ في المجلس العام تقابلُ الأوامر فيه بالسمع والطاعة.

ثم وصل العسكر إلى زبيد في يوم الأحد / (١٩٥) عاشر رجب الفرد، وخرج الملك المجاهد للقاءه، فتلقاه بالقرب من أسوار البلد، وألبسه مقدم العسكر التشريف^(٢) السلطاني، وعاد المجاهد والعساكر في خدمته إلى داره، وترجل مقدم الجيش والأمراء في خدمته حسب ما أمرهم السلطان، ومشوا حتى انتهوا إلى الإيوان الذي يمد فيه الإخوان^(٣)، فعضده الأمير ركن الدين بِيَبْرُس عند نزوله عن فرسه، وبذلك كله كان السلطان أمره عند توجهه، وقرئ عليه المثال السلطاني، في المجلس العام بعد أن قبل الملك المجاهد الأرض عند رؤية المثال، ومد المجاهد للعسكر إخوانا^(٤).

وتحدث مقدم العسكر مع الملك المجاهد في إرسال رسول إلى الملك^(٥) الظاهر^(٤) بقلعة الدُمْلُوَّة بالمثال السلطاني إليه، فوافق على ذلك، ثم كرهه بعد الموافقة، فجهز إلى الظاهر عز الدين الكُونْدَكِي، وحسام الدين طُرُنْطَاي الإسماعيلي، فتوجها من زبيد نحو الدُمْلُوَّة ولما توجهتا تحدث الملك المجاهد مع مقدم العسكر أن يجرد معه مائتي فارس، ليتوجه أمامه إلى تعز، وذكر له أنه بلغه أن الملك الظاهر قد عزم على مفارقة الدُمْلُوَّة، واللاحق بحصن السَّمْدَان، وأنه حصن حصين، ومتى صار به تعذر الوصول إليه، وذكر أن الطريق لا تسع العساكر بجملتها، فجرد معه الأمير سيف الدين ططقر العفيفي السلاح دار، والأمير سيف الدين قَجْمَاز بنخاص، وتوجهوا من زبيد في سادس عشر رجب، ووصلوا إلى تعز في العشرين من الشهر / (١٩٦).

(١) الضبط من التلقيندي (صبح الأعشى ٤٢٥/٥) والنجوم ٨٧/٩.

(٢) في الخزرجي (العقود ٣٢/٢) وصف لهذا الاستقبال في شيء من التفصيل، وذكر أن التشريف السلطاني

كان عمامة بعذبتين، وخلعة فاخرة، وفي السلوك (٢٦٦/٢) أنه كان كلفتاه زركش، وحياسة ذهب.

(٣) الإخوان: لغة في الإخوان - بضم الخاء وكسرها - : ما يؤكل عليه (تاج العروس - خ و ن).

(٤) في ك المجاهد - وهو خطأ، وما أثبتناه من «أ» ص ١٩٥.

ثم توجه الأمير ركن الدين ببقية العسكر إلى تَعَزٍّ، فوجد رسله الذين أرسلهم إلى الملك الظاهر قد منعهم نائب قلعة تَعَزٍّ من التوجه إلى الدُّمْلُوَّة، واعتذر أنه خشى عليهم من الطرقات، فجهز معهم الأمير سيف الدين عَطِيفَة أمير مكة، وتوجهوا إلى الملك الظاهر، واجتمعوا به، فوقف على المِثَال / (٦٠) السلطاني، وكان يتضمن الاتفاق بين الملكين، فسأل الظاهر الكشف عن سيرته وسيرة المجاهد، وأن تكون قلعة الدُّمْلُوَّة للسلطان، ويكون نائبه بها، وأكرم الرسل غاية الإكرام، وأعادهم،

وحصل من الملك المجاهد في خلال ذلك اضطراب كثير، وعدم موافاة بما كان التزم به، وقرره على نفسه من النفقة على العسكر، وكان جميع ما أعطاهم في جملة ثمن ما تَنَبَّلَ للجند من الجمال ثمانية وأربعين ألف درهم، وطولب بعُلُوفات دوابهم، فاعتذر أن خيله لها سبعة أيام ما أكلت عليقا، وأنه لا شيء عنده، فالتمس منه أن يأمر رعيته ببيع العليق للجند، والجند يقومون بالثمن، فقال: ما عندي إلا ما تأخذونه بسيوفكم،

ولم يكن مع المقدم مرسوم بالقبض على المجاهد، ولا نهب البلاد^(١)، فلذلك كف العسكر عنهم، وضاعت الميرة على العسكر، ومرض جماعة منهم، وتوجه جماعة من أجناد الحلقة إلى بعض الجهات ليبتاعوا ذرة برسم عليق دوابهم، فخرج عليهم جماعة من أهل جبل صَبَر، فأخذوا الجمال، وجرحوا الجَمَالَ^(٢)، فوصل الخبر إلى مقدم العسكر، فأرسل جماعة لكشف الخبر، فقاتلهم أهل / (١٩٧) الجبل وكاثروهم، فركب بنفسه، وتوجه إليهم، فاعتصموا منه بالجبل، وهو جبل وعَرَّ صعب المسلك لا ماء فيه، فصعد جماعة من العسكر إلى الجبل مشاة، وقتلوا من أهله نحو ثلاثمائة نفر، واشتد العطش بالعسكر، فمات منهم خمسة^(٣) أحدهم من المماليك السلطانية، والآخر من الحلقة، وثلاثة من أصحاب الأمير سيف الدين قَجْمَاز بنخاص.

(١) أورد المقرئ في (السلوك ٢/ ٢٦٦ و ٢٦٧) تفاصيل هذا الموقف بعبارة مبسطة.

(٢) في المصدر السابق «وتخطفوا الجمال والغلمان».

(٣) في السلوك (٢/ ٢٦٧) «فقد من العسكر ثمانية من الغلمان».

وظهر لمقدم العسكر أن الملك المجاهد قد ضاق من العسكر، وعمل على ما يحصل به الضرر التام، وسأل أن يفرق العسكر، ويتوجه بعضه إلى عدن، وبعضه إلى لحج وأبين وضبا^(١) ونواحيها، وبعضهم إلى مخلاف جعفر، وبعضهم إلى بلاد المغلسي^(٢) وغير ذلك من الجهات، وقصد بذلك أن يفرق العسكر في البلاد خوفا على نفسه منه، وقابل إحسان السلطان بالإساءة على ما نقل مقدم العسكر عنه.

ثم بلغ المقدم أن بهادر الصقري قرر مع المجاهد أن يمنع أهل البلاد من بيع العلوفات على العسكر، وربما شهر النداء بذلك، وكان الأمر السلطاني قد برز لمقدم العسكر أنه متى ظفر به بهادر الصقري يقتله، فأخر المقدم قتله ليطمئن غيره ممن كان قد خالف الملك المجاهد، ويحضروا، ثم ينفذ فيهم أمر السلطان.

فلما تحقق المقدم سوء طويته ركب إلى خيمة بهادر الصقري، وقبض عليه وعلى الغياث بن نور، وكانا ممن خالف المجاهد وألبا عليه كما تقدم، ثم رجعا إلى طاعته لما بلغهم قرب العسكر، ثم عملا على إفساد العسكر، ولما قبض على الصقري، / (١٩٨) وسطه^(٣) لوقتته، وقيد الغياث بن نور، وهو أيضا ممن رسم السلطان بقتله، وشهد عليه جمال الدين [محمد^(٤)] بن مؤمن، والزعيم عند مقدم العسكر - على ما حكاه المقدم في مطالعته للسلطان - أنه عمل على الإضرار بالعسكر، ومنع الأجلاب عنه، فلم يزل في القيد إلى أن رجع العسكر، ووصل إلى حرض فوسطه^(٥) المقدم بالقرب من المخلاف السليماني.

وأما الملك المجاهد، فإنه لما ضاق بالعسكر، واشتد خوفه منه، قال للمقدم: إن كان السلطان قد رسم لكم بالإقامة باليمن فالأمر إليه، وإن كان إنما أرسلكم لنصرتي فارجعوا إلى أبواب السلطان، وأحضر القاضي والشهود، وأشهد على نفسه أنه أذن للعسكر في^(٥) العود، ثم طلع المجاهد إلى القلعة،

(١) في أ، ك «صبا» والمثبت من الخزرجي (٤٤/٢) وادي ضبا، والضبط من معجم البلدان والقبائل اليمنية ص ٣٩٣.

(٢) في المصدر السابق (٣٢/٢) بلاد المغلسي: في وادي نخلة. وانظر: معجم البلدان والقبائل اليمنية ص ٦١٦.

(٣) وسطه: قطعه نصفين، وكان التوسيط من طرق الإعدام في هذه العصور.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة عن الخزرجي (٦٢/٢ - ٦٤) وقد أورد طائفة من أخباره.

(٥) انظر في هذا الخبر الخزرجي (العقود ٣٣/٢) والمقرزي (السلوك ٢٦٨/٢).

وامتنع من النزول إلى العسكر، فأرسل إلى المقدم أن يرحل بالجيش، وأنه يلحقه إلى زبيد، فعاد العسكر من تَعَزٍّ في التاسع من شعبان، ووصل إلى زبيد، وأقام بها في ميعاد المجاهد، فوصل الزعيم إلى مقدم العسكر، وأخبره أن الملك المجاهد توجّه من تَعَزٍّ إلى بعض الجهات، فانتظره المقدم ثمانية أيام، فلم يصل فعاد بالعسكر.

ولما وصل إلى منزلة بالقرب من بئر على، توفى الأمير سيف الدين ططقر^(١) العفيفي السلاح دار الناصري، وكان رحمه الله تعالى رجلاً جيداً كريماً، صادق اللهجة، ووصل أوائل العسكر إلى مكة شرفها الله تعالى عائداً إلى الديار المصرية في عاشر شهر رمضان، وآخره في ثالث عشره / (١٩٩) وأقام بها بقية شهر رمضان، ثم توجه منها إلى الديار المصرية.

وكان وصول جاليش^(٢) العسكر إلى القاهرة المحروسة في يوم الخميس مستهل ذي القعدة من السنة، ووصل المقدم وبقية الجيش في يوم السبت ثالث الشهر، ومثلوا بين يدي السلطان في يوم الاثنين خامس الشهر، وخلع على الأمراء في هذا اليوم، فخلع على الأميرين المقدمين خلعاً كاملاً بكُلُوتات زركش، وحوائص ذهب، وخلع على بقية الأمراء خلعاً كاملاً على عاداتهم، وزيد الأمير سيف الدين كوكاي في خلعتة كُلوْتة زركشا، ثم كان بعد ذلك من أمر الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، والقبض عليه ما نذكره، إن شاء الله تعالى.

وفي سنة خمس وعشرين وسبعمائة أيضاً، في العاشر من شهر ربيع الأول وصل إلى الأبواب السلطانية بقلعة الجبل بالمحروسة الأمير سيف الدين تَنَكُز^(٣) نائب السلطنة بالشام المحروس على خيل البريد، وشمله الإنعام السلطاني والتشريف، وعاد إلى دمشق على عادته في النيابة، وكان وصوله إليها في يوم الثلاثاء ثالث شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

(١) أورده المقرئ في السلوك (٢٢٩/٢) قطز، وعبارته «ومات الأمير سيف الدين قطز عند عوده من اليمن، وحمل إلى مكة، فدفن بها». «ولم أجده في رسمه من تراجم: الدرر الكامنة.

(٢) الجاليش: راية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر، وانظر القلقشندي (صبح الأعشى ٨/٤).

(٣) الضبط من القلقشندي (صبح الأعشى ٤٢٥/٥) وفي النجوم بفتح أوله وكسر ثالثه وسكون ثانيه.

ذكر حفر الخليج الناصري^(١)

(٦١) وفى هذه السنة أمر السلطان بحفر خليج مُسْتَجَدَّ سُمِيَ الْخَلِيجُ النَّاصِرِي عَوْضاً عَنْ خَلِيجِ الذِّكْرِ^(٢)، وجعل فوهته من قبلى خليج / / (٢٠٠) الذِّكْرِ، وتولى أمره نائب السلطنة الأمير سيف الدين أرغون الناصري، وولاه الأعمال البرانية، وابتدأ بحفره من فم البحر، ومر به على باب اللوق، ثم إلى بركة قرموط، واتصل الحفر إلى أن انتهى إلى الخليج الحاكمي، وبطل خليج الذِّكْرِ، وسد فمه وبنى على هذا الخليج الناصري عدة قناطر فى عدة أماكن منه، لسلوك المارة عليها فأنشأ القاضى فخر الدين ناظر الجيوش قنطرة عند فم الخليج بقرب البحر، وأنشأ الأمير سيف الدين قُدودار^(٣) متولى القاهرة قنطرة عند باب اللوق، وأنشأ القاضى شمس الدين عبد الله غبريال قنطرة عند دائرة^(٤) بركة قرموط، وأمر السلطان بإنشاء قنطرة عند باب البحر بظاهر القاهرة، وأنشأ بعد ذلك فى سنة ست وعشرين الأمير سيف الدين بَكْتَمُر الحسامى - الحاجب كان - قنطرة فى أرض الطِّبَّالَةِ خارج باب الشعرية، وأنشأ الأمير جمال الدين أَقْوَش الأشرفى المعروف بنائب الكرك قنطرة قبلى قناطر الأوز عند اجتماع الخليجين الحاكمي والناصرى، وحصل بهذا الخليج نفع كثير، وجرى مدة طويلة بعد انقطاع الخليج الحاكمي، ثم نشف.

وفيهما فى يوم الاثنين تاسع شهر ربيع الآخر ضُربَ عنق نصرانى تعرض إلى ذكر دين الإسلام، وأغض منه، وأصرَّ على إظهار ذلك، فحكم قاضى القضاة تقى الدين بن الأخنائى المالكي^(٥) بإراقة دمه، وأنهى أمره إلى

(١) انظر فى هذا الخبر: المقرئى (السلوك ٢٦١/٢ و ٢٦٢) والخطط (١٤٥/٢) وابن تغرى بردى (النجوم الزاهرة ٨٠/٩).

(٢) هذا الخليج أنشأه كافور الأخشيدي، وكان يعرف فى الدولة الأيوبية باسم خليج المقسى، ثم عرف باسم خليج الذِّكْرِ نسبة إلى شمس الدين الذِّكْرِ الكركى الذى قام بتطهيره فى عهد الظاهر (النجوم الزاهرة ١٢٤/٩ حاشيته ٢).

(٣) يرد فى السلوك والنجوم باسم قدادار. وفى الدرر (٢٤٤/٣) ترجمته وقد ورد اسمه فيه «قديدار» ومثله فى ZETTER STEEN ١٧٤ وفى النجوم بالرسمين: قديدار، وقدادار وضبطه بفتح أوله.

(٤) هكذا فى ك، وفى أ ص ٢٠٠ عند داره بركة قرموط.

(٥) هو تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة الأخنائى المالكي ولد سنة ٦٦٠ هـ ولى قضاء المالكية بالديار المصرية، وكان الناصر يحبه ويرجع إليه فى أمور كثيرة، ومات فى الطاعون سنة ٧٥٠ هـ (الدرر ٤٠٩/٣) وأخوه علم الدين محمد بن أبى بكر الأخنائى السعدى الشافعى.

السلطان، فرسم بتنفيذ حكمه ، فجلس بعد صلاة العصر من اليوم المذكور / (٢٠١) بالمدرسة الصالحية بإيوان المالكية، وضربت عنقه بين يديه.

ذكر عمارة القصر والخانقاة بسماسم والجلوس بالخانقاة

وفي هذه السنة كملت عمارة القصر والخانقاة الناصرية بأراضي سماسم بالقرب من سرياقوس ، وحصل الجلوس في يوم الخميس^(١) التاسع من جمادى الآخرة، ورسم السلطان بحضور قضاة القضاة، والعلماء ، وسائر مشايخ الزوايا والخوانق والربط بالقاهرة ومصر المحروستين والقرافيتين، ومن معهم من الفقراء، وحضر السلطان ونائبه، وأكابر أمراء دولته، واجتمعوا بالخانقاة، ومدت الأسمطة الكثيرة من الأطعمة اللذيذة، والأشوية، والحلويات والمشروب، وخلع على شيخ الشيوخ علاء الدين القونوي^(٢)، وشيخ الخانقاة المذكورة الشيخ مجد الدين الأقصرائي^(٣) وغيرهما من المشايخ والقضاة، وفرقت الأموال الكثيرة على سائر فقراء الخوانق والزوايا والربط من الذهب والفضة، وكان يوما مشهودا.

ورتب السلطان بالخانقاة أربعين صوفيا، ورتب لهم فوق الكفاية، ورتب لكل منهم في كل شهر أربعين درهما، وفي كل يوم ثلاثة أرطال خبز^(٤)، ورتب سباطا عاما يمد في كل يوم يأكله الفقراء المقيمون بها، والواردون إليها، وجعل للواردين إليها ضيافة، وأنشأ بها حماما للسبيل، / (٢٠٢) وجامعا، ورتب له خطيبا، واحتفل بالمكان غاية الاحتفال، وأنشأ به بساتين، ووقف على الخانقاة أوقافا كثيرة، يفضل [ربعها^(٥)] عن كفايتها، ثم زاد بعد ذلك عدة الصوفية، فجعلهم مائة، ووصلهم بالافتقار^(٦) الوافر، ورتب لهم في كل شهر

(١) في (السلوك ٢/٢٦٢) أن التوجه إلى الخانقاه كان في يوم الاثنين وعمل السباط العظيم في يوم الخميس تاسعا، وكذلك في (النجوم ٩/٨٣) وفي ص ٧٩ ورد خبر الشروع في بنائها وتحديد موقعها.

(٢) هو علاء الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي الشافعي، كان عالما مصنفًا بارعا في فنون العلوم توفي سنة ٧٢٩ في يوم السبت رابع عشر ذي القعدة (النجوم الزاهرة ٩/٢٧٩) وفي الدرر (٢٤/٣) أن مولده كان بقونية من بلاد الروم ٦٦٨هـ. وقد أورد له ترجمة طويلة.

(٣) هو مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائي الحنفي، كان شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس، وكان إماما فقيها بارعا مفتيا توفي سنة ٧٤٠هـ في شهر ربيع الثاني (النجوم ٩/٣٢٤) والدرر (٤/٣٧٣).

(٤) في المقرئ (الخطط ٢/٤٢٢ وما بعدها) وصف مطول لما رتبته السلطان لهذه الخانقاه وصوفيتها، وانظر السلوك (٢/٢٦٢) حاشية رقم (٥).

(٥) الزيادة من «أ» ص ٢٠٢.

(٦) يعني تفقد أحوالهم.

عند وصوله إلى الخانقاة سبعة آلاف درهم يخص الشيخ منها بألفي درهم، وتفرق منها خمسة آلاف على الفقراء، وليس هذا المال [من] الوقف، وإنما هو من ديوان الخاص السلطاني، وسمع السلطان في هذا اليوم أحاديث نبوية على قاضي القضاة بدر الدين [محمد بن جماعة^(١)] بقراءة ولده القاضي عز الدين عبد العزيز، وانفصل هذا الجمع بأوفر الصلات، وأتم الإنعام.

ذكر روك^(٢) الإقطاعات بالمملكة الحلبية

وفي هذه السنة أمر السلطان بروك المملكة الحلبية، فإنه لم يتأخر من الممالك بغير روك سواها، وتوجه لذلك الأمير علاء الدين مغلطاي^(٣) الجمالي الناصري مديّر المملكة في العشر الآخر من جمادى الآخرة وصحبته مكين الدين إبراهيم بن قروينة مستوفي الصحة، وكان عوده في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رمضان، وحصل الانتصاب لتحرير الروك، وتعين فيه جملة أقطع عليها جماعة من المماليك السلطانية والحلقة،

وفيها في يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر رمضان / (٢٠٣) عادت رسل السلطان من جهة الملك أزنك صاحب البلاد الشمالية، وهم: الأمير سيف الدين بكمش الجمدار الظاهري، والأمير بدر الدين بيليك السيفي السلاري المعروف بأبي غدة، وصحبتهما رسله ورسلا الأشكري^(٤)، ومعهم التقادم، فسمع السلطان رسالتهم، وأنعم عليهم، وأعادهم صحة رسله، وهم الأمير سيف الدين أضجلي^(٥) أحد الأمراء، وسيف الدين قرادمر أحد المقدمين، وأصحابهم

(١) زيادة عن السلوك (٢٦٢/٢) وترجمته فيه، وفي النجوم الزاهرة (٢٩٨/٩) والدرر الكامنة (٢٨١/٣). ووفاته سنة ٧٣٣هـ بعد أن جاوز الرابعة والتسعين.

(٢) الروك: لفظ جرى في مصطلح الإدارة المالية بمصر والشام في العصور الوسطى للدلالة على عملية قياس الأراضي ومسحها، وتقويم العقارات الثابتة ومتعلقاتها مرة كل ثلاثين سنة. وهو ما يعرف اليوم باسم فك الزمام وتعديله، وهو مأخوذ من الكلمة القبطية روش، ومعناها قياس الأرض بالحبل (السلوك ١٤٦/٢ حاشية ١) وانظر: التذكرة التيمورية ص ١٩٣.

(٣) الأمير علاء الدين مغلطاي بن عبد الله الجمالي كان يلقب بخرز - بضم الخاء وسكون الراء - ومعناه: ديك. ترجمته في الدرر (٣٥٤/٤) وسيورد النويري وفاته في سنة ٧٣٠هـ.

(٤) في فهرس النجوم الزاهرة الجزء التاسع ص ٣٤٣: الأشكري: صاحب الدولة البيزنطية.

(٥) كذا في ك، وأ ص ٢٠٣ ولم تتضح لنا صحته.

الهدايا، فتوجهوا، وكان خروج رسل الملك أُرْتُك من بين يدي السلطان في يوم الاثنين السادس من شوال، بعد أن شملهم بالخلع والإنعام، وتوجهوا في يوم الجمعة عاشر الشهر.

ذكر وفاة الأمير ركن الدين بيبرس^(١) المنصوري

/ وفي ليلة الخميس المسفر صباحها عن خامس عشرين شهر رمضان (٦٢) المعظم من هذه السنة كانت وفاة الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصوري، وهو من أكابر مماليك السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون في زمن إمرته، وكان رحمه الله تعالى أجلّ الأمراء في وقته لا يتخطاه أحد، ولا يجلس في مرتبته، وهو رأس الميسرة^(٢)، وتأمّر في ابتداء الدولة المنصورية السيفية، ثم فوض السلطان الملك المنصور إليه نيابة قلعة الكرك كما تقدم، ونقل منها إلى الديار المصرية في جملة الأمراء في الدولة الأشرفية الصلاحية، وردّ إليه في / (٢٠٤) ابتداء الدولة الناصرية أمر ديوان المكاتبات لصغر سن السلطان في ذلك الوقت، وتنقل في المراتب؛ فكان ينوب عن السلطنة الشريفة في الغيبة، ثم ولي نيابة دار العدل الشريف، ونظر البيمارستان المنصوري في أول الدولة الناصرية الثالثة، ثم فوض إليه نيابة السلطنة الشريفة استقلالاً، ثم قبض عليه بعد ذلك، وأفرج عنه كما تقدم ذكر ذلك، واستقر في جملة أكابر الأمراء، وجلس رأس الميسرة، وكان رحمه الله تعالى مولعاً بالتاريخ، يُديم مطالعته، وألف كتاباً سماه: «زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة»^(٣) في أحد عشر مجلداً، وتاريخاً مختصراً منه في مجلدين، واستعان على تأليفه في ابتدائه بكاتبه شمس الرئاسة بن كبر^(٤) النصراني، وكان الأمير ركن الدين رحمه الله تعالى من بقايا الخير.

ولما مات فرق السلطان إقطاعه، فأعطى الأمير علاء الدين مُغلطاي الجمالي مُدبّر الدولة وأستاذ الدار العالية منه خمسين فارساً على ما بيده،

(١) ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الخطائي الدواداري ترجمته في ابن حجر (الدرر) ٥٠٩/١ و ٥١٠ (المقريزي) (السلوك) ٢٦٩/٢ وابن تغري بردي (النجوم) ٢٦٣/٩.

(٢) في النجوم الزاهرة (٢٦٤/٩) «رأس الميسرة».

(٣) هذا الكتاب رأيت نسخة منه مصورة في مكتبة جامعة القاهرة سنة ١٩٥٠.

(٤) في ك تقرأ «ركبي» وما أثبتناه من «أ» ص ٢٠٤ لموافقته (النجوم) ٢٦٤/٩ والسلوك (٢٦٩/٢) والدرر (٥١٠/١) وعبارته نقلاً عن الصفي: «وأعانه على كتابة التاريخ كاتب له نصراني يقال له «ابن كبر».

وقدمه على ألف فارس، وأعطى بقيته للأمير سيف الدين بلبان السنائي^(١) أحد أمراء العشرات وأمره بطبلخاناه، وجعل الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى^(٢) رأس الميسرة.

وفى سنة خمس وعشرين أيضاً كان عيد الفطر بالقاهرة، والديار المصرية فى يوم الأربعاء، وأما دمشق فإن الناس ارتقبوا الهلال فى ليلة الثلاثاء فلم يره أحد، فصلى الناس التراويح، وسحر المؤذنون بالمواذن^(٣)، وأصبح الناس صياماً إلى نصف النهار، ثم ثبت على الحكام / (٢٠٥) بدمشق رؤية الهلال، ونودى بذلك، وأفطر الناس بقية النهار، وصلى صلاة العيد فى يوم الأربعاء قضاء بالجامع الأموى دون المصلى، نقلت ذلك من تاريخ الشيخ علم الدين القاسم بن البرزالى...

وفيهما توجه الحاج على العادة وكان رحيل المحمل السلطانى من بركة الجب فى يوم الجمعة سابع عشر شوال، وأمير الحاج الأمير سيف الدين طرّجى^(٤) أمير مجلس، فلما وصل الناس إلى منزلة السويس، حصل حر شديد مفرط، وقل الماء، فرجع من الناس خلق كثير من الأعيان وغيرهم.

ذكر القبض على الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب

وتنقل الأمراء فى الإقطاعات والتّقادِم

قد ذكرنا فى هذه السنة أن الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب^(٥) عاد من بلاد اليمن بمن معه من العسكر فى يوم السبت الثالث من ذى القعدة، وأنه خلع

(١) بلبان السنائي: كان أحد أمراء الناصر، وولاه نيابة ألبيرة ثم الأستادارية بالقاهرة زمن الناصر حسن وتوفى سنة ٧٥٤هـ (عن الدرر ١/٤٩٣).

(٢) كذا فى الأصل، ومثله فى أ ص ٢٠٤، وكذلك فى السلوك (٢/٢٦٩) وفى النجوم (٩/٣١٢) أصله من ممالك الخطير الرومى والد مسعود، وفى الدرر (١/٤٢٩) الخطيرى - بالحاء والظاء المعجمة - من ممالك أوحد بن الخطير توفى سنة ٧٣٨هـ.

(٣) كذا فى الأصل ومثله فى أ ص ٢٠٥ وصوابه المآذن جمع المثناة.

(٤) فى النجوم (٩/٢٨٧) سيف الدين طرّجى بن عبد الله الساقى أمير مجلس، وفى تاريخ سلاطين الممالك «أطرّجى» مات سنة ٧٣١هـ.

(٥) بيبرس الحاجب - ترجمته فى الدرر الكامنة (١/٥٠٨) ووفاته سنة ٧٤٣هـ.

عليه وعلى الأمراء فى يوم الاثنين خامس الشهر، وقدم تقدمته، وأهدى للأمراء هداياه، وقبل ذلك منه، ثم أعطى بعد ذلك بأيام قبَاء الشتاء بطردوحش.

فلما كان فى يوم الاثنين تاسع عشر الشهر المذكور، وحضر إلى الخدمة السلطانية على عادته، ومشى فى خدمته نائب السلطنة الأمير سيف الدين أرغون^(١) إلى دار النيابة، فقال له نائب السلطنة: قد برز أمر السلطان أن تتوجه إلى نيابة السلطنة وتقدمة العسكر / (٢٠٦) بغزة، فظن أن المراد بذلك القبض عليه، فامتنع من قبول الولاية، فقال: ما المملوك من هذا القبيل، أنا من جملة أوشاقية السلطان، فإن كان قد رسم فى بأمر فمن الآن، وحل سيفه بيده، فغضب نائب السلطنة منه، وعوقبه بدار النيابة، واجتمع بالسلطان، وأخبره بذلك، فأرسل السلطان إليه الأمير سيف الدين قجلیس^(٢) أمير سلاح، وأمره بأنه متى أصر على الامتناع يقتله، فكلمه فى ذلك وراجع، فصمم على أنه لا يتوجه إلى غزة أبداً، واختار الاعتقال على ذلك، فاعتقل [فى برج عند باب القلعة]^(٣) وخرج إقطاعه للأمير سيف الدين طينال، وفرق إقطاع طينال، فكمل للأمير سيف الدين أیتمش المحمدي مائة فارس، وقدم على ألف، وأمر فى يوم الخميس الثانى والعشرين من الشهر اثنان بطبلخانة، أحدهما: على ما بقى من الإقطاع المحلول عند تنقل الأمراء، والثانى: على إقطاع الأمير سيف الدين، ونقل بهادر البدرى إلى نيابة السلطنة بقلعة الكرك، وتضمن تقليده أن يكون نائباً عن أولاد السلطان بالكرك، ونقل نائب السلطنة بالكرك إلى نيابة السلطنة^(٤) وتقدمة العسكر بغزة المحروسة.

وعرض السلطان فى يوم الخميس المذكور الممالك الكتابية، وعين منهم سبعين مملوكاً لخدمة ولده الذى تقرر إرساله إلى الكرك.

(١) أرغون بن عبد الله الناصرى، نائب السلطنة، ثم نائب حلب من ممالك الناصر محمد بن قلاوون اشتراه ورياه وتبنى به، ومات بحلب فى ربيع الأول سنة ٧٣١، وانظر فى ترجمته وأخباره (الدرر ١/٣٥١) والنجوم (٢٨٨/٩) والسلوك (٢٦٨/٢) و٣٣٩ حاشية (١).

(٢) قجلیس بن عبد الله: أمير سلاح، كان من خواص الناصر بندية فى المهمات، وزوجه ابنته. انظر ترجمته فى الدرر ٣/٢٤٣ و٢٤٤ والنجوم (٢٨٧/٩) والسلوك (٣٣٩/٢) ووفاته سنة ٧٣١هـ.

(٣) عبارة «ك» فى هذا الموضع مضطربة ونصها: «فاعتقل بالبرج المعروف بالأتابكى بعد أن رسم لبهادر العلمى نائب الصاح بتقييده، فقيد «وما أثبتناه من «أ» ص ٢٠٦ ومثله فى السلوك (٢٦٨/٢).

(٤) ما بين الحاصرتين سقط من ك، وأثبتناه من «أ» ص ٢٠٦.

وفيها، في يوم الاثنين ثالث ذي الحجة أمر السلطان / (٢٠٧) بالقبض على الأمير أبي إسحاق إبراهيم ولد^(١) أخى الخليفة أبي الربيع سليمان، واعتقاله، وسبب ذلك أنه تزوج امرأة مغنية تعرف بفالحة بنت^(٢) المغربية، فوقفت أمها للسلطان، وشكته، وادعت أنه تم على الشهود، وأحضر امرأة غيرها، وسماها باسمها، واستأذنها الشهود فأذنت، وعقد العقد عليها ولم تكن هي، وادعى هو أن العقد إنما وقع عليها دون غيرها، وشهد الشهود بصحة العقد، فأمره / السلطان بطلاقها، وأرسل إليه يقول: إنكم من بيت الخلافة، ولا يصلح أن تفعل مثل هذا، وزواج هذه عارٌ عليك، فصمم على ألا يفارقها، واعتذر أنه يمسكها خشية أنه إذا فارقها تعود إلى الغناء، فيكون عليه عارها، فرسم السلطان أنها لا تمكن من الغناء، وراجعها في طلاقها، فأصر وأبى ذلك، وامتنع منه، فأمر باعتقاله، فاعتقل بالبرج في قلعة الجبل، وادعى أنه غرم عليها نحو خمسين ألف درهم، وأمر السلطان أن يستخرج ذلك منها، واعتقلت عند الشيخة البغدادية، وأخذوا جواريتها المغنيات، وبقي الأمير إبراهيم المذكور في الاعتقال أياماً أفرج عنه نائب السلطنة الأمير سيف الدين أرغُن، وأرسل إليه مع بهادر العلمي نائب الفتاح^(٣) يقول له: رسم لك السلطان إن لم تطلقها حصل لك ما لا يمكن أن تستدرك فارطه، وأشهد عليه بطلاقها، فعرفه بهادر المذكور الرسالة، وشدّد عليه الجواب، وما فارقه إلى أن شهد عليه بطلاقها، فتوجه بهادر، وعرف الأمير سيف الدين أرغُن أنه تلفظ بالطلاق، [فشاور عليه السلطان فأفرج عنه]^(٤) حين أذن، ففارقها وعادت لما كانت عليه من الغناء.

ذكر توجه السلطان إلى الصيد والإفراج عن نذكر من الأمراء.

وفي هذه السنة في يوم الخميس الثالث عشر من ذي الحجة توجه / (٢٠٨) السلطان إلى الصيد المبارك، وقصد جهة [البحيرة]^(٥).

(١) كذا في الأصل ومثله في أ. وفي السلوك (٢٦٨/٢) إبراهيم بن الخليفة أبي الربيع وأبو الربيع هو «المستكني بالله سليمان بن أحمد الخليفة العباسي» كانت وفاته بقوص سنة ٧٤٠ هـ (الدرر ١٤١/٢).

(٢) في «أ» ص ٢٠٧ «مغنية تعرف بابنة المغربية».

(٣) كذا في الأصل ولم يتضح المراد.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة لم ترد في نسخة «أ» ص ٢٠٧.

(٥) في «أ» ص ٢٠٨ غير منقوطة، وفي «الأصل» تقرأ البحيرة، وفي السلوك (٢٦٩/٢) الجيزة وما اخترناه أنسب للسياق.

ولما قارب ثغر الإسكندرية أرسل الأمير علاء الدين مُغلطاي الجمالى مدبر المملكة وأستاذ دار العالية إلى الثغر، وأمره بالإفراج عن الأميرين سيف الدين طاجار المحمدي^(١)، وسيف الدين كيتم^(٢)، وأمره أن يكشف أحوال الأمراء المعتقلين بالثغر، ومن اختار أن يكتب قصة^(٣) فليستصحبها معه، ففعل ذلك، وكتب الأمراء قصصاً بما أحبوا، وامتنع الأمير بهادر النقوى^(٤) أمير جاندار - كان - والأمير سيف الدين بَلْبَان الشمسى من كتابة قصة، وقالوا: نحن لنا ذنوب عند السلطان، وبأى وجه نرفع إليه قصة، فلما عاد الأمير علاء الدين إلى السلطان عرض على السلطان قصص الأمراء وأخبره بامتناع الأميرين المذكورين من كتابة قصة، وبما قالاه، فشملتهما عواطفه، وأمر بالإفراج عنهما، وأحضرا إلى المخيم المنصوري، وخلع على الأمراء الأربعة المذكورين، وحضروا إلى القاهرة فى يوم الجمعة الثامن والعشرين من ذى الحجة.

وفيهما فى ليلة الأحد ثامن عشر صفر توفى الشيخ الإمام المقرئ المتقن المعمر تقى الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن على بن سالم ابن مكى المصرى الشافعى المعروف بالصائغ^(٥) شيخ القراءات فى وقته، وكانت وفاته بمصر، وصلى عليه يوم الأحد بعد صلاة الظهر بالجامع العمري بمصر، وأمّ الناس فى الصلاة / (٢٠٩) عليه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى، ودفن بالقرافة، ومولده فى ثامن عشر جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وستمائة بمصر، قرأ القرآن على الكمال الضرير، وسمع الحديث من الرشيد العطار، وابن البرهان، وغيرهما رحمهما الله تعالى.

وتوفى فى ليلة السبت مستهل شهر ربيع الأول الخطيب جمال الدين محمد بن الخطيب تقى الدين محمد بن مجد الدين الحسن بن الشيخ تاج الدين

(١) هكذا فى الأصل، ومثله فى أ ص ٢٠٨ وكذلك فى السلوك (٢٦٩/٢) وفى النجوم (١٤٦/٩) والدرر (٢١٣/٢) طاجار الماردىنى الناصرى.

(٢) الضبط من الدرر (٢٧٠/٣) وترجمته فيه، ووفاته سنة ٧٤٩هـ.

(٣) القصة - فى اصطلاحهم - تعنى الشكوى أو الالتماس.

(٤) فى «أ» ص ٢٠٨ ما قبل القاف غير منقوط، والتحرير من السلوك (٢٦٩/٢) والدرر (٤٩٨/١).

(٥) فى «أ» ص ٢٠٨ غير منقوط، وفى ك الصانع، وما أثبتناه من السلوك (٢٧٠/٢) والدرر (٣٢٠/٣) وله فيه ترجمة طويلة.

أبى الحسن^(١) على بن أحمد بن على بن [أحمد]^(٢) بن القسطلانى خطيب جامع قلعة الجبل المحروسة، وإمام الجامع العمرى بمصر، ودفن من الغد بالقرافة، سمع من ابن خطيب المزة، وصحب الشيخ العارف أبا محمد المرحانى، وحج معه ولازمه، ومولده سنة ثلاث وستين^(٣) وستمائة تقريباً، وخطب بالجامع العمرى بمصر بعد والده فى سنة خمس وتسعين وستمائة، وخطب والده بالجامع المذكور قبله ثمانى عشرة سنة.

ولما مات الخطيب جمال الدين، عرض جماعة من الخطباء على السلطان وخطب كل منهم بجامع القلعة، ومنهم من خطب فى مجلس السلطان فى غير يوم الجمعة، ثم استقرت الخطابة بجامع قلعة الجبل باسم ابن أخيه الخطيب تقي الدين بن الخطيب نور الدين، واستقر ولده الخطيب زين الدين أحمد ابن جمال الدين^(٤) فى خطابة جامع عمرو بمصر، وإمامته ونظره.

وتوفى فى يوم السبت الحادى والعشرين من شهر / (٢١٠) ربيع الآخر من السنة الشيخ الفقيه المفتى شرف الدين يونس بن أحمد بن صلاح القرقيشندى^(٥) الشافعى، أحد المفتين، وأحد المعيدين بزاوية الإمام الشافعى بالجامع العمرى بمصر، ودفن من يومه بالقرافة، رحمه الله تعالى.

وفيهما. فى يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الآخر، توفى القاضى الفقيه الإمام العالم سراج الدين يونس بن عبد المجيد بن على بن داود الهذلى الشافعى الأرمنى، قاضى الأعمال القوصية، وكانت وفاته بظاهر مدينة قوص بالمشهد الذى يسكنه الحكام بقوص من لسعة عقرب^(٦)، ومولده بأرمنت من عمل قوص فى المحرم سنة أربع وأربعين وستمائة، وكان فقيهاً فاضلاً أصولياً وله مصنفات وشعر ليين، رحمه الله تعالى.

(١) لم يرد هذا الجذ فى سلسلة نسبه كما أورده الدرر (١٧٣/٤) والسلوك (٢٧٠/٢) والنجوم (٢٦٥/٩).

(٢) فى «أ» ص ٢٠٩ محمد، ومثله فى النجوم (٢٦٥/٩) وما أثبتناه عبارة الأصل، والدرر (١٧٣/٢) والسلوك (٢٧٠/٢).

(٣) فى الدرر (١٧٣/٢) سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

(٤) زيادة عن: السلوك (٢٧٠/٢).

(٥) فى السلوك (٢٧٠/٢) والنجوم (٢٦٥/٩) وقوانين الدواوين ص ١٦٧ رسمت باللام مكان الراء (قلقشنده) وفى الدرر (٤٨٥/٤) بالراء كما أوردها النورى هنا، وفى القاموس الجغرافى لمحمد رمزى (٤٦/١) قرقشنده، واسمها القديم قلقشنده: من بلاد مركز طوخ بالقليوبية.

(٦) فى الدرر (٤٨٨/٤) من لسعة ثعيان.

وتوفى فى الليلة المسفرة عن ثالث عشر جمادى الأولى من هذه السنة القاضى فتح الدين محمد بن القاضى كمال الدين أحمد بن عيسى السَّعْدَى المعروف بابن القَلْيُوبى^(١) وكان فيما مضى ينوب عن قاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة الشافعى فى بعض الأعمال، ونقل إلى قضاء^(٢) صَقَد نيابة عنه أيضاً، ثم صرف منها، وعاد إلى الديار المصرية، فنانب فى أعمال الدقهلية والمرتاحية عن قاضى القضاة المشار إليه، ونقل إلى قضاء أبيار^(٣)، ثم عزل وعطل مدة، حتى ضاق عليه الحال، فتوجه / إلى مدينة المحلة، وناب بها عن (٦٤) القاضى عز الدين الحاكم بالغربية / (٢١١) مدة تقارب أربع سنين، ثم فارق الجهة، وحضر إلى القاهرة وهو مُضْعَف، فاستمر به المرض، واشتدت علته إلى أن مات رحمه الله تعالى، ودفن بالقرافة، وكان رحمه الله رجلاً كريماً فاضلاً جيد الشعر والنثر، جيد البديهة لَسِنَا حسن الفكاهة والمحاضرة والمذاكرة، رحمه الله وإيانا، وكان بينه وبين نجم الدين سعيد بن أحمد بن عيسى الغمارى المالكى^(٤) عداوة مستحكمة ثابتة على الحكام، فلما أيس من الحياة أرسل إليه، وسأله الصلح عما مضى والمُحَالَّةَ، ففعل، ثم لم تطل حياة نجم الدين المذكور بعده، فإنه مرض أثر ذلك، ومات بالمدرسة الصالحية النجمية فى ليلة الخميس ثانى جمادى الآخرة ودفن من الغد بمقبرة باب النصر رحمه الله تعالى وإيانا.

وتوفى فى عشية الأربعاء قبل أذان المغرب فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة الشيخ المحدث نور الدين أبو الحسن على بن جابر بن على بن موسى بن خلف بن منصور بن عبد الله بن مالك^(٥) الهاشمى الشافعى المعروف (١) لم ترد وفاته فى النجوم ولا فى السلوك ضمن وفيات هذه السنة، وقد أورد ابن حجر له ترجمة ناقصة فى الدرر (٢٣٣/١) وذكر اسمه: أحمد بن عيسى بن رضوان القليوبى.

(٢) صَفَد: من بلاد الشام من جبل لبنان (تاج العروس ٢/٤٠٠) وفى Zettersteen ص ١٧٢ رسمت ببناء مكان الدال.

(٣) أبيار: من أعمال محافظة الغربية بمصر - ذكرها ابن ممتاى (قوانين الدواوين ص ٩٥) وفى مراصد الاطلاع (٢١/١) قرية بجزيرة بنى نصر.

(٤) سعيد بن أحمد بن عيسى الغمارى نجم الدين - ترجمته فى الدرر (١٣٤/٢) ووفاته سنة ٧٢٥هـ.

(٥) مكان هذا الجَد فى الدرر (٣٥/٣) « ٠٠ ابن أبى بكر » وأورد له ترجمة مطولة، وطائفة من أشعاره.

باليَمَنِيَّ شيخ الحديث بالقبة المنصورية، وكانت وفاته بالمدرسة الظاهرية، وصلى عليه فى يوم الخميس بالمدرسة المذكورة، وأمَّ الناس فى الصلاة عليه قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة، ثم صلى عليه بسوق الخيل تحت قلعة الجبل، وكانت جنازته مشهودة، ودفن بالقرافة. / (٢١٢) ومولده بمكة شرفها الله تعالى، فى سنة ثمان وأربعين وستمائة تقريباً^(١)، وكان رحمه الله جيد النظم، ورحل إلى الهند وغيره من البلاد، وخلف كتباً كثيرة جداً.

وولى تدريس الحديث بعده بالقبة المنصورية الشيخ العالم زين الدين عمر ابن أبى الحزم^(٢) بن يونس الشافعى المعروف بابن الكتانى وجلس لإلقاء الدروس بالقبة فى يوم الأربعاء رابع عشر رجب، وتكلم الناس عليه لقبوله الولاية، فإنه لم يشتهر بطلب الحديث، ولا الاشتغال به وأما فقهه ومعرفته بمذهب الإمام الشافعى فغير مدفوع عنه.

وفىها فى ليلة الخميس السادس من شعبان كانت وفاة الشيخ الصالح الإمام العالم القاضى عز الدين أبى عبد الله محمد بن الشيخ كمال الدين أبى العباس أحمد بن الشيخ جمال الدين أبى إسحاق إبراهيم بن يحيى بن أبى المجد اللخمى المعروف جده جمال الدين بالأسيوطى^(٣)، قاضى الكرك بها، وكان قد وليها فى شهر رجب سنة ست وتسعين وستمائة من قبل السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى، واستقر بها إلى أن مات، ومولده بالقاهرة المعزية بالجامع الظافرى المعروف الآن بالفاكهى^(٤) عند أذان الصبح من يوم الأربعاء السابع والعشرين من شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة،

(١) فى الدرر (٣٥/٣) أن الزركشى ذكر أن مولده سنة ٦٤٧هـ، قال ويه جزم الذهبى.

(٢) ترجمته فى الدرر (١٦١/٣) وذكر اسمه عمر بن أبى الحرم - براء مكان الزاى - بن عبد الرحمن بن يونس الدمشقى ثم المصرى الشافعى المعروف بابن الكتانى تصدر بالجامع الحاكمى ودرس بالمنكوتمية، وأعاد بالقراسنقرية، ومات سنة ٧٣٨هـ.

(٣) فى «أ» ص ٢١٢ (الأميوطى) وانظر الدرر (١٥٩/٤) و (١٦٠).

(٤) فى «أ» ص ٢١٢ الفكاكين. والمثبت من «ك» وفى تاريخ المساجد الأثرية ٧٤، ذكر أن اسم الجامع الأفعر المعروف الفكاكينى، وقال: إن الذى أنشأه الظافر بنصر الله أبو المنصور إسماعيل بن الحافظ لدين الله أبى الميمون عبد المجيد بن الأمر بأحكام الله سنة ٥٤٣ وفى القرن السابع الهجرى عرف بجامع الفاكهيين.

ودفن بمقبرة تعرف بالقبر الجديد، وكان رحمه الله فقيهاً عالماً متقناً محققاً من أجل مشايخ القراءات، / (٢١٣) والعلوم مقتصداً فى مأكله وملبسه وسائر أحواله، وكان من قضاة العدل والحق، لا تأخذه فى الله لومة لائم، ولا يخشى سطوة ملك، تساوى عنده فى الحق الأمر والمأمور، رحمه الله تعالى.

وتوفى فى ليلة السبت الثانى والعشرين من شعبان الشيخ الفاضل العالم البارع شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان بن فهد الحلبي، ثم الدمشقي كاتب الإنشاء بدمشق، وصلى عليه بجامعها، ثم بسوق الخيل، ودفن بسفح قاسيون، بترية بناها لنفسه، ومولده فى شعبان سنة أربع وأربعين وستمائة، وكان رحمه الله رجلاً فاضلاً، كاتباً أديباً شاعراً، انتهت إليه كتابة الإنشاء، ولو قيل فيه كاتب الشرق والغرب لاستحق ذلك غير مدفوع عنه ولا منازع فيه^(١)، وكان يكتب التقاليد والتواقيع والمناشير من رأس^(٢) القلم، ويأتى فيها بما لم يأت به سواه مع الفكرة والروية، رحمه الله تعالى، وولى بعده كتابة الإنشاء بدمشق ولده شمس الدين محمد، رسم له بذلك فى شهر رمضان من السنة باعثناء نائب السلطنة بالشام به، وقدم على غيره لهذه الوظيفة مع توفر الأعيان والأكابر بدمشق.

وفيهما فى يوم الخميس رابع شهر رمضان توفيت الست الجليلة فالحة^(٣) ابنة الملك الأمجد، مجد الدين حسن بن الملك الناصر صلاح الدين داود بن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب، ودفنت من يومها بالتربة المعظمية بسفح قاسيون، وتعرف هذه المتوفاة «بداردينار» وكان لها بر ومعروف وإيثار، رحمها الله تعالى.

(١) ترجمته فى الدرر (٣٢٤/٤) وذكر ابن حجر من مؤلفاته: حسن التوسل فى صناعة التوسل، ومن شعره مجموعة من المدائح النبوية أسماها: أهنى المنائح، فى أسنى المدائح، وفى السلوك (٢٧٠/٢) أنه مات عن إحدى وثمانين سنة.

(٢) يعنى التويرى بهذا التعبير سرعة البديهة والقدرة على الارتجال.

(٣) فى «أ» ٢١٣ (فاطمة).

وتوفى فى يوم الجمعة خامس شهر رمضان الأمير شرف الدين عيسى بن عمر البرطاسى^(١) الكردى، أحد أمراء الطبلخانة بمدينة طرابلس، وشاد الدواوين بها، وكان رحمه الله تعالى رجلاً شهماً شجاعاً مقداماً، وأنشأ مدرسة بمدينة طرابلس، رافقته فى سنة عشر وسبعمائة بطرابلس، فكان حسن المرافقة، كثير الاحتمال، رحمه الله تعالى.

وفىها فى الرابع والعشرين من شهر رمضان قتل الأمير السيد الشريف ناصر الدين أبو عامر منصور بن الأمير عز الدين جمّاز بن شيحة الحسينى أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، قتله شاب من أقاربه بالبرية^(٢)، وكان قد كبر وأسن، وولى إمرة المدينة بعده الأمير بدر الدين كُبَيْش^(٣).

وفىها فى يوم السبت ثالث ذى القعدة توفى نجم الدين أبوبكر بن القاضى بهاء الدين محمد ابن الشيخ بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن أبى بكر، كان بالمدرسة الناصرية بالقاهرة وكان يقول: إن ما يخاطب به يستغنى الآن عن إعادته، ولم يزل يدعى ذلك إلى آخر وقت، رحمه الله تعالى، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

/ ذكر غرق مدينة بغداد

(٦٥)

وفى جمادى الأولى من هذه السنة زادت دجلة زيادة عظيمة، وكان ابتداء الزيادة فى يوم السبت ثالث عشر الشهر، واستمرت الزيادة إلى يوم الثلاثاء، وعظمت فغرق دائر البلد جميعه، بحيث أنه ما بقى أحد من الناس يستطيع الخروج من البلد، وانحصر الناس واجتهدوا فى عمل السُكُورة^(٤)، وتساوى فى العمل الرئيس والمرءوس، والكبير والصغير، [ونقل التراب - حتى الحكام

(١) فى الدرر (٢٠٨/٣): عيسى بن عمر بن عيسى الكردى: شرف الدين البرطاسى ولد سنة ٦٦٥ وولى شد الدواوين بطرابلس.

(٢) فى السلوك (٢٦٩/٢) أن الذى قتله هو حديثه - بضم أوله وفتح ثانيه - وهو ابن أخيه.

(٣) هكذا فى ك، وقد ضبطه محقق السلوك (٢٦٩/٢) كبيشه - بضم أوله وفتح ثانيه - نقلاً عن الفلقشندي (صبح الأعشى ٣٠١/٤) وفى ابن حجر كبيس بسين فى آخره (الدرر ٢٦٢/٣) فى النجوم (٢٦٤/٩)

كبيش بن منصور بن جمّاز الحسينى المدنى.

(٤) يقال سكر النهر ونحوه: سده وحبسه، والسكر - بكسر السين - ما يسد به النهر، والجمع سكور.

والقضاة والمترفين - فى حُجُورهم] وبقيت بغداد جزيرة فى وسط الماء، واستدار الماء عليها، ودخل الماء الخندق وكان له هدير عظيم، وغرق ما حول البلد، وخرت أماكن كثيرة منها البازار^(١)، وسائر التُّرْبِ والبساتين والسواد^(٢) والجانبين المتقابلين لسوق الخيل والدكاكين والساباط^(٣)، وخرت بستان الصاحب جميعه، والمصلى، وبعض الكُمُش، وسائر البساتين التى حوله، ووصل الماء إلى الثلاث نخلات، ووقعت قبة الجعفرية^(٤)، وخرت مدرسة عبيد الله، وغرقت خزانة الكتب التى بها، وكانت فيما قيل تساوى عشرة آلاف دينار، وسَطُح الماء وعلا بمقدار عشر قامات، وكان الإنسان إذا وقف لم ير ما امتد بصره إلا ماء وسماء، وفتَح فى الرُّقَّة^(٥) وخرَّب إلى الحارثية، وما ترك طُرفه قائمة، وغرق خلق كثير من المزارعين الذين كانوا عند زروعهم ممن لم يحسن السباحة، وغرقت بساتين الرُّقَّة مثل بستان القاضى، وبستان ابن العفيف، والخاتونى، وبستان جمال الدين الدكروالى، وغرقت بساتين الحارثية، مثل: بستان الخادم، وابن الأمليس، وسديد الدولة، وبقي الناس فى خلقة ضيقة، وامتنعوا من النوم ليلاً والمعاش نهاراً من شدة الزُّعقات^(٦)، وخوف الغرق، وغلق البلد ستة أيام، والناس ينظرون إلى الخندق والشط هل زاد أو نقص، وتحول كثير من الناس إلى المحال العالية مثل تل الزينية، وتل اللوازه بالمُسْتَضِيَّة، وأسكرت سائر أبواب المحال العالية ببغداد، وأبواب الخانات بها، وسد باب خان السلسلة، وبقي إذا انفتح من الخندق فتح تداركه الناس بالسد، والناس يدورون فى الأسواق مكشوفى الرؤوس، والرقعات الشريفة على رؤوسهم، وهم يضجُّون بالبكاء ويخرون إلى الله تعالى، ويسألونه كشف هذه الحادثة عنهم، وودَّع بعض الناس بعضاً، ولو انخرق إليهم من الخندق أدنى شئ لغرقوا، وزاد الماء فى الخندق حتى ركب القنطرة الجديدة بسوق الخيل،

(١) البازار: السوق (فارسية معربة).

(٢) السواد: جماعة الشجر والنخل والنبات، لأن الخضرة تقارب السواد، ويقال: خرجوا إلى سواد المدينة أى إلى ما حولها من القرى والريف، ومنه سواد العراق (المعجم الوسيط).

(٣) الساباط: سقيفة بين حائطين أو دارين، يمر من تحتها طريق نافذ (لسان العرب).

(٤) الضبط من (المراصد ٢/ ٦٢٦) والرقعة المقصودة هنا هى البستان المقابل لدار الخلافة ببغداد.

(٥) الجعفرية: محلة كبيرة مشهورة فى الجانب الشرقى من بغداد (المراصد ٢/ ٣٣٦).

(٦) جمع الزعقة، وهى المرة من الصياح، يقال زعق - كفتح - إذا صاح صيحة فزع (المعجم الوسيط).

وعلا فيها أكثر من ذراعين، وبلغ الماء إلى شباك دار شيخ المشايخ، ولو لم يُعلَّ السور بالسُّكَّر كان انقلب إلى البلد، ولولا ما حصل من هذه البُشوق - بثق الخُنْدُق، وبثق الرُّقَّة، وبثق التعسار - لغرقت بغداد.

قال الناقل: ومع ذلك فإلى عشر سنين ما يمكن عمارة ما خرب بالجانب الغربى؛ فإنه غرق أكثره، وغلت الأسعار أياماً، ثم نقص الماء بعد أن أشرف الناس على الهلاك، وكان ابتداء النقص يوم الأربعاء، وذكر القاضي ابن السباك: أن جملة ما خرب من البيوت بالجانب الغربى خمسة آلاف وستمئة بيت. نقلت ذلك - وبعضه بمعناه - من تاريخ الشيخ علم الدين القاسم بن البرزالي، وقال فى تاريخه: إنه كتبه من كتاب ابن الساعى، وأنه اختصر بعضه.

ومن غريب ما وقع فى ذلك الغرق أن مقبرة الإمام أحمد بن محمد بن حنبل تهدمت قبورها، ولم يبق إلا قبر الإمام أحمد فإنه سلم من الغرق، واشتهر هذا الأمر بها واستفاض.

قال: وورد كتاب شمس الدين بن مُنتاب يتضمن أن الماء حمل خَشَباً عظيم الخلقة، وزنت خشبة منه فكانت بالبغدادى ستمائة رطل، وجاء على الخشب حَيَات كبار خلقتهن غريبة منها ما قتل، ومنها ما صعد فى النخل والشجر، وكثير منها مات، ولما نضب الماء أنبت على الأرض نباتاً صورته صورة البطيخ، وشكله على قدر الخيار وفى طعمه محوَّح^(١)، وأشياء غريبة الشكل من النبات. قال: ومحلة الصَّراصرة صعد الماء فى دورها إلى الوسط وأكثر وأقل، وذكر أشياء من أمر الغرق اختصرتها، قال: وأما محلة الرقيقة^(٢) فإنها بقيت أرضاً بغير حائط قائم، وغرقت مقبرة معروف، وتُربة بنت المُنذر وغيرها.

هذا ملخص ما حكاه مما لخصه هو، والله تعالى أعلم بالصواب.

★ ★ ★

(١) لم يتضح بالأصل، ولعله تحريف «حموضة».

(٢) هكذا فى ك، وفى المراسد ٢ / ٦٢٧ الرقيق (شارع دار الرقيق): محلة ببغداد متصلة بالحريم الظاهرى قال مؤلفه (صلى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق المتوفى سنة ٧٣٩) قد بقيت منها بقية بها سوق الحريم الآن.

واستهلت سنة ست وعشرين وسبعمائة بيوم الأحد الموافق لثانى عشر كيهك من شهور القبط، والسلطان الملك الناصر بالوجه البحرى من الديار المصرية يتصيد، والديار المصرية المحروسة فى غاية مايكون من الرخاء والأسعار فى غاية الرُخص، والخبز العلامة ثمانية عشر رطلاً بدرهم نقرة، والقمح الطيب الإردب بثمانية دراهم، والشعير الإردب بخمسة دراهم، والفلول بستة دراهم، وسائر الحبوب رخيصة الأسعار إلى الغاية.

هذا، وقد قَصَرَ النيل فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة بحيث أن غالب بلاد الصعيد الأعلى صارت قليلة الرى جداً، ومع ذلك فإن الأسعار فى سائر أعمال الديار المصرية رخيصة متساوية، أو متقاربة فى الرخص.

وفى شهر المحرم من هذه السنة عاد السلطان من الوجه البحرى وتوجه إلى / «دَهْشور» من الأعمال الجيزية، وعاد إلى قلعة الجبل فصعد إليها فى (٦٦) الساعة الثالثة من يوم الخميس ثانى عشر الشهر، وأقام بها إلى يوم السبت الحادى والعشرين من الشهر، وتوجه فى بكرة هذا النهار إلى جهة سرياقوس^(١)، ودخل الخانكاه الناصرية، ورسم بزيادة عدد القراء بها، لتكملة مائة، ثم توجه منها وعدّى إلى بر الجيزية، ورسم بإنشاء جسر بها يحبس الماء ويصرف منه إلى جهة البحيرة، وأمر الأمراء ورجال الحلقة المنصورة بعمله، فعمل فى صفر.

وتوجه السلطان إلى جهة الحمامات، وتصيد، ثم عاد إلى قلعة الجبل فى الساعة الثالثة من نهار الخميس ثانى شهر ربيع الأول، وتوجه إلى جهة سرياقوس، ثم توجه منها إلى الجيزية، ورتب من أحوال المباشرين ما نذكره، وتوجه من صَفَد إلى جهة الكحيليات لصيد الرخمة، فتصيد وعاد إلى قلعة الجبل فى العاشرة من يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من شهر ربيع الأول.

ذكر وصول رسل مُتَمَلِّك الحبشة

وفى هذه السنة وصل إلى الأبواب السلطانية رسل مُتَمَلِّك الحبشة^(٢)،

(١) سرياقوس: من القرى القديمة بمصر، وهى الآن إحدى قرى مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية، تقع على الشاطئ الشرقى لترعة الإسماعيلية فى شمالى القاهرة، وتبعد عنها مسافة ١٨ كم.
(٢) فى السلوك (٢٧٠/٢) حاشية ١ أن متملك الحبشة حينذاك هو جبرة مصقل، واسمه الأصلي «عمدة صيون» وكان حكمه من (٧١٢ - ٧٤٣هـ) وكان فى هذه الفترة يشن حروباً كثيرة ضد مسلمى الحبشة وقد أورد المقرئى هذا الخبر موجزاً مشيراً إلى فقواه، ومما يذكر أن الكنيسة الحبشية كانت فى تلك الفترة تابعة لبطاركة الإسكندرية من النصارى البعاقبة، ولم يكن يعين مطرانها إلا من طائفة الأقباط البعاقبة بالديار المصرية، وانظر (صبح الأعشى ٣٠٨/٥) ودولة بنى قلاوون فى مصر ص ١٥٦.

ومثلوا بين يدي المقام الشريف السلطاني بقلعة الجبل المحروسة في يوم الاثنين سادس عشر المحرم.

وكان مضمون رسالتهم عن ملكهم أنه بلغه أن كنائس النصارى بالديار المصرية غُلِّقَتْ، وأن النصارى في ذِلَّةٍ وهوان، والتمس من السلطان الإحسان إلى النصارى، وفتح كنائسهم، وأنهم متى لم يعاملوا بالإحسان عامل من ببلاده من المسلمين وما بها من المساجد كما يفعل بأهل دين النصرانية وكنائسهم بالديار المصرية، وذكروا عنه أنه قال: نيل مصر الذي به قوام أمرها وصلاح أحوال ساكنيها مجراه من بلادى، وأنا أسده، ونحو هذا من الكلام، فضحك السلطان من كلامهم، واستقل عقل مرسلهم، وعوملوا بغاية الإطراح والإهانة، وعادوا إلى مرسلهم.

ذكر عزل وتولية من يذكر من أرباب المناصب الديوانية بالدولة الناصرية

وفى هذه السنة - فى يوم الجمعة ثامن عشر صفر - رسم بإفصال القاضى شمس الدين عبد الله المعروف بغبريال من نظر [النُّظَّار]^(١) والصحبة بالديار المصرية، وخلع عليه، ورسم له بعوده إلى دمشق على عادته الأولى، عوضاً عن كريم الدين عبد الكريم^(٢) المعروف [بكريم الدين]^(٣) الصغير، وتوجه على خيل البريد فى يوم الاثنين الحادى والعشرين من الشهر، فوصل إلى دمشق فى بكرة نهار الاثنين ثامن عشر من الشهر، ورسم بطلب كريم الدين إلى الأبواب السلطانية، فوصل إلى المخيم المنصور السلطاني بالجيزة فى يوم الاثنين ثالث عشر^(٤) شهر ربيع الأول، وكانت الساعة^(٥) قد قويت أن السلطان يُفَوِّض

(١) الزيادة من السلوك (٢٧١/٢).

(٢) فى السلوك (٢٧١/٢) كريم الدين أكرم الصغير، وفى الدرر (٤٠٠/١) أكرم بن خطيرة - أو خطير - القبطى، كريم الدين الصغير، وتسمى لما أسلم عبد الكريم، وهو ابن أخت كريم الدين الكبير.

(٣) زيادة عن ابن حجر (الدرر ٤٠٠/١).

(٤) فى السلوك (٢٧١/٢) أن وصوله كان فى يوم الاثنين سادس ربيع الأول، وفى الدرر (٤٠١/١) أن عوده من دمشق إلى مصر كان فى أواخر السنة.

(٥) فى ك غير واضحة، وفى «أ» رسمت «الساعة» والشاعة : الأخبار المنتشرة.

إليه نظر الدولة، ومن الناس من أشاع أنه يلى الوزارة، ومنهم من أشاع أنه يفوض إليه نظر الوكالة السلطانية، وقلق الناس لذلك قلقاً عظيماً، فلما وصل إلى المُخَيَّم السلطاني لم يجد قبولاً من السلطان، وأنكر عليه إنكاراً شديداً، ثم رسم له بملازمة داره بظاهر القاهرة، وطلب القاضي شرف الدين عبد الرحمن الخطير - وهو ناظر ديوان نائب السلطنة الشريفة - فى ليلة الثلاثاء سادس شهر ربيع الأول، وفوض إليه نظر النظار والصحبة، على عادة شمس الدين غبريال، وخلع عليه، وذلك بمنزلة سَفْط^(١) من الأعمال الجيزية، وبأشر ذلك، واستمر كريم الدين بمنزله بخط بركة قرموط، ومنع من فتح بابه، واجتماع الناس إليه إلى أن عاد السلطان إلى قلعة الجبل، فكتب له توقيع بإشارة الوزير الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى بنظر منفلوط، ورسم له بتشريف على عادة نظار الجهة، فقلق لذلك قلقاً شديداً، فاعتنى به نائب السلطنة الأمير سيف الدين أرغون، وخاطب السلطان فى أمره، وأوضح له التحامل عليه، فقطع التوقيع، وبطل ما كان قد رسم به فيه.

وفى ليلة الاثنين رابع شهر ربيع الآخر توجه كريم الدين المذكور إلى الحَمَام فرصده جماعة^(٢) إلى أن خرج منه، فوثبوا عليه، وضربه أحدهم بسيفه، فالتقى الضربة بدبوسه، ثم هرب بفرسه، فسلم، وقتل اثنان ممن كانوا معه، وجرح الثالث، فأما أحد المقتولين فاحتمله الرجال الذين وثبوا على كريم الدين، فلم يعلم خبره، وأما الثانى فأثخنه الجراحة فمات فى يوم الاثنين صبيحة تلك الليلة، وأمسك الذى جرح وكان من الجند من أصحاب كريم الدين ممن كان معه فى الحمام، وقيل له: إنما كنت مع الذين قصدوا قتله، فاعتقل بسجن الولاية، وكان معه أيضاً نفران من خير الحرس، فمسكوا وقيدوا، واستعملوهم فى جملة المقيدىن بالعمارة السلطانية، وسأل كريم الدين عقيب هذه الحادثة أن يفسح له فى سكن القاهرة، فرسم له بذلك فسكنها.

(١) فى ابن ماتى (قوانين الدواوين ص ١٥٠) سَفْط نهيا: من أعمال الجيزية.

(٢) فى السلوك (٢٧١/٢) أن السلطان هو الذى رسم للوزير مغلطاي بقتل كريم الدين أكرم الصغير خفية، فتقدم الوزير إلى والى القاهرة بذلك، فوضع له أعينا يتربصون فرصة، إلى أن ركب من داره يريد الحمام بعد العشاء الآخرة من ليلة الاثنين رابع ربيع الآخر... ثم يسوق المقرزى بقية خبر كريم الدين بعبارة قريبة من عبارة النويرى هنا.

فلما كان فى يوم السبت تاسع شهر ربيع الآخر رسم السلطان بطلب كريم الدين وأولاده، فطلبوا إلى قلعة الجبل أشد طلب، وأحضروا بين يدي الوزير، / فطالبه بالمال، فقال: لا مال عندي، وأنا ما تعرضت لمال السلطان، وأشبه (٦٧) هذا من الكلام، فضرب ابنه سعد الدين فرج الله بالمقارع، وسلم ولده الصغير لمتولى القاهرة، وعرض كريم الدين على الضرب فوجد فى كُمه أوراقاً تشتمل على مرافعات^(١)، وقصد الوزير أخذها منه، فامتنع، وقال: لا أسلمها إلا للسلطان، فطولع السلطان بذلك، فأرسل الأمير سيف الدين بلبان الساقى إليه، فتسلمها منه، وعرضت على السلطان، فطلب الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى الوزير، وأمره بالإفراج عن أولاد كريم الدين، وأن يكون هو عنده فى مكان من داره، ففعل ذلك فى اليوم المذكور، ثم رسم فى بقية النهار بعقوبة كريم الدين، وتقريره على المال، فسعطه بالخل والجير^(٢)، فنال من ذلك شدة عظيمة، حتى خرج الدم من حلقه، ورسم عليه وعلى ولده سعد الدين فرج الله فى بقية يوم السبت والأحد، ثم رسم بإخراجهما وإرسالهما إلى ثغر أسوان، فسأل كريم الدين أن يكون اعتقاله بغزة، فلم يُجب إلى ذلك، وأخرج من باب القرافة من فى أول يوم الاثنين الحادى عشر، شهر ربيع الآخر، هو وولده سعد الدين، فتسلمهما متوليا القاهرة ومصر وشاد الصناعة، فتوجهوا بهما وحُجلاً^(٣) فى سُلُورَة^(٤)، وأرسلا إلى ثغر أسوان، وفُرق بينهما، فجعل كل منهما فى خُن^(٥) لم يجتمع أحدهما بالآخر على ما بلغنى من المحقق للحال إلى أن وصلا إلى ثغر أسوان، فكان وصولهما فى ليلة الاثنين الخامس والعشرين من الشهر، فأنزل بدار تعرف بدار يحيى، وهى الدار التى [أنزل] بها من قبل

(١) عبارة السلوك (٢٧١/٢) «وسلم أكرم إلى والى القاهرة فوجد فى كمه مرافعات فى جماعة من أهل الدولة...».

(٢) يقال: سعطه الدواء، وأسعطه الدواء: إذا أدخله فى أنفه، والعبارة الواردة تشير إلى نوع من أنواع التعذيب فى مصر فى العصور الوسطى، وانظر (السلوك ٢٧١/٢ حاشية ٣).

(٣) هكذا فى الأصل والمعنى قيذا، يقال حجل الدابة: قيدها، (المعجم الوسيط).

(٤) الضبط من السلوك (٢٧١/٢) وعلق عليها محققه بأنها نوع من السفن، والجمع سلاير.

(٥) الخن (والجمع أخنان) شبه المقاصير تكون فى السفن يأوى إليها الركاب من البرد وعند النوم ويرى فرامان (L'element Persanete) أن خن: معرب خانة الفارسية، ومعناها منزل (العرب والملاح فى المحيط الهندى ص ٢٢٧).

كريم الدين الوكيل، فبات بها بعض ليلة الاثنين، ويوم الاثنين بكمالها، وتوفى في ليلة الثلاثاء في الثلث الأول، ودفن في بقية الليلة، ولم يصل عليه، ودفن بين مقابر المسلمين وأهل الذمة، أخبرني بذلك القاضي شرف الدين شُعَيْب بن القاضي جمال الدين يوسف السيوطي^(١)، وهو الحاكم بثغر أسوان يومئذ.

ذكر وصول رسل الملك المجاهد متملك اليمن بالتقادم

وفي هذه السنة في سادس عشرين شهر ربيع الأول وصل إلى الأبواب الملكية السلطانية الناصرية رسل الملك المُجَاهِد سيف الإسلام^(٢) على - المتقدم ذكره - وهو صاحب زَيْدٍ وتَعَزَّ وما مع ذلك من بلاد اليمن، وهما: جمال الدين محمد بن يونس، وابن الجَلال، وأحضرا على أيديهما كتاب مرسلهما، وتَقَادِم وتحفاً سنية، فمثلاً بين يدي السلطان بعد عوده من الصيد، وقدا له ما أحضره، فقبل ذلك، وأنعم عليهما بما جرت به عادة أمثالهما، وأعيدا إلى مرسلهما.

ذكر إرسال الأمير سيف الدين أَيْتَمُش المَحْمَدِي إلى أبي سعيد

وفي يوم الخميس سابع جمادى الأولى من هذه السنة جهز السلطان الأمير سيف الدين أَيْتَمُش المَحْمَدِي الناصري - أحد الأمراء مقدمي الألوف - برسالة وهدية جليلة إلى الملك أبي سعيد صاحب العراقين وخُراسان وما مع ذلك، فتوجه في هذا التاريخ^(٣)، وأقام بحلب مدة، ثم رسم بتوجهه، فتوجه وكان عوده إلى الأبواب السلطانية في يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شعبان من السنة المذكورة.

(١) في ابن حجر (الدرر ١٩٤/٢) شعيب بن يوسف بن محمد الأسبوطي، وهما واحد.
(٢) الملك المجاهد نور الدين علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ملك اليمن (العقود اللؤلؤية). وفي ابن حجر (الدرر ٤٩/٣) أنه ولي الملك بعد أبيه في ذي الحجة سنة ٧٢١هـ ومات سنة ٧٦٤هـ.
(٣) ذكر المقرئ في السلوك (٢٧٢/٢) أن موضوع الرسالة كان ترغيبه في مصاهرة السلطان.

ذكر إرسال السلطان ولده إلى الكرك^(١) المحروس

قد تقدم أن السلطان الملك الناصر فَوَّضَ نيابة الكرك إلى الأمير سيف الدين بهادر البدرى، فتوجه إليها، وتضمن تقليده أن يكون نائباً عن أولاد مولانا السلطان بالكرك، وجهاز أيضاً من ذكرنا من المماليك السلطانية، ولهج الناس أن السلطان قد عزم على إرسال ولده إلى الكرك.

فلما كان فى يوم الخميس السادس من جمادى الأولى، توجه السلطان فى أوائل النهار من قلعة الجبل إلى القصور بسرباقوس بعد أن قرر خروج ولده الأكبر الأمير أحمد - وسنه يومئذ نحو ثمانى سنين^(٢) - فتوجه من قلعة الجبل وقت المغرب من ليلة الجمعة السابع من الشهر، وتوجه فى خدمته الأمير سيف الدين قجلىس الناصرى - أمير سلاح - ليوصله إلى الكرك، وأصحابه السلطان خزانة المال فيما بلغنى، وجهازها صحبة الأمير سيف الدين طَقْتَمُرُ الخزندار، وتوجهوا إلى الكرك، ووصلوا إليها، واستقر ولد السلطان بها، وعاد الأمير سيف الدين قجلىس، فكان وصوله إلى قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء الثانى من جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

ذكر تجديد عمارة البيمارستان المنصورى والقبّة والمدرسة

(٦٨) / وفى مستهل هذه السنة حصل الشروع فى إصلاح البيمارستان المنصورى والقبّة والمدرسة، وكان الأمير جمال الدين آقش الأشرفى - ناظر الأوقاف قبل ذلك - قد رسم ألا يترك أحداً من المرضى بالبيمارستان، ومن هو فى أوائل يُخْرَجُ منه، فخلت بذلك الأواوين من المرضى وأكثر القاعات، ولم يبق بالبيمارستان إلا المَمْرُورُونَ^(٣) وبعض المرضى، وحصل الشروع فى العمارة، فأصلحت العمران^(٤) وجُدِّدَ البياض والأدهان، ونحت ظاهر القبّة والمدرسة

(١) الكرك - بفتح تين - قلعة حصينة جداً فى طرف الشام من نواحي البلقاء فى جبالها، وتقع على جبل عال (مراسد الاطلاع ٣/ ١١٥٩).

(٢) ترجمته فى الدرر (٢٩٤/١) وما بعدها) وفيه أن مولده كان فى سنة ٧١٦هـ. فيكون عمره حين أرسل إلى الكرك عشر سنين.

(٣) الممرورون: جمع مرور، وهو المصاب بمرض فى مرارته (المعجم الوسيط).

(٤) كذا بالأصل، والعمران: البنيان. والراء فى رسمها أقرب إلى صورة الدال فلعلها العمدان، ولو أنه لم يسمع جمع العمود على عمدان، وانظر السلوك (٢٧٣/٢).

والمئذنة بالأزاميل، واستمرت العمارة إلى أواخر جمادى الأولى، وختل الأواوين الأربعة بالبيمارستان من مستهل هذه السنة إلى يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الأولى، فرُسِمَ فى هذا اليوم بتنزيل المرضى، وكان جملة ما صرف على هذه العمارة يقارب ستين ألف دينار^(١).

ذكر تجريد طائفة من العسكر إلى بركة

وفى هذه السنة حضر الأمير فايد بن غراز ومعه سليمان بن خالد^(٢)، وأنهيا إلى السلطان أن العريان ببرقة منعوا الزكاة^(٣)، وهى مقطعة لهما، ولمن معهما من رُفَقَتَهما، بمنشور سلطاني، فأمر السلطان بطائفة من العسكر المنصور، وهم: الأمير سيف الدين أَسَدْمُرُ العمرى وهو المقدم على الجيش، والأمير سيف الدين بَلَكْتَمُرُ^(٤) الإبراهيمى السلحدار، والأمير سيف الدين قُطْلُوْبغا الطويل، والأمير عز الدين أَيْدَمُرُ العلائى الجُمَقْدَار، وجماعة من أجناد الأمراء من كل أمير مائة جنديان، ومن كل أمير طبلخاناه جندي واحد، وتوجهوا فى العشر الآخر^(٥) من جمادى الأولى، وكان عودهم فى يوم الاثنين السابع والعشرين من شعبان من السنة.

ذكر تفويض نيابة السلطنة الشريفة بالمملكة الطرابلسية والفتوحات إلى الأمير سيف الدين طينال^(٦) الحاجب

وفى يوم الخميس رابع جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وسبعمائة، فوض السلطان نيابة السلطنة الشريفة بالمملكة الطرابلسية والفتوحات إلى الأمير سيف الدين طينال الحاجب - وهو حاجب الميسرة - عوضاً عن الأمير بهادر قَرطاي الصالحى العلائى، وخلع عليه، ولم يجر فى التشريف على عادة من

(١) فى السلوك (٢٧٣/٢) أن نفقات هذه العمارة كلها من مال السلطان دون مال الوقف.

(٢) ذكر المقرئى (السلوك ٢٧٢/٢) أن هذين القادمين كانا أميرى العريان ببرقة.

(٣) فى المصدر السابق «.. وكانت شكواهم من العريان أنهم منعوا زكاة الغنم».

(٤) كذا فى الأصل، وفى السلوك (٢٧٢/٢) ملكتمر.

(٥) فى المصدر السابق «أن خروجهم كان فى الثانى والعشرين من جمادى الأولى».

(٦) أورد المقرئى هذا الخبر فى السلوك (٢٧٢/٢) وذكر أن السلطان حين ولاه نيابة طرابلس أمر بزيادة إقطاعه وعقد له على إحدى بناته، وقد ترجم له ابن حجر فى (الدرر ٢٣٢/٢) وذكر طائفة من أخباره، وكانت وفاته سنة ٧٥٢هـ.

تقدمه، فإنه خلع عليه طُرْدَوْحَش، وعادة نائب هذه المملكة الأطلس المعدنى بالطرز الزركش، ونقل الأمير بهادر قَرطاي^(١) المذكور إلى دمشق من جملة الأمراء مقدمى الألوف، وأقطع إقطاع الأمير بدر الدين بَكْتُوت القرمانى، وكان القرمانى قد اعتقل فى تاسع عشرين جمادى الأولى، وسبب اعتقاله أنه رسم له أن يتوجه إلى مُتَمَلِّك سيس، لإحضار ما عليه من القطيعة فى كل سنة، فاستعفى من ذلك، وامتنع من الاجابة إليه، فرسم باعتقاله بدمشق، فاعتقل بقلعتها.

معين التارح لأهل التارح

واستمر بالاعتقال بها إلى ليلة الأحد حادى عشر شوال سنة سبع وعشرين، فأخرج من القلعة مقيداً، وحمل على خيل البريد إلى الديار المصرية بعد أن وكَّل وأوصى، ولما فوضت نيابة السلطنة بالمملكة الطرابُلسية إلى الأمير سيف الدين طينال المذكور تألم لذلك، ومرض وانقطع فى بيته أياماً، ثم عوفى، وتوجه إلى المملكة الطرابُلسية على خيل البريد فى يوم السبت ثالث عشر الشهر المذكور، وتوجه طلبه بعد ذلك، فكان خروج طلبه من القاهرة يوم الثلاثاء منتصف شهر رجب، من السنة، ورسم بقيمة الإقطاع الذى كان لطينال بالديار المصرية - وهو الإقطاع الذى انتقل إليه عن الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب - فأعطى الأمير سيف الدين قَوْصُون منه «فاتوا وتقليفه»^(٢) من الأعمال الفيومية زيادة على إقطاعه، وكمل له بذلك مائة فارس، وقُدِّم على ألف، وأعطى أطفيح^(٣) ودَلْجَة^(٤) للأمير ناصر الدين محمد بن نائب السلطنة الأمير سيف الدين أرغون الناصرى عوضاً عن إقطاعه، وخرج إقطاعه الذى كان بيده لغيره.

(١) لم يورده ابن حجر فيمن اسمه بهادر، وذكر فى ترجمة قراطاي الأشرفى الجوكندار ما يدل على أنه هو الذى ناب فى طرابلس سنة ٧٢٦ ثم أمر بدمشق فى هذه السنة، ثم أعيد إلى نيابة طرابلس سنة ٧٣٣، وكانت وفاته سنة ٧٣٤هـ وفى السلوك (٢٧٢/٢) ورد اسمه شهاب الدين قراطاي الصلاحي.
(٢) هكذا فى ك، وفى ابن مساتى (قوانين الدواوين ص ١٦٧) ورد اسمها (فانونقليفه) وعدها فى أعمال الفيومية، وأشار محققه إلى بعض التحريف فى نسخ الأصل الخطية.
(٣) أطفيح : من القرى القديمة واقعة على الضفة الشرقية للنيل جنوبى حلوان، وهى تابعة لمركز الصف فى محافظة الجيزة.
(٤) دلجة: قرية فى صعيد مصر فى الجبل بعيدة عن شاطئ النيل (مراصد الاطلاع ١/ ٥٣١).

ذكر الجلوس بخانقاة الأمير سيف الدين بكتمر الساقى بالقرافة

وفى يوم الثلاثاء ثامن رجب الفرد من السنة حصل الجلوس بخانقاة أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر^(١) الساقى الناصرى بالقرافة، وحصل الاحتفال بذلك، وحضر مشايخ الصوفية وغيرهم، ومُدَّ سَماط عظيم، ورُتَّب فى مشيختها وإمامتها الشيخ شمس الدين الرومى المعروف بالطويل^(٢)، وكان قبل ذلك إماماً بصُفَّة النفيس بالخانقاة الصلاحية بالقاهرة، ورتب له على وظيفة المشيخة فى كل شهر مائة درهم، وعن الإمامة خمسون درهماً، ورُتَّب بها عشرون صوفياً، لكل منهم فى الشهر ثمانون / درهماً من غير خبز ولا طعام ولا غيره.

(٦٩)

ذكر وصول رسل التتار وأقارب السلطان إلى الأبواب السلطانية

وفى يوم الاثنين رابع عشر شهر رجب وصل إلى الأبواب السلطانية رسل الأمير جويان نائب الملك أبى سعيد، وصحبته - من أقارب السلطان - سيف الدين طائرغا^(٣) وولده يحيى، فمثل الرسل بين يدى السلطان فى هذا النهار، وشملهم الإنعام بالتشريف، وكان طائرغا وولده قد وصلا فى يوم الأحد ثالث عشر الشهر، ومثلا بين يدى السلطان، وذكر طائرغا ما دلَّ على صدق دعواه فى انتسابه، فلما كان فى يوم الخميس سابع عشر الشهر أمر السلطان الأمير سيف الدين طائرغا بطبلخاناه، وأمر ولده يحيى بعشرة، وأمر أيضاً أخا^(٤) الأمير سيف الدين بكتمر الساقى بطبلخاناة، وأمر أحد المماليك بحلب وذهبوا بشعار الإمرة من المدرسة المنصورية^(٥) بالقاهرة على العادة، وخُلِع على الرسل مرة ثانية، وأعيدوا إلى مرسلهم فى يوم الخميس رابع عشرين الشهر.

(١) فى ك يكتمش، وما أثبتناه فى الموضعين من السلوك (٢٧٣/٢) والنجوم (٢٨٤/٩) وهذه الخانقاه أوردتها المقرئى فى الخطط (٤٢٣/٢) وذكر أنها بطرف القرافة فى سفح الجبل مما يلى بركة الحبش، وفى النجوم الزاهرة (٢٨٤/٩) حاشية (٣) تحديد أدق لموقعها الحالى.

(٢) شمس الدين الرومى: محمد بن محمد شيخ خانقاه بكتمر الساقى، وسيورد النويرى ترجمته فى وفيات ٧٣٠.

(٣) فى الأصل «طارغا» وما أثبتناه بضبطه عن السلوك (٢٧٣/٢) والنجوم (٨٨/٩).

(٤) فى السلوك (٢٧٣/٢) وفى سابع عشرة (يعنى شهر رجب) أنعم على أحمد بن بكتمر الساقى بإمرة، فلعله المقصود هنا.

(٥) المدرسة المنصورية: كانت بخط بين القصرين، وانظر النجوم (٣٢٥/٧) حاشية (٢).

ذكر وصول رسل جُويان^(١)

ثم وصل من جهة الأمير جُويان المذكور في يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر رمضان ثلاثة من أعيان الصوفية على خيل البريد برسالة مضمونها: السؤال في مُصاهرة السلطان لابن الأمير جُويان على إحدى بناته، فمثّلوا بين يدي السلطان، وكان من جملة سؤالهم عن مُرسلهم، أن يكون الذي يمشي بينهم في الخطبة الشيخ تقي الدين بن تيمية، وكان قد اعتقل على ما نذكره، فأجيبوا عن ذلك أن المذكور في حبس الشرع لأمر صدرت عنه، ورسم السلطان للقاضي بدر الدين أن يسمع كلام الرسل، فسمع كلامهم، ثم أعيدوا إلى مرسلهم على خيل البريد.

وفيها في يوم الاثنين السابع والعشرين من شعبان أفرج السلطان عن الأمير سيف الدين بَلْبَان طُرنّا^(٢) نائب المملكة الصُفّدية كان، وكان في الاعتقال منذ انفصل من نيابة السلطنة بالمملكة الصُفّدية، وأنعم عليه بإمرة طبلخانة بدمشق، ثم نقل بعد ذلك إلى مقدمة أَلَف.

وفيها - في سلخ شعبان - احترقت مدينة بَيْسان^(٣) من غور الشام حريقاً فاحشاً، وأكثر عمارتها بالقصب، فلذلك أسرع النار فيها. ثم طفت، وأعيد ما احترق.

ذكر وصول صاحب حصن كَيْفا^(٤) إلى الأبواب السلطانية، وعوده إلى بلاده، وخبر مقتله ومُلك أخيه

وفي يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان من هذه السنة وصل إلى الأبواب السلطانية في قلعة الجبل المحروسة الملك الصالح صلاح الدين يوسف بن

(١) ترجمته في ابن حجر (الدرر ٥٤١/١) ووصفه بالأمير الكبير نائب المملكة القانية، وذكر أن الملك أبا سعيد - ملك التتار - تزوج ابنته.

(٢) الضبط من الدرر (٤٩٤/١) وفيه أنه اعتقل في سنة ٧١٤ بسعاية تنكر، وأفرج عنه في سنة ٧٢٦ وفي السلوك (٢٧٤/٢) أنه بقي في اعتقاله إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر، وسبعة أيام، وكانت وفاته في سنة ٧٣٤هـ.

(٣) في الأصل بستان، وما أثبتناه عن (مراسد الاطلاع ٢٤١/١) ففيه: بيسان: مدينة بالغور الشامي.

(٤) حصن كَيْفا - بفتح فسكون - ويقال كيبا: بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر (مراسد الاطلاع ٤٠٧/٢) وانظر السلوك (٢٧٦/٢) حاشية (٢).

الملك الكامل سيف الدين أبى بكر^(١) شادى ابن الملك الموحّد تقى الدين عبد الله بن الملك المعظم غياث الدين طوران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب، وهو صاحب حصن كيّفا.

وكان سبب حضوره أنه أقام مدة سنين لا ينزل من الحصن إلى نواب الملك أبى سعيد إذا حضروا إلى البلاد على جارى عاداتهم، بل يرسل إليهم الهدايا والتقادم الجارية بها العادة، وتحصن بالحصن، ثم شرع بنهب من ينفرد من التتار، ويتعرض إلى إقطاع الأمير الذى أقطع له أعمال حصن كيّفا، فشكاه الأمير المقتطع إلى الملك أبى سعيد، وقال: إنه يأخذ أكثر ما يتحصل من إقطاعه، وأنهى إلى الملك أنه عصى بالحصن، وأنه لا ينزل إلى نائب الملك إذا وصل، فكتب أبو سعيد إلى نائبه فى تلك الجهة يستعلم منه: هل هو فى الطاعة على عادته أو خرج عنها؟ فأجابه النائب أنه على عادته فى الطاعة، وأنه ينزل إليه إذا حضر إلى جهة الحصن، وأرسل النائب إلى الملك الصالح المذكور يعرفه ما ورد عليه، وما أجاب به، وقدم إليه تقادم كثيرة بسبب ذلك، وواعده أنه إذا وصل إلى الحصن ينزل إليه، ثم خاف على نفسه أنه إن نزل إليه قبض عليه، فحضر إلى الأبواب السلطانية، وأشاع أنه إنما حضر بسبب الحج. أخبرنى بذلك المحقق للحال، وهو الأمير علاء الدين على بن الملك الموحّد، وهو عم الملك الصالح.

ولما وصل الملك الصالح إلى الأبواب السلطانية الملكية الناصرية شمله الإنعام السلطانى بتشريف طرد وحش بقصب وگلوته^(٢) بزركش، وحياسة ذهب،

(٤) هكذا فى الأصل، وفى السلوك (٢٧٦/٢) سيف الدين أبو بكر بن شادى.

(١) الكلوتة - بتشديد اللام المضرومة - فارسية معناها الطاقية الصغيرة المصنوعة من الصوف، المضربة بالقطن، كانت غطاء الرأس فى الدولتين: الأيوبية والمملوكية، وكانت شارة الأمراء لبسها بغير عمامة فوقها، ولا كلاليب تعقد تحت الذقن وهى الكلبندات. وانظر صبح الأعشى (٤٩/٤) وخطط المقرئى (٢١٧ و ٩٨/٢) ودوزى (الملابس عند العرب ص ٣٧٨).

وثلاثين^(١) ألف درهم، ورسم له بعوده إلى مملكته بحصن كيُفَا، وكتب على يده كتاباً إلى الأمير جُويان نائب الملك أبي سعيد يتضمن الوصية به، والإحسان إليه، وأعادته في العشر الأوسط من الشهر على خيل البريد إلى دمشق المحروسة، وتوجه / منها على خيله بمن حضر معه من إلزامه، وكتب السلطان إلى نائب السلطنة بحلب المحروسة أن يجرد معه من العسكر الحلبي خمسمائة فارس ومائتي فارس من العربان - من كلاب - إلى أن يصل إلى مأمنه، فتوجهوا معه إلى أن شارف بلاده وأعادهم وحال وصوله إلى الحصن وثب عليه أخوه شقيقه الملك العادل محيي الدين فقتله، وملك الحصن بعده، وكتب إلى الملك أبي سعيد، وأنهى إليه أنه إنما قتله لأنه كان باغياً، وتوجه إلى الديار المصرية، وحضر إلى البلاد بعسكر، وقصد إفساد البلاد، فأقره الملك أبوسعيد على الحصن، وطالع الملك العادل محيي الدين هذا الأبواب السلطانية [بذلك]، واعتذر عن قتله، وجَهَّز مختصراً يتضمن سوء سيرته، وطالع نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس أيضاً بمثل ذلك، وسأل الصفيح عنه فيما فعل، وأنه إنما قُتِل لسوء سيرته^(٢)، ومَنْ قتل من أهله، فسكن الحال في ذلك.

وفيها في يوم الخميس خامس شوال توجه الأمير سيف الدين أرغُن^(٣) الناصري نائب السلطنة الشريفة إلى الحجاز الشريف هو وأولاده وابنة السلطان زوجة ولده، الأمير سيف الدين وأولاده، وكان استقلال ركابه من قلعة الجبل في الثالثة من هذا اليوم.

وفيها - في يوم الجمعة خامس ذي القعدة - قرئ بالجامع على المنابر بالقاهرة ومصر مثال^(٤) شريف سلطاني، مضمونه الإعفاء من المظالم، وطرح الأصناف على التجار والمُبْعَثِينَ، ومنع الولاة من الضرب بالمقارع، وإبطال المقدمين من أبواب الولاة.

(١) في السلوك (٢٧٦/٢) وبعث له عشرة آلاف درهم، ثم ذكر أن السلطان أنعم عليه حال رحيله بألف دينار.
(٢) أورد المقرئ في (السلوك ٢٧٧/٢) المقصود بسوء سيرته، وعبارته «وكتب محيي الدين إلى نائب الشام يقول: أنه لم يقتله إلا لما ثبت عليه من شرب الخمر والفسق وقتل الأنفس، واستباحة الأموال والتلفظ بالكفر غير مرة».

(٣) يرد رسمه في السلوك (٢٧٧/٢) والنجوم (٢٨٩/٩) «أرغون» بواو بعد الغين.

(٤) عبارة السلوك (٢٧٨/٢) في هذا الموضع: «وفيها كتب مرسوم السلطان - وقرئ على المنابر - ألا يضرب أحد في ديار مصر والشام بالمقارع، والمثال والمرسوم في لغة مؤرخي هذا العصر بمعنى واحد.

/ (٢١٤) ذكر خبر مولود وُلد في هذه السنة

أخبرني ركن الدين عمر بن الشيخ الصالح ناصر الدين محمد بن الشيخ الصالح العارف إبراهيم بن معضاد بن شدّاد بن مالك بن ماجد القشيري الجعبري^(١) نفع الله به وببركات أسلافه الصالحين أنه ولد له في الساعة الرابعة من الليلة المسفرة عن رابع عشر ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبعمائة ولد من موطوءته سماه موسى، وأنه أقام في بطن أمه منذ حملت به سنتين وشهرين، وحين وضعت لم تر معه دمًا كثيرًا ولا ماء، بل أرمت على^(٢) عادة الحوامل لتسعة أشهر وأنه وضع قوى الياقوخ غير ليّنه على هادة المولود حين يولد، قال: وطلعت أسنانه لشهرين وثلاثة أيام من مولده، وقال: ومشى في غرة الشهر الخامس من مولده، أنشأه الله تعالى نشأة سالحة.

ذكر خبر إجراء الماء إلى مكة شرفها الله تعالى

وفي هذه السنة أجريت عين إلى مكة شرفها الله تعالى، وكان وصول الماء إليها في الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وسبعمائة وذلك أن الأمير جويان / (٢١٥) نائب الملك أبي سعيد صاحب العراقين وخراسان اهتم بهذا الأمر اهتماماً عظيماً، وأرسل بعض التجار بجملته كثيرة من المال، يقال: إنه نحو ثلثمائة ألف درهم، فبذلها في إجراء الماء إلى مكة، ويسر الله تعالى ذلك له، وحصل الظفر بآثار العيون القديمة التي كانت أجريت فيما سلف من السنين، وقطع التراب الذي كان يمنع جريان الماء، ونظف فجرت العين بماء كثير.

وهذه العين قد كانت قديمة، وقد ذكر الشيخ أبو الوليد محمد بن [عبد الله^(٣)] الأزرق في (أخبار مكة) ما أجرى في الحرم من العيون، فقال: ما ملخصه^(٤) - وبعضه بمعناه - : أن رجلاً من بني سليم قال لعمر بن الخطاب

(١) وردت ترجمته في ابن حجر (الدرر ٣/٢٩٧) وذكر أنه ولد بقلعة جعبر سنة ٦٥٠هـ، وأن وفاته في المحرم سنة ٧٣٤هـ.

(٢) يقال: أرمى على كذا، أي زاد عليه.

(٣) الزيادة وردت في اسمه كما جاء في كتابه «أخبار مكة» برواية أبي محمد إسحاق بن أحمد بن إسحاق (ط. ليبزج ١٨٥٨م) ففي ص ٣ «هو أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد بن الوليد بن عقبة الأزرق بن عمرو بن الحارث بن أبي شمر الفسائي الأزرق».

(٤) راجع هذا الخبر في كتاب: أخبار مكة من ص ٤٤٢ - ٤٤٥.

رضى الله عنه بمكة: يا أمير المؤمنين، أقطعني حَيْفَ الأرين^(١) حتى أملاه عجوة، فقال له عمر: نعم، فبلغ ذلك أبا سفيان بن حرب، فقال: دعوه فليملأه ثم لينظر [أينا يأكل جناحه]^(٢)، فبلغ ذلك السلمي فتركه، فكان أبو سفيان يدعيه، ثم كان معاوية هو الذي عمله وملأه عجوة، وذلك أنه أجرى في الحرم عيوناً عشرة^(٣)، واتخذ لها أخفافاً^(٤)، فكانت حوائط^(٥) فيها النخل والزرع، ذكرها أبو الوليد في كتابه، قال أبو الوليد: واتخذت بعد ذلك ببِلْدَحَ عيون سواها، ومنها: عين سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ببِلْدَحَ، وحائط سفيان، والخَيْفَ الذي أسفل منه.

قال ثم انقطعت عيون معاوية تلك وذهبت، فأمر أمير المؤمنين / (٢١٦) هارون الرشيد بعيون منها فعملت وأحييت وصرفت في عين واحدة يقال لها الرشاد؛ لتسكب في المَاجِلين^(٦) اللذين أحدثهما الرشيد بالمَعْلَى^(٧)، ثم تسكب في البركة التي عند المسجد الحرام، ثم كان الناس بعد تقطع هذه العيون في شدة الماء، وكان أهل مكة والحاج يلقون من ذلك المشقة، حتى أن الراوية لتبلغ في الموسم عشرة دراهم وأكثر وأقل.

فبلغ ذلك أم جعفر بنت أبي الفضل جعفر بن المنصور، فأمرت في سنة أربع وتسعين ومائة بعمل بركتها التي بمكة، فأجرت لها عينا من الحرم، فجرت بماء قليل لم يكن فيه رى لأهل مكة، وغرمت في ذلك غرمًا عظيمًا، فبلغها ذلك، فأمرت [جماعة من]^(٨) المهندسين أن يجروا/ لها عيوناً من الجبل، فأرسلت بأموال عظيمة، ثم أمرت من نَزَفَ^(٩) عينها الأولى، فوجدوا فيها فساداً، فأنشأت عينا أخرى إلى جنبها، وأبطلت تلك العين، وعملت هذه العين بأحسن ما يكون من العمل، حتى بلغت ثنية جبل، وإذا الماء لا يظهر في

(١) الضبط من الأزرقى ص ٤٤٢، وفي مراصد الاطلاع ٦٤/١ خيف الأرين موضع ورد في حديث أبي سفيان «...أقطعني خيف الأرين أملاه عجوة».

(٢) لم يتضح في ك، وما أثبتناه عن أ ص ٢١٥، والأزرقى ص ٤٤٢.

(٣) عدد الأزرقى هذه العيون العشر مفصلة (ص ٤٤٢ - ٤٤٤).

(٤) الأخفاف: جمع خيف، وهو ما انحدر من غلظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء (المعجم الوسيط).

(٥) الحوائط جمع حائط، ومعناه هنا البستان.

(٦) الواحد ماجل : مستنقع الماء، وأبو عبيد يهزه فيقول ماجل والجمع ماجل (لسان العرب).

(٧) في الأزرقى ٤٤٤ «في المَاجِلين اللذين أحدثهما لأمر المؤمنين بالمعلاة».

(٨) الزيادة من الأزرقى ص ٤٤٤.

(٩) في «ك» «من يرف» والمثبت من «أ» ص ٢١٦، وفي الأزرقى «يزن».

ذلك الجبل إلا بعمل شديد، وضرب في الجبل، فأمرت بالجبل فضرِب فيه، وأنفقت في ذلك من الأموال مالا يمكن أن تطيب به نفس كثير من الناس^(١) حتى أجراها الله عز وجل لها، وأجرت فيها عيوناً من الحل منها: عين من المشاش^(٢) واتخذت لها بركاً تجتمع فيها السيول إذا جاءت، ثم أجرت لها عيوناً من حنين، واشترت / (٢١٧) حائط حنين، فصرفت عينه إلى البركة، وجعلت حائطه سداً يجتمع فيه السيل، فصارت لها مكرمة لم تكن لأحد قبلها.

قال: ثم إن أمير المؤمنين أمر صالح بن العباس في سنة عشرين^(٣) ومائتين أن يتخذ لها بركاً من السوق خمساً، لثلاثين^(٤) أهل أسفل مكة والثنية وأجبادين^(٥) والوسط إلى بركة أم جعفر، فأجرى عيناً من بركة البطحاء^(٦) عند شعب ابن يوسف من وجه دار ابن يوسف، ثم تمضى إلى بركة عند الصفا، ثم تمضى إلى بركة عند الحناطين، ثم تمضى إلى بركة بفوهة سكة الثنية دون دار أويس، ثم تمضى إلى بركة عند سوق الحطب بأسفل مكة، ثم تمضى في سرب ذلك إلى مأجل أبي صلاية، ثم إلى المأجلين اللذين في حائط ابن طارق بأسفل مكة^(٧)، فهذه العين التي أجريت الآن إنما هي من ذلك الأصل القديم.

وكان السلطان الملك الناصر قد عزم على إجراء هذه العين، فصرفه بعض أرياب الأمر من أتباعه عنها، وقال: «إن هذا متعذر الإمكان» فلما أجريت الآن تألم السلطان من كون هذه الحسنة العظيمة لم تجر على يديه.

(١) عبارة الأزرقى في هذا الموضع «... ما لم يكن تطيب به نفس كثير من الناس».

(٢) الضبط من المراسد ١٢٧٣/٣ وفيه: «المشاش: قناة ماء بجبال الطائف يجرى بعرفات ويصل إلى مكة».

(٣) هكذا في أ، ك، وفي الأزرقى ص ٤٤٥ «في سنة عشر ومائتين».

(٤) لم يتضح في أ، ك، وما أثبتناه من الأزرقى.

(٥) أجبادان: محلتان بمكة (المراسد ٣٣/١).

(٦) عبارة الأزرقى ٤٤٥ «فأجرى عيناً من بركة أم جعفر من فضل مائها في عين تسكب في بركة البطحاء عند شعب ابن يوسف».

(٧) أورد الأزرقى (٤٤٥) تنمة لهذا الخبر فقال: «ولما فرغ صالح بن العباس منها ركب بوجوه الناس إليها،

ذكر عدة حوادث كانت بدمشق

فى سنة ست وعشرين وسبعمائة خلاف ما ذكرنا

فى هذه السنة وصل إلى دمشق فى يوم الأحد منتصف المحرم الأمير محمد ابن عبد القادر بن يوسف بن الأمير أبى القاسم عبد العزيز بن الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين، فرسم نائب السلطنة بالاحتياط عليه، وطُوع فى أمره الأبواب السلطانية، ورُسِم أن يعود إلى أهله، فرجع، ولم يدخل مدينة دمشق.

قال الشيخ علم الدين بن البرزالي فى تاريخه عنه: وهو رجل حسن فيه أدب ومعرفة وديانة، اجتمعت به وسألته عن مولده، فذكر أنه قبل دولة اليهود بسنة، وكانت دولة اليهود سنة تسعين وستمائة، وسألته عن مولد أبيه، فذكر أنه قبل سنة براق فى الدولة العباسية، قال: وسألته عن مولد جدّه، فذكر أنه فى واقعة بغداد كان عمره سبع سنين أو ثمان سنين، وذكر أن جد والده عبد العزيز توفى قبل أخذ بغداد بسنة أو نحوها / (٢١٨).

وفى هذه السنة فى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول ضربت عنق ناصر بن أبى الفضل بن إسماعيل الهيتى المقرئ الصالحى بسوق الخيل بدمشق، وسبب ذلك أنه ثبت عليه الزندقة، وكان المذكور حسن الصوت بالقراءة، وصحب ابن الباجريّ، وابن المعمار وغيرهما، فانحلت عقيدته، وشهد عليه فى ذلك بما تقدم، فهرب إلى بلاد الروم^(١)، ثم عاد إلى حلب فى أواخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وحضر عند قاضى القضاة بها كمال الدين ابن الزمكانيّ الشافعى، وتاب وقبل توبته، وحقق دمه، ثم عاد إلى ما كان عليه من الزندقة فحمل إلى دمشق، وثبت عليه ما تلفظ به، فحكم بإراقة دمه^(٢) فنسأل الله العافية فى ديننا وفى دنيانا.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى ضربت عنق «ثوما بن عبد الله النصرانى» من قرية الحمان، كان قد أسلم على يدى الشيخ تقي الدين

فوقف عليها حين جرى فيها الماء، ونحر عند كل بركة جزواً، وقسم لحمها على الناس».

(١) فى ابن حجر (الدرر ٣٨٧/٤) أنه هرب إلى ماردين، ثم فر منها إلى حلب.

(٢) فى شذرات الذهب (٧٤/٦) أن ثبت زندقته كان على يد القاضى شرف الدين بن مسلم الحنبلى، ونقل الشبوت إلى شرف الدين المالكي فأنفذه، وحكم بإراقة دمه، وعدم قبول توبته.

ابن تيمية قديماً، وجاور بالمئذنة الشرقية بجامع دمشق مدة، ثم ارتد، وتكلم في القرآن بكلام، وقامت البينة عليه بذلك عند قاضي القضاة شرف الدين المالكي بدمشق، فحكم بإراقة دمه، فقتل.

ذكر اعتقال الشيخ تقي الدين بن تيمية

وفي هذه السنة - في يوم الاثنين السادس من شعبان - / (٢١٩) اعتُقل الشيخ تقي الدين أحمد^(١) بن تيمية بقلعة دمشق المحروسة، حسب الأمر الشريف السلطاني، واعتُقل معه أخوه زين الدين عبد الرحمن^(٢)، ومنع من الفتيا واجتماع الناس به.

وسبب ذلك أنه أفتى أنه لا يجوز زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا قبر إبراهيم الخليل، ولا غيرهما من قبور الأنبياء والصالحين، وتوجه بعض أصحابه وهو الشمس محمد بن أبي بكر^(٣) إمام المدرسة الجوزية في هذه السنة لزيارة البيت المقدس، فرقى منبراً في حرم القدس الشريف، ووعظ الناس وذكر هذه المسألة في أثناء وعظه، وقال: ها أنا من هنا أرجع ولا أزور الخليل، وجاء إلى نابلس^(٤)، وعمل مجلس وعظ، وأعاد كلامه، وقال: ولا يزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يزار إلا مسجده، فقصد أهل نابلس قتله، / فحال بينهم وبينه متوكلها، وكتب أهل القدس وأهل نابلس ودمشق بما (٧٢) وقع منه، فطلبه قاضي القضاة شرف الدين المالكي، فتغيب عنه، وبادر بالاجتماع بقاضي القضاة شمس الدين محمد بن مسلم الحنبلي قاضي الحنابلة، وتاب عنده، وقبل توبته، وحقن دمه، ولم يُعزَّره.

(١) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن علي بن عبد الله. سيورد التنوير ترجمته في وفيات سنة ٧٢٨هـ، وانظر أيضاً: الدرر ١/ ١٤٤ - ١٦٠ المنهل الصافي (٣٣٦/١ - ٣٤٠).

(٢) ترجم له ابن حجر (الدرر ٢/ ٣٢٩) وذكر أنه كان يشتغل بالتجارة مع ما كان له من علم وفضل وأنه حبس نفسه مع أخيه تقي الدين بالإسكندرية ودمشق محبة له وإيثاراً لخدمته. مولده سنة ٦٦٣هـ، ووفاته سنة ٧٤٧هـ.

(٣) ابن قيم الجوزية، ترجمته في الدرر (٢/ ٤٠٠) والوافي بالوفيات (٢/ ٢٧٠) وفيهما أن مولده في صفر سنة ٦٩١هـ ووفاته في رجب سنة ٧٥١هـ، وانظر تنمة هذا الخبر في السلوك (٢/ ٢٧٣).

(٤) الضبط من مراصد الاطلاع ٣/ ١٣٤٧، وفيه أنها مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبيلين مستطيطة لا عرض لها بينها وبين المقدس عشرة فراسخ.

فنهض الفقهاء بدمشق عند ذلك، وتكلموا على الشيخ تقي الدين، وكتبوا فتياً تتضمن ما صدر منه، وذكروا هذه المسألة وغيرها^(١)، فأفتى العلماء بكفره، وعرضت / (٢٢٠) الفتيا على نائب السلطنة بالشام، الأمير سيف الدين تنكز، فطالع السلطان بذلك، فجلس السلطان في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رجب بالميدان الذي هو بذيل قلعة الجبل، وأحضر القضاة والعلماء، وعرض عليهم ما ورد في أمره من دمشق، فأشار قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي باعتقال تقي الدين المذكور، فرسم باعتقاله ومنعه من الفتيا، ومنع الناس من الاجتماع به، وأن يؤذّب من هو على معتقده، وتوجه البريد بذلك، فوصل إلى دمشق في يوم الاثنين سادس شعبان، فاعتقل، وقرئ المثل السلطاني بعد صلاة الجمعة العاشر من الشهر على السدة بجامع دمشق.

ثم طلب قاضي القضاة القزويني جماعة من أصحاب تقي الدين في يوم الجمعة الرابع والعشرين من الشهر إلى المدرسة العادلية^(٢)، وكانوا قد اعتقلوا بسجن الحكم، فادعى على العماد إسماعيل صهر الشيخ جمال الدين المزني أنه قال: إن التوراة والإنجيل لم يُبدّلا، وأنهما كما أنزلا، فأنكر، فشهد عليه بذلك، فضرب بالدرة، وأشهر وأطلق.

وادعى على عبد الله الإسكندري، والصلاح الكتبي، وغيرهما بأمور صدرت منهم، فثبت ذلك عليهم، فضربوا بالدرة، وأشهروا في البلد.

وطلب الشمسي أمام المدرسة الجوزية وسئل / (٢٢١) عما صدر منه في مجلس وعظه بالقدس ونابلس، فأنكر ذلك، فشهد عليه من حضر مجلسه بما تلفظ ممن كان قد توجه من عدول دمشق لزيارة البيت المقدس، فثبت ذلك عليه فضرب بالدرة، وأشهر على حمار بدمشق والصالحية^(٣)، وقُيد، واعتقل

(١) في السلوك (٢٧٣/٢) إشارة إلى أن من المسائل التي أخذت على ابن تيمية قوله: «أن الطلاق بالثلاث لا يقع بلفظ واحد». وأورد ابن حجر في ترجمته مسائل أخرى مما أخذ عليه (الدرر ٢/٢٦٦).

(٢) المدرسة العادلية: هما عادليتان: العادلية الكبرى، والعادلية الصغرى، والمراد هنا الكبرى التي بناها نور الدين محمود بن زنكي، ولم يتمها، ثم بنى بعضها الملك العادل سيف الدين، وأوقف عليها قري دريج وركيس ونيطا، ثم بناها بعده الملك العادل أبو بكر بن أيوب أخو صلاح الدين (الدارس في تاريخ المدارس ١/٣٥٩ - ٣٦٢).

(٣) الصالحية: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في سفح جبل قاسيون المشرف على دمشق، وأكثر أهلها مهاجرة من نواحي بيت المقدس (مراسد ٢ ص ٨٣٠) أنشئت على رأس المائة الخامسة، وسببها مهاجرة المقدسة حين استيلاء الإفرنج على بيت المقدس (المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية ص ٢).

بقلعة دمشق، فلم يزل في الاعتقال إلى يوم الثلاثاء العشرين من ذي الحجة سنة ثمان وعشرين، فأفرج عنه في هذا اليوم، وحضر إلى قاضى القضاة الشافعى، فشرط عليه شروطاً، فالتزمها، وأطلق.

وفى هذه السنة فى ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول توفى الشيخ عز الدين^(١) بن أبى زكريا يحيى بن الشيخ الخطيب شمس الدين إبراهيم بن شيخ الإسلام عز الدين أبى محمد بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الدمشقى، وكانت وفاته بالقاهرة بسكنه بحارة بهاء الدين، ودفن بالقرافة بترية جده الشيخ عز الدين، وتوليت تجهيزه ودفنه بوصية منه إلى، وكان قد أوصانى ألا أدفنه إلا خارج باب الترية، فدفنته هناك حيث أوصى، وكانت قد طالت مَرَضَتُهُ، مرض فى أثناء شوال، ومولده بدمشق فى يوم الأحد عاشر صفر سنة ثمان وخمسين^(٢) وستمائة، وسمع من النجيب فراس بن العسقلانى، وابن الأوحى وغيرهما، وحدث قبل وفاته، وكان رحمه الله تعالى يباشر الأشغال الديوانية، والأوقاف، وآخر مباشراته شهادة الحوائج خاناه السلطانية بقلعة الجبل المحروسة.

وفيهما فى ثامن شهر ربيع الأول توفى الشيخ الصالح شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ العارف القدوة السيد الشريف أبى الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف الشاذلى الحسنى، وكانت وفاته بدمنهو الوَحْش، وهو من المشايخ الصالحاء المشهورين. ويقال: إنه كان فى صحبة والده لما توجه إلى الحجاز الشريف. ومات فى سَمَرَةَ عَيْذاب^(٣) بمنزلة حَمْتِيره فى سنة ست وخمسين وستمائة، وكان إذ ذاك صغير السن رحمه الله تعالى.

وفيهما فى ليلة السبت سادس جمادى الآخرة توفى القاضى شرف الدين عبد الهادى بن زنبور، وهو إذ ذاك / (٢٢٢) يباشر نظر خزائن السلاح بالقاهرة

(١) لم يورده ابن حجر فى الدرر، وذكر ترجمة والده يحيى بن إبراهيم بن عبد العزيز (الدرر ٤/ ٤٠٩) وكذلك لم ترد وفاته فى وفيات هذه السنة لا فى السلوك ولا فى النجوم ولا فى الشذرات.
(٢) فى ابن حجر (الدرر ٤/ ٤٠٩) أن الذى ولد فى هذه السنة هو يحيى بن إبراهيم والد المذكور وأن وفاته كانت سنة ٧١٠هـ. وهذا يعنى خطأ النويرى فى تاريخ ميلاد الابن، أو خطأ ابن حجر فى تاريخ وفاة الأب.
(٣) عيذاب: بليدة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) وهى مرسى المراكب التى تقدم من عدن إلى الصعيد، ومنها يعدى إلى جدة (مراسد الاطلاع ٣/ ٩٧٤).

المحروسة. ولى ذلك بعد انفصاله من نظر الدواوين بالديار المصرية، ودفن من الغد بالقرافة. ومولده فى سنة تسع وثلاثين وستمئة، وكان رحمه الله تعالى رجلاً عاقلاً قليل الشر، وهو خال القاضى فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة.

وفى فيها فى العشرين من شهر رجب توفيت الست^(١) الجليلة صالحة خاتون ابنة الملك المعز فخر^(٢) الدين يعقوب بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب، وهى فى درجة الملك الصالحى^(٣) نجم الدين أيوب بن الملك الكامل، ودفنت بقاسيون، ومولدها تقريباً فى سنة خمسين وستمئة، ولم يكن فى البيت الأيوبى أقرب إلى السلطان الملك العادل منها، رحمهما الله تعالى.

وفى فيها فى عشية نهار الثلاثاء تاسع عشر شهر رمضان توفى الأمير^(٤) صلاح الدين أبو الحسن محمد بن الملك الأمجد مجد الدين حسن بن الملك الناصر داود بن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب، وكانت وفاته بظاهر دمشق ببستان النعامات، ودفن فى يوم الأربعاء بالتربة المعظمية بقاسيون، وهذه التربة هى دَيْرُ مُرْكَان المذكور فى أشعار المتقدمين^(٥)، ومولده فى الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة أربع وستين وستمئة سمع حضوراً من والده وروى عنه، وسمع / (٢٢٣) من ابن البخارى، ومن الشيخ عز الدين الفاروئى^(٦) وغيره، وأسمع، رحمه الله تعالى.

(١) الست: السيدة قال الخفاجى فى: (شفاء الغليل) قولهم ستى بمعنى سيدتى خطأ وهى عامية مبتذلة.

(٢) فى «أ» ص ٢٢٢ (مجبر).

(٣) فى «أ» ص ٢٢٢ (الصالح).

(٤) انفرد التويرى بذكر وفاة هذا الأمير، ولم أجده فى غيره من مؤرخى هذه الفترة. فيمن وردت وفياتهم فى هذه السنة.

(٥) دير مران: بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران، وفيه يقول يزيد بن معاوية

... إذا اتكأت على الأنماط مرتفعاً * بدير مران عندى أم كلثوم

ويقول أبو بكر الصنوبرى أيضاً:

أمر بدير مران فأحيا * وأجعل بيت لهوى بيت لهـيا

(مراسد الاطلاع ٢ / ٥٧٥).

(٦) عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عمر بن الفرج بن أحمد بن سابور بن على بن غنيمة، الفاروئى الواسطى، ولد بواسط فى ذى القعدة سنة ٦١٤ روى الكثير بالحرمين والعراق وقدم دمشق فى سنة ٦٩١ هـ فولى مشيخة الحديث بالظاهرية وبالنجيبية ومات بواسط فى ذى الحجة سنة ٦٩٤ وله ترجمة مطولة فى: (الدارس فى تاريخ المدارس ٣٥٥/١ وما بعدها).

وفيهما فى ليلة الخميس ثالث عشر شوال توفى ببعلبك الشيخ قطب الدين أبو الفتح موسى بن الشيخ الإمام القدوة الحافظ أبى عبد الله / محمد بن أبى (٧٣) الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن اليونينى البعلبكي الحنبلى، ودفن ضحى يوم الخميس بمقبرة باب سطحا، ومولده فى بكرة الجمعة ثامن صفر سنة أربعين وستمائة بالديار الفاضلية بمدينة دمشق. سمع من والده ومن الشيخ شرف الدين الحسين الأربلى، وشيخ الشيوخ شرف الدين الحموى، وابن عبد الدايم، وحدث عنه بصحيح مسلم، وسمع بالديار المصرية من الشيخ رشيد الدين العطار وغيره، وكان له تعلق بالتاريخ، اختصر (مرآة الزمان) لابن قزاوغلى^(١) وذيل عليه^(٢)، وقد نقلنا عنه مواضع يسيرة فى كتابنا هذا، نقلت وفاته من تاريخ الشيخ علم الدين بن البرزالى رحمه الله تعالى.

وفيهما فى ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من ذى القعدة توفى قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مسلم بن مالك بن مزروع بن جعفر الصالحى الحنبلى، قاضى الحنابلة بدمشق، وكانت وفاته بالمدينة النبوية، وكان قد توجه لقصد الحج فى هذه السنة، فمرض عند رحيل الركب من منزلة العلا^(٣)، واشتد به المرض، فيقال أنه سأل الله تعالى أن يصل إلى المدينة النبوية، ويزور رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته، فاستجاب الله له، ووصل إلى المدينة فى يوم الاثنين قبل وصول الركب بيوم، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى بالحرم النبوى، وبات فى تلك الليلة ببعض الرُّبَط، ومات من ليلته، فدفن بالبقيع بجوار قبر عَقِيل بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، ومولده بالصالحية بظاهر دمشق فى سنة اثنتين وستين وستمائة، وولى القضاء بدمشق فى ثامن صفر سنة ست عشرة وسبعمائة، بعد وفاة قاضى

(١) شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلى التركى الشهير بسبط ابن الجوزى، وكتابه: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان مشهور، طبع منه الجزء الثامن فى مجلدين بالهند سنة ١٩٥١م.

(٢) فى ابن حجر (الدور ٤/٣٨٢) ترجمة اليونينى، وأخبر أن الذيل الذى وضعه لمرآة الزمان فى أربعة مجلدات.

(٣) العلا - بضم العين والقصر - : قرية من نواحي وادى القرى بعد ديار ثمود للذهاب إلى المدينة، والعلاء - بفتح العين والمد -: موضع بالمدينة أيضاً (المراسد ٢/٩٥٥) والرسم الوارد يحتملها.

القضاة تقي الدين سليمان الحنبلي، وسلك في ولايته سيرة السلف الصالح، ولم يغير هيئته ولا لباسه، ولا جدد مركوباً بسبب ولاية القضاء، وكان يمشى غالباً من الصالحية إلى / (٢٢٤) دمشق، ولا أضاف إلى نفسه ولاية مدرسة، ولا نَظَرَ وقف بمعلوم، وكان رحمه الله تعالى رجلاً صالحاً دِيناً خَيْراً فاضلاً عالماً محدثاً، سمع الحديث من ابن عبد الدايم، وابن البخاري، وغيرهما، فسمع من مائتي شيخ وعشرة شيوخ، وسمع بمكة والمدينة والقدس ونابلس وبلبك، وحضر عدة غزوات وفتوحات منها طرابلس وعكا وقلعة الروم، وخرَّج له الشيخ جمال الدين المزي أربعين حديثاً تُساعياً، وخرج له غير ذلك^(١).

وفيهما في يوم الأربعاء ثامن ذي الحجة توفي الأمير مجد^(٢) الدين يعقوب ابن الملك الأشرف شرف الدين عبد الحق بن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن أيوب، وكانت وفاته ببستانه بالمزة ظاهر دمشق. وصُلِّيَ عليه بجامع المزة في يوم عرفة، ودفن بمقبرتها، رحمه الله تعالى، وكان رجلاً خَيْراً^(٣) كثير التواضع، وله مكارم، وكان يحفظ شعراً كثيراً.

وفيهما في ذي الحجة توفي الأمير بدر الدين حسن بن الملك الأفضل نور الدين علي بن الملك المظفر محمد^(٤) بن الملك المنصور بحماة وهو أخو الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة، وهو من جملة الأمراء بحماة، رحمه الله تعالى / (٢٢٥).

(١) أورد ابن حجر ترجمته بعبارة مماثلة في الدرر (٢٥٨/٤).

(٢) في «ك» «محيي الدين» وفي «أ» ص ٢٢٤ «مجير الدين» وما أثبتناه من ابن حجر (الدرر ٤٣٤/٤).

كما ورد في ترجمته، وفيه يقول ابن حجر: كان كثير الفكاهة حاد النادرة ضيق ذات اليد.

(٣) في «ك» «جيداً» وما أثبتناه من «أ» ص ٢٢٤ لمناسبته السياق.

(٤) في النجوم (٢٦٧/٩) عن (المنهل الصافي)، و(الدرر الكامنة) «علي بن محمود».

واستهلت سنة سبع وعشرين وسبعمائة بيوم الخميس الموافق
لأول كيهك من شهور القبط.

ذكر عزل الأمير سيف الدين أرغون الناصري نائب السلطنة الشريفة، وانتقاله إلى نيابة السلطنة بالمملكة الحلبية

قد ذكرنا في سنة ست وعشرين وسبعمائة أن الأمير سيف الدين أرغون
الناصري نائب السلطنة الشريفة توجه إلى الحجاز الشريف في يوم الخميس
خامس شوال، وصحبته ابنة السلطان زوجه ولده الأمير سيف الدين أبي بكر،
وزوجة السلطان دكنبيه^(١) وهي التي وصلت من جهة الملك ازبك.

فلما كان في هذه السنة عاد بهم من الحجاز الشريف بعد قضاء الحج
والمناسك والزيارة، فكان وصوله إلى قلعة الجبل في الساعة الأولى من نهار
الأحد حادى عشر المحرم من هذه السنة، وحال وصوله رسم السلطان للأمير
سيف الدين قجلس الناصري أمير سلاح بالقبض عليه وعلى ولده الأمير ناصر
الدين محمد^(٢)، فلما عبر إلى الخدمة السلطانية، وسار في الدهليز، قبض
عليه الأمير سيف الدين المشار إليه وعلى ولده، وأخذ سيفيهما، وعدل بهما
إلى قاعة رسم أن يكونا بها، وأعلم السلطان بذلك، فأرسل السلطان إليه الأمير
سيف الدين بكتمر الساقى / (٢٢٦) وأرسل له مأكولاً، ولم يضيق عليه. وبات
تلك الليلة بالقاعة، فلما كان في يوم الاثنين أحضره السلطان بين يديه، وخلا
به، وحذته طويلاً، وبكى، وأفرج عنه وعن ولده، وخلع على الأمير سيف الدين
تشريفاً على عادته، ورسم له أن يتوجه إلى نيابة السلطنة الشريفة بالمملكة
الحلبية عوضاً عن الأمير علاء الدين الطنبغا، فخرج من بين يدي السلطان من
ساعته، في عشية نهار الاثنين، وصحبته الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي
أحد الأمراء مقدمى الألوف، وتوجهوا / إلى دمشق [فوصلها في]^(٣) يوم (٧٤)
الجمعة الثالث والعشرين من المحرم.

(١) في «أ» ص ٢٢٥ غير منقوط، وفي «ك» (دلبيه) وما أثبتناه - وكذلك الضبط - عن: السلوك
(٢٠٣/٢ و ٢٠٤ و ٣٣٨) وفيه أنه يقال لها أيضاً «ظنباى وطولونية، وهي بنت طغاي بن هندو بن باطو
بن دوشى خان بن جنكزخان». وانظر في خبر زواج الناصر قلاوون بها السلوك (٢٠٣/٢ و ٢٠٤).

(٢) في ابن حجر (الدرر ٣/٣٧٩) محمد بن أرغون: ناصر الدين بن النائب مات في حلب في شعبان سنة
٧٢٧هـ.

(٣) الزيادة من أ، ص ٢٢٦ وهو يوافق ما ورد في النجوم في هذا الموضع (٨٨/٩).

وكان السلطان - حال القبض على الأمير سيف الدين أرغون - أرسل الأمير سيف الدين ألجاي الدوادار على خيل البريد إلى حلب، لإخراج الأمير علاء الدين الطنبغا نائب السلطنة الشريفة منها، وإحضاره إلى الأبواب السلطانية، وإخلاء مساكن النيابة للأمير سيف الدين أرغون، فتوجه ووصل إلى دمشق في يوم الثلاثاء ثالث عشر المحرم، وتوجه منها إلى حلب، وعاد هو والأمير علاء الدين الطنبغا فوصلا إلى دمشق على خيل البريد في عشية نهار الخميس ثاني عشرين الشهر، فوصلوا كلهم الجمعة، بدمشق^(١)، وتوجه الأمير سيف الدين أرغون إلى حلب، فوصل إليها في يوم الجمعة سلخ المحرم.

وتوجه الأمير علاء الدين الطنبغا إلى / (٢٢٧) الأبواب السلطانية فكان وصوله في يوم السبت مستهل صفر، وخلع عليه السلطان على عادته تشريفاً وحياسة، وأنعم عليه بخيل، وأسكنه بقلعة الجبل، وأنعم عليه بإمرة مائة فارس من جملة الإقطاع المحلول عن الأمير سيف الدين أرغون، وقدمه على ألف^(٢)، وفرق السلطان إقطاع النيابة، فأعطى الأمير سيف الدين بكتمر الساقى منه «مئة بنى خصيب» وكمل الأمير سيف الدين طابريغا مائة فارس، وتقدمه ألف من جملة تقدمه نائب السلطنة، فزادت التقادم تقدمه، فكمّلت بهذه التقدمة خمسة وعشرين تقدمه^(٣)، وأعطى السلطان بقية إقطاع النيابة زيادة على إقطاعات الأمراء مماليكه، وقطع أخباز جماعة من ممالك الأمير سيف الدين أرغون وألزامه.

ثم توجه طلب الأمير سيف الدين أرغون وصحبته ولده الأمير ناصر الدين محمد في يوم الأربعاء خامس صفر، وتوجه معهم الأمير سيف الدين بلك^(٤) الجمدار، ورسم ألا ينشر علماً، ولا يحرك طبلخاناه، ولا يشدّ من معه دركاشا إلى حين وصولهم إلى حلب، فأوصلهم الأمير سيف الدين بلك، وعاد إلى الأبواب السلطانية في يوم الخميس ثامن عشر^(٥) شهر ربيع الأول، وتأخر

(١) عبارة النجوم الزاهرة (٨٨/٩) هنا هي: «وقرر السلطان مع كل من أيتمش والجاى أن يكونا بمن معهما في دمشق يوم الجمعة ثالث عشرينه، ولم يعلم فيه الآخر حتى توافيا بدمشق في يوم الجمعة المذكور» وهي عبارة المقرئ أيضاً في السلوك (٢٧٩/٢).

(٢) في «أ» ص ٢٢٧ (وتقدمة ألف) وهي أشبه بلغة المؤلف.

(٣) أورد ابن تغرى بردى هذا الخبر بعبارة مماثلة في النجوم (٨٨/٩) ونصه: «فصار أمراء الألو خمسة وعشرين مقدم ألف بالديار المصرية».

(٤) الضبط من ابن حجر (الدرر ٤٩٥/١) وعبارته: بلك الجمدار الناصري، ولى نيابة صفد أيام الصالح إسماعيل، ثم عاد إلى مصر في سنة ٧٤٦هـ فولى إمرة مائة ومات في سنة ٧٤٩هـ.

(٥) في «أ» ص ٢٢٧ ثامن عشر شهر ربيع الأول.

بالأبواب السلطانية من أولاد الأمير سيف الدين أرغون الأمير سيف الدين أبو بكر، والأمير ركن الدين عمرو، والأمير شهاب الدين أحمد إلى / (٢٢٨) أثناء جمادى الأولى، ثم رسم أن يتوجهوا إلى حلب، فتوجهوا هم وعائلة الأمير سيف الدين أرغون، وابنة السلطان زوجة الأمير سيف الدين أبي بكر في يوم الاثنين خامس جمادى الأولى، وصحبهم الأمير سيف الدين آقْبغا [بن] ^(١) عبد الواحد رأس نوبة الجمدارية، ليوصلهم ويعود، فوصلوا إلى دمشق في ليلة السبت رابع عشرين الشهر، فنزلوا بالقصر الأبلق، وتوجهوا إلى حلب في ليلة الأحد، واستقر أولاد الأمير سيف الدين أرغون الثلاثة في جملة الأمراء بحلب المحروسة، وخرجت إقطاعاتهم التي بالديار المصرية لغيرهم من الأمراء.

ثم رسم السلطان ببيع ما نقل من جهاز ابنته زوجة الأمير سيف الدين أبي بكر، فأبيع بالمدرسة الناصرية بالقاهرة، وكان في جملة ما أبيع قَصْر فضة، وتَحْتَ، ودِكَّة فضة، الجميع مُلبَّس على خشب، وأبيع غير ذلك ^(٢).

وفي هذه السنة في يوم الثلاثاء ثالث عشر من المحرم فوض السلطان نظر النُّظار والصحبة إلى القاضي مجد الدين إبراهيم بن القاضي المرحوم مكي بن عبد الله بن لُقَيْتَة ^(٣) وخلع عليه.

وأفصل القاضي شرف الدين عبد الرحمن الخَطِيرى من الوظيفة المذكورة، وفُوض إليه نظر البيوت السلطانية عوضاً عن القاضي مجد الدين المذكور، واستقر أيضاً في أشغال الأمير سيف الدين أرغون في غيبته على عادته قبل مباشرة نظر النظار / (٢٢٩).

(١) الزيادة من ابن حجر (الدرر ٣٩١/١) وعبارته: آقْبغا بن عبد الواحد الناصري، تنتقل في الخدمة عند الناصر، وتقدم إلى الاستدارية وشد العماثر ومقدم المالك، وكان سبب تقدمه عنده أن الناصر كان قد تزوج أخته طغاي، ومات في سنة ٧٤٤هـ.

(٢) في السلوك (٢٨٠/٢) أن الفخر - ناظر الجيوش - كان سبب تغير السلطان على الأمير أرغون، وأنه هو الذى أغراه به، وقد أورد هذا الخبر بتفصيل أكثر مما ذكره النويرى هنا.

(٣) الضبط من النجوم (٢٩٢/٩) عن الدرر (٥٣/١) وفي هذا الأخير: إبراهيم بن لُقَيْتَة مجد الدين ناظر الدولة كان نصرانياً فأسلم، وتنتقل في الخدمة الديوانية ومات سنة ٧٣١هـ. ومثله في السلوك (٢٨٠/٢) وقد انفرد النويرى بتسمية أبيه عبد الله بن لُقَيْتَة.

وفيهما فى يوم الأحد الثامن عشر من المحرم وُلِدَ للسلطان الملك الناصر ولد ذكر من زوجته عتيقته طُغَاي^(١)، وكان السلطان قد توجه فى هذا اليوم إلى الصيد بجهة القصور بناحية سرياقوس، فطولع فى ذلك، فعاد فى يوم الخميس الثانى والعشرين من الشهر [وعَمِلَ مُهِمٌ^(٢)] فى يوم السبت الرابع والعشرين من الشهر^(٣) وأقام السلطان بقلعة الجبل إلى آخر يوم السبت مستهل صفر.

وتوجه فى يوم الأحد ثانى الشهر إلى جهة القصور بسرياقوس، ثم توجه من هناك، وعَدَّى إلى جهة المنوفية، فتصيد هناك، وعاد إلى الجيزة، فأقام بها أياماً، وحضر الرسل الذين وصلوا من جهة الأمير جوبان نائب الملك أبى سعيد بين يدى السلطان، فسمع كلامهم، وخلع عليهم، وأعادهم، وعاد السلطان إلى قلعة الجبل فى يوم الخميس العشرين من صفر.

وفى يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الأول من السنة انتقل^(٤) ركاب السلطان من قلعة الجبل المحروسة إلى جهة القصور بسرياقوس، فأقام إلى يوم السبت، وتوجه إلى جهة الأهرام، واستقر بتلك المنزل إلى يوم الجمعة الثامن عشر من الشهر، ثم توجه إلى جهة البحيرة للصيد المبارك، وناب عنه فى الغيبة الأمير سيف الدين قِجْلِيس أمير سلاح، وأمر أن يركب فى مماليكه الخاصة، وأن جميع من تأخر من الأمراء وأمراء العشرات، ومقدمى الحلقة، / (٢٣٠) بالقاهرة وقلعة الجبل لا يركبون فى مدة غيبة السلطان لموكب ولا لغيره، وأن يلزم كل منهم بيته إلى حين عودة ركاب السلطان [فلم يزل الأمراء على ذلك إلى أن عاد السلطان]^(٥) وكان عوده ووصوله إلى قلعة الجبل المحروسة فى يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول.

(١) هى أخت آقبا بن عبد الواحد الذى سبقت الإشارة إليه آنفا.

(٢) المهم فى لغة مؤرخى هذه الفترة كان يطلق على الوليمة والسماط العام فى أمثال هذه المناسبات.

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من «أ» ص ٢٢٩.

(٤) فى «أ» ص ٢٢٩ «استقل».

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من «أ» ص ٢٣٠.

وفيهما فى يوم الجمعة السادس والعشرين من شهر ربيع الأول أنعم
السلطان على الأمير سيف الدين أَلْماس الحاجب بسكن دار النيابة خلا القاعة
الحُسامية، فإنه رسم بإفرادها، فأفردت، وسكن فيما عداها من المساكن.

/ ذكر وصول الأمير سيف الدين تَنكز نائب السلطنة
الشريفة بالشام المحروس إلى الأبواب السلطانية
والقبض على الأميرين سيف الدين طَشْتَمُر البدرى^(١)
وسيف الدين قَطْلُوبُغا^(٢) الفخرى والإفراج عنهما

وفى يوم الجمعة الرابع والعشرين^(٣) من شهر ربيع الآخر من هذه السنة
وصل إلى الأبواب السلطانية الأمير سيف الدين تَنكز^(٤) نائب السلطنة الشريفة
بالشام المحروس على خيل البريد، وكان ركوبه على خيل البريد [من غزة، فإنه
وصل إليها بطلبه ومماليكه / (٢٣١) يتصيد، فرسم له بالحضور إلى الأبواب
السلطانية على خيل البريد]^(٥) فوصل، وتلقاه الأمير سيف الدين بَكْتَمُر
الساقى إلى سرياقوس، وتصيد معه فى تلك الجهة، ولما وصل توجه، فمثل
بين يدى المقام الشريف، وشمله الإنعام السلطانى على عادته، ونزل عند الأمير
سيف الدين بَكْتَمُر الساقى بداره بقلعة الجبل.

ولما كان فى يوم الأحد سادس الشهر جلس السلطان، ووقف الأمير سيف
الدين تَنكز بين يديه والأمراء المماليك السلطانية، فنظر السلطان إلى الأميرين

(١) طشتمر البدرى الساقى الناصرى، كان يلقب بحمص أخضر، لأنه كان يحب أكل الحمص الأخضر، وردت
ترجمته فى : الدرر (٢/ ٢١٩) والسلوك (٢/ ٢١٨).

(٢) الضبط من النجوم (٩/ ٢٦٩) وهو قطلوبغا الساقى الناصرى المعروف بالفخرى، كان من أخص مماليك
الناصر وأكثرهم إدلالاً عليه، وكان يلقب بالفول المقشر، وفى الدرر (٣/ ٢٥٠) وردت فى خلال ترجمته
أسباب القبض عليه هو وزميله.

(٣) فى «أ» ص ٢٣٠ الرابع من شهر ربيع الآخر، وهو يوافق رواية المقرئ فى السلوك (٢/ ٢٨١) والسياق
هنا يزيد صحته.

(٤) ضبطه فى النجوم الزاهرة (٩/ ١٣ و ٣٤ و ٣٨ ...) بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه، وفى صبح
الأعشى ٤٢٥/٥ ضبط بضم أوله وثالثه وسكون ثانيه، وذلك عند الكلام فى أسماء الترك وعبارته
«وربما أفردوا الاسم بالوصف كدمر بمعنى حديد .. وتنكز بمعنى بحر».

(٥) ما بين الحاصرتين سقط من ك، وأثبتناه من «أ» ص ٢٣٠ و ٢٣١.

سيف الدين طُشْتَمَرُ البدرى، وسيف الدين قُطْلُوغَا الفخرى، وقال لِقُطْلُوغَا: قد ضجرت مما أسمع عنك، وهذا كلام كثير، وما أعرف رضاكم فى أى شىء حتى أفعله، وأشبهه هذا من الكلام، وأظهر الغضب الشديد، والخرج والحِدَّة، وأمر الأمير سيف الدين قِبْجَلِيسَ أمير سلاح بالقبض عليهما، فتقدم إلى كل منهما وأخذ سيفه، وتوجه بهما إلى الاعتقال، فاعتقلهما، وكان ذلك [ببرج السباع]^(١) بالقلعة واشتد الأمر عليهما، وقيل: إنهما قُيِّدا.

فلما كان عشية النهار اضطرب المماليك السلطانية سكان الطباق لذلك اضطراباً شديداً، ويقال: إنهم امتنعوا من الدخول فى الخدمة، وقالوا نُحْبَسُ جميعاً، فإن هؤلاء هم أكابرنا، وأخص الناس بالسلطان، فإذا قبض عليهما بغير ذنب فكلنا نُحْبَسُ، فطالع الأمير سيف الدين صواب - المقدم عليهم - السلطان بذلك^(٢)، فطلب الأمير سيف الدين / (٢٣٢) تنكز، وعرفه ذلك، فتلطف فى أمرهما وقبّل الأرض مراراً بين يدي السلطان، وشفع فيهما، فأفرج عنهما فى بقية النهار^(٣)، وأقر الأمير سيف الدين طُشْتَمَرُ على إقطاعه، وأسكنه فى القاعة الحسامية التى أفردت من دار النيابة، وكان قبل ذلك يسكن داخل باب القلعة بقرب مساكن السلطان.

وأما الأمير قُطْلُوغَا الفخرى، فإن حرج السلطان عليه كان أشد، لما كان يتكلم به بين يديه من الرد عليه، وكثرة الإدلال، فأنزل إلى إسطنبول، ورسم السلطان بإخراجه إلى الشام^(٤)، فعين له إقطاع الأمير علاء الدين أَيْدُغُدى التِّلِىلى^(٥) وهو من جملة أمراء الطبلخاناه، وكان قد أنهى إلى السلطان أنه عجز عن الخدمة، وقَلَّ نظره، وتغير ذهنه، فوفّره من الخدمة، وأنعم عليه براتب،

(١) ما بين الحاصرتين غير موجود فى «أ» ص ٢٣١ وبرج السباع : أحد أبراج قلعة القاهرة فى سورها الشرقى وقد هدم وقت تجديد السور فى أيام الظاهر برقوق (النجوم ١١٥/٩ حاشية ٢)

(٢) عبارة «أ» ص ١٣٢ فطالع الأمير سيف الدين صواب - مقدم المماليك السلطانية - السلطان بذلك.

(٣) ورد هذا الخبر فى السلوك (٢٨١/٢) موجزاً، وفى الدرر (٢٥٠/٣) أورده ابن حجر فى ترجمة قطلوغا بمثل تفصيل النويرى هنا.

(٤) فى السلوك (٢٨١/٢) أن إخراج قطلوغا إلى دمشق كان فى يوم السبت الثانى والعشرين من ربيع الأول.

(٥) الضبط من الدرر (٤٢٥/١) وفيه أن وفاته كانت بدمشق فى سنة ٧٢٨هـ.

وأخرج إقطاعه للأمير المذكور، وزاد عليه قرية عَنَجَرًا^(١)، وعَبَّرَتَهَا^(٢) فى السنة عشرون ألف درهم، وتوجه صحبته الأمير سيف [الدين تَنَكِّز إلى الشام، وذلك فى يوم السبت ثانى عشر شهر ربيع الآخر، وقدم السلطان على ألفه الأمير سيف]^(٣) الدين طُغَيْتَمُرُ^(٤) العمرى الناصرى.

ولما توجه الأمير سيف الدين قُطْلُوْبُغا الفخرى إلى الشام أوصى ألا يُسَكُنَ اصطبله لأحد من الأمراء، فاتصل ذلك بالسلطان، فأمر بهدمه، وهو الأصطبل الذى كان قد أنشأه الأمير سيف الدين طُغَاي، وهو تحت القلعة فيما بين القلعة وبين البرقية، وله باب آخر / (٢٣٣) من جهة التبانة فيما بين المصلى وقلعة الجبل، وبه حوض سبيل لسقى الدواب، فهدم الأصطبل وحوض السبيل، وعُفِّي أثره، وبُنِيَ بِنَقْضِهِ، وصار طريقاً يسلكه من يمر إلى القلعة من خارج السور، كما كان أول مرة قبل عمارته.

وفى هذه السنة فى يوم السبت الثانى عشر من شهر ربيع الآخر الموافق الحادى عشر من برمهات من شهور القبط - وذلك فى أواخر فصل الشتاء - حصل بالقاهرة ومصر حر شديد، وزاد فى يوم الأحد، واشتد فى يوم الاثنين، وهبت فى هذه الأيام ريح شرقية حارة جداً، وكان أشدها يوم الاثنين، وحصل من الحر ما لا يحصل فى أيام الصيف أكثر منه، حتى لبس الناس فى هذه الأيام فى فصل الشتاء ما يلبسونه فى فصل الصيف من القمصان الرفاع^(٥)، وكانت الأيام قبل ذلك شديدة البرد، واستمر ذلك كذلك بقية يوم الاثنين، وهبت ريح غربية قبيل العشاء الآخرة من ليلة الثلاثاء خف الحر بسببها يسيراً، ثم سكنت

(١) هكذا فى «أ» و «ك»، ولم أجده فى كتب البلدان.

(٢) العبرة فى الاصطلاح المالى القديم تعنى «مقدار المربوط من الخراج أو الأموال على كل إقطاع من الأرض، وما يتحصل عن كل قرية من عين وغلة وصنف (النجوم ٥٣/٩ حاشية ١) وانظر الخوارزمى (مفاتيح العلوم ص ٦٠).

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من «ك» والزيادة من «أ» ص ٢٣٢ وترجمة طغيتمر العمرى فى: الدرر (٢٢٣/٢) وفيه أنه كان من ممالك الناصر، وحظى عنده لجماله البار، وسكونه وعقله، فترقى فى خدمته، وزوجه الناصر ابنته، وصار من أمراء المشورة.

(٤) فى النجوم (٨٩/٩) طغاي تمر.

(٥) الرفاع: جمع الرفيع، مثل الكرام جمع الكريم، ومراده القمصان المصنوعة من نسيج ذى خيوط رفيعة ويقال: رفع - بفتح فضم - الثوب إذا رق ودق. (المعجم الوسيط).

بسرعة، وعاد الحر فى ليلة الثلاثاء، وتزايد إلى الثلث الأخير من الليل، ثم نقص الحر فى يوم الثلاثاء، وحصل غيم مطبق قبيل المغرب من يوم الثلاثاء، ورعد وبرق شديد فيما بين المغرب والعشاء من ليلة الأربعاء، وانهل مطر يسير لكنه غليظ القطر حار جداً، كأنه سخن بالنار، وعاد / (٢٣٤) البرد إلى ما كان عليه فى يوم الأربعاء السادس عشر من شهر ربيع الآخر، وهو الخامس عشر من برمها، فسبحان من يُدبّر ملكه كيف شاء، لا إله إلا هو الكبير المتعال، ويسب هذا الحر حصل فى الزرع نقص، وهاف بعضه فى كثير من البلاد بالديار المصرية.

ذكر حادثة وقعت بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

(٧٦) / وفى يوم السبت العشرين من شهر ربيع الأول وصل إلى الأبواب السلطانية الأمير طُفَيْلُ أخو الأمير بدر الدين كُبَيْش بن منصور بن جمّاز بن شَيْخَة من المدينة النبوية، وأخبر أن أخاه الأمير بدر الدين كُبَيْش توجه من المدينة إلى البر لبعض أوطاره، وأن عمه الأمير وَدِيَّ^(١) لما علم خلو المدينة منه وصل إليها بجموع من العرب، وحاصرها فى ثامن عشر صفر، واستولى عليها فى الخامس والعشرين [من] الشهر بعد أن حرق بعض^(٢) أبوابها، وقتل القاضى شهاب الدين هاشم بن على بن سنان قاضى الشيعة بالمدينة، وجرح بعضهم، وقُتِلَ نفر يسير، واستولى وَدِيَّ على حواصل الأمير كُبَيْش وذخائره وأمواله، ثم وصل الأمير بدر الدين كُبَيْش إلى الأبواب السلطانية، وجرد معه طائفة من العسكر إلى المدينة، فوصل إليها فى / (٢٣٥) العشر الآخر من شوال، وخرج من كان بالمدينة من أصحاب وَدِيَّ، وأقام العسكر بالمدينة ثلاثة أيام، وعاد إلى الديار المصرية.

(١) ضبطه فى النجوم (٢٧٣/٩) بضم أوله وكسر ثانيه مشدداً، ثم استدرک فى ص ٤١٩ خطأ هذا الضبط مكتفياً بتشديد الياء وحدها، والضبط المثبت هنا من السلوك (١٧٥/٢) عن صبح الأعشى (٣٠١/٤).
(٢) فى «أ» ٢٣٤ (أحد أبوابها).

ذكر القبض على من يُذكر من الأمراء، وإعادة الأمير شرف الدين حسين بن جند ربيك إلى الديار المصرية

وفى هذه السنة فى يوم الخميس مستهل جمادى الأولى بعد العصر أمر السلطان بالقبض على الأمير سيف الدين القفجاقى^(١) أحد الأمراء مقدمى الألف، وعلى أخيه سيف الدين قُرمُشى^(٢) واعتقالهما، وأمر أيضاً بالقبض على طائفة من المماليك السلطانية القفجاقية، وجهاز - فى ليلة الجمعة إلى ثغر الإسكندرية - ممن كان فى الاعتقال بقلعة الجبل بالجبل من الأمراء صلاح الدين طرخان بن الأمير بيسبرس^(٣) الشمسى، وسيف الدين بُرلغى^(٤) وهو ابن عم السلطان، ورسم باعتقالهم بالثغر، أحسن الله تعالى خلاصهم.

ولما قبض على أصلم^(٥) أمر السلطان بإعادة الأمير سيف الدين حسين بن جندر بيك إلى الخدمة الشريفة بالأبواب السلطانية - وقد قدمنا خبر إرساله إلى الشام^(٦) - فوصل إلى الأبواب السلطانية فى يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الأولى، وشمله الإنعام بالتشريف الأطلس بالطرز الزركش، والكأوتة الزركش والحياسة الذهب / (٢٣٦) المَجْوَهرة، وأنعم عليه بإقطاع الأمير سيف الدين أصلم وتقدمته.

وفىها فى يوم الاثنين خامس جمادى الأولى توجه الأمير حسام الدين حسين بن خربندا إلى بلاد التتار، وكان هذا الأمير قد حضر إلى الأبواب السلطانية من مدة سنين، وشمله الإنعام السلطاني بأمرة طبلخاناه بالديار

(١) فى النجوم (٨٩/٩) بهاء الدين أصلم القفجاقى (بهاء مكان الفاء).

(٢) فى السلوك (٢٨١/٢) والنجوم (٨٩/٩) ورد سبب القبض عليهما، وفى المصدرين المذكورين «أن السلطان قبض على جماعة من المماليك القفجاقية معهما» وفى النجوم قرمجى بجيم مكان الشين.

(٣) هكذا فى «الأصل»، وفى «أ» ص ٢٣٥ .. طرخان بن الأمير المرحوم بدر الدين بيسرى الشمسى. وهو يوافق السلوك (٢٨٢/٢) والنجوم (٨٩/٩) وفى الدرر (٢١٦/٢) طرجاي بن بيسرى: صلاح الدين بن الأمير المشهور، أمره الناصر ثم سجنه، ومات سنة ٧٣٥هـ.

(٤) الضبط من النجوم (٨٩/٩).

(٥) فى «أ» ص ٢٣٥ ولما قبض على الأمير سيف الدين أصلم.

(٦) كان السلطان قد نفاه إلى الشام، لأنه لما عمر جامع فتح بابا من سور القاهرة. وانظر ترجمته فى ابن حجر (الدرر ٢ / ٥٠).

المصرية، فتكرر طلب التتار له لما وقع الصلح، وسألوا السلطان إرساله إليهم، وذكروا أن له إخوة وعيالاً ييكون عليه، فعرض السلطان عليه العود إلى بلاده فيما تقدم، فأبى، فلما كان في هذا الوقت عاد سيف الدين كرماس أحد مماليك الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي من جهة الأمير جويان نائب الملك أبى سعيد - وكان قد توجه إليه برسالة - فأكد عليه في سؤال السلطان في إعادته، فرسم بعوده إلى بلاده، وخلع السلطان عليه وزوّده، فتوجه في هذا التاريخ، ثم عاد الأمير المذكور في هذه السنة رسولاً من جهة الملك أبى سعيد، فسمع السلطان رسالته، وخلع عليه [وأعاده]^(١).

ذكر اتصال الأمير سيف الدين قوْصُون

بابنة السلطان الملك الناصر

وفي يوم الاثنين الثالث من جمادى الآخرة من هذه السنة / (٢٣٧) عُقدَ نكاح الأمير سيف الدين قوْصُون الناصري على إحدى بنات السلطان الملك الناصر بحضور قضاة القضاة وأمراء الدولة الشريفة، وذلك بقلعة الجبل، وتولى عقد النكاح بالإذن السلطاني قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الحريرى الحنفى، وبنى بها فى ليلة الجمعة الثالث عشر من شهر رجب، وكان ابتداء الفرح من يوم الاثنين تاسع الشهر.

وهذا الأمير - سيف الدين قوْصُون المذكور - لم يكن قديم الهجرة فى الخدمة السلطانية، وإنما ابتاعه السلطان من سُنَيَّات من رسل أزيك، فأحسن إليه، وأمره، وزاد فى الإحسان إليه حتى انتهى إلى هذه الغاية، ثم قدمه على ألف، وعظم شأنه، وارتفع محله، وتميز إقطاعه، وكثرت عصائره، واتسع ملكه، وتقدم فى الدولة تقدماً عظيماً، ووصل إخوته من بلاد الملك أزيك، وتزوج السلطان بعد ذلك بأخته، وكان من تمكنه وسطته ما نذكره إن شاء الله تعالى فى موضعه^(٢).

(١) زيادة من «أ» . ص ٢٣٦.

(٢) ورد هذا الخبر مختصراً فى (السلوك ٢/ ٢٨٣) والنجوم (٨٩/٩).

وفى هذه السنة فى العشر الأول من جمادى الأولى وصل إلى الأبواب السلطانية رسل صاحب إسطنبول، فلما مثلوا بين يدى السلطان، وأدوا الرسالة أسلم أحدهم وهو آقْسُنْقَرُ الرومى، وتلفظ بالشهادتين المعظمتين، فسر السلطان بإسلامه، وأحسن إليه، وأنعم عليه، ثم أمره بعشرة طواشية، ولبس بالإمرة فى يوم السبت رابع عشرين شوال من السنة / (٢٣٨) وأسلم أيضاً أح لهذا الرسول اسمه بهادر^(١) ونزل فى جملة الممالك السلطانية، والله أعلم.

/ ذكر استعفاء قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة (٧٧)

الشافعى من القضاء بالديار المصرية، وإجابته إلى ذلك،

وتفويض القضاء بعده لقاضى القضاة جلال^(٢) الدين القزوينى

وكان سبب ذلك أن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن جماعة الشافعى ضُفَّ بصره، ونزل الماء فى إحدى عينيه، وكمل، وتحدر إلى العين الثانية، فقل نظره جداً، وتبين ذلك وظهر فى أواخر جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وسبعمائة، فلما كان فى يوم الاثنين ثالث جمادى الآخرة حضر إلى دار العدل، وأنهى ذلك إلى السلطان، وسأله أن يعفيه من الحكم، وانفصل المجلس ثم أتته الرسالة السلطانية بالإجابة إلى الإعفاء.

واستدعى السلطان ولده القاضى عز الدين عبد العزيز إلى بين يديه فى يوم الجمعة السابع من الشهر، وتحدث معه فى مَعْنَى والده، وسبب ضعف بصره، وسأله عن الجهات التى بيده، ثم حضر قاضى القضاة بدر الدين فى يوم الاثنين عاشر الشهر أو حادى عشره^(٣) / (٢٣٩) إلى مجلس السلطان بدار العدل الشريف، وأعاد السؤال فى الإعفاء، فأجابه السلطان إلى ذلك من غير أن يصرح له بعزله، ثم سأله السلطان عمن يصلح للقضاء، وأن يعين له من يوليه،

(١) فى السلوك (٢٨٣/٢) أن السلطان أنعم على بهادر هذا بخبز جندى، وفى نسخة «أ» وردت زيادة هى «وأنعم عليه بإقطاع وراتب على عادة الممالك».

(٢) فى «ك» (جمال الدين) وما أثبتناه من «أ» ص ٢٣٨ لموافقته ما فى السلوك (٢٨٣/٢) والنجوم (٩٦/٩) والدرر (٤/٣).

(٣) فى «أ» ص ٢٣٨ فى عاشر، أو حادى عشر الشهر.

فاستعفى من ذلك، ولم يعين، ورسم له فى ذلك المجلس أن يحكم فى قضية كانت بين الأمير سيف الدين بَكْتَمُر الحاجب وبين خصومه، فنزل إلى المدرسة الصالحية بالقاهرة، وجلس فى قاعته، وحكم فى عشية نهار الاثنين المذكور بين الأمير سيف الدين وغرمائه، وبلغنى أنه قال لمن حضر مجلسه: «هذا آخر الحكم» وتوجه إلى داره التى بساحل مصر بقرب الجامع الناصرى، واستقر بها وأخلى قاعة التدريس بالمدرسة الصالحية بالقاهرة.

ورسم له السلطان أن يُرْتَبَ له من مال مُنَجَزٍ^(١) الخاص الشريف فى كل شهر ألف درهم نُقْرَة بحكم استعفائه من الحكم، فكتب له توقيع سلطانى بذلك، ولم يكتب له فيه ما جرت العادة به من النعوت، واستقر بيده من جهاته تدريس زاوية الإمام الشافعى بجامع عمرو بن العاص بمصر، فاستمر يلقي فيها الدرس، واستمر نوابه فى القاهرة ومصر والأعمال على ولايتهم منه، وأحكامهم نافذة.

وذكر بين يدى السلطان من يصلح للقضاء بالديار المصرية، فعين جماعة لم يقع اختياره على أحد منهم، فاجتمع رأى السلطان على إحضار قاضى القضاة جلال الدين محمد بن قاضى القضاة / (٢٤٠) سعد الدين عبد الرحمن ابن قاضى القضاة إمام الدين عمر القزوينى^(٢) قاضى القضاة بدمشق، وخطيب الجامع الأموى بها، فرُسِمَ بطلبه وأن يحضر على خيل البريد.

وتقرر أن ينقل القاضى كمال الدين بن الزملىكانى قاضى حلب منها إلى دمشق، ويتوجه القاضى جمال الدين الزرعى - الذى كان قاضى الشام وعزل بالقاضى جلال الدين - إلى حلب، ولم ينعقد فى ذلك ولاية.

(١) لم يتضح فى «ك»، والرسم المثبت من «أ» ص ٢٣٩، وفى السلوك (٢/٢٨٣) «من مال المتجر».
(٢) ترجمته فى الدرر (٣/٤) والنجوم (٣١٨/٩) والسلوك (٢/٤٧٠) والوافى بالوفيات (٣/٢٤٢) وفيها أن مولده كان سنة ٦٦٦هـ بالموصل وأن وفاته كانت فى جمادى الأولى سنة ٧٣٩هـ وأنه دفن بمقبرة الصوفية.

وتوجه البريد لإحضار قاضى القضاة جلال الدين المذكور إلى الأبواب السلطانية، فوصل إلى دمشق فى يوم الجمعة منتصف جمادى الآخرة، وتوجه القاضى جلال الدين من دمشق إلى الأبواب السلطانية فى يوم الأربعاء التاسع عشر من الشهر، فوصل إلى الخانقاة الناصرية بسماسم فى يوم الجمعة الثامن والعشرين من الشهر، ونزل عند شيخها، مجد الدين الأقسرائى^(١)، وسأله الشيخ والفقراء أن يخطب لهم بالجامع، فاستأذن الخطيب شهاب الدين أحمد ابن السبتي فى الخطبة، فأذن له، فخطب وصلى بالناس بالجامع الناصرى بالخانقاه الناصرية، وركب من الخانقاة، ووصل إلى الأبواب السلطانية بقلعة الجبل المحروسة بكرة نهار السبت التاسع والعشرين من جمادى الآخرة، وهو سلكه، وحضر بين يدى السلطان، فأكرمه وشافهه بالولاية، وأنعم عليه، وخلع عليه خُلعاً القضاء، وأنعم عليه ببغلة بسرج وزُنَّار^(٢) من جوخ، وقام من/ (٢٤١) المجلس السلطاني، وجلس بمصاطب^(٣) باب القلعة^(٤) وكتب على الفتيا على عادة القضاة فى ذلك، ونزل من القلعة إلى المدرسة الصالحية^(٥)، وحكم بين الناس، وأقرّ النواب على ما كانوا عليه من جهة قاضى القضاة بدر الدين، ثم أنعم السلطان عليه بزيادة على معلوم القضاء، واستقر بيده - مما كان بيد القاضى بدر الدين - تدريس المدرسة الصالحية، والمدرسة الناصرية^(٦)، ودار الحديث، بالكاملية^(٧)، وخطب بجامع قلعة الجبل

(١) مجد الدين الأقسرائى: أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقسرائى الحنفى، شيخ الشيوخ بخانقاه سرياقوس بسماسم توفى فى ربيع الثانى سنة ٧٣١هـ (النجوم ٣٢٤/٩) وفى الدرر ٣٧٣/٤ ترجمته ووردت نسبته الأقسرى لا الأقسرائى.

(٢) الزنار: فى الأصل حزام يشده النصرائى على وسطه تمييزاً له، وهو هنا قد جعل شارة خاصة مميزة كالوشاح للقضاة. وفى «أ» ص ٢٤٠ «وزنادى جوخ»

(٣) جمع مصطبة: بناء أشبه بدرجة السلم يقعد عليه.

(٤) فى أ ص ٢٤١ «باب القلعة».

(٥) الصالحية: منسوبة إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب.

(٦) نسبة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون. وكانت تقع بشارع المعز لدين الله (النجوم ٢٠٨/٨ حاشية ٢).

(٧) فى السلوك (٢٨٣/٢) دار الحديث الكاملية.

من غير معلوم مع استمرار خطيبه ابن القسطلاني، فصار يخطب الجمعة وقاضى القضاة الجمعة، هذا إذا كان السلطان بقلعة الجبل، وإذا كان السلطان بالصيد أو غيره خطب الخطيب المُستَقَرُّ بمفرده، والجامكية للخطيب خاصة.

وكان قد حضر مع قاضى القضاة جلال الدين ولده القاضى بدر الدين محمد، ففوض السلطان إليه خطابة الجامع الأموى بدمشق، وتدرّس المدرسة الشامية الجوانية^(١)، وعاد إلى دمشق على خيل البريد، وكان وصوله إليها فى يوم السبت / الثانى والعشرين من الشهر، وجلس للتدرّس بالمدرسة الشامية^(٢) فى يوم الأربعاء سابع عشر شعبان من السنة.

* * *

(١) يريد المدرسة الظاهرية الجوانية التى أنشأها الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦ هـ وجعلها مدرسة وداراً للحديث وتربية له، وهى واقعة بين بابى الفرج والفرايس قبلى الإقباليين والجارروخية وشرقى العادلية الكبرى (النجوم ٢٥٥/٩ حاشية) وفى الدراس فى تاريخ المدارس (١/٣٤٨ وما بعدها) أنها اليوم مقر دار الكتب الوطنية بدمشق.

(٢) هما شاميتان: الشامية البرانية، وكانت بالعقبة بمحلة العونية وتعرف أيضاً بالحسامية نسبة إلى حسام الدين لاجين. والشامية الجوانية قبلى المارستان النورى أنشأتها ست الشام، وقد درست هذه المدرسة ولم يبق إلا بابها وفوقه عتبة عليها عبارة باسم منشئها (الدارس ١/٢٧٧ و ٣٠١).

ذكر وصول رسل الملك أبي سعيد ملك العراقيين وخراسان إلى الأبواب السلطانية/ (٢٤٢)

وفى يوم الأربعاء الرابع من شهر رجب من هذه السنة وصل إلى الأبواب السلطانية الملكية الناصرية رسل الملك أبي سعيد بن خَرَبْنَدَا ملك العراقيين وخراسان وبلاد الروم وغير ذلك، وكان المشار إليه منهم سيف الدين أَسَدْمُر، وهو من أكابر الأمراء مقدمى التَّوأمين^(١)، ووصل صحبتهم محمد بيه بن جمق أحد أقارب السلطان، وهو ابن أخت [الأمير سيف الدين^(٢)] طَيْرُغَا، فمثلوا بين يدى السلطان فى يوم الخميس، فسمع رسالتهم، وقَبِلَ هدية مرسلهم، وأحسن إليهم، وأنزلهم عند الأمير سيف الدين أَيْتَمُش المحمدى بقلعة الجبل، وشملهم السلطان بالتشريف والإنعام.

وكان مضمون رسالتهم من الملك أبي سعيد - فيما بلغنى من المحقق لها - خطبة ابنة السلطان للأمير خواجا^(٣) دَمَشَق بن الأمير جُويان نائب الملك أبي سعيد، فأجاب السلطان إلى ذلك، واشترط حضور بن جُويان إلى أبوابه، وتوجه الرسل فى خدمة السلطان إلى الميدان فى يوم السبت سابع الشهر، وشاهدوا من مواكبه العظيمة ما لم يروا مثله، وتوجهوا إلى القبة المنصورية لزيارة ضريح السلطان الملك المنصور والد السلطان، وذلك فى يوم الجمعة ثالث عشر الشهر، ودخلوا المدرسة، ومُدَّ لهم سِمَاط بالإيوان القبلى^(٤)، وحضر الفقهاء بجملتهم فى الإيوان البحرى.

ثم توجه الرسل أيضاً فى خدمة السلطان فى يوم السبت إلى الميدان، / (٢٤٣) وعادوا إلى مرسلهم بعد أن شملهم الإنعام الوافر من الخَلْع والأموال،

(١) مقدمى التوأمين: من ألقاب أمراء الجند فى مملكة التتار، وهم أشبه بمقدمى الألو فى دولة المماليك.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من «أ» ص ٢٤٢.

(٣) هذا الرسم موافق لما فى السلوك (٢٩٢/٢) ففيه: دمشق خواجا، وفى النجوم (٢٧٣/٩) دمشق خجا. والمعروف - فى الفارسية - أن الواو فى هذا الموضع لاتنطق، فهم يكتبون خواجا، وينطقونها خاجا، ومثلها خواهر = خاهر، خوارزم = خارزم.

(٤) فى ك «الإيوان المصرى» وما أثبتناه من «أ» ص ٢٤٢ لموافقة السلوك (٢٨٤/٢) ومقابلته بالإيوان البحرى.

وكان توجههم فى يوم الاثنين السادس عشر من شهر رجب، وجَهَّز السلطان معهم الأمير سيف الدين قُطْلُوْبغا المغربى الحاجب.

وأما محمد بيه بن جمق الواصل صحبتهم فإن السلطان أنعم عليه بإمرة طَبْلُخانة، وأقطعه إقطاع الأمير عز الدين أَيْبُك البكتوتى أمير عَلم، ونقل البكتوتى إلى صَفَد على إقطاع نجم الدين فيروز، وكان قد قبض عليه واعتقل بها.

وفيهما فى يوم الاثنين تاسع^(١) عشر شهر رجب أمر السلطان بالقبض على أولاد الأمير سيف الدين بَكْتَمُر^(٢) الأبى بكرى الثلاثة^(٣) وهم: علاء الدين أمير على، وسيف الدين أَسْنَبغا^(٤)، وشهاب الدين أحمد، فقبض عليهم وعُوقُوا بدار الأمير سيف الدين أَلْماس الحاجب أياما إلى أن سكنت الفتنة التى وقعت بشعر الإسكندرية، ونقل الأمراء منها على ما نذكره إن شاء الله تعالى، ثم أفرج عنهم، ورسم لهم بالدخول إلى الخدمة السلطانية، فدخلوا، ووقفوا مع الجند، فأمر السلطان الحَجَّاب أن يرفعوا منزلتهم، وأن يقفوا مع الأمراء، وأن يَلْبَسُوا أَقْبِيَّةً قَوَانِيَّةً على عادة الأمراء فى ذلك.

ذكر الفتنة الواقعة بشعر الإسكندرية^(٥)

وفى يوم الخميس خامس شهر رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة، / (٢٤٤) وقع بشعر الإسكندرية المحروس فتنة عظيمة بين أهل الشجر ومُتَوَلِّيهِ ركن الدين بَيْبَرَس الكركى^(٦).

(١) فى أ ص ٢٤٣ «تاسع شهر رجب» والسياق يقضى بصحته.

(٢) فى النجوم بكتسر البويكرى، وفى الدرر (٤٨٢/١) الأبويكرى المنصورى، وأورد ترجمته، ومبلغ تقدمه فى دولة الناصر إلى أن صار أمير سلاح يجلس رأس الميسرة، وسيورد النويرى ترجمته فى حوادث سنة ٧٢٨.

(٣) فى (الدرر) ١ / ٤٨٢ أنه خلف ولدين من أمراء الطبلخانة.

(٤) سيف الدين أسنبغا. ترجمته فى (الدرر) ٣٨٦/١.

(٥) هذه الحادثة أوردتها المقرئى بإيجاز فى (السلوك ٢/٢٨٤) وأهملها ابن تغرى بردى فلم يذكرها فى النجوم بين حوادث هذه السنة.

(٦) فى أ، ص ٢٤٤: «ركن الدين بيبرس الكركى» وفى (السلوك) ٢/٢٨٤ ركن الدين الكركى.

وسبب هذه الفتنة أن جماعة من عوام الشجر اجتمعوا في هذا اليوم ليتفرجوا على عادتهم، فوقفوا على حَلَقَةٍ قاصَّةٍ ظاهر الشجر بين بابي الأخضر والبحر، وكان في الحلقة فَرَنْجِيٌّ من أتباع رسل صاحب إسطنبول، فشرع القاصُّ إذا ذكر في قصصه النبي صلى الله عليه وسلم رفع المسلمون أصواتهم بالصلاة على عادة المسلمين في ذلك، فقال بعضهم: أخرجوا هذا الفرنجي من بيننا، فإننا نحن نصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يصلى عليه، فأرادوا إخراجه من الحلقة، فامتنع من الخروج، فدُفِعَ منها، فأعانه بعض رَجَالَةٍ^(١) الولاية بالشجر، وقال: هذا من أتباع الرسل الذين وصلوا إلى السلطان، فضرب بعض العوام ذلك الرجل^(٢)، فاستنفر بجماعة من رفقته رجاله الولاية، فكأثرهم العوام وضربوهم، وثارَت الفتنة، فركب المتولى ليرد الناس، فرجمه أهل الشجر، فغَلَّقَ أبواب البلد بين العوام وبين مساكنهم، وتحصن منهم، وأحضر إليه رِئَسُ الخلافة^(٣) قارباً فيه نُشَّاب، فرمى العوام بالنشاب، فقتل منهم جماعة.

وحضر القاضي بالشجر عماد الدين الكندي، وأشار على المتولى بالكفِّ، فلم يوافق، واستمر هو وأصحابه على رَشْقِ العوام بالنشاب، فقليل: إن القاضي قال للعوام: قد حل لكم قِتَالُهُمْ، فعند ذلك عظمت الفتنة، وحوصر / (٢٤٥) المتولى، وتوجه جماعة من العوام إلى دار رِئَسِ الخلافة، فانتهبوا جميع ما فيها، وقتلوا جماعة من العوام، وتوجه بعضهم وكسروا السجن، فأخرجوا ما فيه من المعتقلين، وكان عبيد أهل الشجر قبل ذلك قد خرجوا للعب في عيد اللُّنْجَاتِ على عادتهم، فضرب المتولى منهم جماعة واعتقلهم، فخرجوا الآن، / وقصد العوام إخراج الأمراء المعتقلين بالشجر، فامتنعوا من ذلك. (٧٩)

فعند ذلك بادر المتولى بمطالبة السلطان بهذه الحادثة، فوصلت مطالعته في بكرة يوم الأحد ثامن شهر رجب، فندب السلطان الأمير علاء الدين مُغَلَطَايَ الجمالي مدبر الدولة وأستاذ الدار العالية، وصحبته من الأمراء: الأمير سيف

(١) كذا في الأصل، وصوابه رجال، إلا أن يكون مراده ما يقابل الفرسان فمفرده راجل.

(٢) قال القلقشندي في ألقاب أرباب الوظائف: رئيس الحراقة: وهو الذي يحكم على رجال الحراقة السلطانية ويتولى أمرها، وكان في الزمن المتقدم يقال له رئيس الخلافة (صبح الأعشى ٤٦٧/٥).

الدين ألدُمُر^(١) أمير جاندار، والأمير سيف الدين طوغان شاد الدواوين، وغيرهما^(٢)، فتوجَّهوا إلى الشجر في بقية نهار الأحد لكشف هذه الحادثة، ومقاتلة من تَعَدَّى، ورسم بإهانة القاضي عماد الدين الكندي الحاكم بالشجر، والإخراق به، وعزله عن القضاء، وفُوض [قضاؤه] إلى القاضي علم الدين بن الأحنائي الشافعي في العشر الأوسط من شهر رجب، وهو أول شافعي ولي قضاء الشجر.

ولما وصل الأمير علاء الدين مُغلطاي والأمراء إلى الشجر أحضر القاضي عماد الدين الحاكم، وأهانته، وصادره هو وشمس الدين المؤذن البلبُيسى^(٣) نائبه وجماعة من أهل الشجر والتجار، فأخذ من جهتهم نحو خمسين ألف دينار^(٤). منها من التجار الكارمية^(٥) نحو عشرين ألف دينار وبقية ذلك / (٢٤٦) من أهل الشجر، ووسَّط جماعة من العوام، ومسك جماعة من العبيد بالشجر وغير العبيد، وأحضر منهم نحو تسعين رجلاً، فقيدوا واستعملوا في العمارة، وحصل لأهل الشجر ضرر عظيم.

وكان ممن وسَّط رجل صاحب قاعة فزارة يعرف بابن رَوَاحَة^(٦) كان قد حضر إلى الأمير علاء الدين، والتزم بحفظ ميناء الشجر، وأنه مقيم من رجاله من يحفظها بغير جامكية، ويوفر جامكية الرماة بالبحر، وكان هذا الرجل عنده أربعمئة عُدَّة يلبسها الرجال المقاتلة إذا دُهِم الشجر^(٧) عدو، فأخرجوا من البلد

(١) في السلوك (٢٨٤/٢) ضبطه بفتح الميم، وفي النجوم (٢٨٥/٩) بضمها، وفي صبح الأعشى (٤٢٥/٥) ضبطها بضم الميم والدال، قال: معنى هذا اللفظ "دمر" - في لغة الترك - "حديد" وترجمة الدمر في ابن حجر (الدرر ٤٠٧/١).

(٢) ذكر المقرئ في (السلوك ٢٨٥/٢) أن فيمن توجهوا إلى الاسكندرية لهذا الغرض أيضا ناظر الخاص في جماعة من المماليك.

(٣) في السلوك (٢٦٨/٢) "... وقدم عماد الدين محمد بن إسحاق بن محمد البلبُيسى قاضي الإسكندرية ليشنق، ثم أخره، وكاتب السلطان بأنه كشف عن أمره فوجد ما نقل عنه غير صحيح.

(٤) في المصدر السابق أن ما جمعه ينيف على مائتين وستين ألف دينار.

(٥) التجار الكارمية: يقال إن أصل الكارمي الكانمي نسبة إلى الكانم: فرقة من السودان، ذلك أن طائفة منهم كانوا مقيمين بمصر شأنهم التجارة في البهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم (ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر ٢٥٣/١).

(٦) في السلوك (٢٨٥/٢) "وتطلب ابن رَوَاحَة كبير دار الطراز ووسطه من أجل أنه وشى به أنه كان يغري العامة بالفرنج ويمدهم بالسلاح". وقد علق عليه محققه بما أورده النويري هنا.

(٧) في أ، ص ٢٤٦ "البلد".

فتوجهوا إلى منية مُرشد^(١) إلى الشيخ محمد المرشدي، وطولع في أمره، وأنهى المتولى إلى السلطان أن هذا الرجل رأس فتنة، فطلب وأحضر إلى الثغر ووُسْط، وأخلت قاعات الرماة بالثغر.

وعاد الأمير علاء الدين والأمراء إلى الأبواب السلطانية في يوم الأربعاء الخامس عشرين الشهر، والثغر وأهله على أسوأ الأحوال.

ورسم السلطان بنقل جماعة من الأمراء المعتقلين، أحضر منهم في يوم الأحد الثاني والعشرين من الشهر عشرة نفر جُهِّزَ منهم إلى الكرك^(٢) الأمير سيف الدين بكتُمُر الأبي بكرى، وسيف الدين تَمَر الساقى واعتقل ببرج السباع بقلعة الجبل الأمير علم الدين سَنَجَر الجاولى، والأمير سيف الدين بهادر المغربي^(٣)، واعتقل بالجُب ستة وهم: سيف الدين طُغْلُق، وأمير غانم بن أطلس خان / (٢٤٧) وسيف الدين قُطْلُوك المعلاى^(٤) المعروف بالأوشاقى، وعز الدين أَيْدَمَر اليونسى، وسيف الدين كجكن، وفخر الدين أياز^(٥) - نائب قلعة الروم كان - ثم أفرج عن فخر الدين أياز المذكور في يوم الخميس السادس والعشرين من الشهر لكبر سنه وعجزه، وخُلِعَ عليه على عادة مقدمى الحلقة المنصورة، وسكن بالقاهرة عند أولاده.

وتأخر بثغر الإسكندرية من الأمراء المعتقلين به صلاح الدين طَرْخان بن بَيْسَرى^(٦)، وسيف الدين بَلَاط الجُوكَنْدَار^(٧)، وسيف الدين بُرْغِي، وحسام

(١) فى ابن ممتى (قوانين الدواوين ١٨٩) منية ابن مرشد، وفى هامشه عن ابن الجيعان: منية بنى مرشد، وعددها من أعمال النسترأوية، وفى مراصد الاطلاع ٣/ ١٣٧٠ نسترو: جزيرة بين دمياط والإسكندرية يصاد بها السمك، وهى ذات أسواق فى بحيرة منفردة.

(٢) فى أ، ص ٢٤٦ "إلى قلعة الكرك".

(٣) فى أ، ص ٢٤٦ "المعزى" وما أثبتناه من ك، والسلوك (٢٨٦/٢).

(٤) فى أ، ص ٢٤٧ "العلاى".

(٥) فى السلوك (٢٨٦/٢) إياس نائب قلعة الروم، وفى (النجوم) أورده بالرسمين وضبط همزته بالكسر، والأوشاقى، ويقال الأوجاقى: وانظر (صبح الأعشى ٤٥٤/٥).

(٦) فى ك بيسرس، وما أثبتناه من "أ"، ص ٢٤٧ وفى الدرر (٢١٦/٢) طرجاى بن بيسرى وانظر ص ١٧٥ حاشية (١) من هذا الجزء.

(٧) فى ك "بلاد" وما أثبتناه من أ، ص ٢٤٧ والسلوك (٢٨٦/٢)، والجوكندار - (بفتح الكاف كما فى صبح الأعشى ٤٤٨/٥، وفى النجوم بضمها)، هو الذى يحمل الجوكان مع السلطان فى لعب الكرة، والجوكان: المحجن.

الدين لاجين العمرى، وسيف الدين ايتزا، وركن الدين بيسرس العلمى^(١)، وسيف الدين طشتمر أخو بنحاص^(٢) أحسن الله خلاصهم.

وفيهما فى يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر رجب - وهو سَلَخه - جلس الأمير علاء الدين مُغلطاي بقاعة الوزارة التى استجدت له بقلعة الجبل المقابلة لديوان الإنشاء، وجلس نظار الدولة والمُسْتَوْفون وكُتَّاب الدَّرَج بين يديه خارج الشُّبَّاك على مصطبة بنيت برسم جلوسهم، ووقف شادّ الدواوين سيف الدين طوغان وحجّاب الوزارة من أسفل المصطبة التى جلس عليها من ذكرنا أمام الشباك، [ولم يعبر إليه أحد بداخل القاعة التى / (٢٤٨) هو بها - وبها الشباك - سوى مماليكه وحاشيته]^(٣).

ذكر تفويض قضاء القضاة بالشام لشيخ المشايخ

علاء الدين القونوى^(٤)

وكان السلطان لما نَقَلَ قاضى القضاة جلال الدين القزوينى من دمشق إلى الديار المصرية المحروسة رسم بطلب القاضى كمال الدين بن الزمكاني^(٥) قاضى حلب منها ليفوض إليه قضاء الشام، فتوجه البريد إليه فى أوائل شعبان، ووصل البريد إلى دمشق فى ثامن شعبان، وتوجه إلى حلب، وعاد صحبة القاضى كمال الدين المذكور، فكان وصوله إلى دمشق فى يوم السبت العشرين من شعبان، وتوجه إلى الأبواب السلطانية فى يوم الخميس الخامس والعشرين من شعبان على خيل البريد.

(١) فى السلوك (٢٨٦/٢) أن المذكورين أنزلوا فى الجب بالقلعة، ويفهم من عبارة النويرى هنا أن اعتقالهم كان بشفر الاسكندرية.

(٢) لم يتضح فى ك ، وما أثبتناه من "أ" ص ٢٤٧ لموافقتهم ما فى السلوك (٢٨٦/٢) والنجوم (٣٠٦/٩).

(٣) هذه العبارة وردت فى ك هكذا "ولم يعبر إليه أحد بداخل الشباك سوى مماليكه وحاشيته" وما أثبتناه هو عبارة "أ" ص ٢٤٧ و ٢٤٨ لكونها أوضح.

(٤) ترجمته فى الدارس (١٦١/١ و ١٦٢) والدرر (٢٩-٢٥/٣) وسيورد النويرى ترجمته فى حوادث سنة ٧٢٩هـ.

(٥) له ترجمة مطولة فى (الدرر ٧٤/٤) والدارس فى تاريخ المدارس (١٩٠-١٩٤) وسيورد النويرى ترجمته بعد قليل.

فلما وصل إلى مدينة بلبّيس درج بالوفاة إلى رحمة الله تعالى على ما ذكره إن شاء الله في الوفيات، ولما اتصلت وفاته بنائب السلطنة بالشام طلب القاضي بدر الدين أبا اليُسْر^(١) محمد بن قاضي القضاة عز الدين محمد [بن محمد بن محمد^(٢)] بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل الأنصاري المعروف بابن الصايغ، وكان معتكفاً بالجامع الأموي، فخرج من اعتكافه، وتوجه إليه، فتحدث معه نائب السلطنة في ولاية القضاء / (٢٤٩)، وتلطف به، فامتنع كل الامتناع، وصمم على ألا يلي القضاء أبداً، فلم يزل يتلطف به إلى أن قال: استخير الله تعالى في ذلك، فكتب نائب السلطنة إلى الأبواب السلطانية في ولايته القضاء، فكتب تقليده بالقضاء، وسُيِّر إلى دمشق، فوصل في يوم الخميس خامس عشر شوال، فحمل إليه التقليد والتشريف^(٣)، فامتنع من قبول الولاية، وأصر على الامتناع، ومرض بسبب ذلك، وردَّ التقليد والتشريف.

- (٨٠) فطالع / نائب السلطنة بذلك، فاتفق رأى السلطان على تفويض القضاء لشيخ الشيوخ^(٤) علاء الدين أبي الحسن علي بن الشيخ نور الدين إسماعيل بن جمال الدين يوسف القُوتَوِيّ الشافعي، فأحضره السلطان إلى مجلسه في يوم الاثنين السادس والعشرين من شوال سنة سبع وعشرين وسبعمائة، وفوض إليه قضاء القضاة بالشام، وخلع عليه في هذا اليوم، وأذن له في الحكم بالقاهرة، فأثبت كتباً تتعلق بالشام، وأنعم السلطان عليه بمبلغ ألف درهم وخمسمائة درهم، ورسم أن يجهز له من ديوان الخاص ما ينقل عليه عياله إلى دمشق، فجهز له أربعة محابر^(٥) وعدة جمال، وصرفت أجرتها من ديوان الخاص السلطاني، ورسم لعائلته في كل يوم - من حين سفرهم إلى أن يصلوا دمشق - بثلاثين درهما نقرة، عن عشرين يوماً ستمائة درهم.

(١) في الأصل أبا البشر "وما أثبتناه من "أ" ص ٢٤٨.

(٢) الزيادة من الصفدي (الوفائي بالوفيات ٣٣٢/١) والدرر (٢٢٦/٤) وفيهما أن مولده سنة ٦٧٦هـ ووفاته سنة ٧٣٩هـ.

(٣) في "أ" ص ٢٤٩ فحمل إليه التفويض وخلعة القضاء.

(٤) في السلوك (٢٨٧/٢) شيخ خانقاه سعيد السعداء، وانظر التعريف بهذه الخانقاه في (النجوم ١٤٨/٨ حاشية ١).

(٥) المحابر، الواحدة محارة، وقد استعملها المولدون في الهرج الصغير (معبد النعم ص ٥٣ وشفاء الغليل).

وتوجه هو إلى دمشق على خيل البريد بعد صلاة الظهر من يوم السبت التاسع من ذي القعدة، ووصل إلى دمشق / (٢٥٠) في بُكرة نهار الاثنين الخامس والعشرين من الشهر، واجتمع بنائب السلطنة بدار السعادة، ولبس التشريف وتوجه إلى المدرسة العادلِيَّة^(١)، وقُرئ تقليده، وجلس للحكم، وسلك في ولايته سبيل السلف الصالح، ولم يحتجب عن أحد من الناس، ثم فوض إليه مشيخة الشيوخ بدمشق عوضاً عن قاضى القضاة شرف الدين المالكي، وذلك في ذي الحجة من السنة، وجلس بالخانقة السُمِّيَّاسِيَّة^(٢) في يوم الجمعة رابع المحرم سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

ذكر تفويض ما كان بيد الشيخ علاء الدين من الجهات لمن يُذكر، وما وقع في أمر الصوفية بالخانقة الصلاحية

لما توجه شيخ الشيوخ إلى دمشق المحروسة فوض ما كان بيده من تدريس المدرسة الشرفية بالقاهرة لقاضى القضاة جلال الدين، وفُوضَت مشيخة الشيوخ بالخانقة الصلاحية للشيخ مجد الدين الأَقْصُرَائِي شيخ الخانقة الناصرية بسماسم، ورسم له أن يَسْتَنِيْب عنه بالخانقة الصلاحية الشيخ جمال الدين الحُوَيْرَائِي^(٣)، وتولى مشيخة الخانقة الركنية الشيخ افتخار الدين الخَوَارِزْمِي، ونقل شيخها الشيخ مجد الدين الزَنْكَلُونِي^(٤) إلى تدريس الحديث بالقبة الركنية^(٥)، ورتب معه معيد وقارئ وطلبة بمقتضى شرط الواقف، / (٢٥١) وهو أول من دَرَس بهذه القبة، وكانت قبل ذلك مُعْطَلَة منذ وقفت.

(١) المدرسة العادلِيَّة: سبقت الإشارة إليها في هذا الجزء، ص (٢١٢) حاشية (٢).

(٢) منسوبة إلى سُمِّيَّاس، وهي - كما في مراصد الاطلاع ٤٧١/١ (مدينة على شاطئ الفرات من الضفة الغربية في طريق الروم).

(٣) ضبطها ياقوت : حويزان، وذكر أنها صنع يمان (بلدان ٣٧١/٢) وفي مراصد الاطلاع ٤٣٩/١ رسمت بذال مكان الزاي.

(٤) مجد الدين الزنكلوني: أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز، ترجمته في الدرر (٤٤١/١) ورسمه السنكلوني بسين مكان الزاي.

(٥) في السلوك (٢٨٧/٢) ونقل الزنكلوني إلى مشيخة تدريس الحديث النبوي بالقبة البيبرسية.

ولما ولى الشيخ مجد الدين الخانقاة الصلاحية تحدث مع السلطان فى أمر الفقراء بالخانقاتين المذكورتين، فنَدَبَ السلطان لذلك الأمير سيف الدين قِجْلِسَ الناصرى أمير سلاح، وقاضى القضاة جلال الدين القَزْوِينِى، فحضرا إلى الخانقاة فى يوم الاثنين حادى عشر ذى القعدة، وعرض الفقراء بها وبالخانقاة الركنية، فأخبرنى الأمير سيف الدين قِجْلِسَ المشار إليه أنه أنهى إلى السلطان أمر العرض، وأنه رسم أنه من حضر إلى الخانقاة فى وقت الوظيفة وأذاها يستمر ولا يُقْطَع، ومن كانت له وظيفة تعارضه فى الوقت يُخَيَّرُ فى إحداهما^(١)، ثم حضر الشيخ مجد الدين واجتمع بالسلطان، وقرَّرَ معه قطع جماعة العدُول^(٢) الجالسين بسوق الوراقين من الخانقاة، وأرباب الوظائف، ففُطِعَ من الخانقاة الصلاحية من له عدالة بارزة، وجلس بسوق الوراقين، وقطع أيضاً جماعة من أرباب الوظائف، فصارت العدالة البارزة وَصْمَةً عليهم، وسبباً لحرمانهم، وقويت الشناعة فى ذلك، فأعيد بعض من قُطِعَ، وكره الناس من الشيخ مجد الدين هذه الواقعة، أشد الكراهة، وتكلموا عليه وعلى ابن أخيه أُوحد الدين أحمد بهذا السبب، ثم انفصل الشيخ افتخار الدين من مشيخة الخانقاة الركنية، ولم يطل مقامه بها، ثم سكنت الأحوال فى ذلك / (٢٥٢).

وفى ليلة الجمعة ثالث عشر ذى الحجة بنى الأمير شهاب الدين أحمد^(٣) بن الأمير سيف الدين بَكْتَمُرَ الساقى الركنى الناصرى بابنة الأمير سيف الدين تَنْكُزَ^(٤) نائب السلطنة بالشام، وكان قد تقدم عقد النكاح عليها عند حضور والدها فى هذه السنة إلى الأبواب السلطانية، ووصلت من دمشق فى ليلة الجمعة مستهل ذى القعدة، وحصل الاهتمام بأمر الفرح، ووصل بسببه الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة، وقَدَّمَ التَّقَادِمَ الوافرة، وكان بسبب هذا المَهْمِ من الاحتفال والتَّقَادِمِ وحمل الشموع شىء كثير.

(١) عبارة أ ص ٢٥١ فى هذا الموضع: "ومن كانت له وظيفة معارضة يخير فى إحداها".

(٢) العدول يعنى الشهود، وهم قوم يتعرفون أحوال الناس ويشهدون فى القضايا، وقد نصبوا أنفسهم لذلك فصارت تلك حرفتهم، وكانت لهم حوانيت كالمكاتب اليوم لطائفة المحامين (معيد النعم ومبيد النقم ص ٦٣ هامش ٢).

(٣) أحمد بن بكتمر الساقى : ترجمته فى الدرر (١١٤/١) مولده سنة ٧١٣ ووفاته سنة ٧٣٢ هـ ذكر ابن حجر أن السلطان كان يقربه جدا، ويحبه كثيرا، وأعطاه إمرة مائة وهو صغير، وزوجه بنت تنكز، وعمل له العرس بنفسه، قال: ولشدة تعلق السلطان به كان أكثر الناس يقول إنه ابن السلطان.

(٤) الضبط فى القلقشندي (صبح الأعشى ٤٢٥/٥) تَنْكُزَ وفى النجوم: تَنْكُزَ.

ذكر وصول رسل الباب^(١) فرنسيس إلى الأبواب السلطانية

وفى هذه السنة وصل إلى الأبواب السلطانية رسل الباب^(٢)، وهو القائم ببلاد الفرنج مقام الخليفة، ورسل الملك فرنسيس، واسمه ديكردين فلب^(٣)، ومثلوا بين يدي السلطان^(٤)، وأحضروا ما معهم من التقادم، وكان مضمون رسالتهم سؤال السلطان أن يُبَرِّز أمره بالوصاية بالنصارى، وذكروا أن ببلاد الفرنج جماعة كثيرة من المسلمين، وأن السلطان إن أحسن إلى من فى مملكته من أهل الذمة النصارى أحسنوا إلى من ببلادهم من / (٢٥٣) المسلمين، فسمع السلطان رسالتهم، وقبل تَقْدِمَتَهُمْ، وأكرم وفادتهم، وأعادهم إلى مرسلهم، ولم يصل إلى الديار المصرية من جهة هذا الملك رسول من الأيام الصالحة النجمية إلى حين وصول هؤلاء / الرسل الآن.

(٨١)

ذكر متجددات كانت بالشام فى هذه السنة خلاف ما ذكرناه

فى هذه السنة فى شهر ربيع الأول فوض قضاء القضاة بدمشق على مذهب الإمام «أحمد بن حنبل» لقاضى القضاة عز الدين محمد بن قاضى القضاة تقى الدين سليمان الحنبلى^(٥) عوضاً عن قاضى القضاة شمس الدين بن مسلم بحكم وفاته، كما تقدم، ووصل تقليده إلى دمشق فى يوم الخميس الثامن عشر من الشهر، وخلع عليه، وقرئ تقليده فى يوم الجمعة التاسع عشر من الشهر، وجلس للحكم بالمدرسة الجوزية على عادة والده رحمه الله تعالى.

(١) يريد البابا.

(٢) فى السلوك (٢/٢٨٦ حاشية ٢) أن البابا المقصود هنا هو حنا الثانى والعشرين (١٣١٦ - ١٣٣٤م = ٧١٦ - ٧٣٥هـ) وأن قدوم هؤلاء الرسل كان من آفينون.

(٣) فى المصدر السابق - الموضع نفسه - أن ملك فرنسا حينذاك هو شارل الرابع (١٣٢٢ - ١٣٢٨م = ٧٢٢ - ٧٢٩هـ) أما فيليب المذكور، فهو فيليب الجميل (١٢٨٥ - ١٣١٤م = ٦٨٤ - ٧١٤هـ) وانظر: التوقيعات الإلهامية من ٣٤٢ - ٣٦٨.

(٤) فى أ، ص ٢٥٢ بين يدي المقام السلطاني.

(٥) محمد بن سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن أبى عمر بن قدامة، عز الدين الحنبلى مولده سنة ٦٦٥هـ ووفاته سنة ٧٣١هـ، ترجمته فى الدرر (٣/٤٤٨).

وفيهما في مستهل شعبان فوضت مشيخة المشايخ بدمشق لقاضى القضاة شرف الدين محمد بن القاضى مُعِين الدين أبى بكر المالكى^(١) مضافة إلى الحكم، وجلس بالخانقاة السُنيّساوية لذلك فى يوم الجمعة السادس والعشرين من الشهر.

وفيهما فى سابع شهر رمضان فوض قضاء القضاة بدمشق على مذهب الإمام أبى حنيفة للقاضى عماد الدين أبى الحسن على بن محبى الدين أحمد ابن عبد الواحد الطُرسوسى الحنفى^(٢) عوضاً عن القاضى صدر الدين البُصُرَوِى^(٣) بحكم وفاته على ما نذكره، ووصل تقليده إلى دمشق فى يوم الأربعاء سادس عشر شهر رمضان، وخلع عليه فى يوم الخميس / (٢٥٤) سابع عشر الشهر، وجلس للحكم بالمدرسة النُوريّة^(٤).

وفيهما فوض قضاء القضاة بحلب المحروسة للقاضى فخر الدين عثمان بن [محمد بن]^(٥) عبد الرحيم بن إبراهيم البارزى^(٦) الحموى الشافعى، وكان يلى الخطابة بحماة، وينوب عن عمه قاضى القضاة شرف الدين فى الحكم بحماة.

وفيهما فى نصف رمضان وصل إلى دمشق المحروسة جماعة من الأسرى المسلمين^(٧) من بلاد الفرنج نحو مائة وأربعين أسيراً، ومعهم جماعة من تجار الفرنج تولوا استيفادهم، فجعلوا فى المدرسة العادلية الكبيرة بدمشق، ورسم بإعطاء التجار الفرنج ما ذكروا أنهم صرفوه وأنفقوه عليهم، بعد تحليفهم وتحليف الأسرى [وكان ذلك نحو ستين ألف درهم، فلما قبض التجار ذلك من

(١) محمد بن أبى بكر بن ظافر بن عبد الوهاب = قاضى القضاة شرف الدين المالكى توفى سنة ٧٤٨هـ ترجمته فى الدرر (١٨/٣) وانظر: الدارس فى تاريخ المدارس (٦٢١/١).

(٢) على بن عبد الواحد الطرسوسى الحنفى، ولد بمنية ابن خصيب بمصر ٦٦٩هـ وتوفى سنة ٧٤٨هـ ترجمته فى الدرر (١٨/٣) وانظر: الدارس فى تاريخ المدارس (٦٢١/١).

(٣) سيورد النويرى ترجمته فى وفيات هذه السنة، وانظر: الدارس فى تاريخ المدارس (٦٢١/١).

(٤) هما نوريتان: النورية الكبرى بخط الخواصين بدمشق: أنشأها نور الدين محمود بن زنكى، والنورية الصغرى: بجامع قلعة دمشق وقفها نور الدين محمود بن زنكى أيضاً. والمراد هنا النورية الكبرى، فقد ورد اسمه فيمن تولى التدريس بها، وانظر: (الدارس فى تاريخ المدارس ٦٠٦/١ و٦٢٢ و٦٤٨).

(٥) الزيادة من "أ" ص ٢٥٤ والدرر ٤٤٨/٢.

(٦) فى ك البرزى، وما أثبتناه من "أ" والدرر (٤٤٨/٢).

(٧) زيادة من السلوك (٢٨٩/٢).

رَبَّعَ الأَوْقافَ عَلَى فِكَاكِ الأَسْرَى أَطْلَقَ الأَسْرَى^(١) وكان سبب سعى التجار في فِكَاكِ هؤلاء الأَسْرَى أن قاضى القضاة جلال الدين القزوينى أشهد على نفسه أنه جعل لكل من يحضر أسيراً من المكان الفلانى مبلغاً عَيْنَه، وكتب بذلك مكتوباً، وعرف التجار ذلك، فسعوا فيه، وجعلوه من جملة متاجرهم، و«نقلت هذه الواقعة من تاريخ الشيخ علم الدين بن البرزالي^(٢)».

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة فوضت نيابة السلطنة بقلعة دمشق المحروسة إلى الأمير علاء الدين مُغلطاي الخازن أحد الأمراء بدمشق عوضاً عن الأمير علم الدين سَنَجَرِ الدِمِشْرِى^(٣) واستقر الدِمِشْرِى^(٣) من جملة الأمراء بدمشق المحروسة.

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من ذى القعدة أيضاً خلع على الأمير سيف الدين بلبسطى^(٤)، وفوض إليه نيابة بحمص عوضاً عن بَلْبانِ البَدْرِى، رحمه الله تعالى، وكانت وفاة البدرى فى ليلة عيد الفطر من السنة بِحَمَصَ، وحمل إلى دمشق، وصلى عليه بسوق الخيل، ودفن يوم السبت بسفح قاسيون.

وفى يوم الاثنين أيضاً فُوضَ نظر أوقاف القدس الشريف، وحرَمِ الخليل عليه الصلاة والسلام إلى الأمير سيف الدين إبراهيم بن الأمير علم الدين الجاكى^(٥)، وخُلِعَ عليه، وتوجه.

وفى يوم العشر الأول من ذى الحجة كمل تَرْخِيمَ الحائط الشمالى بالجامع الأموى بدمشق، وكان فى الدولة الظاهرية / (٢٥٥) الركنية قد رُخِّمَ

(١) ما بين الحاصرتين سقط من ك، وأثبتناه من "أ" ص ٢٥٤.

(٢) أورد المقرئى هذه الواقعة فى السلوك (٢٨٩/٢) وذكر أن «تنكز افتدى كل أسير بمائة وعشرين درهماً، وأنه كسا هؤلاء الأَسْرَى، وزودهم، وحملهم إلى مصر، فسر المسلمون بهم».

(٣) فى أ، ص ٢٥٤ "الدِمِشْرِى" فى الموضعين، ولعله تحريف الأيدمرى، وهو علم الدين سَنَجَرِ بن عبد الله الأيدمرى توفى سنة ٧٢٩هـ، وانظر النجوم ٢٨٠/٩.

(٤) فى أ، ك "باسطى" وما أثبتناه من السلوك (٢٨٨/٢)، ولم يرد له ذكر فى النجوم.

(٥) فى أ، ص ٢٥٤ علاء الدين الحاكمى.

من جهة الشرق إلى باب الكلاسة^(١)، ولم يكمل، واستمر كذلك إلى الآن، فرسم بترخيمه، فكان دَرْعُ الذي استجد الآن من باب الكلاسة إلى زاوية الغزالي ستون ذراعاً طولاً وفي الارتفاع ستة، وعمل بأعلاه طراز مُذهَّب.

وفي هذه السنة توفي أحد أولاد السلطان الملك الناصر وهو طفل، ولعله الذي ذكرنا أنه ولد في ثامن عشر المحرم من هذه السنة^(٢) ودفن بترية الخوند أردكين^(٣) ابنة نوكاى زوج السلطان.

وتوفى في ليلة الاثنين المسفرة عن السادس والعشرين من جمادى الأولى قبيل العشاء الآخرة الشيخ الصالح ضياء الدين محمد المعروف بالمعبدى^(٤) وهى نسبة إلى معبد الشيخ محيى الدين الفارسى بالقرافة، وكانت وفاته بمنزله بجوار الزاوية المعروفة به بخط مَوْرِدَة الخلفاء بمصر، بشاطئ نيلها، وصلى عليه بالجامع الناصرى، وأم الناس فى الصلاة عليه قاضى القضاة بدر الدين الشافعى، ثم صلى عليه ثانياً فى جامع عمرو بن العاص بمصر، ودفن بالقرافة بتريته فى قبر كان قد حفره لنفسه، وأعدّه لدفنه فى حال حياته، وكان رحمه الله تعالى كثير الخدمة للفقراء، والتكرم عليهم والإنفاق، وله مروءة وافرة، كثير التعصب والقيام مع من يقصده، يَطْرَحُ / (٢٥٦) الكلفة جداً، كان ينفق على الفقراء الواردين وغيرهم ممن يقصده النفقات الكثيرة، ويطعمهم الأطعمة اللذيذة الفاخرة، ويُفَرِّجُهُمْ فى المُسْتَنْزَهِات، وهو فى غالب أوقاته يلبس الدُّلُق المُرْقَع بغير قميص، وكان حسن المحاضرة، كثير النوادر، مشهوراً بالخلاعة والانبساط رحمه الله تعالى / .

(٨٢)

(١) الكلاسة: مدرسة قديمة بدمشق، عمرها نور الدين الشهيد سنة ٥٥٥ هـ، وسميت بهذا الاسم؛ لأنها كانت فى موضع عمل الكلس أيام بناء الجامع الأموى، وكان موضعها لصيق الجامع الأموى من شمال، ولها باب يؤدى إليه (الدارس فى تاريخ المدارس ٤٤٧/١) وقد درست هذه المدرسة منذ عهد قريب (مخطط المنجد ٣٢).

(٢) لم يورده المقرئ فى وفيات هذه السنة (السلوك ٢٩٠/١ و ٢٩١) ولا ابن تغرى بردى (النجوم ٢٦٨/٩ - ٢٧١).

(٣) رسمه ابن تغرى بردى "بواو بعد الدال هكنا: أردكين" (النجوم ٢٧٥/٩).

(٤) لم ترد وفاته فى السلوك ٢/ ٢٩٠، ولا فى النجوم ٢٦٨/٩ وما بعدها) ولا فى الشذرات (٦/ ٧٥٠).

وتوفى فى يوم الأحد الثامن من شهر رجب القاضى الإمام الفاضل العالم نجم الدين أبو العباس أحمد بن صدر الدين محمد بن رشيد الدين حرمى الشافعى^(١) القمولى نائب الحكم العزيز بمصر، وناظر الحسبة بها، وكانت وفاته [بداره]^(٢) بمصر، وصلى عليه بجوامع عمرو بن العاص عقيب صلاة الظهر من اليوم المذكور، وكانت جنازته مشهودة، حضرها القضاة والحكام والأكابر وغيرهم من العوام، ومولده فى سنة ثلاث وخمسين وستمئة تقريباً بقمولة من غربية مدينة قوص^(٣)، وكان رحمه الله تعالى رجلاً ديناً فاضلاً فقيهاً عالماً، صنف: «كتاب البحر المحيط فى شرح الوسيط» فى نحو ثمانية عشر مجلداً كباراً، واختصره فى ثمانى مجلدات وسمى المختصر: «جواهر البحر» وشرح مقدمة الشيخ أبى عمر بن الحاجب فى النحو فى مجلدين وشرح الأسماء الحسنى، وغير ذلك من التأليف رحمه الله تعالى / (٢٥٧).

وتوفى فى ليلة الأحد خامس عشر شهر رجب الشيخ الصالح أبو القاسم عبد الرحمن بن موسى بن خلف الحدافى^(٤) وكانت وفاته بالبرج بقلعة الجزيرة مقابل مصر، وبه كان يسكن، وصلى عليه بجوامع عمرو بن العاص بعد صلاة الظهر، ودفن بسفح المقطم بترية الشيخ تاج الدين بن عطاء الله، بجوار تربة الشيخ أبى محمد بن أبى حمزة، وكان الشيخ عبد الرحمن رجلاً صالحاً زاهداً عابداً منقطعاً متخلياً عن الدنيا، رحمه الله تعالى.

وتوفى بحلب الأمير^(٥) ناصر الدين محمد بن الأمير سيف الدين أرغون الناصرى نائب السلطنة الشريفة والده، وكانت وفاته فى يوم السبت ثالث عشر^(٦) شعبان، ونقل الشيخ علم الدين بن البرزالى فى تاريخه أنه توفى فى

(١) فى الدرر (٣٠٤/١) والسلوك (٢٩٠/٢) أحمد بن محمد بن أبى الحزم مكى المخزومى بن ياسين القمولى، وفى هامش السلوك (٢٩٠/٢) حاشية (١) ابن أبى الحزم حرمى بن ياسين .. إلخ وفى الشذرات (٧٥/٦) أحمد بن محمد بن مكى بن ياسين القرشى المخزومى القمولى، نسبة إلى قمولة - بالفتح والضم - بلد بصعيد مصر.

(٢) زيادة من "أ" ص ٢٥٦.

(٣) يريد أنها غربي النيل، وفي مراصد الاطلاع: أنها تقع على الشاطئ الغربى للنيل.

(٤) فى أ، ص ٢٥٧ "الجزامى".

(٥) ترجمته فى الدرر (٣٧٩/٣) وفيه أن وفاته فى شعبان ٧٢٧هـ. وورد ذكره فى (النجوم ٢٦٩/٩) والسلوك (٢٩١/٢).

(٦) هذه الرواية تتفق وما ورد فى السلوك والنجوم، ولم يحدد ابن حجر فى الدرر يوم وفاته.

يوم الجمعة ثانی عشره، ودفن يوم السبت، وكان قد استقر عند انتقال والده إلى نيابة السلطنة بحلب في جملة الأمراء مقدمي الألف بحلب، فمرض ومات، فوصل الخبر إلى الأبواب السلطانية في يوم الأربعاء رابع عشرين الشهر، وكان قبل ذلك قد توفي أخوه الصغير أحمد، وهو من أمراء العشرات بحلب، ووصل الخبر أيضاً بمرض والده وأخوته، فرسم السلطان أن يتوجه صلاح الدين بن البرهان أحد الأطباء بالباب الشريف، فتوجه إليهم على خيل البريد في يوم الجمعة تاسع عشر الشهر.

وتوفي في يوم الثلاثاء ثامن شهر رمضان / (٢٥٨) القاضي عز الدين عبد العزيز بن [أحمد بن]^(١) عمر بن عثمان بن الخضر الهكاري قاضي الأعمال الغربية، ويعرف بابن خطيب الأشمونين^(٢)، وكانت وفاته بالقاهرة، وكان قد حضر من المحلة للسلام على قاضي القضاة جلال الدين^(٣) فمرض ودامت به العلة إلى أن مات، وكان فقيهاً فاضلاً نزهاً كريماً الأخلاق، رحمه الله تعالى.

وتوفي في يوم الثلاثاء ثامن شهر رمضان أيضاً الأمير سيف الدين قُطْلُوغَا [بن عبد الله]^(٤) المغربي الناصري الحاجب، وكان قد توجه صحبة الرسل إلى حلب كما ذكرنا، فمرض في سفره، وعاد فعجز عن الركوب، فحمل في محفة، ورحل إلى القاهرة في يوم الاثنين سابع عشر شهر رمضان، فبات بداره ليلة واحدة، ومات رحمه الله تعالى، وكان السلطان قد أعد له لمهمات، ووعدته بتقدمة ألف، فعاجلته المنية عن بلوغ الأمنية.

وفيها في آخر ليلة الأربعاء سادس شهر رمضان توفي القاضي كمال الدين أبو المعالي محمد بن الشيخ علاء الدين علي بن الشيخ كمال الدين عبد الواحد

(١) الزيادة من أ، ص ٢٥٨ وفي الدرر (٣٦٨/٢) عبد العزيز بن أحمد بن عثمان الهكاري، ثم المصري الشافعي. وفي شذرات الذهب (٧٧/٦) عبد العزيز بن أحمد بن عثمان بن عيسى الكردي الشافعي، وكذلك ورد في طبقات الشافعية.

(٢) الأشمونين: هي اليوم إحدى قرى مركز ملوى بمحافظة المنية وانظر (النجوم ٤٠/٩ حاشية/١).

(٣) في الدرر (٢٦٨/٢) أنه عين لقضاء القضاة بعد أن صرف القاضي بدر الدين بن جماعة بسبب عماه، وأنه طلب من المحلة، وكان ينوب بها عن قاضي القضاة ابن جماعة، فدخل القاهرة وهو مريض، ومات بعد قليل، وأورد في الشذرات بعض مصنفاته.

(٤) الزيادة عن النجوم (٢٦٩/٩).

ابن خطيب زَمَلْكا^(١) زين الدين عبد الكريم بن خَلَف بن نَبْهَان الأنصاري الشافعي، المعروف بابن الزَمَلْكانى^(٢)، وكانت وفاته بمدينة بُلْبَيس مدينة الأعمال الشرقية من الديار المصرية، وكان قد اسْتُدْعِيَ من حلب بالأمر السلطاني، لِيُنْقَلَ إلى قضاء الشام، فجاء على خيل البريد، فلما انتهى / (٢٥٩) إلى منزلة الصالحية مرض، فوصل إلى بلبيس، وقد اشتد به المرض فمات، وحمل إلى القرافة في ليلة الخميس، فدفن بالقرب من قبر قاضي القضاة إمام الدين الْقَزَوِينِي جوار قبة الإمام الشافعي، ومولده في ليلة الاثنين ثامن شوال سنة سبع وستين وستمئة، وكان من أعيان العلماء بمذهب الإمام الشافعي ومن الفضلاء، ولى كتابة الدُرُج بدمشق مدة طويلة، وتنقل في الولايات ودرس في أَجَلِّ مدارس^(٣) دمشق، ثم نقل إلى قضاء حلب، كما تقدم، وله شعر حسن، وتَرَسَّلَ جيد، رحمه الله تعالى.

وتوفى في يوم الأحد تاسع عشرين ذى الحجة الأمير سيف الدين كُوجَرِي [ابن عبد الله]^(٤) أمير شكار، وهو من أمراء المائة مقدمي الألف، رحمه الله تعالى.

وتوفى بدمشق في مستهل شهر ربيع الأول الأمير ناصر الدين إبراهيم بن الملك المعظم شرف الدين عيسى بن الملك الزاهد^(٥) داود بن الملك المجاهد أسد الدين شيركُوه بن الملك القاهر ناصر الدين محمد بن الملك المنصور أسد الدين شيركُوه بن شادي، ودفن بقاسِيُون، وكان من جملة مقدمي الحَلْقة بدمشق المحروسة، رحمه الله تعالى.

(١) الضبط من مراصد الاطلاع ٦٧٠/٢ وفيه: زملكان قرية ببلخ، وقرية بغوطة دمشق، وربما أسقطوا من هذه النون، فقالوا زملكا - بفتح أوله وثانيه وسكون اللام، وحكى ياقوت أيضاً فتح أوله وثالثه وسكون ثانيه.
(٢) ترجمته في (الدرر ٧٤/٤ وما بعدها) والنجوم (٢٧٠/٩) والسلوك (٢٩٠/٢) والوافي بالوفيات (٢١٤/٤) والشذرات (٧٦/٦) والدارس في تاريخ المدارس (١٩٤/١).

(٣) هي المدرسة الأمينية. وكان أبوه علاء الدين الزملكانى يدرس بها أيضاً. وانظر: (الدارس في تاريخ المدارس ١٩٣/١ وما بعدها).

(٤) الزيادة من النجوم (٢٦٨/٩).

(٥) في أ، ص ٢٥٩ الملك الزاهر.

وتوفى بدمشق أيضاً في عشية نهار الأربعاء العشرين^(١) من جمادى الآخرة الملك الكامل، وهو الأمير / (٢٦٠) ناصر الدين محمد بن الملك السعيد فتح الدين عبد الملك بن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن [نجم الدين]^(٢) أيوب، وصُلِّيَ عليه بعد صلاة الظهر بالجامع الأموى، وحمل إلى تربة الملك الكامل بن الملك العادل وهو عم أبيه، وجده لأمه ربيعة خاتون ابنة الملك الكامل، فأغلق باب التربة دون تابوته عامل التربة موسى بن أخت صاين الدين خطيب مُصَلَّى العيدين، وامتنع من الموافقة على دفنه بها، فتألم الناس لذلك، وضربوا موسى المذكور، ولم يفتح الباب، فتوجَّهوا / بجنازته إلى تربة أم جده الملك [الصالح، وكشفوا الأُزج^(٣) فوجدوه مملوءاً بالأُموات]^(٤) فجاءوا به إلى قبر أبيه فوجدوه ضيقاً، فأحضروا الحجارين فشقوا له قبراً ودفن [عند مغيب الشمس وكان نائب السلطنة]^(٥) يومئذ بالمرج، فطولع بذلك، فرسم أن يدفن عند والدته، فامتنع أهله من نقله، ومولده في ليلة [الاثنين بطريق الحجاز الشريف، بمنزلة تسمى العقاب، بثنية راطية]^(٥) خامس ذى القعدة سنة ثلاث]^(٦) وخمسين وستمائة سمع صحيح مسلم من ابن عبد الدايم وسمع من غيره، وحدث وكان من أمراء [الطبلخانة بالشام، كثير التواضع والمجون]^(٧) حسن المذاكرة والمداعبة، كثير النوادر، ولما مات أنعم السلطان على ولده صلاح الدين^١ بإمرة طبلخاناه، وعلى ولده [الأصغر بإمرة عشرة، وركبا بالخلع في رابع عشرين رجب بدمشق.

وتوفى بدمشق أيضاً في يوم الأربعاء [الرابع والعشرين]^(٧) من جمادى الأولى الشيخ العالم شرف الدين أبو محمد عبد الله / (٢٦١) بن الشيخ

(١) في النجوم (٢٦٩/٩) في حادى عشرين.

(٢) الزيادة من السلوك (٢٩١/٢) والنجوم (٢٦٩/٩).

(٣) الأُزج: بناء مستطيل مقوس السقف (المعجم الوسيط) وترد هذه اللفظة كثيراً عند الهمدانى (فى الإكليل) مراداً بها القبور القديمة المطمورة.

(٤) ما بين القوسين فى الموضوعين زيادة من "أ" ص ٢٦٠.

(٥) الصواب أن يقال بثنية العقاب براط. ففى مراصد الاطلاع ٣٠١/١: ثنية العقاب: مشرفة على غوطة دمشق يطؤها القاصد إلى دمشق، وثنية العقاب بالشغور الشامية قرب المصيصة، وراطية - فى مراصد الاطلاع ٥٩٥/١ - قال فى تفسيرها: موضع، ولم يزد على ذلك.

(٦) ما بين القوسين بياض فى ك، والزيادة من "أ" ص ٢٦٠ و ٢٦١.

(٧) فى الشذرات (٧٦/٦) رابع عشر جمادى الأولى.

شهاب الدين أبى المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الإمام مجد الدين أبى البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن محمد^(١) بن تيمية الحرّانى الحنبلى، وهو أخو الشيخ تقي الدين، وصُلّيَ عليه بعد صلاة الظهر بجامع دمشق، ثم صلى عليه بباب قلعة دمشق، وكانت جنازته مشهودة، ثم حمل إلى ظاهر باب النصر فصلى عليه مرة ثالثة، ثم صلى عليه مرة رابعة، ودفن بمقبرة الصوفية عند والده وأهله رحمهم الله، ومولده بحران^(٢) فى الحادى والعشرين من المحرم سنة ست وستين وستمائة.

وتوفى فى يوم الأربعاء بعد العصر الثالث من شعبان قاضى القضاة صدر الدين أبو الحسن على بن الشيخ صفى الدين أبى القاسم [بن محمد بن عثمان ابن محمد البُصْرَوِى]^(٣) الحنفى ببستانه بأرض سطر^(٤) ظاهر دمشق، وصُلّيَ عليه بكرة [الخميس بسوق الخيل، ودفن بسفح قاسيون، وأوصى بثلاث ماله فى بكرة نهار]^(٥) وفاته صدقة على الفقراء والمساكين، ومولده فى ثالث شهر رجب سنة اثنتين وأربعين وستمائة بقلعة بُصْرَى، وسمع من ابن عبد الدايم وابن عطاء وغيرهما، وحدث رحمه الله تعالى.

وتوفى بدمشق الصدر شمس الدين محمد بن الشيخ الفاضل شهاب الدين محمود بن سليمان بن فهد الحلبي^(٦) صاحب ديوان المكاتبات بدمشق فى ليلة السبت عاشر شوال، وصلى عليه بالجامع الأموى، ودفن من الغد بتربة والده

(١) أورد ابن حجر فى (الدرر ٢/٢٦٦) مكان هذا الجذ (خضر)، وأهمل ذكر وفاته المقرئى فى السلوك (٢/٢٩٠) وابن تغرى بردى فى (النجوم ٩/٢٦٨) وأورده ابن العماد الحنبلى فى الشذرات (٦/٧٦)..
ابن عبد السلام بن أبى القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية، وذكر أن مولده فى حادى عشر المحرم سنة ٦٦٦هـ.

(٢) حران: قرية بغوطة دمشق، وأخرى من قرى حلب، وهناك مواضع أخرى بهذا الاسم (مراسد الاطلاع ١/٣٨٩).

(٣) فى السلوك (٢/٢٩٠ و ٢٩١) البصراوى، وكذلك فى النجوم (٩/٢٦٨) وكلا الرسمين صحيح، فالنسب إلى ما رابعه ألف وثانيه ساكن مثل بصرى يصح فيه بصرى وبصروى، وبصراوى. وانظر فى ترجمته (الدرر ٣/٩٦) والشذرات (٦/٧٨) والدارس فى تاريخ المدارس (١/٦٢٠).

(٤) سطرًا: من قرى دمشق، وقد ذكرها ابن منير الطرابلسى فى متنزهات دمشق فقال:

«فالقصر فالمرج فالشرف الأ على فسطرًا فجرمانا فقلبين». المراسد ٢/٧١٤.

(٥) الزيادة عن السلوك، والنجوم، والدرر.

(٦) أورده ابن تغرى بردى فى النجوم (٩/٢٦٨) والمقرئى (السلوك ٢/٢٩٠) وابن العماد (الشذرات ٨٠/٨) وابن حجر (الدرر ٤/٢٥١).

بسفح جبل / (٢٦٢) قاسيون، ومولده فى يوم الأحد ثامن شوال سنة تسع وستين وستمائة رحمه الله تعالى، ولما توفى استقر فى كتابة الدُرَج^(١) بعده بدمشق القاضى محبى الدين بن فضل الله، ولبس التشريف، وياشر الوظيفة فى يوم السبت الثالث والعشرين من ذى القعدة، واستقر شرف الدين ولد شمس الدين فى التوقيع بين يدى نائب السلطنة على ما كان عليه القاضى محبى الدين بن فضل الله، وخُلِعَ عليه أيضاً فى اليوم المذكور، والله أعلم.

★ ★ ★

واستهلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة^(٢) بيوم الثلاثاء الموافق
للعشرين من هاتور من شهور القبط، ورثى فى كثير من البقاع يوم الاثنين،
والسلطان الملك الناصر - خلد الله ملكه - بمقر ملكه بقلعة الجبل المحروسة،
ولا نائب للسلطنة بالأبواب العالية، فإنه منذ عزّل الأمير سيف الدين أرغون
الناصرى عن النيابة، وتوجّهه إلى حلب، لم يُفَوِّض السلطان النيابة إلى غيره،
وإنما الأمير سيف الدين ألمّاس أمير حاجب يتحدث فى أمر الجند، والأمير
علم الدين مُغلطاي الجمالى الناصرى فى وظيفتى الوزارة وأستاذ الدائرة
العالية على عاداته، والديار المصرية والشام والبلاد الحلبية والساحلية
والجبلية وغيرها، من الممالك الإسلامية الداخلة فى مملكة السلطان الملك
الناصر، على غاية الرخاء والخير، وانحطاط الأسعار.

وفى يوم الخميس ثالث المحرم من هذه السنة أمر السلطان أن يتقدم
الأمير سيف الدين [بَشْتَاك^(٣)] على ألف فارس، وهى المقدمة التى انحلت عن
الأمير سيف الدين كُوجَرى^(٤)] أمير شكار، وأعطاه السلطان من خبز كوجرى
مَلُوى^(٥)، وكمل له على ما بيده من الإقطاع مائة فارس، / (٢٦٣) وأمر الأمير

(١) هذه الوظيفة ذكرها القلقشندى فى (صبح الأعشى ٤٦٤/٥) وذكر أن صاحبها هو الذى يكتب المكاتبات والولايات وغيرها فى الغالب، وربما شاركه فى ذلك كتاب الدست، ويعبر الآن (زمن القلقشندى) عن كاتب الدرج بالموقع.

(٢) انظر فى أخبار هذه السنة ابن تغرى بردى (النجوم ٩/٩٠ و٢٧١ وما بعدها) والمقريزى (السلوك ٢٩١-٣٠٥) وتاريخ أبى الفداء (٩٤/٤) وما بعدها) وابن العماد (شذرات الذهب ٨٠/٦ وما بعدها).

(٣) الضبط من النجوم (١٠٣/٩) ويرد رسمه فيه أحياناً بلا ألف بعد التاء بشتك، وهو بشتاك الناصرى. وانظر ترجمته فى الدرر (٤٧٧/١) مات مقتولاً فى ربيع الثانى سنة ٧٤٢هـ.

(٤) ما بين الحاصرتين سقط من ك، والزيادة من أ، ص ٢٦٢ والدرر (٤٧٨/١).

(٥) ملوى : عدها ابن مماتى (قوانين الدواوين ١٩٣) فى أعمال الأشمونين، وسماها ملوى وجزايرها. وهى اليوم أحد مراكز محافظة المنية.

سيف الدين نوروز بطبلخانة، وأمر ناصر الدين بن كوجرى بعشرة طواشية، وأمر سيف الدين چهاركس^(١) بعشرة طواشية، وجعل أحد أمراء شكارية، وركب الأمراء فى يوم الخميس ثالث شهر المحرم بالتشاريف والشرابيش^(٢) على عادة أمثالهم.

وفىها فى يوم الاثنين السابع من المحرم توجه السلطان إلى جهة القصور بسرياقوس، فتصيد بتلك الجهة إلى يوم الاثنين رابع عشر الشهر ورجع، ومر تحت قلعة الجبل ولم يصعد إليها، ومر على طريق سوق الخيل إلى الصليبة إلى قناطر السباع، حتى انتهى إلى بولاق، فركب إلى جهة الجيزية، واستقر فى نيابة السلطنة - فى مدة غيبة السلطان - الأمير سيف الدين قجلیس الناصرى أمير سلاح.

ووصل إلى الأبواب السلطانية رسل الملك

أبى سعيد بن خرنندا ملك العراقين وخراسان، فكان وصولهم إلى باب الدهليز^(٣) المنصورى بمنزلة الأهرام فى يوم الأحد السابع / والعشرين من المحرم، فمثلوا بين يدى السلطان، وسمع رسالتهم، وأحسن إليهم، ورسم بإعادتهم إلى مرسلهم، فتوجهوا بعد دخولهم إلى القاهرة فى يوم السبت رابع صفر، واستمر السلطان بمنزلة الأهرام أياما، ثم توجه منها إلى جهة المنوفية، وعاد إلى قلعة الجبل المحروسة فى منتصف نهار الأحد ثانى عشر صفر، فأقام بقلعة الجبل إلى يوم / (٢٦٤) الخميس سلخ صفر، وتوجه فى بكرة النهار إلى جهة القصور بسرياقوس، ثم عدى البحر إلى الجانب الغربى، وتوجه إلى جهة المنوفية، وتصيد هناك وعاد، فكان وصوله إلى قلعة الجبل فى يوم الخميس سابع عشر ربيع الأول من السنة، والله أعلم.

(١) الضبط من النجوم (٢١٤/٩) والكلمة فارسية مركبة من: چهار= أربعة، وكسى (أو) كسى= شخص، أو نفس، فمعناها أربعة أنفس.

(٢) الشرابيش: جمع شربوش، وهو غطاء للرأس كان على هيئة خاصة، وكان من شارات الإمارة، وفى السلوك (٣٤٣/٢) والنجوم (٩٩/٩) شربوش مكلل مزركش، ويفهم من هذا أنها كانت أنواعا مختلفة على حسب منزلة من تخلع عليهم.

(٣) الدهليز: أورده المقرئ فى مواضع كثيرة فى السلوك، ويفهم منه أنه خيمة على صفة معينة تقام للسلطان فى رحلاته، وقد أورد أبو الفدا صفتها فى تاريخه (٩٧/٤).

ذكر وفود الأمير تَمُرْتاش بن الأمير جوبان بن تُلْك بن بِداون^(١) نائب الملك أبي سعيد بمملكة الروم إلى الأبواب السلطانية

وسبب وفوده. وما كان من خبره إلى أن قبض عليه وقتل، ولنبدأ بذكر السبب الذي أوجب مفارقتة المملكة الرومية، وحضوره إلى الديار المصرية، وهو ما وصل إلينا من أخبار والده وإخوته ومقتلهم، ثم نذكر أخبار تَمُرْتاش^(٢) فنقول:

كان الأمير جُوبان بن تُلْك^(٣) بن بداون نائب الملك أبي سعيد بن خَرَبَنْدَا صاحب العراقين وخراسان والروم وأولاده قد استولوا علي مملكة التتار ما قرب منها وما بعد، وتحكموا فيها تحكّم الملوك من غير منازع لهم ولا مناوئ، وزاد تحكّمهم حتى لم يبق للملك أبي سعيد معهم إلا اسم السلطنة، وانفرد جُوبان بالأمر كله بعد وفاة الوزير على شاه، وقد تقدم من أخبار جُوبان وتمكنه وقتله من قتل من أكابر الأمراء وأقارب الملك ما ذكرناه في حوادث / (٢٦٥) سنة تسع عشرة وسبعمائة ما لا يحتاج إلى إعادته، فلما كان في سنة سبع وعشرين وسبعمائة توجه الأمير جُوبان وولده الأمير حسن إلى بلاد خراسان، واستصحب معه معظم الجيوش، وتوجه لقصد محاربة أولاد الملك كَبِك^(٤) على عادة التتار، وتأخر بالأردو^(٥) من أولاد جُوبان دَمَشَق خواجا، فأنهى إلى الملك أبي سعيد عنه أنه قد عزم علي الوثوب عليه وقتله، حتى صَح ذلك عنده، واتهم أيضا ببعض نساء الملك خَرَبَنْدَا والد أبي سعيد، فعند ذلك أمر الملك أبو سعيد بقتله، واتصل الخبر به فركب في طائفة يسيرة من مماليكه، وقصد الهرب إلى أبيه فأدرك لوقته، وقتل بظاهر مدينة سُلْطَانِيَّة^(٦)، وترك مُلْقَى بعد قتله، وذلك في شوال سنة سبع وعشرين.

(١) في أ، و ك غير منقوط، وفي السلوك (٢٩٢/٢) تداون، وفي النجوم (٢٧٢/٩) نداون، وفي هامشه بداون في إحدى نسخ الأصل.

(٢) في المقرئ (السلوك ٢٩٢/٢) دمرداش - بدالين - وفي الدرر (٥١٨/١) تمرتاش - بتاءين -.

(٣) تلك: ضبطه في السلوك بضم أوله وكسر ثانيه، وفي النجوم (٢٧٢/٩) بضم أوله وفتح ثانيه.

(٤) الضبط من السلوك ٢٩٢/٢، وفي موضع آخر منه كَبِك خان.

(٥) الأردو: إقليم ببلاد فارس قصبته تيمارستان. (مراسد الاطلاع ٥٣/١).

(٦) مدينة سلطانية: في النجوم (٢٣٩/٩) أن السلطان خربندا بن ارغون بن ابغا بن هولاكو بن تولو بن جنكيزخان هو الذي أنشأها في أرض قنغرلان وفي هامشه: أنها تقع في سمت المشرق من تبريز على مسيرة ثمانية أيام (٢٤٠ ك م) منها، وتبعد من جبال جيلان مسيرة يوم (٣٠ ك م) وأن السلطان خربندا جعلها عاصمة ملكه، وسماها سلطانية، وفي صبح الأعشى (٣٥٨/٤) نقل القلقشندي عن مسالك الأبصار وصفا مطولا لها.

ولما اتصل خبر مقتله بوالده الأمير جُويان أظهر الخلاف، وعزم على حرب الملك أبي سعيد، ورجع بالعساكر التي كانت معه من خراسان، وتوجه الملك أبو سعيد لقتاله بمن بقي عنده من العساكر، وتقدم كل منهما بعساكره إلى الآخر، حتى بقي بينهما منزلة أو نحوها، ففارقه أكثر من كان معه من الأمراء أولاً فأولاً، والتحقوا بالملك أبي سعيد، فعند ذلك رجع جُويان بمن بقي معه إلى خراسان، ففارقه من بقي معه من الأمراء إلى خدمة الملك، وبقي في نحو ستمائة فارس من أَلزامه ومماليكه، فتوجه بهم، ولم يتبعه الملك أبو سعيد، ولا جَرَد خلفه عسكرياً، بل رضى كل منهما من الغنيمة بالإياب، ولعله إنما ترك ذلك خشية أن يكون لحاق من كان مع جويان من العساكر / (٢٦٦) به مكيدة، وعزم جويان على اللحاق بأولاد الملك كَبِك، والاستنصار بهم على حرب الملك أبي سعيد.

فلما وصل إلى هَرَاة^(١) - من أعمال خراسان - خرج إليه نائبها، وهو أمير جرىء مقدم، له فتكات معروفة، وهو ممن أنشأه جويان وقدمه فتلقيه وخدمه وعرض عليه الدخول إلى هَرَاة والإقامة بها إلى انقضاء فصل الشتاء، ويتوجه بعد ذلك إلى حيث أحب، فركن إلى قوله، ووثق به، ويقال: إن ابنه حسن كره ذلك ونهى والده عنه، وذكره بغدراته، وكان قد حصل لجُويان مرض منعه من إدامة الحركة والسير، فترجع عنده الدخول إلى هَرَاة، فدخل إليها، وفارقه ابنه حسن، والتحق بالملك أَرُيُك صاحب صراى والبلاد الشمالية، فأكرمه أَرُيُك، وأحسن إليه، ولما صار جويان بهرَاة بادر نائبها بالقبض عليه وقتله، وكتب إلى الملك أبي سعيد بذلك.

وقُتِلَ أيضاً ولد لجُويان بكردستان^(٢)، ثم حُمِلَ جويان في تابوت، وجيء به إلى بغداد في سابع عشرين شوال سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وصلى عليه بالمدرسة المستنصرية، ثم حمل إلى مكة - شرفها الله تعالى - في جملة الركب

(١) هَرَاة: مدينة مشهورة من أمهات مدن خراسان، كثيرة المياه والبساتين. مرآصد الاطلاع ٣/ ١١٤٥، وكانت من مدن العلم قبل العصر التتري.

(٢) كردستان: كانت قديماً إقليمًا هاماً من بلاد فارس يقع شمالي كرمانشاه وجنوبي أذربيجان، وعاصمته سنندج (صفحات عن إيران ص ١٥).

العراقي وطيفَ به، وحمل إلى عرفة، ثم إلى منى، وأعيد إلى مكة، وحمل منها إلى المدينة النبوية ليدفن في تربته التي أنشأها بالمدينة، فلما اتصل ذلك بالسلطان الملك الناصر كتب إلى أمير المدينة النبوية ألا يدفن في التربة، فدفن في البقيع، وكان السبب في الاحتفال به، وحمله / (٢٦٧) إلى مكة والمدينة أن الملك تزوج ببغداد خاتون ابنة جوبان بعد مقتل والدها وأخويها، وحظيت عنده، وشغف بها، وكان يحبها قبل ذلك، وقصد زواجها، فزوجها والدها من الأمير / الشيخ حسن بن الجتية^(١)، فلما قتل جوبان أمره الملك أبي سعيد بطلاقها، وتزوجها وشغف بها، وتمكنت من دولته أكثر من تمكن أبيها على ما نذكر مما يصل إلينا إن شاء الله تعالى من أخبارها، فأمرت بحمل أبيها إلى الحجاز الشريف، هذا ما بلغنا من أخبار جوبان.

وأما الأمير دمرداش^(٢) بن جوبان

وهو نائب الملك أبي سعيد بالمملكة الرومية، وكان قد استقل بأمرها، واستولى على أموالها وعساكرها من غير منازع له فيها ولا معارض، فإنه لما اتصل إليه خبر مقتل أخيه دمشق خواجا، وما كان من خلاف أبيه علم أنه لا يمكنه الإقامة بالمملكة الرومية، وأنه متى يفرغ وجه الملك أبي سعيد من أمر جوبان يقصده بالعساكر، فكتب إلى السلطان الملك الناصر يسأله الإذن له في اللحاق به، والانضمام إليه والالتجاء إلى حرمة، فأذن له في ذلك، وكتب السلطان إلى نوابه بالشام بتلقيه وإكرامه.

ولما ورد عليه جواب السلطان حصن أهله وولده وأمواله بقلعة حصينة، وجعل فيها ذخائره وحصنها بالعدد والأقوات الكثيرة، ثم ركب في عسكر الروم. وأظهر أنه يتوجه في مهم بأمر الملك أبي سعيد، فلما كان بأثناء

(١) في أ، ص ٢٦٧ الجتية بقاء مكان النون، وفي ترجمة بغداد بنت جوبان (الدرر ١: ٤٨٠) قال ابن حجر: وكانت قبل أن تتزوج بوسعيد زوجا للشيخ حسن، ولم يذكر بقية اسمه، وكذلك فعل حين ذكر اسمه في ترجمة الحسن بن تمر تاش (الدرر ٢/ ١٥).

(٢) في أ، ص ٢٦٧ تمر تاش، وكذلك رسمه في الدرر (١/ ٥١٨) وفي ك دمرداش - بدالين - وكذلك رسمه في السلوك (٢/ ٢٩٢) وهما سواء.

/ (٢٦٨) الطريق نزل بمنزلة، ولبس لأمة حره هو ومن يعتمد عليه من الزامه ومماليكه، وقال لمن معه من العسكر: أنا متوجه إلى الديار المصرية، فمن أحب أن يصحبني فليعتزل العسكر، ومن أحب الرجوع إلى بلاد الروم فليرجع، ومن أحب القتال فليبرز للحرب، فما جسر أحد منهم علي قتاله، ولا أقدم على حربه، بل ترجلوا وخدموه^(١)، ورجعوا إلى بلادهم، وتقدم هو إلى الشام في نحو ستمائة فارس، فكان وصوله إلى دمشق في يوم الأحد خامس عشرين صفر سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فتلقاه نائب السلطنة بها الأمير سيف الدين تَنْكُز^(٢) وأكرمه وجهه إلى الديار المصرية، فوصل إلى خدمة السلطان، والسلطان بمنزلة أوسيم من الأعمال الجيزية في ليلة الخميس المسفرة عن سابع عشر شهر ربيع الأول، ومثل بين يدي السلطان في بُكرة نهار الخميس المذكور، فأكرمه السلطان، وأحسن إليه، وأنعم عليه بتشريف أطلس معدلي^(٣) بطرز زركش وكُلُوتِه زركش، وشاش رقيم وحياصه ذهب مجوهره على عادة نواب السلطنة الشريفة، وحضر في خدمة السلطان في بقية نهار الخميس إلى قلعة الجبل المحروسة، وأسكنه السلطان بالقلعة بدار كان يسكنها خاص ترك^(٤) الناصري، ثم رسم بتجديد عمارة دارين بقلعة الجبل وإصلاحهما، فأصلحا، وأسكنه بهما هو ومن معه من الأمراء أصحابه، ووكل السلطان بخدمته وملازمته وقضاء حاجته الأمير سيف الدين طُرغاي^(٥) الجاشنكير، / (٢٦٩) وأنعم السلطان عليه بالأموال والأقمشة والخيول، ورتب له ولمن معه الرواتب المتوفرة، فرتب له في كل يوم من اللحم ثلاثمائة وأربعين رطلا، وغير ذلك مما يحتاج إليه.

وركب في يوم الاثنين حادى عشر الشهر في الموكب بالأقبية الإسلامية^(٦) والكُلُوتَة والشاش على عادة العساكر المصرية، وحضر إلى

(١) يرد هذا الفعل كثيرا في أسلوب مؤرخي هذه الفترة مرادا به أداء التحية وإظهار الولاء والخضوع.
(٢) الضبط عن القلقشندي (صبح الأعشى ٤٢٥:٥) وأصل لفظه تركي ومعناه: البحر، وفي النجوم (٩٣/٩) جرى ضبطه بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه.

(٣) في أ، ص ٢٦٨ معدني.
(٤) الضبط من النجوم (٩٠٤/٩) حيث وردت ترجمته في وفيات سنة ٧٣٤هـ. قال: وهو الأمير سيف الدين خاص ترك بن عبد الله الناصري من خواص مماليك الناصر، وقد صار أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية.

(٥) في ك طرغية، وما أثبتناه من أ، ص ٢٦٨ والنجوم (٢٧٧/٩) والسلوك (٢٩٤/٢) وذكر أن السلطان جهزه لاستقباله في غزة واستصحابه في قدومه إلى القاهرة.

(٦) في السلوك (٢٩٥/٢) حاشية (١) ورد ما يفهم منه أن هذه التسمية كانت تطلق على القباء العربي تمييزا له من القباء السلاوي التتري، وهو البغلطاق.

الخدمة السلطانية، وأجلس في مجلس السلطان بدار العدل الشريف بالإيوان إلى جانب سيف الدين آل ملك^(١) الجوكان دار دونه بلواء تلو الأمراء مقدمي الألو^(٢).

ووصل في يوم السبت تاسع [عشر^(٣)] شهر ربيع الأول الأمير شاهنشاه وهو ابن عم الأمير جوبان، وكان وصوله من جهة الرحبة، وذكر أن ابن عمه جوبان أرسله إلى خدمة السلطان يعرفه ما وقع، وذكر أنه فارقه من بلاد خراسان عند عزمه علي دخول غزنة إلى أولاد الملك كيك، ولعله فارقه قبل وصوله إلى هراة، فخلع السلطان على شاهنشاه تشريفا كنجا أحمر، وكُلوتة زركش، وأنزله عند تمرتاش، ثم وصل طلب تمرتاش وأنقاله إلى القاهرة المحروسة في يوم الخميس ثامن عشرين شهر ربيع الأول، فأنزلوا بدار الضيافة، وهم نحو ستمائة فارس، فرسم السلطان بعرضهم في يوم الأحد مستهل شهر ربيع الآخر، فعرضوا وُفرّق أكثرهم على الأمراء، ورسم للأمراء أن يقوموا بكُلّفهم من خواصهم من غير إقطاع، وسأل جماعة منهم العود إلي بلادهم، فأذن لهم السلطان، وزوّدَهم وكتب إلى نواب الشام / (٢٧٠) بتمكينهم من العود، فتوجه منهم نحو تسعين فارسا.

ووصل إلى الأبواب السلطانية في يوم الأحد مستهل شهر ربيع الآخر رسل الملك أبي سعيد بن خرنندا، وهما اثنان، فمثلا بين يدي السلطان لوقتتهما، وأديا رسالتهما، وخلع عليهما، وذكر أنهما توجهتا من جهة الملك قبل وصول الخبر إليه بمفارقة تمرتاش البلاد الرومية، ولحاقه بالديار المصرية، ثم مثلا بين يدي السلطان في يوم الاثنين، وأقام بالأبواب السلطانية إلى يوم الاثنين تاسع الشهر، فأعيدا إلي مرسلهما وجهز السلطان من جهته الأمير سيف الدين أُرُج [مملوك قَبْجَق]^(٤) وكتب معه إلى الملك أبي سعيد يشفع في تمرتاش

(١) في أوك رسم (الملك) وفي السلوك (٢٩٤/٢) والنجوم (١٠٢/٩) رسمت آل ملك، وقد تابعناهما على رسمها كذلك، وقد أورد ابن حجر ترجمته في الدرر (٤١١/١) في ترتيبه من حرف الهمزة واللام وما يثلثهما ورسمه أيضا آل ملك: سيف الدين الحاج النائب.

(٢) أورد المقرئ خبر قدوم تمرتاش مفصلا وفيه زيادة على ما أورده النبري هنا (السلوك ٢٩٢/٢).

(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من السلوك (٢٩٥/٢).

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من السلوك (٢٩٦/٢) وعبارته: «وبعث السلطان الأمير سيف الدين أروج - بضم أوله وثانيه - مملوك قبجق إلى أبي سعيد يشفع في دمرdash ومعه رسل أبي سعيد إلى السلطان فساروا في تاسع جمادى الأولى».

(٨٦) ويستوهبه/ منه ويسأله إطلاق عياله وألزامه من بلاد الروم، واستمر تمرّتش في الخدمة السلطانية، والسلطان يضاعف له الإكرام، ويصله بالإنعام الواصل والخيول، وتوجه في خدمة السلطان إلى الصيد بجهة البحيرة^(١) وعاد ثم رسم السلطان له أن يرسل في إحضار ولده وأهله وأمواله من بلاد الروم، وكتب في ذلك إلى الأمير ابن قَرمان صاحب الجبال ورئيس التركمان، فتوجه رسوله صحبة رسول السلطان إلى القلعة التي بها ولده، فلم يوافق على الحضور، وقال: ان بينه وبين أبيه أمانة لم تصل إليه، وظهر للسلطان من تمرّتش خبث طوية، وسوء نية، فأمر عند ذلك بالقبض عليه وعلى الأعيان الذين معه، فقبض عليه وعلى الأميرين / (٢٧١) شاهنشاه ومحمود في يوم الخميس العشرين من شعبان من السنة، واعتقل تمرّتش ببرج السباع، ومحمود وأخوه عثمان وشاهنشاه بالبرج الصغير^(٢).

ووصل رسل الملك أبي سعيد إلى الأبواب السلطانية

في يوم الأربعاء حادي عشر شهر رمضان، وهم ثلاثة نفر، المشار إليه منهم أياجي أمير جاندار الملك أبي سعيد، ومثّلوا بين يدي السلطان، وشملهم الإنعام بالتشريف على عادة أمثالهم، وأرسلهم السلطان إلى تمرّتش في معتقله صحبة الأمير سيف الدين قجّليس أمير سلاح، فاجتمعوا به، وتحدثوا معه، وقيل كان مضمون رسالتهم طلب تمرّتش من السلطان، وأنه إذا أسلم إليهم أرسل الملك أبو سعيد إلى السلطان في مقابل ذلك الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري^(٣)، فمال السلطان إلى ذلك، ورسم للأمير سيف الدين أيتّمش المحمدي أن يتوجه إلى الملك أبي سعيد برسالة السلطان لتقرير الحال في ذلك، وتوجه طلبه في يوم الاثنين سادس عشر شهر رمضان، ثم عدل السلطان عن هذا الأمر، وترجع عنده أنه لا يرسله إلى الملك [أبي سعيد]^(٤).

(١) في ك الجزيرة، وما أثبتناه من أ، ص ٢٧٠ وفي السلوك (٢٩٦/٢): «وفي يوم الثلاثاء عاشره توجه السلطان إلى الوجه البحري ومعه دمرداش» وسيورده النويري بعد قليل.

(٢) أورد المقرئ في السلوك (٢٩٧/٢) خبر القبض على دمرداش، وسبب ذلك بتفصيل أكثر مما أورده النويري هنا. وانظر أيضا (كنز الدرر وجامع الغرر ٩/٣٤٥ - ٣٤٨).

(٣) في هذه العبارة إشارة إلى أن ما نعبّر عنه اليوم بحق اللجوء السياسي كان معروفا حينذاك، وكذلك تبادل المجرمين.

(٤) ما بين الحاصرتين زيادة من السلوك (٢٩٩/٢).

فلما كان فى ليلة الخميس رابع شوال من هذه السنة أُخْرِجَ تَمُرْتاش من معتقله بالبرج، وفتح باب السَّرِّ^(١) من جهة القرافة، وأُخْرِجَ منه وهو مقيد مغلول [وقد جُمِعَت يداه إلى عنقه]^(٢) وطلب رسل الملك أبى سعيد، وشاهدوه على هذه الحال، ثم خُنق وشاهدوه بعد موته، وقُطِعَ رأسه وسلخ وصُبر وحُشى وأرسل السلطان الرأس إلى أبى سعيد، ودفن / (٢٧٢) الجسد بمكان قتله، وحضر الرسل إلى الخدمة السلطانية فى يوم الخميس رابع شوال، وركبوا فى خدمة السلطان فى يوم السبت إلى الميدان، ثم حضروا إلى الخدمة فى يوم الاثنين ثامن شوال، وشملهم بالخلع والإنعام، وأعيدوا إلى مرسلهم فى هذا اليوم، وتوجه أيضا الأمير سيف الدين أَيْتَمُش المحمدي برسالة السلطان إلى الملك أبى سعيد.

هذا ما كان من أخبار تَمُرْتاش على سبيل الاختصار، والله تعالى أعلم بالصواب^(٣).

فلنرجع إلى سياقة الحوادث فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وفى هذه السنة [توجه السلطان أيضا]^(٤) إلى الصيد بالوجه البحرى فى يوم الثلاثاء عاشر شهر ربيع الآخر، وتصيد بجهة البحيرة^(٥) وغيرها، وعاد إلى قلعة الجبل فى الثانية من نهار الخميس سادس عشرين الشهر، وهى السفرة التى كان تَمُرْتاش معه فيها.

ذكر وصول الأمير سيف الدين تنكز نائب السلطنة بالشام المحروس إلى الأبواب السلطانية وعوده

وفى يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر جمادى^(٦) الآخرة وصل الأمير سيف الدين تنكز نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس إلى الأبواب

(١) فى أ، ص ٢٧١ وفتح باب القلعة من جهة القرافة.

(٢) ما بين الحاصرتين لم يرد فى ك وأثبتناه من أ، ص ٢٧١.

(٣) فى كنز الدرر وجامع الغرر (٣٤٨/٩) لم ترد إشارة إلى أن تمرناش قد قتل، بل ذكر أن وفاته كانت طبيعية وعبارته: «ثم إن البلاد لم توافقه، فحصل له توغك، وسقط بالوفاة يوم الأربعاء ثانى وعشرين ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ».

(٤) ما بين الحاصرتين بياض فى ك والزيادة المثبتة من أ ص ٢٧٢.

(٥) هذه السفرة هى التى خرج معها تمرناش، وسبقت الإشارة إليها فى ص ٢٥٥ من هذا الجزء.

(٦) فى أ، ص ٢٧٢ جمادى الأولى.

السلطانية وشمله التشريف والإنعام والزيادة / (٢٧٣) فى إقطاعه ثم رُسِم بعوده إلى الشام، فعاد وتوجه فى عوده لزيارة الخليل صلوات الله عليه، والبيت المقدس، وشاهد العين التى أجريت إلى القدس الشريف، وكان قد جَرَد إليها من دمشق فى شوال سنة سبع وعشرين وسبعمائة الأمير سيف الدين قُطْلُوبِك بن الجاشنكير فتوجه ولازم العمل، واجتهد فيه، ووجد آثار قُنَى^(١) قديمة قد سدت، وقُلْفُطُ^(٢)، فيسر الله تعالى فتحها، ووصل الماء إلى القدس / فى شهر ربيع الأول من هذه السنة، ولما شاهد نائب السلطنة [المذكور]^(٣) العين رسم بعمارة حمام على فائض الماء^(٤).

ذكر وفاة قاضى القضاة شمس الدين بن الحريرى الحنفى وتفويض القضاء بعده إلى القاضى برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق

وفى يوم السبت خامس جمادى الآخرة بعد أذان العصر توفى القاضى شمس الدين محمد بن صفى الدين عثمان بن زكىّ الدين أبى الحسن بن عبد الوهاب الأنصارى الحنفى المعروف بابن الحريرى^(٥) قاضى الحنفية بالديار المصرية، وكانت وفاته بالمدرسة الصالحية^(٦) النجمية بالقاهرة المحروسة، وكان قد مرض وطالت مرضته، فركب فى أثناء مرضه مرارا إلى المدارس لإلقاء الدروس، وحضر دار العدل الشريف، ثم عاوده المرض غير مرة، وتمادت العلة به حتى مات، رحمه الله تعالى^(٧) ودفن فى يوم الأحد بالقرافة الصغرى بتريته التى أنشأها، ومولده فى عاشر صفر سنة ثلاث وخمسين وستمائة، وخلف تركة طائلة، وكان رحمه الله تعالى قاضيا عالما بمذهبه، شديداً فى أحكامه، غير متحاش من أرباب الدولة من الأمراء وغيرهم.

(١) كذا فى أ، و ك، وحقه أن يرسم بالألف فهو اسم جنس جمعى للقناة: المجرى الضيق للماء والجمع قنوات.

(٢) كذا فى أ و ك ولعل أصله من قلفط السفينة إذا أعدها، وسد خلالها بالليف والقار لفة فى جلفط.

(٣) الزيادة من أ ص ٢٧٣.

(٤) فى السلوك (٣٠٢/٢) أن العمل فى هذه العين استغرق سنة، وأنه بنى لها حوضا سعته نحو مائتى ذراع، وأنشأ إلى جوارها خانقاة وحماما وقيسارية، فعمرت القدس.

(٥) ترجمته فى السلوك (٩٣/٤) والوافى بالوفيات (٩٠/٤) وشذرات الذهب (٨٨/٦) وكلها تذكر أن مولده فى صفر سنة ٦٥٣هـ، وانفرد النورى هنا بتحديد يوم مولده من الشهر.

(٦) المدرسة الصالحية: نسبة إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، وانظر فى تحديد مكانها الحالى (النجوم ١٩٠/٦ حاشية ١).

(٧) نهاية ص ٢٧٣ من نسخة أ، وتبدأ ص ٢٧٤ فيها بعد انقطاع نحو عشرين صفحة من نسخة ك.

ولما توفي رحمه الله تعالى تُحَدَّثُ مع السلطان في ولاية القضاء،
واعْتُنِيَ عنده بقرم، ثم وقع الاختيار على القاضي بُرهان الدين [إبراهيم]
المذكور بن القاضي كمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي بهاء الدين أحمد
ابن الشيخ زين الدين علي بن عبد الحق^(١)، فرسم بطلبه من دمشق، وكتب
لنائب السلطنة بها، وتوجه البريد بذلك في يوم الثلاثاء ثالث الشهر، وكان
وصوله إلى القاهرة المحروسة في يوم السبت السادس والعشرين من جمادى
الآخرة، ومثل بين يدي السلطان، وفوض إليه القضاء، وما كان بيد القاضي
شمس الدين الحريري من المدارس والأوقاف، وخلع عليه وأنعم عليه ببغلة،
وأُنزل إلى المدرسة الصالحة بالقاهرة، وحكم في بقية يومه، وجلس بدار العدل
في يوم الاثنين الثامن والعشرين من الشهر، وأُجْلِسَ دون قاضي القضاة تقي
الدين بن الأخنائي^(٢) المالكي على العادة القديمة.

ذكر عود رسل السلطان من جهة الملك أزيك ووصول

رسله، وعودهم إلى مرسلهم

وفي يوم السبت العاشر من شهر رجب عاد الأمير سيف الدين أطوحي^(٣)
ورفيقه من جهة الملك أزيك صاحب صراي^(٤) والبلاد الشمالية، وصحبته رسل
الملك أزيك، فمثلوا بين يدي السلطان، وأحضروا ما معهم من الهدايا
والتقادم، وأدوا الرسالة، فشملهم الأنعام والخلع على عادة أمثالهم، وأنزلوا
بالميدان، وتكرر حضورهم بين يدي السلطان، ثم أحضروا في يوم الخميس
حادي عشر شوال من السنة إلى مجلس السلطان، وعاد وخلع عليهم تشاريف
طُرْدُوخْش مُذْهَب، ورسم بعودهم إلى مرسلهم، فتوجهوا إلى ثغر الإسكندرية في

(١) ترجمته في الدرر (٤٧/١) وتتمه اسمه كما ورد فيه: (إبراهيم بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن يوسف بن إبراهيم الحنفي) وقد ولي قضاء الحنفية عشرين سنة وعاد إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ ومات بها سنة ٧٤٤هـ، وانظر (السلوك ٦٥٨/٢).

(٢) تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة الأخنائي المالكي: ترجمته في الدرر (٤٠٧/٣) والشذرات (١٠٣/٦) والوافي بالوفيات (٢٧٢/٢).

(٣) الضبط من السلوك (٢٩٦/٢).

(٤) في السلوك (٢٩٦/٢) ملك القيقاق، والمقصود بهما واحد.

يوم السبت العشرين من الشهر، وتوجه من جهة السلطان الأمير سيف الدين أطارس أنان^(١) أحد أمراء العشرات، وصحبته عمه تيلق^(٢).

وفيها في يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر رجب الفرد عقد نكاح الأمير سيف الدين طُغَيْتَمُر^(٣) العمرى الناصرى أحد الأمراء المماليك السلطانية مقدمي الألف علي إحدى بنات السلطان، ورسم السلطان بإعفاء الأمراء من التقادم، وحمل الشمع، وأنعم على الأمير المشار إليه من مال السلطان بأربعة آلاف دينار عوضا عما كان يصل إليه من تقادم الأمراء.

ذكر مقتل الأمير بدر الدين كُبَيْش أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وتولية أخيه طُفَيْل

وفى يوم السبت مستهل شعبان من هذه السنة وثب أولاد الأمير وَدَيَّ بن منصور بن جَمَاز بن شَيْحَه على الأمير بدر الدين كُبَيْش أمير المدينة النبوية فقتلوه خارج المدينة، ووصل الخبر بذلك إلى الأبواب السلطانية في أواخر الشهر، ففوض السلطان الإمرة لأخيه الأمير سيف الدين طُفَيْل، وكان قد حضر إلى الأبواب السلطانية، فخلع عليه، وتوجه إلى المدينة النبوية.

وفيها في شهر رمضان فوض السلطان قضاء المدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - والخطابة بها لصاحبنا وأخينا في الله تعالى القاضى شرف الدين محمد بن القاضى عزالدين محمد بن الشيخ كمال الدين أحمد بن الشيخ جمال / الدين إبراهيم بن يحيى بن أبى المجد اللخمي (٨٨) المعروف جد أبيه جمال الدين بالأسيوطى، ولى القضاء عوضا عن شرف الدين يعقوب المدنى، والخطابة عوضا عن القاضى بهاء الدين موسى بن سلامة، وخلع عليه، ورسم له بمال، يوفى منه ما عليه من الدين، وتجهز ببقيته، وكانت ديونه تزيد على سبعة آلاف درهم، وتجهز أحسن جهاز، وتوجه صحبة الركب في شوال، كتب الله سلامته، وأعانه على ما ولاه.

(١) لم يتضح فى الأصل ولم أجده فى المقرئى، ولا فى النجوم، ولعله تحريف سيف الدين أبناق الذى أصبح فيما بعد من مقدمى الألف، وكان من خواص الناصر وتوفى سنة ٧٣٦هـ.

(٢) كذا فى ك، ولم أجده ولعله تحريف بيلك.

(٣) فى السلوك (٢٩٦/٢) والنجوم (٨٩/٩) رسم: طغاي تمر، وفى الدرر (٢٢٣/٢) رسمه: طغيتمر كما جاء هنا. والضبط من النجوم (٨٩/٩ و ١٠٣).

ذكر ما قرر من استيثار^(١) الدولة الناصرية

ومن رتب من المباشرين

وفى هذه السنة فى شوال منها حسن (جماعة)^(٢) للسلطان أن يُؤفّر من جامكية مباشرة الدولة الشريفة، ومباشرى المعاملات بالقاهرة ومصر والأعمال البرانية وأرباب الوظائف جملة، ومنهم من وُقّر.

فلما كان فى يوم الأحد رابع عشر شوال قرئ الاستيثار على السلطان وتعين من توفر، ثم أحضر مباشرى الدولة فى يوم الاثنين، وتجدد الحديث فى ذلك، فلما انفصلوا من بين يديه رُسم بطلب الصاحب أمين الدين عبد الله^(٣)، فطلب من داره فحضر ومثل بين يدى السلطان بعد العصر، وخُلع عليه وعلى القاضى مجد الدين بن لُقَيْتَة^(٤) بغير طرحات^(٥)، ورُتبهما السلطان فى نظر النظار والصحبة، ونقل القاضى شمس الدين بن قَرْوِينَة ناظر الدواوين إلى نظر البيوت^(٦) السلطانية، وخلع عليه أيضا معهما، وباشر الصاحب أمين الدين النظر وكشف الرواتب، وأوقف أربابها إلا بعد العرض على من ندب لذلك، ومن عُرِض شُطِب اسمه، وكتب إلى سائر الممالك الشامية الساحلية بأوقاف أرباب الرواتب المقيمين بالديار المصرية المرتبّين على الشام، ولا يصرف لأحد منهم شىء إلا بتوقيع جديد لاستقبال شوال من السنة، وشدد فى ذلك، فاجتمعت به، وسألته عن هذا الحال ومقصده فيه، فحلف لى بالله أنه لا غرض له فى قطع مُستحق، وأن غرضه فى الكشف، والعرض أن جماعة من أرباب الرواتب درجوا

(١) يفهم من عبارة المؤلف هنا أن المراد بالاستيثار السجل الذى تدون فيه الرواتب والأرزاق، وكذلك أورده المقرئ فى (السلوك ٨٥٠/١) وعبارته: «وفيهما - يعنى سنة ٦٩٧هـ - رسم بعمل استيثار يجمع أرباب الرواتب ليحضروا بتوقيعهم للعرض على منكوتمر ليقطع من يختار منهم».

(٢) الزيادة عن السلوك (٢٩٨/٢).

(٣) فى السلوك (٢٩٨/٢) أمين الدين عبد الله بن الفنام، وترجمته فى ابن حجر (٢٥١/٢) ولم يرد فى نسبه «الفنام».

(٤) فى ابن حجر (الدرر ٥٣/١) إبراهيم بن لفيتته: مجد الدين ناظر الدولة كان نصرانياً فأسلم مات فى جمادى الأولى سنة ٧٣١هـ.

(٥) فى «ك» بغير حاجات، ولعله تحريف، وما أثبتناه عن السلوك (٢٩٨/٢).

(٦) انظر البيوت السلطانية فى المقرئ (الخطط ٢٠٥/٢).

بالوفاة، وتسمى غيرهم بأسمائهم، وقبض مرتبهم ممن للكتّاب بهم عناية، وأن ذلك لا يتميز له إلا بالعرض والكشف، ثم كتب قصّة^(١) بعد ذلك إلى السلطان يطلب فيها الإعفاء من المباشرة، فلم يُجب إلى ذلك، فكتب قصّة ثانية، فأجيب إلى سُؤله، وأعفى من المباشرة بعد العصر من يوم الأربعاء تاسع عشرين ذى القعدة، وهو سلّخة، فكانت مدة مباشرته أربعة وأربعين يوماً تحريراً.

وفيها فى يوم الاثنين تاسع شوال عُقد نكاح الأمير سيف الدين منكلى بـغا السلاح دار الناصرى على الخوند دُلُنبِيَه^(٢) زوج السلطان - كانت - وهى التى وصلت من بلاد أزيك وهى من البيت الجُنكزخانى، وكان السلطان قد أبانها بالطلاق، وبنى الأمير سيف الدين بها فى ليلة الخميس ثانى ذى القعدة.

ذكر الإفراج عمن يذكر من الأمراء والمعتقلين

وفى هذه السنة فى يوم الخميس ثامن ذى الحجة أمر السلطان بالإفراج عن الأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير المنصورى المعروف بزيرباج^(٣) وقد ذكرنا اعتقاله فى يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الآخر لسنة اثنتى عشرة وسبعمائة، فكانت مدة اعتقاله ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام، وأفرج أيضاً فى هذا اليوم عن الأمير جمال الدين فرج بن الأمير شمس الدين قَراسُنْقَر المنصورى^(٤) وأفرج فى يوم الجمعة - يوم عرفة - عن الأمير علم الدين سَنَجَر الجاولى، وقد ذكرنا أنه كان قبض عليه فى يوم الجمعة ثامن عشرين شعبان سنة عشرين وسبعمائة، فكانت مدة اعتقاله ثمانى سنين وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً^(٥).

(١) المراد بالقصة - فى أسلوب النويرى، وعند مزرحى هذه الفترة - ما نسميه اليوم ملتسماً؛ أو شكوى.

(٢) فى السلوك (٢٩٨/٢) طلباى، وقد سبقت الإشارة إلى ضبط هذا الاسم.

(٣) تتفق عبارة النويرى هنا مع ما أورده المقرئى فى السلوك (٢٩٨/٢ و ٢٩٩) فى خبر الإفراج عن هذين الأميرين، وزاد المقرئى: أن الأول كان فى سجنه يغزل الصوف ويعمل منه كوافى بديعة ويبيعها، وأن الثانى كان ينسخ القرآن وكتب الحديث وغيرها.

(٤) فى السلوك (٢٩٩/٢) أنه أعيد إلى سجنه فى يومه.

(٥) فى المصدر السابق ورد هذا الخبر فى موضعين أولهما فى ص ٢٩٩ وتتفق عبارته فيه مع ما أورده النويرى هنا والثانى فى ص ٣٠٤ وفيه أن مدة سجنه ثمانى سنين وثلاثة أشهر وتسعة أيام.

وفيهما فى يوم الاثنين ثانى عشر ذى الحجة توجه السلطان إلى الصيد بجهة سرياقوس، وتصيد بتلك الجهة، وعاد إلى قلعة الجبل عشية نهار الجمعة سادس عشر الشهر، فأقام بقلعة الجبل إلى آخر يوم الأربعاء الثامن والعشرين من الشهر، وتوجه فى بكرة نهار الخميس تاسع عشرين الشهر إلى الصيد بجهة سرياقوس.

(٨٩) وفيها فى آخر نهار / الثلاثاء السابع والعشرين من ذى الحجة وصل إلى الأبواب السلطانية من الحجاز الشريف - ممن وقف بعرفة فى هذه السنة - سيف الدين ألتاق السيفى أحد مماليك الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار ورفيقه أحد مماليك الأمير سيف الدين طُقُزْدَمَرُ العمادى^(١) ومثلاً بين يدي السلطان فى بكرة نهار الأربعاء، وشملهما الإنعام والتشريف على عادة أمثالهما، وأخبرنى سيف الدين ألتاق المذكور أن الوقفة بعرفة كانت يوم الجمعة من غير شك فى ذلك، وأن الحاج فى خير ورخاء، وأن المياه كانت كثيرة متيسرة ولله الحمد على ذلك، وسألته عن يوم مفارقتها الحاج، فذكر أنه ركب من مكة شرفها الله تعالى بعد المغرب من نهار الاثنين ثانى عشر الشهر، فمدة سفره خمسة عشر يوماً وتسع ساعات، وقد ذكرنا فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وصول أوجى مملوك قِجْلِس وطُرُنْطَاى الكرىمى فى اثنى عشر يوماً وتسع ساعات.

ذكر متجددات كانت بدمشق فى هذه السنة

من ذلك كانت عمارة الحائط القبلى بالجامع الأموى، وذلك أنه فى أول شهر ربيع الأول فُكَّ الرخام الذى بالجدار القبلى من الجهة الغربية ليُصْلَح ويُعاد، فظهر فى الحائط عند كشفه ميل ظاهر، فأخر إصلاحه إلى أن عاد نائب السلطنة من الديار المصرية، فطُوع بذلك، فحضر فى يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر إلى الجامع، وصحبته قاضى القضاء علاء الدين وغيره، وأحضر المهندسين، وعُمِلَ تقدير ما يحتاج إليه لِنَقْضِهِ وإعادته، فكان مائة ألف درهم، فطُوع السلطان بذلك، فورد المِثَال السلطانى بهدمه وإعادته فى يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى، فهدم الحائط بعد صلاة الجمعة، فنقض منه ثمانية

(١) كذا فى ك، وفى السلوك (٣٠٣/٢) والدرر (٢٥٥/٢) طقزدمر الناصرى.

مَعَاذِبَ وَعَشْرَةَ أوتار جسورة^(١)، وانتهوا إلى نقض الحجارة في يوم الجمعة ثالث جمادى الآخرة، وحضر نائب السلطنة، وشاهدها قبل نقضها، فنقضت، وهى حجارة كبار تشبه عمارة^(٢) القلاع، وانتهوا إلى الأساس في يوم الجمعة سابع عشر الشهر، وحصل الشروع في البناء في يوم الأحد تاسع عشر الشهر، وانتهت عمارة الحائط في خمسة وعشرين يوما.

وَجُدَّ في الحائط محراب يشبه المحراب المعروف بمحراب الصحابة الذي في الجهة الشرقية بين باب الزيارة وباب الخطابة، واستقر أن يُصَلَّى فيه أمام الحنفية، وكملت العمارة وإعادة السقف وغيره في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر رجب، وخلع على ناظر الجامع والمشد والمغاربة في هذا اليوم، وفرش الجامع على عادته في يوم الجمعة ثالث عشرين شهر رجب، وصُرف علي عمارته - فيما قيل - نحو خمسين ألف درهم، ووُجد سُلَّم عظيم لصومعة مبنى بالحجارة المنحوتة، فنقض السلم، وحملت حجارتها على العتالين إلى هذا الحائط، فعُمِّر^(٣) به، وأعان ذلك إعانة كبيرة، ولولا ذلك لاحتاج إلى كلفة عظيمة، ورُخِّمَ الحائط، فكان الفراغ من ترخيمه في يوم الخميس سادس عشرين صفر سنة تسع وعشرين، وصُلِّيَ تحت الحائط بعد ترخيمه في يوم الجمعة سابع عشرين الشهر، وفتح باب الزيارة - وكان قد أغلق بسبب العمارة - واستقر في أمر الأئمة وترتيبهم في الصلاة في صلاة العصر من يوم الجمعة ثالث عشرين شهر رجب من هذه السنة ما ذكره، فصلى إمام الكلاسة^(٣) أولا على عادته، وصلى بعده إمام مشهد على بن زين العابدين بن الحسين بن على رضى الله عنه، وصلى الخطيب بعدهما، وهو إمام الشافعية، وصلى بعده إمام الحنفية في المحراب المستجد، ثم إمام المالكية نقل إلى محراب الصحابة، وبعده إمام الحنابلة صلى بالمحراب الذي كان المالكي يصلي فيه غربى الجامع بمقصورة الخطابة، ووسع المحراب المذكور، ورفع عنه العمارة، وصلى بعده إمام مشهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وبعده إمام

(١) كذا في الأصل، ولم يتضح لنا مراده.

(٢) العمارة: البناء، ومراده ما تبنى به القلاع من حجارة كبار.

(٣) الكلاسة (انظر الحاشية رقم (١) ص ٢٤٣ من هذا الجزء).

مشهد ابن عروة، ونقل الإمام الذي كان يصلى بمحراب الصحابة إلى محراب الكلاسة القديم بالمعلوم الذي كان له بمحراب الصحابة، واستقرت الحال على ذلك.

وفيها فى أول ليلة السبت خامس جمادى الأولى وقع حريق عظيم بسوق القرّائين بدمشق، كان مبدؤه من دكان قُطّان فى طريق قيسارية الفرش، وامتد إلى سوق القرّائين وإلى القيسارية المستجدة وقيسارية البيمارستان وبعض حوانيت سوق على، وعجز الناس عن طْفِيهِ، واستمرت النار إلى يوم الأحد، ثم طُفِي.

وفيها أمر نائب السلطنة بدمشق بعمارة المدارس بها، ومنع من التصرف فى شىء من ريع الأوقاف إلى أن تكمل عمارتها، ففعل ذلك، ورسم بتقرير مال يُجْبَى لعمارة قُنَى بدمشق، فقرر لذلك نحو ثلاثمائة ألف درهم، وتنب لعمارة القنى ناصر الدين النُجيبى، فعمر منها فى هذه السنة إلى آخر سنة تسع وعشرين إحدى وعشرين قنّة، وبقي نحو أربع قنّى تُعْمَر إن شاء الله فى سنة ثلاثين وسبعمائة.

/ وفيها فى يوم الاثنين تاسع عشر جمادى الآخرة ورد مرسوم شريف (٩٠) سلطانى إلى دمشق بمنع الشيخ تقى الدين أحمد بن تَيْمِيّة من الكتابة مطلقا فى التصنيف والفُتْيا، فأخذ ما عنده من الكتب والأوراق والدواة والأقلام وأودع ذلك عند متولى قلعة دمشق، فكان عنده إلى مستهل شهر رجب، ثم أرسل المتولى ذلك إلى قاضى القضاة علاء الدين، فجعل الكتب فى خزانة المدرسة العادلية، لأنها كانت عارية^(١)، وأما الأوراق التى كانت بخطه من تصانيفه فكانت نحو أربع عشرة ربطّة، فنظر القضاة والفقهاء فيها، وقرّنت بينهم.

(١) هذه إشارة واضحة إلى أن نظام إعارة الكتب كان معروفا لديهم فى هذا الوقت.

وكان سبب ذلك أنه وُجد له جوابٌ عما رَدَّه عليه قاضى القضاة تقى الدين المالكى، فأعلم السلطان بذلك، فاستشار قاضى القضاة، فأشار بذلك، فرسم به، فحينئذ عدل الشيخ عن ذلك إلى تلاوة القرآن.

وفيها فى يوم الخميس الثالث والعشرين من جمادى الآخرة رسم القاضى الصدر علاء الدين على بن الصدر المرحوم شرف الدين محمد بن محمد التميمى القلانسى^(١) - أحد كتاب الإنشاء بدمشق المحروسة - أن يجلس بين يدي نائب السلطنة يوقع على القصص المرفوعة، عوضاً عن أخيه جمال الدين القاضى، بما كان له من المعلوم على وظيفة الكتابة، وأن يستقر ما كان باسم القاضى جمال الدين من المعلوم عن الوظيفة المذكورة له على قضاء العسكر الشامى، وُخِّلَ عليهما بسبب ذلك، والله أعلم.

ذكر حادثة السيل بعجلون^(٢)

وفى هذه السنة فى يوم الأربعاء ثامن عشرين ذى القعدة كانت حادثة السيل بمدينة عجلون، وورد محضر بذلك إلى دمشق نسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذى يُرْسِلُ آياته تخويفاً للعباد، ويريههم باهرات قدرته ليسلكوا سبل الرشاد، ويظهر لهم جبروته فى ملكوته، ليحسنوا لأنفسهم الارتياح، ويعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله لا يخلف الميعاد، ثم يدركهم برأفته ورحمته، ويكشف ما نزل بهم من المعضلات الشداد، ولما كان فى يوم الأربعاء ثانى عشرين ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة أرسل الله تعالى بقدرته ومشيتته بمدينة عجلون ريحا عاصفا، فأتارت سحابا ثقالاً هطلت بماء منهمر يُدَوَّى وريح زعزع، فلم تزل

(١) ترجمته فى ابن حجر (الدرر ١١٨/٣) وهو على بن محمد بن محمد بن نصرالله بن المظفر بن أسعد بن حمزة التميمى، علاء الدين القلانسى، مولده سنة ٦٧٣هـ ووفاته سنة ٧٣٦هـ.

(٢) عجلون: قلعة كانت من جهة الأردن، مبنية على جبل عوف الذى يسكنه قوم من بنى عوف من جرم قضاة فعرف بهم. وفى (مسالك الأبصار): كان فى مكانها دير راهب اسمه عجلون، فعرفت به، وهى حصن منيع على صفوه، ومدينة هذه القلعة هى الباعونة على شرط فرس من عجلون (المنهل الصافى ١٣٩/١ حاشية ٢).

الأمطار متواترة الهطل والبروق تلمع، وأصداء الجبال والأودية بأصوات الرعود للقلوب تصدع، حتى ظن أهلها أنها قد أزفت الآزفة، فارتفعت الأصوات بأن ليس لها من دون الله كاشفة، ولفت الرعوس، ووجلّت القلوب، وذرفت العيون، وطاشت الأبواب، وخضعت الرقاب، ومُدت الأيدي بالدعاء لمن بيده أمر الأرض والسماء، وعاینوا في ذلك اليوم هولاً عظيماً، وأشفقوا أن يكون أرسل الله عليهم عذاباً أليماً، فبينما الناس على ذلك الحال ذاهلين، يقولون ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾^(١) إذ دهمهم سيل عظيم ماؤه، طام عبابه هام سحابه، له دوى شديد، قد اجتمع من عيون الجبال ويطون الأودية وقرار الوهاد، فالتقى الماء على أودية بأمر قد قدر، إن في ذلك لآية فهل من مُدْكَرٍ^(٢)، فارتفع العويل، وسُكِبَتِ الْعَبْرَاتِ، واشتد الخوف، وتضاعفت الحسرات، وفر كل واحد من الناس يطلب النجاة لنفسه، واحتسب عند الله جميع ماله وعقاره وعرسه، فأخذ هذا السيل العظيم ما كان في ممره من الدور والقياسير والأسواق، ودخل الطواحين والبساتين، وأخذ جانباً من حارة المشاركة المجاورة للوادي، وأخذ العرصة وسوق الأدميين، وسوق القطانين، وبعض دار الطعن وسوق الأقباعين، وسوق الخليج، وقيسارية التجار المعروفة بإنشاء الأمير سيف الدين بَكْتَمُر، والقيسارية القديمة، وأخذ من قيسارية ملك الأمراء الموقوفة على البيمارستان بصَفْدَ عشرين حانوتا، وضعضع بقية الجُدُر، وهدم الأبواب وهدم سوق الصاغة، وهدم سوق النامية، الذي بقرب العين، وهدم وقف الجامع، وسوق السقطيين، وأما السوق المعروف بإنشاء الأمير علاء الدين بن معبد وسوق اللحامين وحوانيت الخبازين فإنه أخذه، وأخذ السوق المعروف بإنشاء الأمير سيف الدين النائب كان بقلعة عجلون، والحوانيت المعروفة بوقف القاضي فخر الدين ناظر الجيوش المنصورة بالديار المصرية الموقوفة على مدرسته بنابلس وأخذ المدرسة النفيسية^(٣)

(١) سورة الأعراف ٢٣.

(٢) اقتباس لأسلوب القرآن، في الآية الكريمة «ولقد تركناها آية فهل من مدكر؟».

(٣) في «ك» النفيسة» وصوابه «النفيسية» وهي «بالرصيف، قبلى المارستان الدقاقى، وباب الزيارة (وهو باب الجامع الأموى القبلى) قال الذهبى فى العبر: أنشئت سنة ٦٩٦هـ، وهى منسوبة إلى النفيس إساعيل بن محمد بن عبد الواحد بن صدقة الحرانى ثم الدمشقى ناظر الأيتام، وواقف النفيسية بالرصيف (الدارس فى تاريخ المدارس ١/١١٤).

(٩١) وهدم رُواق الجامع القبلي وباب الجامع الشرقي، وهدم جانباً من الحمام الصالحي / المعروف بأمير موسى، وبعض الحمام السلطاني، وأخذ ظهارة^(١) الجامع والمربعة والمسلخ المعروف بابن معبد، وأخذ ما كان في مجراه من الجسور والقناطر والأقباء^(٢) التي كان يجوز الناس عليها عندما تُمَدُّ الأودية وعدم من عجلون تقدير عشرة أبقار، وهذه قدرة الملك الجبار، فاعتبروا يا أولى الأبصار، وكان مدة تواتر الأمطار والسييل من أول ساعة من النهار المذكور إلى وقت العصر، وفي ذيل المشروح خط جماعة من الشهود.

هذا ما أورده الشيخ شمس الدين الجَزَرِي في تاريخه.

ونقل الشيخ علم الدين بن البرزالي في تاريخه نسخة الكتاب الوارد من عجلون فقال:

الحمد لله المحمود في السراء والضراء، المشكور على الشدة والرخاء الذي يُخَوِّف عباده بما شاء من معضلات اللأواء، ويريههم باهرات قدرته في ملكوت الأرض والسماء، ثم يعود عليهم برحمته، ويجللهم بسوايغ النعماء، أحمده حمداً يزيد على الإحصاء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العظمة والكبرياء، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء، ومبلغ الأنبياء صلى الله عليه وعلى آله الأمانة، وأصحابه الأتقياء، صلاة دائمة بلا نفاد ولا انقضاء، وبعد: فإنه لما كان بتاريخ نهار بكرة الأربعاء ثاني عشرين ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة أرسل الله تعالى بقدرته ريحا عاصفة، فأتارت سُحْباً واكفة^(٣) في خلالها بروق خاطفة، ليس لما جاءت به من دون الله كاشفة فطبقت الوهاد، وجللت الآكام، وأطبقت على مدينة عجلون وما قاربها من أرض الشام، ثم أرخت عزاليتها^(٤) كأفواه القرب، حتى خُيِّلَ لمن رآها أن الوعد الحق قد اقترب، فلم يكن إلا كحلب شاة من الضأن، أو ما قارب ذلك من الزمان،

(١) الظهارة - من الثوب وغيره: ما يظهر للعين، وهو خلاف البطانة.

(٢) جمع قبر: الطاق المعقود بعضه إلى بعض في البناء على شكل قوس (المعجم الوسيط).

(٣) يقال: وكف الماء وغيره وكفاً ووكيفاً: سأل وقطر، والواكف: المطر المنهل.

(٤) يقال: أرسلت السماء عزاليها: انهمرت بالمطر (المعجم الوسيط).

حتى صارت مدينة عَجْلُون كما قال الله تعالى في كتابه المكنون: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾^(١) فَوَجَلَتِ الْقُلُوبُ لِهَوْلِ ذَلِكَ وَتَصَدَّعَتْ، وكادت الحوامل أن تضع حملها وتذهل كل مرضعة عما أرضعت^(٢)، واندعش أهل البلد عند معاينة هذا الهول الكبير، واختلفت همومهم، فكل إلى ما اشتمل عليه قلبه يشير، فمن باك على ما فى يده من متاع الدنيا الحقير، ومن مشفق خائف على ولده الصغير، ومن غريق عدم نفسه النفيسة، ما له من ملجأ يومئذ وما له من نكير، ومن ناج يقول: أشهد أن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير، ومن ضارع إلى من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ومن قائل: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٣) ولسان الحال يتلو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٤) ولم تزل الأمطار متواترة، والسيول من كل فج متواترة، حتى تحير من حضر ذلك من الإنس والجان، وشغلوا بما عاينوه عن الأموال والأولاد والإخوان، وظنوا أنهم أحيط بهم، وجاءهم الموج من كل مكان، فتلاقى على البلد واديان: أحدهما من شمالها يسمى الجود والآخر من شرقها يسمى جنان^(٥)، فأخرب وادى الجود بهذه الآية الخارقة جانباً من حارة المشاركة، ودُمِّرَ وادى جنان ما كان على جانبه من البنيان، ثم اختلطا فرأى الناس منهما ما لا يطاق، وأخربا ما مرا عليه من رباع وقياسير وأسواق، فأخربا العرصة والمصبغة والفرانين والعلافين، وحوانيت الدق وسوق الأدميين وسوق البُر العتيق والأقباعية والقطانين، وحوانيت الصاغة وما يليها من البساتين، وردم أمام دار الطعم^(٦) - بعد إخراج بعضها - أحجاراً وصخوراً، وكل ذلك لِيَتَّعِظَ أَهْلُ الْمَكْرِ وما يزيدهم إلا

(١) سورة القمر (١١ و ١٢).

(٢) من الآية الكريمة ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ الحج (٢).

(٣) سورة الممتحنة، الآية ٤.

(٤) سورة الشورى، الآية ٣٠.

(٥) فى مرأصد الاطلاع ١ / ٣٤٩: باب الجنان موضع بالركة - رقة الشام، وياب من أبواب حلب. ورجبة من رحاب البصرة.

(٦) فى نسخة المحضر السابقة «دار الطعن».

سبعة أنفار^(١) ولو كان - والعباذ بالله - ليلاً لزادوا على الإحصاء فى المقدار ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٢)، وليس الخبر فى جميع ما ذكرنا كالعيان، ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان.

وفى هذه السنة فى يوم الخميس سادس عشر صفر توفى الشيخ الصالح المعروف بقوام الدين عبد المجيد بن أسعد بن محمد الشيرازى شيخ الخانقاة بالجامع الناصرى بساحل مصر المحروس، ومولده - كما أخبرنى - رحمه الله تعالى - فى تاسع عشر صفر سنة ثمان وثلاثين وستمائة بشيراز، وكان عمره تسعين سنة إلا ثلاثة أيام. سمع من الشيخ عز الدين الفاروئى، وله إجازة بخطه شاهدتها، وقد جعل فيها لكل من جعل خطه تحت خطه فيها أن يروى عن الشيخ عز الدين المذكور ما يجوز له روايته، وكتبت خطى تحت تلك الإجازة، فصار لى بهذا الاعتبار أن أروى عن الشيخ عز الدين الفاروئى بالإجازة.

وتوفى الأمير الكبير سيف الدين جوبان^(٣) المنصورى أحد الأمراء الأكابر مقدمى الألف بدمشق وكانت وفاته فى ليلة الثلاثاء العشرين من صفر بداره بظاهر دمشق، ودفن بتريته بالمزة^(٤)، وأنعم بإقطاعه على الأمير شهاب الدين قَرَطَاى الصالحى العلائى، عوضاً عما كان بيده من الاقطاع.

وتوفى فى النصف من يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من صفر القاضى موفق الدين عبد الرحيم بن الأسعد بن المعتمد، وهو من مَسَالِمَةِ^(٥) القِبْط، وكان فى

(١) المفرد نفر، وهو اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة يقال هؤلاء عشرة نفر، أى عشرة رجال (لسان العرب).

وعلى هذا فكان حقه أن يقول «... إلا سبعة نفر» إن كان مراده بالسبعة هذا العدد المفرد.

وفى: الوسيط: «والنفر: المفرد من الرجال (محدثة).

وأخشى أن يكون تعريف «أبقار» فى المحضر السابق «وعدم من عجلون تقدير عشرة أبقار».

(٢) سورة آل عمران (١٣).

(٣) ترجمته فى الدرر (٥٤٢/١) والسلوك (٣٠٤/٢) والنجوم (٢٧٤/٩).

(٤) الضبط من النجوم (٢٣٥/٩) وفى مراصد الاطلاع ١٢٦٦/٣: المزة - بكسر الميم - قرية كبيرة غناء فى أعلى الغرطة فى سفح الجبل من أعلى دمشق.

(٥) فى اللسان (مادة س ل م) يقال: كان فلان كافراً ثم هو اليوم مسلمة - بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه - والجمع مسالم، زيدت التاء فيه مثل زيادتها فى قشاعة.

ابتداء أمره يتولى عمالة قَلْيُوب، ثم تنقل في المباشرات إلى أن ولى استيفاء ديوان الأمير سيف الدين سَلَّار نائب السلطنة كان، وحصل أموالا جلييلة، ثم ولى استيفاء النظر بالباب السلطاني، وانتقل منه إلى نظر الدواوين، إلى أن عزل في سنة أربع وعشرين وسبعمائة - كما ذكرنا - ولزم داره، ورتب له من الصدقات السلطانية في كل شهر ثلاثمائة درهم، إلى أن مات في التاريخ المذكور، وكانت وفاته بداره بشاطئ النيل بمصر بقرب صناعة الإنشاء، ومولده في سنة أربع وخمسين وستمائة.

وفيهما في ليلة الاثنين رابع عشر جمادى الأولى توفي الشيخ الإمام العالم الصالح الورع السيد الشريف تقي الدين أبو الفتوح محمد بن الشيخ^(١) ضياء الدين جعفر بن الشيخ محمد بن الشيخ القطب عبد الرحيم بن أحمد بن [أحمد] ابن حَبُّون الحَسَنَى الشافعى شيخ خانقاة الأمير بهاء الدين أرسلان الدَّوَادار بمنشأة المِهْرَانَى^(٢)، وصُلِّي عليه بكرة النهار، ودفن بالقرافة، وكان رحمه الله تعالى حسن الصحبة والعشرة والمودة، وله نشر جيد، ومولده في سنة خمس وأربعين وستمائة تقريبا .

وتوفى في يوم الأربعاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة الشيخ كمال الدين []^(٣) الغمارى المغربى، وكان رجلا مُنْقَطَعًا، لا يتردد إلى أحد، حسن اللباس والمأكَل، يأكل غالبا خبز الشعير، ويطعم أهله ما يختارونه من الأطعمة وكان من فقهاء المالكية، وكنت أعهد له كشفا، اجتمعت به في سنة سبعمائة وهو يوم ذاك بالمدرسة الشريفة^(٤) بالقاهرة، وكاشفنى في قضية

(١) الزيادة عن (الدرر ٤١٥/٣) وفي الوافى بالوفيات (٣٠٧/٢) لم ترد هذه الزيادة، وقد ذكر أن وفاته في سنة ٧٢٨ هـ، وهو بذلك يوافق النويرى هنا، ويخالفهما ابن حجر الذى ذكر وفاته ٧٢٧ هـ.

(٢) كذا فى ك، وفى المقرئى (الخطط ٣٤٥/١) حدد موضعها بين النيل والخليج الكبير وكان مكانها يعرف باسم الكوم الأحمر حيث كانت تعمل منه أقنعة الطوب، ولما أنشأ الوزير بهاء الدين بن حنا (بكسر الحاء) الجامع بخط الكوم الأحمر أنشأ الأمير سيف الدين بليان المهرانى دارا وسكنها وبنى إلى جوارها مسجداً عرفت هذه الخطة بمنشأة المهرانى، وفى النجوم (١٨٤/٩) حاشية (٣) أنها كانت واقعة بين سيالة الروضة والخليج المصرى بأوله من جهة فم الخليج.

(٣) هكذا بياض بالأصل وتقدم (فى ص ١٨٩) ذكر من اسمه نجم الدين سعيد بن أحمد بن عيسى الغمارى المالكى، وأظنه غير المذكور هنا.

(٤) فى النجوم ٦٧/٩ حاشية (٣) المدرسة الشريفة هى المعروفة الآن بجامع بيبرس الخياط بشارع الجردية بالقاهرة.

تتعلق بى، ف وقعت كما قال، ثم ذكر لى بعد ذلك قضية أخرى تتفق بى، فاتفق بعضها كما قال، وتأخر بعضها، فاجتمعت به بعد ذلك فى سنة ست وسبعمائة، وسألته عن حاله وما كنت أعهد فيه من الكشف، فأجاب: قد زال ما كنت تعهده منذ استقلت بهذه النُملة - يشير إلى ابنته فاطمة - وكان قد رزقها، وكانت من الذكاء على أمر عظيم لم يشاهد مثله من سرعة الحفظ، وجودة الاتقان مع صغر السن. أحضرت إلى مجلس شيخنا شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدُمياطى^(١) رحمه الله تعالى / لتسمع عليه جزءاً من مَسْمُوعاته، (٩٣) فامتنع أن يكتب اسمها إلا حضوراً، وقال: هذه صغيرة السن عن السماع، فلقنها معلمها سرى الدين أبو القاسم الزيدى الحديث الذى كانت تريد أن تسمعه، فحفظته بسنده، وأحضرها إلى الشيخ فجلست بين يديه، وعمرها يوم ذاك أربع سنين أو نحوها، فقالت مخاطبةً الشيخ: حدثك - رضى الله عنك الشيخ فلان - وسردت السند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحديث إلى آخره من حفظها فبُهِت الشيخ من ذلك، واستعظمه منها، وكساها فُوطَة حرير، وكتب اسمها سماعاً، أخبرنى بذلك معلمها سرى الدين المذكور، وكان صدوقاً رحمه الله، ثم اشتغلت بعد ذلك وقرأت الكتاب العزيز بالسبع، وأتقنت قراءته واشتغلت بالفقه والعربية والأصول وغير ذلك من العلوم، وكتبت الخط الجيد المنسوب عدة أقلام، فكانت تكتب الدُرُوجَ المشتملة على عدة أقلام كتابة جيدة، وتكتب فى آخرها: «كتبت فاطمة الغمارية» واشتغل والدها بأشغالها اشتغالا كثيراً، فلذلك قال لى ما قال، وأصيب بها، وكان رحمه الله تعالى صعب الخُلُق شديد الحرَج كبير الحدة ما اجتمع به أحد من الأمراء والأعيان والأكابر وفارقه عن رضى، وكان يَسُب من يجتمع به ويتركه أقبح سب عن غير تحاشٍ، ولعل ما حصل له من سوء الخُلُق نتج عن خشونة مأكله، رحمه الله تعالى وسامحه.

وتوفى فى ليلة الأربعاء سابع شهر رجب القاضى كمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى^(٢) بكر بن محمد بن محمود الحلبي البسطامى الحنفى

(١) ترجمته فى الدرر الكامنة (٤١٧/١) ومولده سنة ٦١٣ ووفاته سنة ٧٠٥ هـ وله ترجمة فى الشذرات (١٢/٦).

(٢) ترجمته فى الدرر (٣٢٦/٢) وقد أورد اسمه: عبد الرحمن بن أبى بكر بن أبى بكر بن محمد بن محمود البسطامى ثم الحلبي.

[ناب في الحكم ودرّس] ^(١) بالمدرسة الفارسانية بالقاهرة، ودفن من الغد بالقرافة، وكان قد مرض من مدة، وطالت مرضته وعجز عن الحركة وانقطع ولزم بيته، ونزل عن جهاته لولده الفقيه سراج الدين عمر ^(٢)، سمع كمال الدين بن النجيب عبد اللطيف وحدث، ومولده في سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

وتوفي في يوم السبت خامس عشر شعبان الأمير سيف الدين بكتمر الأبى ^(٣) بكرى في معتقله ببرج السباع بقلعة الجبل، وكان السلطان قد رسم بإحضاره من الكرك هو والأمير سيف الدين تمر الساقى ^(٤)، فأحضرا في شهر رجب من السنة، وقويت الشناعة أنه يفرج عنهما فاعتقلا ببرج السباع، واعتل المذكور ومات رحمه الله تعالى، وقد تقدم ذكر اعتقاله، وأنه كان في ليلة الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة، فكانت مدة اعتقاله ست سنين إلا ثمانية عشر يوما.

وتوفي في ليلة السابع عشر من شعبان صاحبنا ووالد صاحبنا الشيخ الصالح العدل شرف الدين أبو حفص عمر بن الشيخ معين الدين عبد الرحيم بن أبى القاسم بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن منصور بن حيدر الجزري الشافعي المعروف بالخياط، ويعرف أيضا بإمام قفجاق، وهو صاحب الشيخ أبى إسحاق اللوزي، وكانت وفاته بالقدس الشريف، وصلى عليه من الغد بالمسجد الأقصى، ودفن بمقبرة ماملا ^(٥)، ومولده في المحرم سنة سبع وأربعين وستمائة بالموصل، سمع من النجيب عبد اللطيف وغيره، وأسمع، وكان يؤم نواب السلطنة بدمشق الأمير حسام الدين لاجين المنصوري في نيابته بدمشق قبل سلطنته، ثم كان إماما عند الأمير سيف الدين قفجاق بدمشق وحماة، وهو من بيت مشهور معروف بالجزيرة العمرية بالتجارة والحشمة والاتصال بالملوك، وكان هو من أعيان الصوفية حيث حل بدمشق والقاهرة والقدس. صحبته رحمه الله تعالى، وصحبت ولده الشيخ أمين الدين

(١) الزيادة من الدرر (٢/ ٣٢٦).

(٢) كذا في الأصل، وفي ابن حجر (الدرر ٢/ ٣٢٧) و(١٦٩/ ٣) عمر بن عبد الرحمن بن أبى بكر البسطامى زين الدين.

(٣) في الدرر (١/ ٤٨٢) الأبى بكرى، وفي النجوم (٩/ ٢٧٤) والسلوك (٢/ ٣٠٤) البوبكرى.

(٤) ترجمته في الدرر (٢/ ٥١٩) وفيها: أنه كان من ممالك المنصور قلاوون، وأنه اعتقل بالكرك سنة ٧١٥ ثم حول إلى مصر، وأفرج عنه سنة ٧٣٥ ومات سنة ٧٤٣هـ.

(٥) كذا في ك، ولعلها الملا، وهى من ضواحي الرملة. وانظر: مرصد الاطلاع ٣/ ١٣٠٤.

محمد من سنة تسع وسبعمائة، وتأكدت الصحبة بيننا، فكانا من خيار من صحبت، وكان لى بهما اجتماع قبل ذلك، وكان رحمه الله كريما حسن الصحبة والمودة، وجلس مع العدول بدمشق والقاهرة وشهد على القضاة، وما زال يعظمه الأكابر والأمراء والوزراء ويُجلُّونه رحمه الله تعالى.

وتوفى فى آخر ليلة السبت المسفرة عن رابع عشر شهر رمضان الأمير جمال الدين خضر بن نُوكية^(١) أحد أمراء الطبلخانة بداره، بخط الهلالية بظاهر القاهرة، ودفن فى ليلة السبت، وكان قد مرض نحو ثلاثة أشهر وعوفى، وطلع إلى الخدمة السلطانية قبل وفاته بيومين، فى يوم الخميس ثانى عشر الشهر فبلغنى أن السلطان سألَه عن حاله، فلما خرج من الخدمة، قال السلطان لبعض خواصه من الأمراء لمن يُعطى خبزُ هذا؟ ف قيل له: وكيف يقطع السلطان خبزَه؟ فقال السلطان: «هذا ما يعيش أكثر من يومين» فكان كذلك، ولعمري لو قال هذا القول من يتصدى للناس ممن يُنسب إلى الصلاح والكشف لعدت من كراماته، ولهُرَع الناس إليه، وبلغنى أنه صلى الجمعة ببركة الحبش^(٢)، وأفطر فى ليلة السبت، وتسحر، ومات قبيل أذان الصبح.

وفىها فى ليلة السبت المسفرة عن سابع عشرين شوال كانت وفاة الأمير شمس الدين قَرَا سُنُقَر المنصورى^(٣) بمدينة مَراغة^(٤) من عمل أذربيجان^(٥)، ودفن فى مستهل ذى القعدة، وكان سبب تأخير دفنه أنه كُتِب إلى الملك أبى سعيد بخبر وفاته، واستؤذِن فى دفنه، فتأخر إلى أن ورد جوابه، ورد الخبر إلى الأبواب / السلطانية بوفاته فى يوم الثلاثاء حادى عشرين ذى القعدة، وقد (٩٤)

(١) فى السلوك (٣٠٥/٢) والنجوم (٢٧٥/٩) الأمير جمال الدين خضر بن نوكاى التتارى أخو خوند أردوكين الأشرفية، وفى Zetersteen وفى تاريخ سلاطين المماليك ١٧٤ «ابن نكية» وترجمته فى الدرر (٨٤/٢).

(٢) بركة الحبش (انظرها فى: النجوم ٣٨١/٦).

(٣) ترجمته فى السلوك (٣٠٥/٢) والنجوم (٢٧٣/٩) وفى الدرر الكامنة (٢٤٧/٣) ترجمة مطولة له باسم قراستقر الجوكندار الجركسى المنصورى.

(٤) مراغة: مدينة مشهورة بإقليم أذربيجان كانت عاصمة الإقليم، وكان اسمها القديم «أفراهوذ» المراد ١٢٥٠ / ٣.

(٥) أذربيجان: إقليم واسع يقع بين بلاد الجبال جنوباً، وبلاد الكرد غرباً والديلم وبحر قزوين شرقاً، وأرمينية وموقان شمالاً، ومن أشهر مدنه أردبيل ومراغة وتبريز، وكانت بها الدولة السلارية. (النجوم ٢٧٣/٩ حاشية ٧).

ذكرنا ما كان من تَسَحُّبه إلى بلاد التتار في سنة اثنتى عشرة وسبعمائة، ولما اتصل خبر وفاته بالسلطان رسم بالإفراج عن جماعة من مماليكه كانوا قد اعتقلوا بعد تَسَحُّبه، ووعدهم الإحسان، ثم رسم بإخراج ولديه الأميرين: علاء الدين على، وعز الدين فرج إلى دمشق، وأقطع الأول إمرة طبلخانة، وفرج إمرة عشرة بدمشق، وتَوَجَّها في سنة تسع وعشرين، ووصلا إلى دمشق في ثالث شهر ربيع الآخر، واستقرا بها.

وفيها في الثلث الأخير من ليلة الاثنين المسفر صباحها عن العشرين من ذى القعدة كانت وفاة الشيخ العالم الورع تقي الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحلیم بن الشيخ مجد الدين أبي البركات عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تَيْمِيَّةَ الْحَرَّانِي ثم الدمشقي^(١) في معتقله بدمشق، ومضى سبعة عشر يوما، ولما مُنِعَ من الكتابة والتصنيف عكف على تلاوة كتاب الله تعالى، فيقال إنه قرأ ثمانين ختمة، وقرأ من الحادية والثمانين إلى سورة الرحمن، وأكملها أصحابه الذين دخلوا عليه حال غسله وتكفينه، وتولى غُسْلُهُ مع الْمُغْسَلِ الشيخ تاج الدين الفارقي، والشيخ شمس الدين بن إدريس، وصَلَّى عليه في عدة مواضع فصلَّى عليه أولا بقلعة دمشق وأمَّ الناس في الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام الصالحى الحنبلى، ثم حمل إلى الجامع الأموى، ووضعت جنازته في أول الساعة الخامسة، وامتلاً الجامع بالناس، وغُلِّقت أسواق المدينة، وصَلَّى عليه بعد صلاة الظهر، ثم حمل وأخرج من باب الفرج، وازدحم الناس حتى تفرقوا في أبواب المدينة وصَلَّى عليه بعد صلاة الظهر، ثم حمل فخرجوا من باب النصر وباب الفراديس وباب الجابية، وامتلاً سوق الخيل بالناس، وصلى عليه مرة ثالثة وأمَّ الناس في الصلاة عليه أخوه الشيخ زين الدين عبد الرحمن^(٢)، وحمل إلى مقبرة الصوفية،

(١) ترجمته في شذرات الذهب (٨٠/٦ - ٨٦) والنجوم (٢٧١/٩) والسلوك (٣٠٤/٢) وله في الدرر الكامنة (١٤٤/١ - ١٦٠) ترجمة مفصلة وردت فيها طائفة من أخباره وآرائه التي أدت إلى اعتقاله. وفي النجوم (٩٢/٩) أن السلطان الملك الناصر أنجز عن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية بشفاعته الأمير جنكلى بن البابا. وهذا الخبر يخالف ما أورده النويرى هنا، والمقرئ في السلوك (٣٠٤/٢) وابن حجر في الدرر (١٦٠/١) والمصادر الأخرى التي تجمع على أنه مات في معتقله. وصاحب النجوم نفسه يذكر ذلك في ص ٢٩١ من الجزء التاسع. أو لعل هذه اعتقاله أخرى غير التي مات فيها.

(٢) ترجمته في الدرر (٣٢٩/٢) وفيها أن مولده سنة ٦٦٣هـ ووفاته في ثالث ذى الحجة سنة ٧٤٧هـ وله ترجمة في شذرات الذهب (١٥٢/٦).

فدفن قريبا من وقت العصر لازدحام الناس عليه، ومولده بحرّان في يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمئة، وقدم مع والده في حال صغره، واشتغل عليه وسمع من جماعة من المشايخ، وكان شيخا حافظا مُفَرِّط الذكاء، حسن البديهة، وله تصانيف كثيرة منها ما ظهر، ومنها ما لم يظهر، وشهرته بالعلم تغني عن بسط القلم فيه، وكان علمه أرجح من عقله، وقد قدمنا من أخباره ووقائع ما يغني عن إعادته، وكانت مدة اعتقاله من يوم الاثنين سادس شعبان سنة ست وعشرين وسبعمئة إلى حين وفاته سنتين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما، رحمه الله تعالى، ولما مات أُفْرِجَ عن أخيه الشيخ زين الدين عبد الرحمن في يوم الأحد سادس عشرين ذي القعدة، وكان قد اعتقل معه، فلما مات كان يخرج في كل يوم إلى تربة أخيه، ويعود عشية النهار يبيت بقلعة دمشق، إلى أن حضر نائب السلطنة من الصيد، فأفْرَجَ عنه.

* * *

واستهلت سنة تسع وعشرين وسبعمئة بيوم الجمعة الموافق لثامن هاتور من شهور القبط، والسلطان الملك الناصر يتصيد بجهة سرياقوس، فأقام بتلك الجهة إلى يوم الاثنين، وعاد إلى قلعة الجبل المحروسة في بكرة نهار الاثنين رابع المحرم، وفي يوم السبت ثاني المحرم وصل القاضي فخر الدين محمد ناظر الجيوش المنصورة من الحجاز الشريف إلى خدمة السلطان بالقصر بسماسم، وخلع عليه ووصل إلى داره بمصر في يوم الأحد ثالث الشهر.

وفيهما في يوم الأحد سابع عشر المحرم قَوَّضَ السلطان صحابة ديوان الإنشاء السعيد بالأبواب العالية للقاضي محيي الدين [يحيى] بن جمال الدين فضل الله [بن] المَجْلَى القُرَشِي العَدَوِي^(١) وسبب ذلك أن القاضي علاء الدين علي بن الأثير^(٢) كان قد حصل له مرض فالج في شهور سنة ثمان وعشرين

(١) وردت ترجمته في الدرر (٤٢٤/٤) وذكر اسمه: يحيى بن فضل الله بن مجلى بن دعجان بن خلف بن نصر بن منصور بن عبيد الله بن علي بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن عمر العدوي، محيي الدين أبو المعالي ولد بالكرك سنة ٦٤٥ وتوفي بمصر سنة ٧٣٨ ودفن بالقرافة ثم نقل تابوته إلى دمشق بعد دفنه بأشهر، وما بين الحاصرتين زيادة من الدرر، والسلوك ٣٠٩/٢ والنجوم ٣١٦/٩.

(٢) علي بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير الحلبي الأصل، ترجمته في: الدرر ١٤/٣ ومولده في حدود سنة ٦٨٠ ووفاته في المحرم سنة ٧٣٠ هـ.

وسبعمائة، واستمر مدة شهور، وهو يتكلف الدخول مع البريد وحضور دار العدل بين يدي السلطان، فلما دخل فصل الخريف اشتد به المرض، وتمكن من جسده، وتزايد الحال به، فعجز عن المشي، واعتقل لسانه، وبطلت يده، فرسم بعد ذلك بتوفيره، ونزل من القلعة في يوم الخميس رابع عشر الشهر، واستقر بداره، وكان ولده في الحجاز الشريف، فوصل في يوم السبت الثاني من المحرم وخلع عليه، وجلس في مرتبة أبيه، وظن الناس أنه يستقر في الوظيفة، وكان السلطان قبل ذلك قد رسم بطلب القاضي محيي الدين المشار إليه من دمشق فطلب، وكان رأس كتاب الدرّج بها، فتوجه منها في يوم الجمعة ثامن الشهر، ووصل إلي الأبواب السلطانية في هذا اليوم / هو وولده القاضي شهاب الدين^(١) أحمد، وشرف الدين بن شمس الدين بن شهاب الدين محمود، ومثلوا بين يدي السلطان وهو بالإسطنبول، وخلع عليهم، واستقر القاضي محيي الدين صاحب ديوان الإنشاء وولده شهاب الدين أحمد كاتب السر^(٢) الشريف، وشمس الدين بن شرف الدين رأس كُتّاب الدرج بدمشق في وظيفة القاضي محيي الدين، وتوجه إلى دمشق المحروسة.

وفي هذه السنة في يوم الأحد رابع عشرين المحرم أنعم السلطان علي الأمير علم الدين سَنَجَر الجاولي بإمرة طبلخانة، وأقطعه إقطاع الأمير علاء الدين علي بن الأمير شمس الدين قَرَأْسُنْقَر، ونقل علاء الدين إلى دمشق كما تقدم، وأنعم علي الأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير المعروف بزيرباج^(٣) بإمرة طبلخانة بالديار المصرية، وأقطع إقطاع الأمير ناصر الدين محمد بن جمق الذي كان قد وصل من بلاد التتار، وذكر أنه من أقرباء السلطان، فعاد الآن إلى بلاد التتار بطلب من الملك أبي سعيد، فرسم بعوده.

وفيها في يوم الأحد الرابع والعشرين من الشهر وصل إلي الأبواب السلطانية الأمير سيف الدين أَيْتَمُش المحمدي، عاد من جهة الملك أبي سعيد ابن خَرْنُدا علي خيل البريد، ووصل الرسل بعده، وفيها في بكرة نهار الثلاثاء ثالث صفر استقل ركاب السلطان من قلعة الجبل لقصد الصيد، فتوجه إلى

(١) ترجمته في ابن حجر (الدرر ٣٣١/١) ومولده سنة ٧٠٠ هـ ووفاته في يوم عرفة سنة ٧٤٩ هـ.

(٢) كاتب السر: هو صاحب ديوان الإنشاء، وانظر: صبح الأعشى ٤٦٤/٥.

(٣) في الأصل (البراج) وما أثبتناه من السلوك (٢٩٨/٢) ففيه حسام الدين لاجين العمري المعروف بزيرباج الجاشنكير، وفي: السلوك أيضاً ص ٣٠٩ وفيه - يعني المحرم سنة ٧٢٩ هـ - أنعم علي لاجين الخاصكي بإمرة طبلخانة عوضاً عن محمد بيه بن جمق.

الجيزية، وعدى من ساحل بولاق، وأقام إلى يوم الخميس، وتوجه فى بكرة نهار الجمعة إلى جهة المنوفية، وفرّق الأمراء مماليكه بالجهات ولم يستصحب من مماليكه إلا أرباب الوظائف.

وفى يوم السبت سابع صفر وصل إلى الأبواب السلطانية رسل الملك أبى سعيد، وجَهَّزُوا إلى السلطان إلى جهة المنوفية، فمَثَلُوا بين يديه، وأدوا رسالتهم وأمر أن يتوجهوا إلى قلعة الجبل، وأقاموا بها إلى حين عود السلطان، وكان عوده من الصيد المبارك فى الساعة الثانية من يوم الخميس^(١) تاسع عشر صفر.

وفىها فى يوم الاثنين مستهل شهر ربيع الأول أعيد القاضي شمس الدين ابن قَرْوِينَةَ إلى نظر الدواوين على ما كان عليه، نُقِلَ إلى هذه الوظيفة من نظر البيوت السلطانية، وأضيف نظر البيوت إلى القاضي مجد الدين [إبراهيم]^(٢) ابن لُقَيْتَةَ ناظر النظار والصحة، وخلع عليهما.

وفىها فى يوم الأحد سادس شهر ربيع الأول توجه السلطان إلى الصيد بجهة سرياقوس، ثم توجه منها إلى الجيزية، وأقام بها إلى بكرة نهار الاثنين الحادى والعشرين من الشهر، وعاد إلى قلعة الجبل، وكان صعوده إليها فى الساعة الأولى من النهار المذكور، واستقر بها بكرة نهار الاثنين ثانى عشر شهر ربيع الآخر، وتوجه إلى جهة القليوبية، وعاد ظهر يوم الأربعاء رابع عشر الشهر، وأقام بقلعة الجبل إلى يوم الاثنين ثالث جمادى الأولى، فتوجه فى الأول من النهار وعدى من جهة بولاق لقصد الصيد بجهة البحيرة، وعاد إلى قلعة الجبل فى الساعة الثالثة من يوم الأحد سادس عشر جمادى الأولى.

وفىها فى يوم الاثنين سابع عشر جمادى الأولى رسم السلطان بهدم الجُبِّ الذى يعتقل به الأمراء بقلعة الجبل وردمه، وألا يعتقل به أحد من الناس فهدم ورُدِمَ بما نُقِضَ من الإيوان الكبير الذى بالرحبة عند جامع القلعة^(٣)، وكان قد رسم بهدمه وإنشاء غيره أصغر منه، ففعل ذلك.

(١) فى المقرئى (السلوك ٣١٠/٢) أن عود السلطان من الصيد كان يوم الأربعاء تاسع عشر شهر صفر وقد تقدم هنا أن يوم السبت كان يوافق سابع الشهر.

(٢) الزيادة من: النجوم (٢٩٢/٩) والدرر (٥٣/١) والسلوك (٣١٠/٢).

(٣) فى السلوك (٣١٠/٢) والنجوم (٩٢/٩) أن سبب هدمه وردمه ما بلغ السلطان من أنه شنيع المنظر شديد الظلمة، كربه الرائحة، كثير الطوايط، وأنه يمر بالمحابيس فيه شدايد عظيمة، فردم، وعمر فوقه طباق للمماليك السلطانية، وكان هذا الجب قد عمل فى سنة إحدى وثمانين وستمائة فى أيام الملك المنصور قلاوون.

وفيسها فى هذا اليوم المذكور وصل إلى الأبواب السلطانية رسل نائب الملك أبى سعيد بن خَرَبُندا الذى استقر فى النيابة بعد جويان وهو الشيخ حسن ابن الجتية^(١)، وهو ابن عمّة الملك أبى سعيد، أمّه أخت غازان وخَرَبُندا، وحسن هذا هو الذى كان زَوْجَ بَغداد خاتُون ابنة جُويان، وأحضر رسله قماشاً وفهدين تقدمة من جهته إلى السلطان، فقبلت تقدمته، وعومل رسله بما جرت به عادة أمثالهم.

وفيسها فى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة وصل إلى الأبواب السلطانية الأمير سيف الدين أرغون^(٢) الناصرى نائب السلطنة الشريفة بحلب، وأكرمه السلطان إكراما كثيراً، وخلع عليه على عادته فى نيابة السلطنة بالأبواب السلطانية، وأنزله بمناظر الكبش^(٣)، وأنعم عليه بخيل وقماش، وأقام إلى يوم الخميس سادس عشرين الشهر، فخلع عليه فى هذا اليوم قباء مُقَصَّباً بطرُز زَرَكَش، وعاد إلى حلب، بعد انقضاء الخدمة السلطانية فى هذا اليوم المذكور من التاريخ من السنة المذكورة.

ذكر وصول رسل الملك أبى سعيد / ورغبته

(٩٦)

فى الاتصال بمصاهرة السلطان

وفى يوم الأحد التاسع والعشرين من جمادى الآخرة وصل إلى الأبواب السلطانية رسل الملك أبى سعيد بن خَرَبُندا، والمشار إليه منهم اسمه تَمَرُغا المَرغينانى^(٤) أحد مقدمى التّوامين، ومثلوا بين يدى السلطان بقلعة الجبل فى يوم الاثنين سلخ الشهر، وقدموا ما معهم من الهدية، فكان منها اثنا عشر أكديشا^(٥) عشرة منها مُجَلَّلة بالجُوخ الأحمر المبطن بالصنديات، واثنان بغير

(١) كذا فى الأصل وفى السلوك (٣١٠/٢) ابن الجلايرى وفى هامش الصفحة نفسها (حاشية رقم ٤) الجلايرى نسبة إلى قبيلة جلاير. وهو الذى أسس الدولة الجلايرية بفارس بعد وفاة أبى سعيد سنة ٧٣٦هـ ولم تذكر الكتب المتداولة فى تاريخ هذه الفترة سبب قدوم رسل الشيخ حسن فى هذه السنة.

(٢) فى الأصل «أرغن» والرسم المثبت تابعنا فيه السلوك والنجوم والدرر الكامنة.

(٣) انظر فى التعريف بمناظر الكبش (النجوم الزاهرة ١١٩/٧ حاشية رقم ٢) و(٩٨/١٨٩ حاشية رقم ١).

(٤) مرغينان من بلاد فرغانة فيما وراء النهر، وهى من أشهر مدنها (مراسد الاطلاع ٣/ ١٢٥٩).

(٥) فى الأصل بكديشا، والرسم المثبت من السلوك (٣١١/٢) وفى صبح الأعشى (١٧/٢) عد الأكاديش فى الصنف الثانى من أصناف الخيل، قال: «وتسمى العجميات، وهى البراذين، ويقال لهما الهماليج، وتعرف الآن بالأكاديش وتجلب من بلاد الترك ومن بلاد الروم، وتطلب للصبر على السير وسرعة المشى».

جلال، ذُكر أن لها قيمة كثيرة، وأحضروا غير ذلك من التحف مما خفي أمره، وكان مضمون الرسالة رغبة الملك إلى السلطان الاتصال بابنته، فأجاب السلطان الملك الناصر سؤاله إلى ذلك، فاعتذر بصغر سنّها الآن، ووعدهم إلى انقضاء ثلاث سنين، فعند ذلك أحضر الرسول ثماناً دراهم، وهو ستون ألف درهم، وسأل عن مرسله، أن يعمل بذلك مُهم، ويمد سِماط يأكله الأمراء، فرسم السلطان بقبول ذلك، وعمل المُهم في يوم الخميس عاشر شهر رجب، وسلك السلطان في ذلك نايب^(١) التتار، وشرط السلطان عليهم شروطاً منها: أن طلب في مهرها أعمال «ديار بكر»^(٢) وخلع على الرسل في يوم الخميس ثالث شهر رجب، ثم خلع عليهم مرة ثانية في يوم الاثنين سابع الشهر، ثم رسم بإعادتهم إلى مرسلهم، وتوجهوا في يوم الاثنين رابع عشر الشهر، ووصلوا دمشق في مستهل شعبان، وتوجهوا منها في يوم السبت رابع الشهر.

وفيهما في يوم الخميس عاشر رجب وصل إلى الأبواب السلطانية الأمير سيف الدين طينال^(٣) الساقى، نائب السلطنة الشريفة بالمملكة الطرابلسية، وخلع عليه تشريف أطلس أحمر بطرُز زركش على أطلس أصفر وشاش رقم، وكُلُوتة زركش، وحياسة ذهب مُجوهرة، وأنعم عليه بثلاثة رؤوس خيل، وأقام في الخدمة السلطانية إلى يوم الخميس رابع عشرين الشهر، وتوجه إلى طرابلس على عادته في يوم الجمعة خامس عشرين الشهر، وأثر حضوره أثراً سائداً، فإنه شكا إلى السلطان ما على المملكة الطرابلسية من الكُلف، وأن خالصها لا يقوم بالمرتب عليها، وحسّن للسلطان قطع ما على المملكة المذكورة من الرواتب لأرباب الصلات المقيمين بالديار المصرية ومرتبهم بطرابلس، فقطع جميع ذلك بطرابلس، وشمل هذا القطع ما هو مرتب لهم على سائر الممالك الشامية والحلبية والصُفدية، فحصل للناس الضرر التام بذلك،

(١) لم يتضح بالأصل، ولعلها آيين، بمعنى النظام والدستور والتقليد، فيكون المراد نظام التتار في مثل هذه الولائم، كما يقضى السياق.

(٢) في مراصد الاطلاع ٥٤٧ / ٢ (ديار بكر: بلاد واسعة، حدها ما غرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وآمد وميفارقين، وقد يتجاوز دجلة إلى سعرت وحيزان وحيني وما تخلل من البلاد، ولا يتجاوز السهل).

(٣) كذا في الأصل، وفي الدرر (٢٣٢/٢) سيف الدين طينال الحاجب، وأورد ترجمته، ووفاته سنة ٧٤٣ هـ، وفي السلوك (٣١١/٢) سيف الدين طينال الحاجب نائب طرابلس، وقد ذكر أن سبب حضوره كان ليحاقق شكاته، فوقف وحاققهم، وساعده الأمراء إلى أن عاد في خامس عشره.

ثم سأل الزيادة لنفسه على ما بيده من الإقطاع، فأنعم عليه بزيادة ثلاثين ألف درهم فى كل سنة أو نحوها من الذى يُوقَر بطرابلس.

ذكر الاستبدال بمن يذكر من مباشرى الدولة، ومصادرتهم وإفصال الأمير علاء الدين مُغلطاي الجمالى من الوزارة

وفى يوم الأحد العشرين أو الحادى والعشرين من شهر رجب من هذه السنة رسم السلطان بعزل القاضى مجد الدين إبراهيم بن لُقَيْتَةَ عن نظر النظار بالديار المصرية والصحية، وشمس الدين بن قَرْوِينَةَ عن نظر الدواوين، وفوض نظر النظار والصحية للقاضيين: علم الدين إبراهيم بن القاضى تاج الدين إسحاق^(١) وكيل الخواص الشريفة وناظرها، وتقى الدين عمر بن الصاحب شمس الدين محمد بن فخر الدين عثمان الشوخى المعروف بابن السَّلْعوس^(٢) الدمشقى وزير الدولة الأشرفية الصلاحية والده كلف وكان قبل ذلك يتولى صحابة الديوان بدمشق، ذكره بعض الأمراء الأكابر بين يدى السلطان وأثنى عليه، فرسم بطلبه فتوجه من دمشق فى يوم الخميس العاشر من رجب ووصل إلى الأبواب السلطانية فى يوم الجمعة ثامن عشر الشهر، فرُسِم له بالمباشرة، وخلع عليهما فى اليوم المذكور، وفوض نظر خزانة الخاص الذى كان يباشره علم الدين المذكور لأخيه شمس الدين موسى^(٣)، وباشر الناظران - علم الدين وتقى الدين - مدة والأمير علاء الدين الجمالى الوزير على حالته فى الوزارة، إلا أنه مشغول بما حصل له من المرض، يترددان إلى خدمته، ويستأذنان، فلما كان فى يوم الأحد ثانى شوال رسم بتوفير الوزارة، واستقر الأمير علاء الدين فى الأستاذ دارية خاصة مع ملازمة المرض به، وهو مع ذلك يتجلد فى بعض أيام المواكب، وَيَعْبُرُ إلى الخدمة، ويقف على عادة الأستاذ دارية يسيراً، ثم

(١) فى الأصل علم الدين بن القاضى تاج الدين أبى إسحاق « والزيادة والتصويب من السلوك (٣١١/٢) وفى النجوم ١٣٦/٩ حاشية (١) هو المعلم إبراهيم بن عبد الوهاب بن عبد الكريم الوزير، شمس الدين ابن تاج الدين إسحاق القبطى، تسمى والده إسحاق لما أسلم بعبد الوهاب .

(٢) ترجمته القبطى فى الدرر (١٨٨/٣) وقد أورد اسمه « عمر بن عثمان بن أبى رجاء بن أبى الزهر بن شمس الدين بن السَّلْعوس مات فى ذى القعدة سنة ٧٣١ هـ .

(٣) شمس الدين موسى بن إسحاق . ويدعى عبد الوهاب . بن عبد الكريم المصرى القبطى شمس الدين بن تاج الدين ، ولى الوزارة عدة مرات، ومات فى ذى القعدة سنة ٧٧١ هـ (الدرر ٤ / ٣٧٤) .

يعود إلى داره بقلعة الجبل، فلما كان في يوم الأحد خامس عشر ذى القعدة جلس السلطان في الميدان تحت قلعة الجبل، وعرض كتاب الأمراء ليستصلح منهم من يستخدمه، ثم طلب القاضيين مجد / الدين بن لُفَيْتَة وشمس الدين (٩٧) بن قَرْوِينَة الناظرين المنفصلين، ومكين الدين بن قَرْوِينَة مستوفى الصحبة وأمين الدين مستوفى الخزانة المعروف بقرموط^(١)، وأمر بالترسيم عليهم، وسلمهم للأمير سيف الدين الدمر^(٢) أمير جندار، ورسم أن يُستخرج منهم ستمائة ألف درهم.

وسبب ذلك أنه كان قد رسم بكشف الجيزية، فكُشِفَتْ^(٣) فوجد فيها بواقياً كثيرة، فرسم بمصادرة واليها سيف الدين قُشْتَمَرُ، وهو من ألزام الأمير علاء الدين الجمالي الوزير - كان - ومستوفيهما ابن سَقْرُون، فحمل من جهة قُشْتَمَر مائتي ألف درهم، ومن جهة ابن سَقْرُون المستوفى ما يزيد على سبعين ألف درهم، فاضطر المستوفى المذكور إلى أن أنهى إلى السلطان ما أخذ من الجيزية، فرسم عند ذلك بمصادرة من ذكرنا، وإفصال المستوفين.

وكان السلطان قبل ذلك قد عرض مُشَدِّى الجهات بالقاهرة ومصر، ورسم بقطع أخبازهم من الحلقة، واستبدل بهم، وانتصب السلطان بنفسه أياما لمصالح دولته، وأحضر مشايخ بلاد الجيزية، وسجلوا بلادها في مجلس السلطان، وهذا ما لم يسمع بمثله في دولة من الدول، وشرع بالاستبدال بالمباشرين، وصار يستخدم بنفسه، ويتحدث مع كل مباشر، ويسأله عن مباشراته، وغير ذلك^(٤)، ثم أفرج السلطان عن الناظرين المنفصلين والمستوفين، بعد أن استخرج منهم - بعد ما قرر عليهم - جملة من المال.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ٨١/٩ حاشية رقم ٤

(٢) الدمر: أحد الأمراء بالقاهرة، وكان أمير جندار، وحج بالناس سنة ٧٣٠ هـ فثارت الفتنة بمنى، فقتل فيها هو وولده خليل في يوم عيد النحر من السنة المذكورة (الدرر ٤٠٧/١) وسيورد التويرى خبره ووقاته في حوادث سنة ٧٣٠ من هذا الجزء.

(٣) في السلوك (٣١٢/٢) أن الذى تولى الكشف عليها الأمير أيتمش.

(٤) انظر في هذا الخبر (السلوك ٣١٢/٢).

وفيها في خامس شهر رمضان رسم السلطان للأمير علاء الدين^(١) قلبرس ابن الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري أحد أمراء الطبلخانة أن يتوجه إلى دمشق المحروسة من جملة الأمراء مقدمي الألو، وأنعم عليه بإقطاع الأمير علاء الدين أيْدُغْدِي الخوارزمي^(٢) الحاجب بدمشق، وزاده عليه إمرة عشرة طواشية، وتوجه من القاهرة المحروسة في خامس عشر شوال من السنة، ووصل إلى دمشق في الاثنين سادس عشر ذي القعدة، وكانت وفاة الأمير علاء الدين أيْدُغْدِي الخوارزمي - الحاجب المذكور - في ليلة الأحد ثاني عشر شعبان من السنة.

ذكر رؤيا رأيها في المنام أحببت إثباتها لدلائلها على صحة نسبي

وفي ليلة الجمعة ثالث عشر ذي القعدة رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في المنام، وهو جالس بالإيوان البحري بالمدرسة الناصرية، التي هي بين القصرين، من الجهة اليمنى لمن يقصد صدر الإيوان في ذيل الإيوان بينه وبين الحائط نحو ذراعين، أو أقل من ذلك، وأنا جالس بين يديه الكرمتين، وهو يذكر عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها بخير، فقلت له: يا رسول الله هي عمتي، ثم قلت ثانيا: يا رسول الله عائشة أم المؤمنين عمتي؛ لأننى أحمد بن عبد الوهاب ابن محمد بن عبد الدائم بن منجا بن على بن طراد بن خطاب بن نصر بن إسماعيل بن إبراهيم. فلما انتهيت في سرد نسبي إلى إبراهيم قال النبى (صلى الله عليه وسلم) ابن جعفر، قلت: نعم يا رسول الله، ابن جعفر بن هلال ابن الحسين بن ليث بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق، فعائشة أم المؤمنين يا رسول الله عمتي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): نعم، واستيقظت من النوم، وسُررت بهذه الرؤيا، وأثبتها ولله الحمد.

(١) كذا في الأصل، وفي ابن حجر (الدرر ٣/٢٥٥) قلبوس بن طبرس الوزيري، وذكر وفاته في سنة ٧٣٠ هـ وقد أورد النويرى أيضا وفاته في سنة ٧٣٠ هـ.

(٢) ترجمته في ابن حجر (الدرر ١/٤٢٥) وذكر أنه كان ممن يرسلهم السلطان الناصر إلى الجهات وأنه مات وهو حاجب دمشق.

ذكر متجدّات كانت بدمشق فى سنة تسع وعشرين وسبعمائه

فى هذه السنة فى أوائل شهر ربيع الأول تجرّأ رجل يقال له محبى الدين ابن الحَكَم الكاتب جرأةً عظيمة لم يسبق إلى مثلها فيما بلغنا، وذلك أنه اتفق مع أربعة من الرسل المُتصَرِّفين بباب الحَكَم العزيز، وجلس فى قاعة تعرف بدرب البلسانى بخطّ عتّبة الكتاب بدمشق، وسمى نفسه عماد الدين، وأحضر نصرانيا له مال، وأوهمه هو والرسل أنه نائب قاضى القضاة المالكى بدمشق، وقال للنصرانى: قد ثبت عندى أنك قلت لرجل مسلم أنك أخى وأنا أخوك ولا فرق بينى وبينك، وبمقتضى هذا القول تكون مسلما، وتهدّده بالقتل، وتحدث الرسل مع النصرانى، وأشاروا عليه أن يعطيه مالا، فتقررت الحال على ألف درهم ومائتى درهم عَجَل النصرانى منها ستمائة درهم، وأحضر شهودا إلى باب الدار، وكتب عليه حجة بستمائة درهم، ورَفَع عنه الترسيم، فلما أطلق النصرانى توجه إلى القاضى شمس الدين ناظر النظار، وأنهى له الصورة، وأحضر نائب قاضى القضاة المالكى، فلما رآه النصرانى قال: ما هو هذا، ثم أحضر عماد الدين نائب قاضى القضاة الحنفى، فقال / كذلك، فسير جماعة (٩٨) إلى الدار وهُجِمَت فَمُسِك، وأحضر إليه والدراهم والحجة معه، فاستنقذ ذلك منه وأطلقه شمس الدين الناظر، فلما اتصل الخبر بمتولى دمشق اعتقاله، وطالع نائب السلطنة بأمره، فرَسَم بضربه وضرب الرسل الذين اتفقوا معه على ذلك، وشقّ مناخيرهم، وإشهارهم على الحمر، ففعل بهم ذلك فى يوم الأحد سادس شهر ربيع الأول، واعتقلوا.

وفىها فى يوم الاثنين ثالث جمادى الأولى أنعم على الأمير علا، الدين ولد قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن صَصْرَى^(١) بإمرة عشرة طواشية بدمشق، ولبس التشريف فى اليوم المذكور .

(١) أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن محفوط بن الحسن الربعى بن صصرى، ترجمته فى الدرر (٢٦٣/١) والدارس فى تاريخ المدارس (١٣٢/١).

وفيهما فى شهر ربيع الأول دخل نائب السلطنة بدمشق الأمير سيف الدين تنكز إلى المدرسة القليجية^(١)، وهى بجوار داره التى جدد عمارتها المعروفة بدار الفلوس^(٢) فنظر إلى بيوت المدرسة، فرأى على بعضها أقفال حديد مغلقة على الأبواب، فسأل عن البيوت وهل هى للفقهاء؟ فقال قيم المدرسة: هذا البيت لفخر الدين بن شهاب الدين الحنفى، وهذه البيوت لجماعة آخرين - سماهم - لهم فيها قماش وغيره، فطلب فخر الدين المذكور، وأنكر عليه كونه ضيق على الفقهاء فى مساكنهم مع استغنائه عنها، فقال: ما انفردت بهذا، وشمس الدين بن حميد - رفيقى فى ديوان الإنشاء - له بيت بالمدرسة العزيرية وجماعة غيره، فرسم نائب السلطنة لشاد الأوقاف بطلب كل من أشغل بيتا من بيوت المدارس وليس هو من الفقهاء، وتقويم أجره البيت، وإلزامه بالقيام بالأجرة منذ أشغله وإلى ذلك اليوم، فأحضر شهود القيمة وقوموا أجره البيوت فأخذ من شمس الدين بن حميد ستمائة درهم، ومن شهاب الدين أحمد بن المهذب ستمائة درهم وثلاثة عشر درهما، ومن أولاد عفيف الدين الحنفى أربعمائة درهم، وهؤلاء من الذين كان لهم بيوت بالمدرسة العزيرية، وأخذ من غيرهم.

وفيهما فى شهر رجب خلع ما كان بجامع دمشق عند قبر يحيى بن زكريا عليه السلام من الخشب بين العامودين وبين الحجارة، ورُخِم البناء المجدد من جهة القبلة، والتأم، وكتب بالرخام الأبيض بالرخام الأسود قوله تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾^(٣).

وفيهما فى أول شهر رمضان رسم نائب السلطنة بدمشق أن يوسع طريقا سويقة مسجد القصب خارج باب سلامة، وأن يوسع من كل ناحية قدر ذراعين،

(١) هما قليجيتان: القليجية المجاهدية، وبانيها مجاهد الدين قليج بن محمد بن محمود وهى فى موضع يعرف بقصر ابن أبى الحديد داخل البابين الشرقى وباب توما، شرقى المسماة. والقليجية الحنفية: وواقفها سيف الدين على بن قليج النورى ويظن أنها قبلى الجامع الأموى شمالى الصدرية وغربى تربة قاضى القضاة الجمال المصرى (الدارس فى تاريخ المدارس ٤٣٤/١ و٥٦٩) وفى مخطط المنجد ص ٧٢ أنها ملاصقة لقصر العظم فى جنوبه.

(٢) فى الأصل بدارفلوس وما أثبتناه من: الدارس فى تاريخ المدارس (٥٦٩/١) وعلق ناشره بأن هذه الدار بنى على أنقاضها قصر العظم فى سوق البرزوية.

(٣) سورة مريم الآية ٧.

فهدم في ثالث شهر رمضان ثم عُمر في مدة شهر، إلى أن انتهى العمل إلى خان دار الطعم والمدرسة الزنجيلية^(١)، ثم رسم في أول شوال بهدم مساطب حوانيت القَوَاسِين لتوسيع الطريق، فهدمت من الجانبين، واستقرت الحوانيت بغير مساطب، وجلس أهلها داخل الدكاكين، فاتسع ذلك نحو أربعة أذرع، ثم رسم بعمارة رُصْفان الكعبين وباب البريد، فحصل الرُقُق بذلك للمارة، ثم رسم بهدم جميع المساطب وبعض الحوانيت التي هي خارج باب الجابية إلى قرب باب النصر لتوسعة الطريق، وهدمت في يوم الثلاثاء رابع عشرين ذى القعدة، واستمر العمل فيها؛ فمنها ما أزيل بجملته، ومنها ما أزيل نصفه وبقي النصف، وبقي ذَرُع الطريق من عشرين ذراعا إلى عشرة أذرع.

وفيهما في يوم الاثنين خامس ذى الحجة رسم نائب السلطنة بدمشق بقتل الكلاب بدمشق وظواهرها، فقتل منها من بُكرة النهار إلى بعد العصر [أكثر من خمسة آلاف]^(٢) ثم رُسم إلى متولى دمشق أن يبنى مقبرة للكلاب في آخر الخندق ما بين الباب الصغير وباب كَيْسَان، يفصل بينها بحائط، يكون أحد الموضعين للكلاب الذكور والآخر للإناث، فحصل الشروع في البناء في يوم السبت في العشرين من ذى الحجة إلى يوم الأحد ثامن عشرين للشهر، وجمعت الكلاب، وأنزلت في المكانين، فصار الذكور في خمسة أليات في جهة، ورُسم للنادشية بإلقاء الجيف بعد سلخها فيها.

وفي هذه السنة في يوم الخميس رابع عشر المحرم توفي الشيخ الإمام العالم المفتي نجم الدين [أبو]^(٣) عبد الله [محمد]^(٣) بن الشيخ شمس الدين عَقِيل بن الخطيب جلال الدين [أبي]^(٣) الحسن [بن عقيل]^(٣) البالسى، نائب الحكم العزيز بمصر المحروسة، وكانت وفاته بالمدرسة الطَيْبَرِسيّة^(٤) بمصر

(١) تنسب إلى عثمان الزنجيلي الذي خرج من اليمن قبل قدوم طفتكين إليها - فسكن الشام فأنشأ هذه المدرسة خارج باب توما، وتجا، دار الطعم سنة ٦٢٦ ويقال لها المدرسة الزنجارية أيضا (الدارس في تاريخ المدارس ٥٢٦/١).

(٢) الزيادة من السلوك (٣١٣/٢) والنجوم (٩٣/٩).

(٣) الزيادة عن الشذرات (٩١/٦) والسلوك (١٣٥/٢) والدرر (٥٠/٤) والنجوم (٢٨٠/٩).

(٤) في الأصل الطبرسية، وما أثبتناه من الدرر (٥٠/٤) والنجوم (١٤٣/٩) وأنشأها علاء الدين طبرس الخازنداري نقيب الجيوش وانتهت عمارتها سنة ٧٠٩ هـ وجعلها مسجدا زيادة في الجامع الأزهر. (خطط المقرئ ٣٨٢/٢) وانظر أيضا (النجوم ١٩٩/٩ حاشية ٢).

المحروسة وكان آخر ما تكلم به - فيما بلغنى - «أنا عند ربى يطعمنى ويسقيني»، وكان رحمه الله تعالى من العلماء العاملين، ولم يُخَلَّف ديناراً ولا درهماً، ومولده فى سنة ستين وستمائة.

وفىها فى النصف من ليلة الخميس سابع المحرم توفى الأمير الكبير شرف الدين حسين بن الأمير سيف الدين أبى بكر بن إسماعيل بن جندريك الرومى^(١)، وهو من الأمراء / مقدمى الألوف بالأبواب السلطانية، وكانت وفاته بالقاهرة بالدار المعروفة بشاطئ، ودفن فى يوم الخميس بترتته الملاصقة لجامعه بظاهر القاهرة بالحكر^(٢) وهذا الأمير قدم من بلاد الروم فى الدولة الظاهرية الركنية فى سنة خمس وسبعين وستمائة، ولما مات أنعم السلطان على ابن أخيه بإمرة طبليخانة بصَفَد المحروسة، وأنعم بإقطاعه وتقدمته على الأمير سيف الدين أقبغا عبد الواحد رأس نوبة الجَمْدَارِيَّة، وأنعم بإقطاع أقبغا على الأمير سيف الدين سُوسُون أخى الأمير سيف الدين قُوصُون.

وفىها فى الساعة الحادية عشر من يوم الثلاثاء العشرين من شهر ربيع الآخر توفى الأمير الكبير سيف الدين بَكْتَمُر الحسامى - الحاجب كان - رحمه الله بداره التى أكمل عمارتها خارج باب النصر المعروفة قبله بدار نهر داس، ودفن بترتته التى أنشأها الملاصقة لداره المذكورة فى الساعة الأولى من يوم الأربعاء وكان قبل ذلك قد حَصَلَ له نَهَج^(٣) إذا مشى فى الخدمة السلطانية، فجمع جماعة من الأطباء لذلك وقالوا: إنه حدث من ريح مجاور للكبد، وعولج منه وبرأ، ثم عاوده، وحصل له دوخة فى دماغه، فلما كان فى يوم الخميس ثامن الشهر طلع إلى الخدمة السلطانية، فلما خرج من مجلس السلطان وهو يمشى فى قلعة الجبل قريبا من دار الأمير سيف الدين طُرْجى - التى كانت دار عدل - حصلت له الدوخة، فسقط منها على الأرض، فاحتمل وأجلس على

(١) ترجمته فى (الدرر ٥٠/٢) والنجوم (٢٧٦/٩) وقد أورد مكان إسماعيل فى اسمه «أسعد» وما هنا يوافق ما فى السلوك (٢١٣/٢) والمنهل الصافى (١٧١/١) حاشية (١).

(٢) الحكر المراد هنا هو حكر جوهر النبوى، ذكره المقرئى فى الخطط (١١٩/٢) وينسب إلى جوهر النبوى أحد الأمراء فى زمن الملك الكامل محمد أبى بكر، وانظر النجوم (٢٧٦/٩) و٢٠٢ حاشية رقم (٥).

(٣) النهج: الربو، وتواتر النفس من شدة الحركة (المعجم الوسيط).

مسطبة ظاهر الدار المذكورة حتى سكن ما حصل له، وقام ومشى إلى ظاهر القلعة، وركب وعاد إلى داره، وعولج، ثم ركب إلى الخدمة السلطانية على عادته، وتوجه في خدمة السلطان إلى جهة القليوبية في يوم الاثنين ثانى عشر الشهر، وعاد في الخدمة في يوم الأربعاء رابع عشره، فلما كان في يوم الجمعة سادس عشر الشهر المذكور واجتمعت به بعد صلاة العصر، وقد صلى وتوجه ليعود الأمير علاء الدين الجمالى لمرض حصل له، وعاد إلى داره فرأيته وهو يشكو من النُّهَج، واجتمع بعض الأطباء عنده، وشكا ذلك لهم، فهوّنوه عليه، وقالوا: إنه يزول.

وكان قبل ذلك قد نُقِبَت خزانته التى بداره من ظاهرها، وسُرِق منها ما يزيد على تسعين^(١) ألف درهم، وظهر ذلك في يوم السبت تاسع المحرم، فانزعج لذلك، واتهم جماعة بالمال، فطلبوا وعاقبهم متولى القاهرة، فأقر بعضهم على بعض مماليكه أنه عاملهم على ذلك، فحصل له من ذلك نكد كثير، فاجتمعت به في يوم الجمعة المذكور بهذا السبب، وكان لى عليه دالة كثيرة، فتحدثت معه فيما حدث له، وهوّنته عليه، وذكرته بما ضاع له من الأموال الكثيرة قبل ذلك عند اعتقاله، وماله من البواقي الكثيرة عند من دايته ومات أو عجز عن القيام به، ولم أزل به إلى أن هوّنت له ما عدم له، وكان السلطان قد رسم له أن يعاقب خَزَنْدَارَهُ بِخَشَى^(٢) الذى أقر عليه الذين اتهموا وعوقبوا فسألته عنه، وقلت له: اتّهمه بالمواطاة على مالك، وتتهم غيره من مماليكه، وقال: لا والله هم برايا من مالى، ولا اتّهمهم بخيانة ولا موواطاة، قلت له: فإذا لا يجوز لك أن تعاقبهم، وإن فعلت أثمت، ولم أزل به إلى أن أشهدنى على نفسه أنه ترك الحديث عن المال الذى عدم له، وأنه لا يطالب به، وأنه إن وجد يكون صدقة للفقراء أو لبيت المال، وقررت معه أن يسأل السلطان

(١) فى الدرر (٤٨٤/١) أن ما سرق منه كان كثيراً جداً، وعبارته: وادعى فى الظاهر أن ما سرق منه هو مائتا ألف درهم، ويقال إنه كان فى الباطن أضعاف ذلك.

(٢) فى كنجشى، ومثله فى النجوم (٢٧٨/٩) وما أثبتناه من الدرر (٤٨٤/١) وقد ورد فيه أن وفاته كانت سنة ٧٢٨ هـ، وابن حجر ينفرد بذكر وفاته فى هذه السنة مخالفاً بذلك ابن تفرى بردى فى النجوم، والمقريزى فى السلوك. والخزندار: بكسر الخاء وفتح الزاى - انظر صبح الأعشى (٤٦٢/٥) والألفاظ الفارسية المعربة ص ٥٤.

أن يفرج عن المعتقلين بسبب ماله، وفارقتة على ذلك بعد أن توثقت منه أن يفعل ففعل، وأفرج عنهم في يوم السبت في سابع عشر الشهر، فلما كان في يوم الاثنين تاسع عشر الشهر ركب إلى الخدمة السلطانية على عادته، فلما انتهى إلى سوق الخيل قال له الحاجب: رسم السلطان ألا تتكلف الطلوع إلى الخدمة حتى تستقل من الضعف، فعاد إلى داره، وجلس، ومدَّ سِمَاطَه على عادته، وأكل هو مما أشار به الأطباء، ثم اشتد به المرض في ليلة الثلاثاء، وتزايد في يوم الثلاثاء فمات رحمه الله تعالى، وكان من أجود^(١) الناس وأحسنهم لقاء لأصحابه ومعارفه، وتفقدوا لأحوالهم، وسؤالا عنهم إذا حضروا إليه، وأكثرهم بذلاً بجاهه، لا يبخل به على أحد ممن يقصده، سواء كان قديم الصحبة أو حديثها، لكنه يرمى لمن يقصده حق قصده، وإذا طالت غيبة أحد أصحابه عنه ثم جاء إليه لا يجد مودته قد تغيرت عليه عما يعهد، بل يسأله عن حاله، ويظهر له البشاشة والبشر، وكان شجاعاً حسن الرأي، رحمه الله تعالى.

وكان هذا الأمير المذكور من جملة مماليك الأمير حسام الدين طرُتْطاي المنصوري - نائب السلطنة كان - أخبرني عن نفسه أنه كان في صغره في جملة مماليك السلطان حسام الدين كُنْجِيْز^(٢)، وابن السلطان ركن الدين بلج أرسلان السَّلْجُوقِي صاحب الروم، فلما عبر السلطان الملك الظاهر إلى الروم، ودخل قَيْسَارِيَّة^(٣) كما ذكرنا في سابع عشر ذي القعدة سنة خمس وسبعين وستمائة، وفارقها السلطان غياث الدين كَيْخُسْرُو^(٤) والبرواناه إلى تَوَقَات^(٥)

(١) انفرد النويري بوصف سيف الدين بكنتم هذا بالجود، والذي في النجوم (٢٧٨/٩) أنه كان معروفاً بالشح وجمع المال، وأن غالب أولاده، وذريته كانوا كذلك، وهي صفته أيضاً في السلوك (٣١٥/٢) وعبارته: «وكان بكنتم من أغنياء الأمراء الكثيرين المال المعروفين بالشح. ونقل ابن تغري بردي عن الصفدي في تاريخه أنه: «كان عظيم الحرص على جمع المال إلى الغاية، وكان له الأملاك الكثيرة في كل مدينة، وكان له قدور يطبخ فيها الحمص والبقول وغير ذلك من الأواني تكرر، وكان يخيلاً جداً» النجوم (٢٧٨/٩).

(٢) كذا في الأصل ولم أجده ولعله تحريف جنكيز.

(٣) في السلوك (٣١٤/٢) ورد رسمه هكذا «قيصرية الروم» والذي أورده النويري في رسمها يوافق مرادد الاطلاع ١١٣٩ / ٣، وذكر أنها مدينة كبيرة في بلاد الروم كانت كرسي ملك سلجوق، وفي النجوم (٢٧٧/٩) ورد رسمها قيسرية.

(٤) الزيادة من السلوك (٣١٤ / ٢) والنجوم (٢٧٧ / ٩).

(٥) توقات: الضبط من مرادد الاطلاع ٢٨١ / ١، وفيه: أنها بلدة بأرض الروم بين قونية وسيواس ذات قلعة حصينة تبعد عن سيواس مسيرة يومين (نحو ٦٠ كم).

أخذ هذا الأمير في ذلك اليوم من جملة ثمانية عشر مملوكا من ممالك السلطان غياث الدين، وعرضوا على السلطان الملك الظاهر فأمر بإرسالهم إلى الدهليز السلطاني، قال: فسرقني الذي توجه بي، وباعني، ثم اشتراني الأمير حسام / الدين طرُنطاي بعد ذلك، ولم يزل في جملة ممالكه إلى أن أعتقه، (١٠٠) ولما قُتل الأمير حسام الدين المذكور، كان الأمير سيف الدين بَكْتَمُر هذا عنده أمير آخُر^(١)، فانتقل إلى المملكة السلطانية الأشرفية، وجعله السلطان الملك الأشرف صلاح^(٢) الدين في جملة أمراء آخورية في الإسطنبول السلطاني، واستمر على ذلك إلى أن ملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري، فأمره بعشرة طواشية، ثم أمره بطبلخانة، وأقطعه إقطاع الأمير سيف الدين بَلْبَان الأنصاري أمير النقباء، وقد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا تنقله في المناصب والولايات، وكان في الدولة الناصرية^(٣) الثانية أمير آخُر، ثم نقل إلى دمشق وأمر بطبلخانة بها، ثم ولي الحجة بالشام، ونقل منها إلى أستاذ داريته وشاذ الدواوين، ثم أعيد إلى الشام، وحضر في ركاب السلطان في سنة تسع وسبعمائة إلى الديار المصرية المحروسة، ورسم له بتقدم العسكر بغزة في السنة المذكورة ثم نقل منها إلى الأبواب السلطانية، وولى الوزارة، وأعطى تقدمة ألف وإمره مائة في سنة عشر وسبعمائة، ثم نقل في سنة إحدى عشرة إلى الحجة إلى الأبواب السلطانية، إلى أن قبض عليه، ثم توجه بعد الإفراج عنه إلى نيابة المملكة الصُفديّة، وأعيد إلى الأبواب السلطانية في سنة ثمان عشرة وسبعمائة، واستقر في جملة الأمراء المائة مقدمي الألف، ورسم له بالجلوس في مجلس السلطان، فكان يجلس أخيرا ثانيا الميسرة، وقرب من السلطان قريبا كثيرا، وكان يرجع إليه في أكثر ما يتحدث فيه.

ولما تمكن من السلطان بعد عوده من صَفَد أنهى له ما قدمنا ذكره من أخباره، وأنه كان من ممالك السلطان غياث الدين [كَيْخُسْرُو]^(٤) فأحضر

(١) الذي في السلوك (٣١٤ / ٢) أن بكتمر كان أمير آخُر عند حسام الدين لاجين، لا عند حسام الدين طرُنطاي كما يفهم من عبارة التويري هنا، وانظر أيضا النجوم (٢٧٨ / ٩)

(٢) في السلوك (٣١٤ / ٢) والنجوم (٢٧٨ / ٩) الملك الأشرف خليل بن قلاوون.

(٣) كان تولى الناصر السلطنة بمصر في المرة الأولى في المحرم سنة ٦٩٣ هـ، وكانت ولايته الثانية في جمادى الآخرة سنة ٦٩٨ هـ وكانت ولايته الثالثة في سنة ٧١٠ هـ.

(٤) الزيادة من النجوم (٢٧٧ / ٩) والسلوك (٣١٤ / ٢).

السلطان قضاة القضاة إلى مخيمه وهو يتصيد بالقرب من طنان^(١) وذلك فى سنة []^(٢) وسبعمائة، واستفتاهم فى ذلك فأفتوه أنه بهذا الاعتبار باق على الرقّ لسلطان غياث الدين وذريته، فتحيلوا فى ذلك، وفكروا فى طريق يخلصه من الرق، فأبيع على الغائب، وأرث السلطان غياث الدين بإذن قاضى القضاة نور الدين الشافعى بمبلغ خمسة آلاف درهم، اشتراه ولدا الأمير حسام الدين طرنطاي، وهما الأميران: ناصر الدين محمد وعلاء الدين على بالثمن المذكور، وأنعم السلطان بالثمن من ماله، وأودع للغائب، وعتقه، وجُدّد نكاحه وأعتق ثانيا جميع من كان أعتقه أولا.

ولم يزل رحمه الله فى الخدمة السلطانية على غاية الإكرام والقرب من السلطان وملازمته فى أسفاره وصيده، ولو غاب يوما واحدا كان معه إلى أن مات رحمه الله تعالى، وأوصى بثلث ماله صدقةً، وثبتت وصيته ونفذت، وخلف تركة جليلة، وأحسن السلطان إلى ورثته بعده؛ فأنعم على ولده الأمير ناصر الدين محمد بإمرة عشرة طواشية، وعمره يوم ذاك نحو ثلاثة عشرة سنة، وأنعم على ولده الأمير عبد الله بإقطاع، وعمره نحو خمس سنين، وعرض ممالكه، فنزل جماعة منهم فى جملة الممالك السلطانية، وفُرّق السلطان إقطاعه، فأكمل منه للأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير على ما بيده، فأكمل له مائة فارس، وقدمه على ألف، وأعطى جوجر^(٣) للأمير صلاح الدين يوسف بن الأسعد وجعله شاد الدواوين، وأعطى الأمير سيف الدين طوسون منه منية^(٤) زفتى، عوضا عما ارتجعه من إقطاعه.

(١) أوردها ابن ممتى فى (قوانين الدواوين ص ١٦٠) وذكر أنها من أعمال الشرقية، وكذلك فى (تحفة الإرشاد)، وهى من القرى القديمة، وذكرها ياقوت فى (معجم البلدان) فقال: من أعيان قرى مصر، قريبة من القسطنطينية، وفى القاموس الجغرافى (١/ قسم ٢ ص ٥٧) وردت فى قرى مركز قليوب بمحافظة القليوبية.

(٢) بياض بالأصل، ولم يرد هذا الخبر فى ترجمته فى الدرر (١/ ٤٨٤) والنجوم (٩/ ٢٧٨) والسلوك (٢/ ٣١٤ و ٣١٥).

(٣) جوجر: من قرى مصر من أعمال السمنودية.

(٤) فى النجوم (٩/ ٢٧٧) منية زفتة، وهى من المدن المصرية القديمة واسمها فى القبطية زيتة، وقد ذكرها الأدرسى فى (نزهة المشتاق)، وابن ممتى فى (قوانين الدواوين) ١٨١ وسماها منية زفتى جواد، وفى معجم البلدان: منية زفتى بلدة فى شمال مصر على فوهة النهر الذى تؤدى إلى دمياط ويقابلها منية غمر، وفى تاريخ سنة ١٢٦٣ هـ وردت باسم زفتى، وهو اسمها الحالى، وهى قاعدة مركز زفتى بمحافظة الغربية، واقعة على الفرع الشرقى للنيل.

وفيهما في سحر يوم الجمعة السابع من جمادى الأولى توفي الشيخ الإمام العالم العابد الزاهد العلامة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ الإمام العلامة تاج الدين أبي محمد بن عبد الرحمن بن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري^(١) البدرى الشافعى المعروف والده بالفركاح، سمي كذلك لعرج كان برجله، وكانت وفاته بمنزله بمدرسة البادرانية^(٢)، وصلى عليه بجامع دمشق عقيب صلاة الجمعة، وكانت جنازته مشهودة، وصلى عليه ثانيا عند باب جامع جراح، ومرة ثالثة عند باب التربة، ودفن بترتتهم بمقبرة الباب الصغير، ومولده بدمشق في شهر ربيع الأول سنة ستين وستمائة، ومحلّه من العلوم والزهّد والنزاهة المحلّ الذى لا يُجْهَل، وامتنع من قبول قضاء القضاة بدمشق مراراً، ولم يوافق على قبول الولاية، وله تصانيف فى العلوم، وسمع من نحو مائة شيخ، منهم ابن عبد الدائم، وابن أبى اليسر، وحديث بصحيح البخارى وغيره.

قال الشيخ علم الدين البرزالى فى تاريخه عنه: وله اختصاص بمعرفة الفرائض، وله فيها تصنيف، وله تعليقة كبيرة على كتاب التنبيه فى عدة مجلدات، وله مصنفات صغار وأشياء مفيدة، وله مشاركة فى معرفة الأصول والنحو، وله مصنف فى المنطق، وغير ذلك.

قال: وطلبت من الشيخ كمال الدين بن الزمّلكانى أن يكتب لى ترجمته فكتب: هو إمام فاضل، وفقه عالم، كثير الديانة غزير الفضائل، متقشف متزهّد متورّع متواضع حسن الصمت، لطيف الكلام، مُتَصَدِّقٌ للنفع والإفادة وشغل الطلبة وإفتاء المستفتين، وإرشاد الطالبين، تقدم فى معرفة مذهب الشافعى ونقله، وأفتى ودرس فى شبيبته، وعرضت عليه المناصب فأبأها، وترك الخطابة بجامع دمشق بعد أن وليها وامتنع منها، وروجع فى ذلك فلم يقبل^(٣)، وتصدر ليلاً ونهاراً للإقراء والإفتاء، والجمع والإفادة، ملازم الخير

(١) ترجمته فى المنهل الصافى (٨٠/١) والدرر الكامنة (٣٤/١) والدارس فى تاريخ المدارس (٢٠٨/١) والشذرات (٨٨/٦).

(٢) فى الدارس فى تاريخ المدارس (٢٠٥/١) البدرانية: داخل باب الفرديس والسلامة شمالى جيرون، وشرقى الناصرية الجوانية، كانت تعرف بدار أسامة، نسبة لأسامة الجبلى أحد أكابر الأمراء قال ابن شداد: أنشأها الشيخ العلامة نجم الدين عبد الله بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن عثمان الباذرائى البغدادى الفرضى، وأصله من باذريا (بلد بالعراق من قرى واسط).

(٣) فى الدارس فى تاريخ المدارس (٢٠٨/١ و ٢٠٩) ورد هذا الخبر نقلاً عن ابن كثير، وعبارته: « فى سنة خمس وسبعمائة وفى يوم الخميس ثانى عشر ذى القعدة وصل البريد من مصر بتولية الفزاري الخطابة عوضاً عن عمه شرف الدين فباشرها يوم الجمعة ثالث عشر، ثم بعد خمسة أيام عزل نفسه عن الخطابة، وأثر بقاءه على تدريس البادرانية حين بلغه أنها طلبت لتؤخذ منه، فبقى منصب الخطابة شاغراً.

(١٠١) وحسن الطريقة، متقللاً من الدنيا / مُتَحَرِّزاً في فتواه، لا يفتي إلا فيما تحقق نقله، وإذا أفتى احترز وقيد ألفاظه، ولوبالقيود العامة، لئلا يكون عليه مطعن أو مأخذ، وكان بيده تدريس المدرسة البادرانية، وليها بعد والده، واستقر بها، واقتصر على شرح واقفها، وإذا فرغ من تدريسه بها تصدر في الجامع للإقراء والتعليم والفتوى، وإذا رجع إلى منزله عاوده الشغل والمذاكرة، ولم يزل هذا دأبه، انتهى كلام الشيخ كمال الدين فيه، رحمهما الله تعالى.

وفيهما في ليلة الاثنين السادس عشر من جمادى الآخرة توفي القاضى معين الدين أبو المواهب هبة الله بن معين^(١) الدين مسعود بن عبد الله بن أبي الفضائل أو المفضل^(٢) حشيش، صاحب ديوان الجيوش المنصورة بالأبواب السلطانية، وكانت وفاته بالقاهرة بدار كان يسكنها برأس حارة الجوجرية، ودفن في يوم الاثنين بالقرافة الصغرى بتربة القاضى فخر الدين ناظر الجيوش، ومولده في أواخر شهور سنة ست وستين وستمائة، وكان رحمه الله تعالى حسن المودة والمحاضرة والمذاكرة، وله شعر جيد ونثر، وكان كاتباً أتقن صناعة كتابة التصريف، ما رأيت أجود من ذهنه وإتقانه وضبطه، سألته في سنة ست عشرة وسبعمائة عن بلدة تسمى (بدويّه)^(٣) من أعمال الدقهلية والمرتاحية، لمن أقطعت في الروك الناصري، فذكر لى أنها كانت قبل الروك لسبعة من رجال الحلقة المنصورة، وسمى بعضهم، ثم ذكر من أقطعت باسمه في الروك الناصري من غير أن يكشف حسابيه، فقلت له: أرنى الحساب الذى يدل على هذا، وقصدت بذلك تحقيق نقله، فأخرج حسابيه، فتأملته، فما وجدته أخل بشيء منه، حتى كأنه كان يشاهده، فعجبت من ذلك، وحكيته عنه رحمه الله تعالى، واشتغل بأنساب العرب، ونظر في التاريخ رحمه الله تعالى.

(١) فى السلوك (٢/ ٣١٥) « أبو المواهب هبة الله بن علم الدين » وترجمته فى: (الدرر ٤/ ٤٠٤).

(٢) الشك من النويرى، ولم ترد هذه الكنية فى اسمه كما جاء فى السلوك وفى الدرر (٤/ ٤٠٣) هبة الله بن مسعود بن أبى الفضائل = معين الدين بن حشيش.

(٣) هذا هو اسمها على السنة العامة اليوم، وهو الاسم الأصلى لها ووردت فى ابن ممتى (قوانين الدواوين ص ١١٢) باسم بدويه وحصتها، وعدّها فى أعمال الدقهلية/ وفى القاموس الجغرافى (ج) قسم ٢ ص ٢١٧) إحدى قرى المنصورة، وتبعد عنها إلى الشمال مسافة ١٠ كم .

وفيهما في يوم السبت رابع عشر ذي القعدة - بعد أذان العصر - توفي قاضي القضاة شيخ المشايخ علاء الدين أبو الحسن علي بن الشيخ نور الدين أبي الفداء إسماعيل بن جمال الدين أبي المحاسن يوسف القُوتَوِيّ التبريزي الأصل الشافعي قاضي القضاة بدمشق^(١)، وكانت وفاته ببستان بالسُّهْم^(٢) ظاهر دمشق، وصُلِّيَ عليه بمصلى الجامع المُظفرِيّ بكرة نهار الأحد، وأمَّ الناس في الصلاة عليه الخطيب بدر الدين^(٣) محمد بن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جلال الدين القَزَوِينِي، وحمل إلى تربة اشتراها له الأمير حسام الدين طُرُنْطَاي البَشْمَقْدَار الحاجب بمبلغ أربعمئة درهم بوصية منه أن يدفن في أرض لم يدفن فيها أحد، فاشترى له داراً كانت لأولاد قَمَر الدولة، واحترقت لما دخل غازان الشام، فحُفِرَ له في وسط^(٤) الدار، وله يومئذ نحو ستين سنة، فإن مولده بقُوتِيَّة^(٥) في سنة ثمان وستين وستمئة تقريباً، وقد ذكرنا من أخباره وحسن سيرته في ولاية قضاء الشام ما فيه كفاية، رحمه الله تعالى.

وفيهما في ليلة السبت سادس ذي الحجة - بعد أذان العشاء الآخرة - توفي الرئيس صاحب عز الدين أبو يَعْلَى^(٦) حمزة بن الصدر الرئيس مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن الصدر عز الدين أبي غالب المظفر بن الوزير مؤيد الدين أبي المعالي أسعد بن الرئيس العميد أبي يَعْلَى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي الدمشقي، المعروف بابن القَلَانِسِيّ، مولده في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر جمادى^(٧) الآخرة سنة تسع وأربعين وستمئة،

(١) ترجمته في (الدرر ٣/ ٢٨-٢٤) والشذرات (٦/ ٩٠ - ٩١) والنجوم (٩/ ٢٧٩) والسلوك (٢/ ٣١٥) والدارس في تاريخ المدارس (١/ ١٦١)

(٢) السهم: يقع في حد الصالحية من جهة الغرب إلى القبلة بين أرض أرزة وحارة الجوبان ويقال له السهم الأعلى وانظر: (المروج السندسية في تلخيص تاريخ الصالحية ٦٥ - ٦٧)

(٣) ترجمته في الدرر (٣/ ١٨٥) ومولده في سنة ٧٠١ هـ ووفاته سنة ٧٤٢ هـ

(٤) في الشذرات (٦/ ٩١) والدارس في تاريخ المدارس (١/ ١٦٢) أنه دفن في سفح قاسيون.

(٥) في المراسد ٣/ ١١٣٤ قونية: من أعظم مدن المسلمين ببلاد الروم (آسيا والصغرى).

(٦) وردت ترجمته في الدارس في تاريخ المدارس (١/ ٩٦) عند الكلام على دار الحديث القلاسية، ويختلف نسبه عما جاء هنا فقد ذكر أنه: عز الدين أبو ليلى حمزة بن أسعد بن غالب بن المظفر بن الوزير أبي المعالي أسعد بن العميد بن يعلى حمزة.. أحد أمراء دمشق الكبار، وله ترجمة في الدرر (٢/ ٧٥).

(٧) في الدرر (٢/ ٧٥) أن مولده سنة تسع وأربعين وستمئة، أو سنة ست وأربعين.

وكانت وفاته ببستانه بسفح جبل قاسيون، وصُلِّيَ عليه بمصلى الجامع المظفرى، وأمَّ الناسَ فى الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام، ثم صلى بعد ذلك عليه وأمَّ الناس قاضى القضاة عز الدين الحنبلى، ودفن بتربة والده بسفح قاسيون.

وكان رحمه الله تعالى رجلاً دَيِّناً صَدْرًا جليلاً معظماً، لا يرتفع عليه أحد فى المجلس، ولى وكالة الخواص السلطانية الملكية الناصرية فى سنة سبع وسبعمائة، ثم ولى وزارة الشام كما تقدم، وانفصل منها، واستقر فى ولاية الخواص، ثم انفصل من ذلك كله، وكان من أغنياء الناس وأكابرهم، وله عدة ممالك فى جملة رجال الحلقة المنصورة الشامية، وكان رحمه الله تعالى حسن المودة، قدمت إلى دمشق سنة ثنتى عشرة وسبعمائة عند عودى من طرابلس بعد وزارته، فجاءنى للسلام على، وكنت نزلت عند قاضى القضاة نجم الدين صَصْرَى^(١) بدار ابن عمه شرف الدين رحمهم الله، وأظهر الألم من كونى لم أنزل عنده، وعتب على أصحابى كونهم ما عرفوه قبل قدومى، ليتلقانى وينزلنى عنده.

وفيهما فى يوم الخميس حادى عشر ذى الحجة توفى صاحب ناصر الدين محمد بن صاحب فخر الدين محمد بن الوزير تاج الدين محمد بن الشيخ فخر الدين محمد بن الوزير بهاء الدين على بن محمد بن سليم المعروف جد أبيه بابن حنا^(٢) أحد وزراء الدولة الناصرية والده، ووزير الدولة الظاهرية الركنية جد أبيه، وكان يلقب بالصاحب، ولم يل وزارة ولا مايقاربها، وإنما يلقب بذلك على عادة أسلافه، وكانت وفاته بداره ببركة الحبش، ودفن يوم الجمعة بالقرافة عند قبر والده رحمهما الله تعالى، وكان مباشر صحابة ديوان الأعباس، باشر هذه الوظيفة لفاقة نالته، وحاجية مسته، والله أعلم.

* * *

(١) ترجمته فى النجوم (٢٥٨/٩) والدارس فى تاريخ المدارس (١٣٢/١) والدرر الكامنة (٢٦٣/١) واسمه كما ورد فيها: أحمد بن محمد بن سالم، نجم الدين بن صصرى، مولده فى ذى القعدة سنة ٦٥٥هـ ووفاته فى ربيع الأول سنة ٧٢٣هـ. وانظر فى بنى صصرى (المنهل الصافى ٤٣/١ حاشية ٣).

(٢) الضبط من: تبصير المتنبه بتحريр المشتبه لابن حجر ص ٤٧٣.

واستهلت سنة ثلاثين وسبعمائة / بيوم الأربعاء الموافق الثامن (١٠٢)
والعشرين من بابة من شهور القبط، والسلطان الملك الناصر يتصيد بجهة
سَرياقوس، وكان قد توجه لذلك من قلعة الجبل في يوم السبت السابع
والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وعشرين وسبعمائة، ووصل إلى مُخيّمه
المنصور الأمير سيف الدين تَنكُز نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس،
وكان وصوله في يوم الثلاثاء سلخ ذى الحجة، ثم وصل السلطان إلى قلعة
الجبل في هذا النهار، وهو مستهل المحرم، وصحبته الأمير سيف الدين تَنكُز،
وقد لبس للتشريف على عادة، وأقام في الخدمة السلطانية يركب على عادة
نواب السلطنة إلى بكرة نهار السبت الحادى عشر من الشهر، فتوجّه في خدمة
السلطان إلى سَرياقوس في بكرة يوم السبت المذكور، وتوجه منها إلى دمشق،
واستمر السلطان بتلك الجهة إلى نهار الثلاثاء رابع عشر الشهر، فعاد إلى قلعة
الجبل في هذا النهار، وأقام بها، ثم توجه أيضا إلى سرياقوس، وعاد.

وأما الأمير سيف الدين تَنكُز فإنه لما فارق الخدمة السلطانية عائداً إلى
الشام توجه إلى القُدُس الشريف وبلد الخليل - صلوات الله عليه - فزار، وكان
قد أنشأ مدرسة بالقدس الشريف، فشاهدها، ثم توجه إلى دمشق، فكان
وصوله في يوم الجمعة رابع عشرين المحرم^(١).

* * *

(١) ورد هذا الخبر موجزا في: النجوم (٩٣/٩) والسلوك (٣١٦/٢).

ذكر تفويض قضاء القضاة بالشام إلى القاضي

علم الدين بن الإخنائي^(١)

لما اتصل بالسلطان - خلد الله سلطانه - وفاة قاضي القضاة الشيخ علاء الدين القونوي قاضي الشام، استشار فيمن يفوض إليه القضاء بالشام، فوقع الاختيار على قاضي القضاة علم الدين محمد بن القاضي زين الدين أبي بكر بن القاضي ضياء الدين عيسى بن بدر بن [رحمه]^(٢) السعدي الإخنائي^(٣) وكان يلي قضاء الإسكندرية، كما قدمناه، فطلب إلى الأبواب السلطانية، فحضر من الشجر في أوائل ذي الحجة سنة تسع وعشرين وسبعمائة، ففوض السلطان إليه القضاء بالشام، وخلع عليه تشريف القضاة، وأنعم عليه ببغلة، وذلك في يوم السبت رابع المحرم من هذه السنة، وتوجه من القاهرة المحروسة على خيل البريد، في بكرة نهار السبت حادي عشر الشهر، صحبة نائب السلطنة بالشام الأمير سيف الدين تنكز، ووصل معه لزيارة الخليل صلوات الله عليه والبيت المقدس، وألقى الدرس بمدرسة نائب السلطنة التي أنشأها بالقدس الشريف، ثم توجه إلى دمشق، فوصل إليها في يوم الجمعة رابع عشرين المحرم، وقُرئ تقليده في الشُّبَّاك الكمال لجامع دمشق في يوم الجمعة مستهل صفر، وجلس لإلقاء الدروس بالمدرسة العادلِيَّة^(٤) والغزاليَّة^(٥) في يوم الأحد ثالث صفر من السنة.

وفيهما في يوم الاثنين - سادس المحرم - توجه الأمير سيف الدين بَكْتَمُر العلائي - أستاذ الدار كان - من الأبواب السلطانية إلى نيابة السلطنة. وتقدمة

(١) ترجمته في الدرر (٤٠٧/٣) وطبقات السبكي (٤٥/٦) والوافي بالوفيات (٢٦٩/٢) والشذرات (١٠٣/٦) والسلوك (٣١٦/٢).

(٢) في الأصل أحمد وما أثبتناه من ترجمته في المصادر السابقة.

(٣) نسبة إلى إخنا وهي - كما في مراصد الاطلاع ٤٣/١ - مدينة قديمة ذات عمل منفرد بمصر، وفي قوانين الدواوين ص ٩٠ إخنويه - بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه - من أعمال الغربية.

(٤) العادلِيَّة: سبقت الإشارة إليها في هذا الجزء ص ٢٣٨ حاشية (١).

(٥) الغزاليَّة: في الزاوية الشمالية الغربية، شمالي مشهد عثمان، المعروف الآن بمشهد النائب من الجامع الأموي تنسب إلى الشيخ نصر المقدسي، وتنسب إلى الغزالي رحمه الله، قالوا: لأن الغزالي لما دخل دمشق قصد الخانقاة السيساطية ليدخل إليها فممنعه الصوفية من ذلك لعدم معرفتهم به، فعدل عنها وأقام بهذه الزاوية إلى أن علم مكانه وعرفت منزلته (الدارس في تاريخ المدارس ٤١٣/١ و٤١٤).

العسكر بغزة المحروسة عوضاً عن الأمير عز الدين أيبك الجمالى، ونقل الجمالى إلى نيابة البيرة بحكم وفاة نائبها الأمير حسام الدين لاجين المنصورى الحسامى، ولما توجه الأمير سيف الدين بكتمر إلى غزة أنعم السلطان بإقطاعه على الأمير سيف الدين بهادر الناصرى، وهو من ممالك تمرناش بن جوبان.

ذكر وصول الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة إلى الخدمة السلطانية وتوجهه فى خدمة السلطان إلى الصيد وعوده إلى حماة^(١)

كان وصوله إلى الأبواب السلطانية فى يوم الاثنين العشرين من المحرم وخُلع عليه وعلى ولده فى هذا اليوم قبل طلوعهم إلى الخدمة، فطلعا إلى الخدمة السلطانية وعليهما التشاريف، واستمرا فى الخدمة السلطانية، وتوجها فى خدمة السلطان إلى الصيد فى الوجه القبلى، وكان استقلال الركاب السلطانى من قلعة الجبل فى يوم السبت تاسع صفر، وأقام بمنزلة الأهرام بالجيزة إلى بكرة نهار الأربعاء ثالث عشر صفر، وعاد إلى قلعة الجبل.

وكان سبب عوده أنه حصل له فى يده اليسرى دُمْل صغير قلق بسببه، واشتد به الألم، فاقتضى ذلك عوده فى هذا اليوم، وأقام بقلعة الجبل حتى فتح الدمى وبرئ^(٢) منه، ثم توجه فى يوم الخميس حادى عشرين الشهر إلى الأهرام، واستقل ركابه إلى الصيد المبارك بالوجه القبلى، فانتهى إلى ناحية «هو»^(٣) والكوم الأحمر^(٤)، وعاد إلى مكان وصوله - إلى قلعة الجبل المحروسة - فى يوم الجمعة خامس شهر ربيع الآخر وقت الصلاة، والملك المؤيد وولده فى خدمته، وفى يوم الاثنين ثامن الشهر خلع السلطان عليهما على عادة الملوك

(١) فى السلوك (٣١٧/٢) والنجوم (٩٣/٩) ورد هذا الخبر فى حوادث سنة ٧٣٠هـ ولم يورده أبو الفدا نفسه فى تاريخه ضمن حوادث هذه السنة، وأورد خبراً مشابهاً له فى حوادث سنتى ٧٢٧هـ و٧٢٨هـ (تاريخ أبى الفدا ٩٦/٤ و٩٧ و٩٨).

(٢) انظر فى هذا الخبر (السلوك ٣١٧/٢) والنجوم (٩٣/٩).

(٣) الضبط من السلوك (٣١٧/٢) وفيه «مدينة هو: بالصعيد الأعلى، وفى النجوم (٩٣/٩) حاشية (٢) هو: من قرى مركز نجع حمادى بمديرية قنا.

(٤) الكوم الأحمر: من قرى مركز البدارى بمحافظة أسيوط.

أصحاب حماة ورسم بعوده إلى مقر ملكه بحماة، فعاد في هذا اليوم بعد أن شمله الإنعام السلطاني على عادته.

مَعِينُ التَّارِيخِ
لأهل التَّارِيخِ

/ ذكر توجه السلطان إلى الصيد وعوده

(١٠٣)

وسبب ما حصل في يده من التصدع ومعالجة ذلك وبرئه

لما عاد السلطان من الصيد بالوجه القبلي أقام بقلعة الجبل إلى يوم الخميس خامس عشرين شهر ربيع الآخر، وتوجه في بكرة النهار إلى الصيد بالوجه البحري، ثم عاد في عشية نهار الجمعة.

وسبب عوده أنه تَقَنَّطَ عن فرسه في يوم الجمعة المذكور، فانكسرت يده اليسرى، فعاد واستقر بقلعة الجبل، وعُولج^(١) وكان الأمراء يركبون في أيام المواكب إلى سوق الخيل، ويطلقون إلى الخدمة على العادة إلى أن ينتهوا إلى دركاة باب القلعة^(٢)، ثم يُؤَمَّرُوا بالانصراف، ولا يصل السلطان غير مماليكه الأمراء الخاصكية، واستمرت الحال على ذلك إلى يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة.

وفي بكرة النهار جلس السلطان بالقصر الأبلق بقلعة الجبل، ودخل عليه أمير جاندار والحجاب، فخلع على أرباب الوظائف، وهم: الأمير ركن الدين بِيَبْرُسُ الأحمدي أمير جاندار^(٣) ومن معه، والأمير سيف الدين ألماس الحجاب^(٤)، والأمير علاء الدين مُغَلَطَاي الجمالي أستاذ الدار خلعاً كاملة بكتلات زَرْمُش، وحوايص ذهب، وخلع على سائر أرباب الوظائف من الأمراء والمماليك السلطانية، ثم جلس في يوم الخميس ثامن جمادى الآخرة بالقصر

(١) في النجوم (٩٣/٩) أن الذي أشرف على علاج يد السلطان رجل من المجبرين يعرف بابن بوسقة، وفي السلوك (٣١٨/٢) ابن بوسنة، وكلا المصدرين أورد الخبر في شيء من التفصيل.

(٢) الدركاة: كلمة فارسية معناها: الفضاء، أو الممر المؤدي إلى مدخل بناء من الأبنية الكبرى. وفي السلوك (١٤٩/٢) أن الناصر محمد بن قلاوون أنشأ إيواناً جليلاً، وعمل به قبة عالية متسعة، ورخمه رخاماً عظيماً، وجعل قدامه دركاة فسيحة.

(٣) ترجمته في الدرر (٥٠٢/١) ووفاته في سنة ٧٤٦هـ.

(٤) من كبار أمراء المماليك، وكان بمصر بمنزلة النائب بها، ولكنه لم يتسم نائباً، ترجمته في الدرر (٤١٠/١ و٤١١) ووفاته سنة ٧٤٧هـ.

الأبلق^(١) أيضا جلوسا عاما، ودخل إلى الخدمة سائر الأمراء الأكابر مقدمى الألو، وأمراء الطبلخانة والعشرات، ومقدمى الحلقة وغيرهم، ولما عوفى السلطان استبشر الناس بذلك، وزُيّنت المدينتان زينة عظيمة فى يوم الأحد رابع الشهر، ولازم الناس الأسواق ليلا ونهارا، ولم يقتصر فى الزينة على قسبة المدينتين بل سائر الأسواق والقياسير وغيرها، وأنشئت كتب البشائر بعافية السلطان وصحته إلى النواب بسائر الممالك السلطانية، وتوجه بها الأمير سيف الدين آقباغا عبد الواحد الجمدار أحد الأمراء مقدمى الألو، وكان توجهه بعد صلاة الجمعة تاسع الشهر، ووصل إلى دمشق فى يوم الأربعاء رابع عشر الشهر، وتوجه منها إلى حلب وعاد.

وفى يوم الجمعة تاسع الشهر أيضا حضر السلطان إلى الجامع بقلعة الجبل، وصلى الجمعة، وزفت البشائر بباب الإسطبل السلطاني، وعلى أبواب الأمراء بقلعة الجبل والقاهرة، واستمر ذلك إلى الظهر من يوم الأحد حادى عشر جمادى الآخرة^(٢)، فرسم بإزالة الزينة والطبلخانة، وكانت هذه الأيام المذكورة أياما مشهودة حتى غصت المدينة بالناس لكثرة الازدحام، حتى عجز الناس فى بعض الأوقات عن المرور بقسبة المدينة، وكانوا يمشون فى بطائن الأزقة.

ذكر إقامة الخطبة وصلاة الجمعة بالمدرسة الصالحية^(٣)

النجمية بالقاهرة المحروسة

وفى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول سنة ثلاثين وسبعمئة حضر الأمير جمال الدين أقش الأشرفى المنصورى المعروف بنائب الكرك^(٤)، وهو أجل أمراء الدولة وأقربهم من السلطان مجلسا إلى المدرسة الصالحية النجمية

(١) هذا القصر ذكره المقرئ فى الخطط (٢٠٩/٢) فقال: إن هذا القصر يشرف على الإسطبل السلطاني، أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٣هـ وانتهت عمارته سنة ٧١٤هـ، وأنشأ بجواره جنينته وفى النجوم (٣٦/٩) حاشية (٣) تحديد لموقعه الحالى.

(٢) كانت مدة الاحتفال بشفاء السلطان أسبوعا، وقد أورد المقرئ فى الخبر فى السلوك (٣١٨/٢) وأورد وصفا لهذه الاحتفالات.

(٣) الصالحية النجمية: تنسب إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ..

(٤) هذا الخبر أوردته المقرئ فى مجمل فى السلوك (٣١٧/٢).

التي بالقاهرة بخط بين القصرين، وجلس بإيوانها القبلى، ومعه قاضى القضاة جلال الدين القزوينى الشافعى فى جماعة من أعيان الفقهاء الأكابر، وأحضر منبرا استجده، وأمر بنصبه بالإيوان القبلى المذكور من المدرسة المذكورة، وهو الإيوان الموقوف على طائفة الفقهاء الشافعية، فنُصب، وأحضر دُكَّة يُقرأ عليها المصحف الشريف، ويُؤذَّن عليه المؤذنون الأذان الثانى، ويُبَلِّغون عن الخطيب، وأقيمت الخطبة بها وصلاة الجمعة فى يوم الجمعة حادى عشرين الشهر، خطب بها القاضى جمال الدين إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم الغزى.

ورتب الأمير المشار إليه من ماله فى كل شهر ما يذكر، وهو للخطيب المذكور خمسين درهما، ولستة نفر من المؤذنين أحدهم يقوم أمام الخطيب لكل منهم عشرة دراهم، ولقارئ المصحف عشرة دراهم، ولفراشين لفرش الحصر فى يوم الجمعة ورفعها بعد الصلاة خمسة وعشرين درهما، ولمن يحمل المصحف الشريف ثلاثة دراهم وثلث درهم، ولمن ينحَر يوم الجمعة ثلاثة دراهم وثلث درهم، ولسقاء يسقى الماء ثلاثة دراهم وثلث، ولخدام القبة الصالحية فى كل سنة خمسين درهما، ولجماعة من التَّكْرُور بالمدرسة خمسين درهما فى السنة.

ذكر إنشاء الخانقاة العلائية بالقاهرة

كان الأمير علاء الدين مُغلطاي الجمالى الناصرى أستاذ الدار العالية قد أنشأ خانقاة قبالة داره برأس دَرْب مُلوخيا بالقاهرة / المعزية^(١)، وكملت عمارتها فى هذه السنة، وحصل الجلوس فيها فى يوم الأربعاء السابع من جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعمائة.

ورتب المشيخة بها والتدريس للقاضى علاء الدين على بن القاضى فخر الدين عثمان الماردىنى الحنفى المعروف والده بالترُكمانى^(٢)، وشرط أن يجلس

(١) فى النجوم (٩٦/٩) أن علاء الدين مغلطاي الجمالى ابتداء فى هذه السنة - سنة ٧٣٠ - عمارة جامع بين السورين، وسمى جامع التوبة لكثرة ما كان هناك من الفساد. وفى السلوك (٣٢٣/٢) « وفيها - سنة ٧٣٠هـ - ابتداء علاء الدين مغلطاي الجمالى فى عمارة مدرسة بجوار داره قريبا من درب ملوخيا بالقاهرة، ووقف عليها أوقافا جليلة » وانفرد النويرى بتسميتها خانقاة.

(٢) على بن عثمان بن مصطفى الماردىنى الأصل علاء الدين بن التركمانى الحنفى مولده سنة ٦٨٣هـ ووفاته سنة ٧٥٠هـ (الدرر ٨٤/٣).

فى أول النهار لإلقاء درس على مذهب الإمام أبى حنيفة، ويجلس بعد صلاة العصر هو وجماعة الصوفية، ورتب له فى كل شهر عن المشيخة والتدريس ستين درهماً، وثمان خبز ولحم أربعين درهماً، ورتب بها عشرين من الصوفية، يحضرون الدرس لكل منهم فى كل شهر واحداً وعشرين درهماً من ذلك جامكية سبعة دراهم ونصف، وثمان خبز ستة دراهم، وثمان طعام سبعة دراهم ونصف درهم، ورتب الواقف من فائض الوقف أحد عشر طالباً لحضور الدرس خاصة، وجعل للمُنْتَهَى منهم فى كل شهر عشرة دراهم، وللمُبْتَدِئِ ثلاثة دراهم وما بين العشرة والثلاثة، ورتب أيضاً من فائض الوقف لخادم الفقراء فى كل شهر تسعة دراهم، ورتب من أصل الوقف لإمام بالمكان فى كل شهر ثلاثين درهماً، ورتب لعشرة نفر من القُرَّاء يقرءون القرآن العظيم بالمدفن الذى أنشأه لنفسه لكل منهم فى كل شهر عشرة دراهم، شَرَطَ فى كتاب الوقف أربعة، وزاد من الفائض ستة، ورتب لهم أن يقرءوا فى الأوقات التى تذكر: عند طلوع الشمس نفرين^(١)، وبعد صلاة الظهر ثلاثة، وبعد صلاة المغرب نفرين، وبعد صلاة العشاء نفرين، ولوظيفة الصوفية قارئاً، ورتب لقارئ الميعاد فى كل شهر عشرة دراهم، ومن الفائض درهمين، ورتب للمؤذنين فى كل شهر أربعين درهماً، ولخادم زمام بالمدفن فى كل شهر خمسين درهماً ولقراش فى كل شهر عشرين درهماً ومن الفائض عشرين درهماً فى الشهر، ورتب لمن يتولى المَزُولَةَ^(٢) فى كل شهر من الفائض عشرة دراهم، ورتب للبواب فى كل شهر عشرين درهماً، وللقِيَمِ عشرين درهماً، وللسُّوَّاقِ^(٣) فى كل شهر عشرين درهماً، ورتب زيتاً برسم الوقود فى كل شهر خمسين رطلاً، ورتب مكتب سبيل فيه عشرون نفراً من الأيتام رتب لكل منهم فى كل يوم ثمن درهم يكون فى كل شهر ثلاثة دراهم ونصف وربع درهم، ورتب لهم كسوة فى فصل الشتاء والصيف، لجميعهم ستمائة درهم، وثمان أدوية ومِداد فى كل شهر درهماً

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٧١ من هذا الجزء. وأراد بالنفر هنا الفرد من الرجال وانظر الوسيط: (نفر).

(٢) فى الأصل مزواة، ويبدو أنها تحريف المزولة: وهى ساعة شمسية كان يعين بها الرقت بظل الشخص الذى يثبت عليها (المعجم الوسيط).

(٣) كذا فى الأصل، ولعل مراده من يحضر الطعام من السوق، وفصيحة سوقى، أو الذى يسوق ثور الساقية الوارد ذكرها بعد ذلك.

ونصف، ورتب غير ذلك مما يحتاج إليه المكان في كل شهر ثمن مُشاق^(١) للفتايل ثلاثة دراهم، وثمان عبي لمسح الرخام ومكانس ثلاثة دراهم، وغير ذلك من عُلُوفَة ثور الساقية وثمان طونس وقواديس، ورتب في السنة لملكو الصَّهْرِيح من الماء العذب، وأجرة غسله، وثمان أضحية مائة درهم، وثمان حلوى في شهر رمضان خمسين درهما، وثمان زيت زيادة في شهر رمضان، وثمان قناديل مائة درهم، ووقف على ذلك من أملاكه ما يقوم به وزيادة، أثابه الله تعالى.

ذكر وصول رسل ريدافرنس إلى الأبواب السلطانية

وفي هذه السنة وصل إلى الأبواب السلطانية رسل ريدافرنس فليب^(٢) - بالفاء وبعدها لام وباء مثناة من تحت وآخره باء - وهو صاحب فرانسة، وانتهت بهم سفنهم إلى ميناء عَكَا من الساحل الشامي، وكان وصولهم إليها في يوم الخميس خامس عشرين ربيع الأول، وعدتهم مائة وعشرون نفرا، ومثلوا بين يدي السلطان في يوم الخميس خامس عشر جمادى الآخرة، وكان قد جلس بالإيوان جلوسا عاما، وذلك بعد صحته مما كان حصل له.

وكان مضمون رسالتهم - فيما قيل - طلب بلاد الساحل الشامي والبيت المقدس، فأنكر السلطان عليهم وعلى مرسلهم، وأهانهم ورتب لهم في كل يوم مائة درهم وخمسين درهما، زيادة على ذلك، ثم استحضرهم ثانيا في يوم الخميس بدار العدل، ورسم بعودهم.

ذكر الإفراج عن الأمير سيف الدين بهادر

وفي يوم الاثنين السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعمائة أمر السلطان بالإفراج عن الأمير سيف الدين بهادر المعزى^(٣)، وهو من المماليك المنصورية الحسامية^(٤)، وكان قد اعتقل - كما ذكرنا - في يوم

(١) المشاق: المشاقة، وهي ما يسقط من الشعر والكتان ونحوهما عند المشط.

(٢) المشتغلون بمراجع التاريخ المصري في العصور الوسطى يقولون إن المقصود بهذا الاسم ملك فرنسا «Roide Franc» وكان ملك فرنسا حينذاك هو فيليب السادس (١٣٢٨ - ١٣٥٠ م) وهو أول ملك من بيت فالوا (Valois) وقد اشتهر في عصره بأنه من المتحمسين لفكرة الحروب الصليبية على النحو القديم. (السلوك ٣١٩/٢ حاشية ١)

(٣) في الأصل تقرأ «المغربي» وما أثبتناه من السلوك (٣١٩/٢) والنجوم (١٠٢، ٤٠/٩) وترجمته في الدرر (٤٩٦/١).

(٤) الحسامي: نسبة إلى حسام الدين لاجين، لأنه هو الذي اشتراه ورياه (الدرر ٤٩٦/١).

السبت العاشر من شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبعمائة، فكانت مدة اعتقاله خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوما، وأنعم عليه بإقطاع الأمير سيف الدين سَنَجَرُ الجَمَقْدَارُ أحد أمراء المائة ومقدمى الألوف، إلا أنه اختصر من إقطاعه صَنَبُو^(١) من الأعالى أضيفت إلى الخاص السلطاني، «وبجام»^(٢) من القليوبية أعطيت للأمير سيف الدين بهادر الناصري التَّمَرْتاشي زيادة على ما بيده، وتوجه الأمير علم الدين سَنَجَرُ الجَمَقْدَارُ إلى دمشق على إقطاع الأمير سيف الدين بهادر آص المنصوري^(٣) على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

ذكر وصول رسل الملك أبي سعيد

/ وفى هذه السنة فى يوم الخميس العشرين من شهر رجب وصل إلى (١٠٥) الأبواب السلطانية رسل الملك أبى سعيد بن خَرَبَنْدَا، والمشار إليه منهم الأمير حمزة، فمثلوا بين يدى السلطان فى يوم السبت الثانى والعشرين من الشهر، وأجراهم السلطان على عواندهم فى الإنعام والتشريف.

وبلغنا أن مضمون رسالتهم السلام على السلطان، وتهنئته بالعافية والسلامة، وغير ذلك من الكلام المحبب للخواطر المستميل للقلوب، وعاد إلى مرسلهم فى يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر المذكور، وتوجه لوداعهم الأمير سيف الدين أَيْتَمُشُ المَحمَدى، فوصلهم إلى قَطِيَا^(٤)، وعاد.

ووصل قبل توجههم إلى الأبواب السلطانية رسل نائب الملك أبى سعيد الشيخ حسن [الجلابرى]^(٥)، فأخروا عن المثول بين يدى السلطان إلى يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر بعد رحيل الأمير حمزة، ومثلوا بين يدى

(١) فى ابن ممتى (قوانين الدواوين ص ١٥٦) رسمت بالسین سنہو، وعدھا فى أعمال الأشمونین (مركز ملوی بمحافظة المنیة) وفى مراصد الاطلاع ٧٤٣/٢ سنہو: قرية بالصعيد على غربی النيل.

(٢) بجام: أوردها ابن ممتى (قوانين الدواوين ص ١١٠) وعدھا فى أعمال الشرقية، وفى (تحفة الإرشاد) أنها من أعمال ضواحي القاهرة، وانظر القاموس الجغرافى (١٢/٢).

(٣) ترجمه فى الدرر (٤٩٧/١) ووفاته بدمشق سنة ٧٣٠هـ.

(٤) فى مراصد الاطلاع ١١١١/٣ رسمت قطية، وقال فى تعريفها: قرية فى طريق مصر فى وسط الرمل قرب الفرما - والفرما الاسم القديم للمكان الذى تقع فيه بور سعيد اليوم.

(٥) الزيادة من السلوك (٢/٣٢٠).

السلطان يوم الخميس السابع والعشرين من الشهر فى اليوم المذكور، وأدوا الرسالة، وخلع عليهم دون عادة رسل الملك، وأعيدوا إلى مرسلهم.

وفيهما فى شهر رجب احترقت كنيسة النصارى المَلَكِيين^(١) التى بمصر حريقا عظيما، وصار بعض عواميدها الرخام جيرا لشدة الحريق، وكان بجوار الكنيسة مسجدان لم ينلهما من النار شىء، ثم رسم^(٢) بإعادة الكنيسة المذكورة، فأعيدت.

وفيهما فى يوم الأربعاء ثالث شعبان فوض السلطان قضاء ثغر الإسكندرية للقاضى علم الدين صالح بن القاضى المرحوم نجم الدين عبد القوى الإسنائى، وكان قبل ذلك يلى قضاء الأعمال الغربية نيابة عن قاضى القضاة جلال الدين القزوينى، فلما شَغَرَ ثغر الإسكندرية عن القضاء عند انتقال قاضيه علم الدين بن الإخنائى إلى دمشق - كما تقدم - عين السلطان لقضاء الثغر القاضى العالم شمس الدين محمد بن عدلان الشافعى، فامتنع من قبول الولاية، واستعفى، واعتذر بضعف، فأجيب إلى الإعفاء، وعين جماعة وعرضوا على السلطان فلم يول أحدا منهم، وعيّن القاضى علم الدين المذكور، فطلب من مدينة المحلة - وهى كرسى الغربية - فى يوم الخميس السابع والعشرين من رجب، فحضر إلى الأبواب السلطانية فى يوم الأحد سلخ الشهر، ومثل بين يدى السلطان فى يوم الأربعاء المذكور، وشافهه بالولاية، وشمله الإنعام بالتشريف الصوف والطّرحة - على عادة القضاة - فى يوم الاثنين ثامن الشهر، ومثل بين يدى السلطان ثانيا فى يوم الثلاثاء، وتوجه إلى الثغر، ووصل إليه فى يوم الثانى والعشرين من شعبان، ولم تطل مدة إقامته بالثغر، فإنه عزل عن القضاء فى يوم الاثنين ثانى عشر شوال منها^(٣).

(١) الملكانية: فى: صبح الأعشى (٢٧٦/١٣ و ٢٧٧) قال الشهرستانى: هم أتباع ملكان صاحب مذهبهم، ورأيت فى بعض المصنفات أنهم منسوبون إلى مركان أحد قياصرة الروم من حيث أنه كان يقوم بنصرتهم فقليل لهم مركانية ثم عرب إلى ملكانية. وانظر نهاية الرتبة (ص ١٢٠ حاشية ١، ٢).

(٢) فى السلوك (٢/٣٢٠) «ثم رسم للنصارى بإعادتها فأعيدت».

(٣) فى السلوك (٢/٣١٩) «أنه عزل لمضادته الأمير بيبيرس الجمدار نائب الثغر».

وفيهما فى يوم الجمعة حادى عشر[ى] (١) رمضان أقيمت الخطبة بالجامع الذى أنشأه الأمير سيف الدين قَوْصُون الناصرى خارج بابى (٢) زُوَيْلَة بالشارع الأعظم بجوار حمامى قاتل السَّبْع (٣) بِخُطِّ حَوْض ابن هِنَس (٤) وولى خطابته القاضى فخر الدين محمد بن يحيى بن مِسْمَار (٥) المعروف بابن شُكْر، ولم يخطب به فى هذه السنة، بل خطب قاضى القضاة جلال الدين القَزْوِينى الشافعى، ثم استمر خطيبه المذكور فى الخطابة.

وفيهما فى يوم الاثنين تاسع عشر شوال وصل إلى الأبواب السلطانية رسل متملك اليمن، وهو الملك المجاهد سيف الإسلام على بن الملك المؤيد هَزِرَّ الدين داود بالهدايا والتحف، ومن جملتها فيلان، فقبلت هدية مرسلهم، وحصل الإنكار الشديد عليه وعليهم، فإنه اتصل بالسلطان أن ملك مدينة دهلى وبلاد الهند (٦) أرسل إلى السلطان هدية عظيمة لم يرسل مثلها لملك قبله، وأنها لما وصلت إلى ثغر عَدَن قُتِل الرسول باتفاق من الملك المجاهد ووزيره، واستولى الملك المجاهد على الهدية بكمالها، وأن الذى أهدها الملك المجاهد إنما هو شىء يسير من جملتها، فغضب السلطان لذلك، وأمر باعتقال رسله وخاله، وهو ابن النُقَّاش، واعتقلوا مدة، ثم أفرج عنهم بعد ذلك، والله تعالى أعلم بالصواب.

(١) الزيادة عن (تاريخ المساجد الأثرية ١٣٩).

(٢) كذا فى ك، وفى خطط المقرئى (٣٠٧/٢) أن هذا الجامع بالشارع، خارج باب زويلة ابتدأ عمارته الأمير قوصون سنة ٧٣٠، وبني له مثذنتيه بناء من أهل توريز (تبريز) على مثال المثذنة التى عملها خواجه على شاه لجامعه بمدينة توريز. وقد ورد هذا الخبر بعبارة مبسوطه فى السلوك (٣٢١/٢) وفى النجوم (٩٤/٩ و ٩٥ حاشية ١) مع تحقيق لموقعه الحالى، وأنه المعروف الآن على ألسنة العامة باسم جامع فيسرون بشارع القلعة، وانظر (تاريخ المساجد الأثرية ١٣٩ - ١٤٢).

(٣) الأمير أقوش الموصلى الحاجب، المعروف بأقوش نميله، وكان يقال له « أقوش قتال السبع » ترجمته فى الدرر (٣٩٩/١) وتاريخ المساجد الأثرية ١٣٩.

(٤) هو سعد الدين مسعود بن هنس. (النجوم ٣٨٨/٩).

(٥) ترجمته فى السلوك (٦٣٨/٢) وقد ورد اسمه فيه: محمد بن يحيى بن عبد الله بن شكر المالكى، وذكر وفاته فى سنة ٧٤٣هـ.

(٦) المقصود ببلاد الهند هنا البلاد الإسلامية منها، وكان ملكها فى هذه السنة هو « غياث الدين أولوغ خان محمد جانا بن طفلق (٧٢٥ - ٧٥٢هـ) وانظر (السلوك ٣٢٢/٢ حاشية ١).

ذكر خبر يوسف الكيماوى ومقتله

وفى هذه السنة فى يوم الخميس سابع عشر شهر رمضان وصل إلى الأبواب السلطانية إنسان اسمه يوسف الكركى، ويعرف جوك^(١) من جهة نائب السلطنة الشريفة بالشام، وهو من مسالمة نصارى الكرك، كان يدعى أنه وصل إلى علم الكيمياء، واشتهر أمره بالشام، واتصل ببعض الأمراء، وهو بهادر التقوى^(٢) الجمقدار^(٣) بدمشق، وتحيل عليه، وأخذ منه جملة من المال، وتنقل فى مدن الشام وقراها، وتحيل على أهلها، وأفسد عليهم أموالهم، واعتقل بقلعة صفد مدة، ثم أفرج عنه، وعاد إلى دمشق، وسلك طريقه، فانتهى أمره إلى نائب السلطنة الأمير سيف الدين تنكز، فأحضره، واتضح له حاله، فهم بقتله وإعدامه، فقال له: أرسلنى إلى السلطان فإننى إذا وصلت إليه ملأت له قلعة الجبل ذهباً وفضة، فجهزه إلى الأبواب السلطانية، فوصل فى التاريخ المذكور، ومثل بين يدى السلطان، وادعى أنه يعرف صناعة الكيمياء^(٤)، فسلمه إلى الأمير سيف الدين بكتمر الساقى، فتحيل، وداك شيئاً من الفضة الحجر، وألقى عليه الزئبق فصعد الزئبق واستقر ما كان داكه فلم يشك السلطان فى صدقه، وخلع عليه خلعة سنية، وطلب من السلطان فضة مصفاة مشحرة، وذهباً أفلورياً^(٥)، وزئبقاً، فطلب الزئبق من القاهرة ومصر والإسكندرية، واستنفذ جميع ما عند الناس من الزئبق، وأخذ جملة من الذهب، وأحضر إلى السلطان ألف دينار^(٦)، وادعى أنها من صنعته، فأنعم عليه بها،

(١) كذا فى الأصل، ولم ترد هذه الزيادة فى السلوك (٣٢١/٢ وما بعدها) حيث وردت هذه القصة بعبارة قريبة مما ذكره النویری هنا.

(٢) فى الأصل غير منقوطة، وما أثبتناه من السلوك (٣٢١/٢).

(٣) الجمقدار: حامل الدبوس، وهو من السلاح: قضيب من حديد فى نهايته كتلة من حديد (عن: معيد النعم ومبيد النعم ص ٣٤).

(٤) أورد المقرئ فى (السلوك ٣٢١/٢ و ٣٢٢) هذا الخبر بعبارة أوضح مما أورده النویری هنا، وذكر أن يوسف الكيماوى حين اتصل بتنكز أراد أن يخدعه فلم يندفع، بل أمر بشنقه، فصاح يوسف قائلاً: أنا جيت للسلطان حتى أملأ خزائنه ذهباً وفضة وأن تنكز أرسله إلى السلطان مقيداً مع بعض ثقاته على البريد وكتب إلى السلطان بخبره، وحذره منه.

(٥) الأفلورى (إيطالية Florino) نقد بندقى كان مستعملاً فى مصر فى العصر المملوكى، وأبطل التعامل به فى سنة ٨٣١هـ - ١٤٢٧م/ وانظر (الخطط الترفيقية ١٤٢/٢٠).

(٦) فى السلوك (٣٢٢/٢) أنه لم يحضر هذه الدنانير وإنما أجرى تجربته لتحويل بعض المعادن إلى ذهب بمشاهدة السلطان وجماعة من الأعيان ذكرهم بأسماهم فاستخلص سبيكة من الذهب زنتها ألف مثقال فأعجب السلطان بها وأنعم عليه وأعاد يوسف تجربته فكاد السلطان يطير فرحاً، وصار يشق به.

وخلع عليه / خلعة سنية، وأنعم عليه بفرس بسرج ولجام وكنبوش حرير، وبقي (١٠٦) يَعد ويُمَنَّى، ثم رجع إلى الكرك على خيل البريد لإحضار حشائش، فتوجه وصاحبه من يحفظه^(١)، وعاد [وقد ظهر]^(٢) للسلطان كذبه، فضيق عليه فتحيل^(٣) / (٢٧٤) وهرب في شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة، فخرج السلطان لذلك، وشدد على الولاة في طلبه، فنودى عليه في المدينتين، وكتب إلى الوجهين - القبلى والبحرى - بطلبه حيث كان، وكتب إلى الشام بطلبه، وإلى سائر الجهات، فقبض عليه في ذى الحجة من السنة بمدينة أخميم من الصعيد، وجهاز إلى الأبواب السلطانية، فوصل في يوم السبت الرابع والعشرين من ذى الحجة^(٤) والسلطان بالميدان، فسأله عن المال الذى أخذه، فقال: المال راح، فرسم بضربه، فضرب ضربا شديداً، وحمل فى قفص إلى خزانة شمائل^(٥)، فاعتقل بها ومات فى ليلة الأحد [خامس عشرى ذى الحجة]^(٦)، فرسم السلطان بتسميره^(٧)، فسُمرَ فى عشية نهار الأحد المذكور بعد أن مات وورم، وبات ليلة الاثنين على خشب التسمير، وحمل فى يوم الاثنين على جمل شق به المدينة إلى باب النصر ودفن. هذا ما كان من أمره.

وفى هذه السنة فى ذى القعدة أمر السلطان بإخراج المَجذُومين والبرصى^(٨) من القاهرة ومصر إلى بلدة من أعمال الفيوم، فجمعوا، واعتقلوا حتى كملوا، وأخرجوا فى ليلة السبت سادس عشر الشهر، فوصلوا إلى تلك القرية، وهى خراب لا ساكن بها، فتفرقوا فى البلاد، ثم عاد بعضهم إلى القاهرة ومصر، وسكن أمرهم، والله تعالى أعلم.

(١) فى المصدر السابق أن السلطان بعث به مع طقطاى مقدم البريد.

(٢) ما بين الحاصرتين زيادة من السلوك (٣٢٢/٢).

(٣) نهاية ما سقط من نسخة «أ» بين صفحتى ٢٧٣، ٢٧٤ من صفحاتها، وقد سبقت الإشارة إلى بدايته فى ص ٢٥٨ حاشية (٧).

(٤) أورد المقرئ فى المصدر السابق خبر القبض على يوسف الكيماوى بعد هربه ونهايته على نحو ما ذكره التويرى هنا - فى حوادث سنة ٧٣١هـ (السلوك ٣٣٣/٢ و ٣٣٤).

(٥) فى السلوك (٣٣٤/٢) أن خزانة شمائل هذه كانت سجنا لأرباب الجرائم، وكانت بجوار باب زويلة من القاهرة.

(٦) الزيادة من السلوك (٣٣٤/٢).

(٧) التسمير: إحدى العقوبات الشنيعة بمصر وغيرها من البلاد الأخرى فى العصور الوسطى، وانظر (السلوك ٤٠٤ / ١ حاشية ١) و ٢ / ٣٠١ حاشية ٥).

(٨) المرضى بالجذام والبرص.

ذكر الفتنة بمكة شرفها الله تعالى

(٢٧٥) وفي هذه السنة في يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة وقعت الفتنة بمكة - شرفها الله تعالى - وسبب ذلك: أن الحاج لما قَضَوْا مناسك الحج توجه بعضهم عائداً إلى الديار المصرية، منهم الأمير علم الدين سَنَجَر الجاولي، ومن صحبه في يوم الأربعاء ثاني عشر الشهر، وتأخر أمير الركب، وهو الأمير سيف الدين خاص ترك الجَمْدَار الناصري، والأمير سيف الدين الدَمُر أمير جَانْدَار، والأمير شهاب الدين أحمد، ومن معهم من بقية الحاج، لصلاة الجمعة بمكة، فلما كان الخطيب على المنبر تَعَبَّث بعض عبيد الأشراف ببعض حاج العراق، الذين حضروا في الركب العراقي، وتخطفوا شيئاً من أموالهم^(١)، والشريف عَطِيفَة بن أبي نُمَيَّ أمير مكة جالس إلى جانب أمير الركب، فاستصرخ الناس، واستغاثوا بالأمير سيف الدين الدَمُر أمير جَانْدَار، فنهض وتقدم لمنعهم، وتقدمه ولده [خليل] وضرب بعض العبيد، فطعن بحربة، فمات، فاحتد والده، وبادر لطلب ثأره، فَقُتِلَ أيضاً بحربة، وقتل معه أحد أولاد الأمير ركن الدين بَيْبَرُس التاجي - متولى القاهرة كان - فوثب الأمير عَطِيفَة، وجرده سيفه، وتوجه نحو العبيد ليردهم، فلم يصنع شيئاً، وظهر من ذلك أن إثارة هذه الفتنة كان برأيه وأمره، وذكر أن الذي قتل الدَمُر هو مبارك بن عَطِيفَة، وثارَت الفتنة، فعجل الخطيب الصلاة، وخرج الناس من المسجد الحرام إلى رحالهم وخيامهم، واستحل (٢٧٦) الحرم في هذا اليوم، وتلطف أمير الركب في الخروج بالناس إلى خيامهم، ووقف في وجوه القوم من الأشراف والعبيد، فمنعهم من التعرض إلى الحاج، ومن غريب ما وقع في هذه القضية أنه شاع بالقاهرة المعزية الخبر بقتل الدَمُر في يوم مقتله وهو يوم الجمعة المذكور، [وسمعت أنا بعض الناس يتحدث بذلك بعد صلاة العصر من يوم الجمعة المذكور]^(٢) ورَدَدْتُ القول على ناقله،

(١) في السلوك (٣٢٣/٢ و ٣٢٤) أن ذلك كان بتدبير من الملك الناصر مع الشريف عطيفة، وكان الغرض منه التحيل على قتل أمير الركب العراقي المعروف بمحمد الحجيج، وأصله من أهل تبريز، وكان يتقرب من أولاد جويان، وبلغ عند أبي سعيد منزلة كبيرة، وكان رسوله إلى الملك الناصر غير مرة وكان الناصر يعجب به إلى أن بلغه أنه ذكره في مجلس أبي سعيد بما لا يحب، فأسرهما في نفسه إلى أن كانت هذه السنة وعرف الناصر أن المذكور هو أمير الركب العراقي، فكتب إلى الشريف عطيفة سراً أن يتحيل في قتله، فاستجاب لأمر السلطان، وكانت هذه الفتنة التي لم تؤد إلى هدفها، فقد نجا أمير الركب العراقي.

(٢) ما بين القوسين زيادة من نسخة «أ» ص ٢٧٦.

وكان الراكب العراقي قد حضر في هذه السنة إلى مكة شرفها الله تعالى وأحضر متوليه المندوب من جهة الملك أبي سعيد بن خريندا معه فيلاً صغيراً، وشهد به الموقف بعرفة، فتطأير الناس، وتشاءوا بمقدمه، وقال بعضهم: «هذا عام الفيل» فوقع ما وقع، فلما رجعوا به، وقربوا من المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وانتهوا إلى الفُرش^(١) الصغير قبل البيداء الذي ينزل منها إلى ذي الحليفة، وقف الفيل وتقهقر، وكلما أرادوه على التقدم تأخر، فضربه المؤكلون به، وبقي يرجع إلى ورائه القهقري، فلم يزل على ذلك إلى أن سقط على الأرض ميتاً، وذلك في يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة، ويقال: أنه صرف على كلفة هذا الفيل منذ جُهِزَ من [العراق]^(٢) إلى أن مات زيادة على ثلاثين ألف درهم، وما علم مقصد الملك أبي سعيد في إرساله إلى مكة شرفها الله تعالى^(٣) / (٢٧٧).

ذكر متجددات كانت بدمشق المحروسة في سنة ثلاثين وسبعمائة مما نقلته من تاريخي البرزالي، والجزري

في هذه السنة في مستهل شهر ربيع الأول حضر نائب السلطنة / (١٠٧) بالشام^(٤) [الأمير سيف الدين تنكز إلى الجامع الأموي بدمشق وصحبته قاضي القضاة علم الدين الشافعي، وشاهد الجامع، فاقتضت الآراء أن ينقض الرخام القائم بالجدار القبلي من الجهة الشرقية ومحراب الصحابة، وأن يجدد بشبه

(١) الضبط من: مرصد الاطلاع ١٠٢٧/٣ قال: وهو واد بين غميس الحمام وملل، وفرش وصخيرات الشام منازل نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى بدر.

(٢) في ك من الحجاز، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه من «أ» ص ٢٧٦ والسلوك (٣٢٥/٢) وقد أورد المقرئ في هذا الخبر بعبارة أوضح مما ذكره النويري هنا.

(٣) ورد هذا الخبر موجزاً في النجوم (٢٨٢/٩ و٢٨٣) وفيه زيادة على ما أورده النويري هنا والمقرئ في السلوك هي: «أن الملك الناصر لما أخبر بما وقع جهز إلى مكة عسكرياً كثيفاً، وعليه عدة من الأمراء فتوجهوا وأخذوا بشار الدمر وابنه، وقتلوا جماعة كثيرة من العبيد وغيرهم، وأسرفوا في ذلك، وتشتت أشراف مكة والعبيد عن أوطانهم وأخذت أموالهم، وحكمت الترك مكة من تلك السنة إلى يومنا هذا (٨٧٤ هـ)، وزالت منها سطوة أشراف الرافضة والعبيد إلى يومنا هذا.

(٤) ما بعد الحاصرة زيادة من نسخة أ، تقع في الصفحات من (٢٧٧ إلى السطر العاشر من ص ٢٨٤) منها ولم نجد ما يقابلها في نسخة ك، وقد رأينا إثباتها لورود ما اشتملت عليه في السلوك والنجوم ضمن حوادث هذه السنة، ولاشتمالها على وفيات أوردها ابن العماد في الشذرات ج ٦ في هذه السنة أيضاً.

الجهة الغربية، فحصل الشروع فى ذلك، وكمل فى أواخر ذى الحجة من السنة، وصرف على العمارة من فائض وقف الجامع، فإنه كان قد تَحَصَّل^(١) به بعد كُلفه ونفقاته - فيما قيل - نحو خمسة وسبعين ألف درهم.

وفيهما - فى مستهل ربيع الآخر - حصل بدمشق اضطراب بسبب الذهب، وأن عياره قد تغير ونقص، فأحضر محمد بن اليَحْشُور ضامن دار الضرب بدمشق، والصَّيرَفِي، وعلق الذهب، فنقصت المائة دينار خمسة عشر ديناراً، ووجدت عدة سكك متقدمة التواريخ وأسماء الملوك، ونسب ذلك إلى أن القاضى شمس الدين عبد الله غبريال ناظر الشام أمر بذلك، وصرف منه جملة كبيرة خارج دار الضرب، وخرج ما صرف من الذهب وسافر به التجار / (٢٧٨) والعربان والتركمان الذين يجلبون الأغنام من بلاد الشرق وغيرها إلى سائر الأمصار، فاضطرب الحال فى ذلك اضطراباً شديداً، وبقي ما يوجد من هذا الذهب يصرف فى القاهرة من ثمانية عشر درهماً الدينار إلى أحد وعشرين درهماً، وصرف الدرهم الجيد بخمسة وعشرين درهماً.

وفيهما فى يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر، أصبح الناس بدمشق فوجدوا الأنهار قد امتلأت ماء متغير اللون من غير سبب ظاهر لهذه الزيادة، فسُقِيَت البساتين والزراعات، واستمر ذلك إلى يوم الأحد سابع الشهر، ونقص قليلاً، وكان المطر فى هذه السنة قد تأخر بدمشق، فأمرت فى ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر مطراً خفيفاً، وفى ليلة السبت، ثم حصل الغيث الكثير فى ليلة الأحد سابع الشهر، وذلك فى آخر كانون الثانى، وفيها - فى جمادى الآخرة - كملت عمارة مصلى العيد بظاهر دمشق، وتجديد سقوفه وبياضه وإصلاح أبوابه، وكان قد تداعى، فرسم السلطان بعمارته، فجُدِّد، وصلى خطيبه فى صدره، وخطب فى يوم الجمعة سادس عشر جمادى الآخرة، وكان فى مدة العمارة يخطب ويصلى الجمعة بظاهره، وجعلت أبوابه أحد عشر باباً جدد الآن منها سبعة، وكانت أبوابه مرتفعة بثلاث درجات بنيت كذلك خوفاً من عبور الدواب إليه فألصقت الآن بالأرض، / (٢٧٩) وفيها فى العشر الأوسط من

(١) يريد أن فائض الدخل من الوقف - بعد نفقات الجامع - بلغ المقدار الذى ذكره.

شهر رجب ذكر الدرس بمحراب الحنفيّة بجامع دمشق، ودرس به الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الحق الحنفي، ورتب معه عشرة فقهاء، والذي رتبه القاضي فخر الدين محمد ناظر الجيوش، وكان قد رتب قبله درساً للمالكية في محراب الصحابة الذي استقر محراب المالكية، وفوض تدريسه لقاضي القضاة شرف الدين المالكي، ورتب فيه جماعة من الفقهاء المالكية.

وفيها - في يوم الخميس ثامن عشر شعبان - رسم نائب السلطنة بالشام الأمير سيف الدين تنكز بإخراص الحوانيت والبيوت التي بظاهر [دمشق المجاورة] ^(١) لباب النصر من حد الجسر إلى المسجد الذي في وسط الطريق، فهدمت، وأخرجت أخشابها وصارت الأبنية كوما، ثم أحضرت الأنفار والجراريف ومهدت أتريتها حتى تساوت بالأرض، وممر نائب السلطنة المذكور أيضا في هذا اليوم بالحويرة بالقوآسين، فوصل رأسه إلى السقف، فرسم بإخراص السقف ورفع، فقليل له: إن الأرض قد علت، فرسم أن تحرث الأرض، وينقل التراب منها، ففعل ذلك.

وفيها - في يوم السبت رابع شوال - رسم نائب السلطنة بتوسعة الطريق بسوق الخوآسين، وندب لذلك شاذ الدواوين، ومتولى دمشق، وناظر الحسبة، فهدمت مساطب الحوانيت بالجانبين، وجعلت كل مسطبة منها قدر ذراع واحد ونصف بالقاسمى، فاتسع الطريق لذلك / (٢٨٠).

ورسم أيضا في يوم السبت سابع عشر شوال بإخراص الجانب القبلى من سُوَيْقَة دار بطيح، لأجل توسعة سوق الخيل، فأخرب ذلك وهو نحو عشرين حانوتا، ومُهدَّ ترابه بالأرض.

وفيها - في يوم الأربعاء تاسع عشرين شوال - حكم قاضى القضاة شرف الدين المالكي بإراقة دم نصرانى كان أسلم ثم ارتد، فضربت عنقه بسوق الخيل بدمشق، ثم حرقه العوام بالنار حتى صار رمادا، وذُرِّيَ رَماده بنهر بردى.

(١) فى أ بظهر باب النصر، والتعديل من السلوك (٢/٣٢٣).

وفى هذه السنة توفى القاضى علاء الدين على بن القاضى تاج الدين أبى الطاهر أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير الحلبي^(١) - صاحب ديوان الإنشاء السعيد كان - وكانت وفاته فى بكرة نهار الأربعاء خامس عشر المحرم بداره بالقاهرة بجوار الجامع الأزهر، ودفن فى يوم الخميس سادس عشر الشهر، وكان قد مرض وحصل له فالج، واشتد به الأمر، وتزايد به المرض إلى أن عجز عن الحركة والنطق وتحريك شىء من أعضائه، وعطل عن المباشرة - كما تقدم - فلزم داره فى يوم الخميس رابع عشر المحرم سنة تسع وعشرين، فكانت مدة انقطاعه سنة كاملة، وولى صحابة ديوان الإنشاء فى ذى الحجة سنة إحدى عشرة وسبعمائة، فكانت مدة ولايته ثمانى عشرة سنة وأياما، رحمه الله تعالى.

وتوفى ليلة الأحد الثانى عشر من المحرم الشيخ العالم الفاضل الوزير أبو القاسم محمد بن أبى عبدالله محمد بن أبى الحسن سهل بن أحمد بن (٢٨١) سهل الأزدي القرناطى^(٢) الأندلسى بالقاهرة عند مقدمه من الحج، ودفن بمقبرة باب النصر، ومولده يوم عرفة سنة اثنتين وستين وستمائة، وهو من بيت كبير مشهور بالرياسة والملك، وله اشتغال بالعلم، ورغبة فى طلبه. رحمه الله تعالى.

وتوفى الشيخ فخر الدين عثمان بن الشيخ جمال الدين أبى العباس أحمد ابن محمد بن عبد الله الظاهرى جده، وهى نسبة إلى الملك الظاهر غازى بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب كان، فإنه عتيقه، وكانت وفاته فى ليلة الخميس سادس شهر رجب، ودفن من نهاره عند قبر والده بترية الأمير سيف الدين بَكْتَمُر الساقى العزىزى، ومولده فى تاسع عشرين المحرم سنة سبعين وستمائة^(٣) رحمه الله تعالى.

(١) ترجمته فى الدرر (١٤/٣، ١٥) ومولده فى حدود سنة ٦٨٠هـ، وأورده ابن تفرى بردى فى النجوم (٢٨٣/٩) والمقرىزى فى السلوك (٣٢٧/٢).

(٢) فى أ ص ٢٨١ الأغرناطى، وما أثبتناه من السلوك (٣٢٧/٢) حيث وردت وفاته وترجمته فى الدرر (١٧٨/٤، ١٧٩) والوافى بالوفيات (٢٣٦/١).

(٣) ترجمته فى الدرر الكامنة (٤٢٦/٢) وفيه أن مولده سنة ٦٧١هـ.

وتوفى الصدر الفاضل ناصر الدين شافع بن نور الدين علي^(١) بن الفقيه عماد الدين أبي الفضل عباس بن إسماعيل بن عساكر بن شافع^(٢) بن رافع بن عبد الله بن فارس الكناني العسقلاني سبط الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر، وكانت وفاته في ليلة الأربعاء رابع عشرين شعبان المكرم سنة ثلاثين وسبعمائة، ومولده في ليلة الجمعة الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وأربعين وستمائة، وكان قد أضر^(٣) عقيب وقعة حمص، أصابه سهم في رأسه من التتار فانصب من دماغه إلى عينيه ما أعماه. رحمه الله تعالى.

وتوفى الصدر نور الدين علي بن شرف الدين يوسف بن مظفر الدين مجاهد / (٢٨٢) مشارف الكحّالين بالأبواب السلطانية، وكانت وفاته في ليلة الخميس ثامن شوال، ودفن يوم الخميس ثامن شوال بترتبه بالقرافة، ومولده في سنة ثلاث وأربعين وستمائة رحمه الله تعالى.

وتوفى صاحب سعد الدين محمد بن محمد بن عبد العزيز بن عطايا في يوم السبت بعد صلاة العصر السابع والعشرين من شهر رمضان، ودفن بالقرافة في يوم الأحد، وكان إذ ذاك يتولى نظر الأحباس، رحمه الله تعالى^(٤).

وتوفى بدمشق الأمير الكبير سيف الدين بهادر آص المنصوري في تاسع عشر صفر، وكان من الأمراء الأكابر مقدمي الألف بالشام، وهو أكبر أمراء الشام تأمر في الدولة المنصورية السيفية، وصلى عليه بجامع دمشق ثم صلى عليه مرة ثانية بظاهر البلد، ودفن بترتبه التي أنشأها ظاهر باب الجابية رحمه الله تعالى، ولما مات أنعم السلطان بإقطاعه على الأمير علم الدين سنجر الجمقदार المنصوري، وهو من أكابر أمراء الدولة مقدمي الألف ممن يجلس في مجلس السلطان، وتوجه إلى دمشق في يوم السبت السابع والعشرين من شعبان.

(١) في السلوك (٣٢٧/٢) شافع بن محمد بن علي بن عباس بن إسماعيل الكناني العسقلاني سبط ابن عبد الظاهر.

(٢) في الدرر (١٨٤/٢) ابن شافع بن إسماعيل بن رافع بن شافع بن عبد الله بن فارس الكناني... وذكر له ترجمة مفصلة.

(٣) أضر: صار ضريرا، وعبارة الدرر في هذا الموضع أنه: «أصابه سهم في صدغه في وقعة حمص سنة ٦٨٠هـ فكان سبب عماء» ومثله في التجوم (٢٨٤/٩، ٢٨٥).

(٤) ترجمته في الدرر (١٨٧/٤) والسلوك (٣٢٧/٢) ويعني بنظر الأحباس نظارة الأوقاف.

وتوفى بدمشق أيضا الأمير سيف الدين بلبان المعروف بالكرْكُند^(١)، من مقدمى الألف بالشام، وأنعم بإقطاعه وتقدمته على الأمير سيف الدين طيبيغا حاجى ووصل إلى دمشق فى يوم السبت سابع عشرين شعبان.

وتوفى شيخنا المُعَمَّر المحدث شهاب الدين أبو العباس / (٢٨٣) أحمد ابن أبى طالب بن أبى النعم [بن]^(٢) نعمة الصالحى الحجار [المعروف بابن الشُّحْنَة]^(٢) قبيل العصر من يوم الاثنين خامس عشرين صفر سنة ثلاثين وسبعمائة بقاسيون، وصلى عليه يوم الثلاثاء بالجامع المظفرى عقيب صلاة الظهر، ودفن بترتته بقاسيون، وكان قد تفرد برواية صحيح البخارى، فإنه سمع على ابن الزبيدى فى سنة ثلاثين وستمائة، وكان يقول: كنت أنصرف من السماع على ابن الزبيدى، وأسيح فى نهر لورا مع الصبيان، وذكر أن مولده فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وأخبر عن نفسه أنه يذكر وفاة الملك المعظم عيسى بن الملك العادل، وكانت وفاة المعظم فى سلخ ذى القعدة أو مستهل ذى الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة، وحدث هذا الشيخ أيضا بغير البخارى سمعت عليه صحيح البخارى، فى سنة خمس عشرة وسبعمائة، ومُتَّع بحواسه إلى حين وفاته، وكان قوى التركيب، وتزوج قبيل وفاته ببيكر، وافترعها. رحمه الله تعالى.

وتوفى بحلب قاضى القضاة فخر الدين عثمان^(٣) بن القاضى كمال الدين محمد بن قاضى القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن قاضى القضاة شمس الدين إبراهيم بن هبة الله بن المسلم هبة الله بن البارزى الجُهَنى الشافعى فجأة، وكان يُعَلِّم على كتاب، فسقط القلم من يده، واستند إلى الحائط فمات وقت العصر من يوم الأربعاء العشرين من صفر، وصلى عليه بكرة الخميس، ودفن

(١) فى أ ص ٢٨٢ الكوكند بواو مكان الراء، وما أثبتناه من السلوك (٣٢٦/٢) وقد مات فى هذه السنة أربعة اسم كل منهم بلبان، وهم: سيف الدين بلبان الصرخدى، وسيف الدين بلبان الكوندى المهندار وسيف الدين بلبان الكوندى، وسيف الدين بلبان الجمقدار المعروف بالكرْكُند (عن السلوك ٣٢٦/٢).
(٢) الزيادة فى الموضعين من النجوم (٢٨٠/٩) والسلوك (٣٢٦/٢) وترجمته فى الدرر (١٤٢/١) وذكر أن مولده سنة ٦٢٣هـ.

(٣) ترجمته فى الدرر (٤٤٨/٢) ومولده فى سنة ٦٦٨هـ، والدارس فى تاريخ المدارس (٢٦٨/١) والشذرات (٩٤/٦) والسلوك (٣٢٥/٢).

داخل المقام وكان رحمه الله تعالى حسن السيرة في ولايته، ومولده في ذي الحجة سنة ثمان وستين وستمائة بحماة، رحمه الله، وفُوض قضاء حلب بعده للقاضي شمس الدين بن النقيب^(١) / (٢٨٤) قاضي طرابلس نقل منها إلى حلب، وولى قضاء المملكة الطرابلسية القاضي شمس الدين محمد بن عيسى بن محمود البعلبكي المعروف بابن المجد^(٢) وذلك في شهر ربيع الآخر من السنة ولم يطل مقامه بطرابلس فإنه مات في يوم الأحد سادس رمضان. رحمه الله تعالى.

وتوفي في ليلة الأربعاء سابع شوال الصدر جلال الدين محمد^(٣) بن وجيه الدين سليمان بن همام بن مرتضى المعروف بابن البياع أحد كتاب الدرج بدمشق ودفن من الغد بسفح قاسيون، ومولده في سنة خمس وخمسين وستمائة رحمه الله تعالى.

وتوفي في ليلة الجمعة ثامن ذي القعدة بدمشق الأمير علاء الدين قنبرص ابن الأمير الكبير علاء الدين^(٤) طبرس الوزيري أحد الأمراء مقدمي الألوף بالشام، وكانت وفاته ببستان قاضي القضاة نجم الدين بن صصري، وصلى عليه عقيب صلاة الجمعة بالجامع المظفري، وخلف ولداً ذكراً اسمه ناصر الدين محمد عمره نحو عشرين سنة، وابنتين: خديجة وعائشة، وأوصى لألزاه وعُتقائه بجملة كبيرة من الذهب تقارب عشرة آلاف دينار، وكان رحمه الله تعالى رجلاً جيداً خيراً عفيفاً^(٥) [حسن المعاملة... كثير الصدقة رحمه الله تعالى].

وتوفي بدمشق أيضاً في ليلة الخميس رابع عشر ذي القعدة الفقيه^(٦) الفاضل بدر الدين محمد بن فخر الدين عثمان بن أبي الوفا بن نعم الله بن أبي

(١) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن عيد الرحمن بن نجد بن حمدان الشهير بابن النقيب (السلوك ٣٢٥/٢) وترجمته في الدرر (٣٩٨/٣ و ٣٩٩) والشذرات (١٤٤/٦) وفيهما أن مولده سنة ٦٦١هـ أو ٦٦٢هـ ووفاته سنة ٧٤٥هـ.

(٢) ترجمته في الدارس (٤٣٩/١) وفي (الدرر ١٣٩/٤) محمد بن المجد عيسى بن محمد بن عبد اللطيف البعلبي الشافعي المعروف بابن المجد.

(٣) ترجمته في الدرر (٤٥٠/٣) وفيه أنه يعرف بابن البياعة.

(٤) في النجوم (٢٨٢/٩) قنبرس بن سيف الدين طبرس، وفي السلوك (٣٢٦/٢) قنبرص بن الحاج طبرس الوزيري، ترجم له ابن حجر في الدرر (٢٥٥/٣) وأورد اسمه محرفاً إلى قنبرس بن طبرس الوزيري.

(٥) نهاية ما سقط من نسخة ك، وأشرنا إلى بدايته في ص ٣١١ بالهامية (٤).

(٦) في أ ص ٢٨٤ الصدر، وترجم له ابن حجر في الدرر (٥٥/٤). وذكر خطأ أن وفاته في ثلاث وسبعمئة.

الوفا العزّازي^(١) أحد كتاب الدُرّج بدمشق، وصلى عليه ظهر / (٢٨٥) يوم الخميس بالجامع الأموي، ودفن بترية والده بمقبرة الباب الصغير، ومولده في سنة ست وسبعين^(٢) وستمائة. وكان رحمه الله تعالى حسن الصورة والهيئة والكتابة، كتب في ديوان المكاتبات مدة بدمشق زيادة على عشرين سنة، وكان حسن الصحبة، كثير المودة وله نظم ونثر، رحمه الله تعالى وإيانا.

وتوفى أيضا بدمشق بعد العصر - من يوم الخميس العشرين من ذي الحجة - صاحبنا الصدر محيي الدين محمود بن محمد بن محمد التميمي شرف الدين محمد بن محمد بن نصر الله بن المظفر بن سعيد بن [حمزة]^(٣) التميمي المعروف بابن القلانسي ببستانه بقرى، وصلى عليه عقيب صلاة الجمعة بالجامع المظفرى، ودفن عند والده بترية قاضى القضاة نجم الدين بسفح قاسيون، وكانت جنازته مشهودة، وكان رحمه تعالى رجلا حسنا جيدا عاقلا متواضعا، ومولده في سنة سبع وسبعين وستمائة.

وتوفى قُدودار^(٤) مُتَوَلَّى القاهرة المحروسة فى يوم الأربعاء^(٥) سادس عشر صفر، وأنعم بإمرته على الأمير ماجار^(٦) القَبْجاقى، وأصل قُدَادَار هذا من ممالك الأمير بُرْغِي الأشرفى، وترقى إلى أن ولى كشف الغربية، وولاية البحيرة من أعمال الديار المصرية، ثم ولاية القاهرة، وتمكّن منها تمكّنا زائدا، وكان جريئا على الدنيا، ثم صرف عن ولاية القاهرة بناصر الدين محمد بن المحسنى، وأقام فى داره إلى أن خرج للحج، ثم عاد وهو مريض، فلزم الفراش إلى أن مات فى التاريخ المذكور.

(١) فى ك الفزاري والتصحيح من أ، ص ٢٨٤ والدر (٥٥/٤).

(٢) فى الدر (٥٥/٤) سنة ست وستين.

(٣) الزيادة من الدر (٣٣٨/٤).

(٤) فى النجوم (٢٨٣/٩) قدادار - يفتح أوله - وفى الدر (٢٤٤/٣) قديدار.

(٥) ما بين الحاصرتين من النجوم (٢٨٣/٩ و ٢٨٤) والسلوك (٣٢٧/٢) وعبارة الأصل فى هذا الموضع

ناقصة ومضطربة، وترجمته فى الدر (٢٤٤/٣).

(٦) فى السلوك (٣٢٧/٢) طاجار.

وتوفى الأمير بلبان الديسنى فى الخامس^(١) عشر من ربيع الأول، وانتقلت إمرته إلى بُرْلَغى الناصرى.

وتوفى من أمراء العشرات القفجاقى الذى كان [قد] راح رسولا لبلاد اوادر فى تاريخه.

وتوفى الأمير سيف الدين نائب السلطنة، وانتقلت إمرته إلى بكمان^(٢).

وتوفيت زوجة أمير مسعود الحاجب خامس شوال، وتوفيت بنت بيكتا الساقى فى سادس صفر^(٣).

وتوفى محمد بن محمد الرومى شيخ خانقاة بَكْتَمُر الساقى بالقرافة يوم الأحد ثالث وعشرين ذى الحجة، وتولى مكانه الشيخ شمس الدين زاده الدوقاتى^(٤)، رحمه الله تعالى وإيانا.

وتوفى بمكة - شرفها الله تعالى - أواخر جمادى الآخرة - الشيخ الإمام الفاضل القاضى نجم الدين أبو حامد^(٥) محمد بن القاضى جمال الدين محمد بن الشيخ الإمام المحدث محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن محمد بن إبراهيم الطبرى المكى، قاضى مكة شرفها الله تعالى، ودفن بمقبرة المَعْلَى^(٦)، ومولده بمكة فى سنة ثمان وخمسين وستمائة، رحمه الله وإيانا، وولى قضاء مكة - شرفها الله تعالى - بعده ولده شهاب^(٧) الدين أحمد^(٨).

(١) ما بين الحاصرتين بياض فى الأصل والزيادة من السلوك (٣٢٧/٢).

(٢) فى المصدر السابق أن الذى أنعم بإقطاعه بعد وفاته على (بكمان) هو الأمير ناصر الدين محمد بن ملكشاه فى ثانى عشر صفر.

(٣) فى ك وردت هذه العبارة مضطربة هكذا: وتوفيت بنت بيكتا الساقى فى سادس صفر، ونقلت امرته سنقر الحلاقى.

(٤) فى النجوم (٢٨٤/٩) الدوقانى، وأشار فى هامشه إلى الرسم الوارد هنا وفى السلوك (٣٢٨/٢) الدوقانى وما بعد الألف غير منقوط.

(٥) ترجمته فى الدرر (١٦٢/٤ و ١٦٣) والشذور (٩٤/٦، ٩٥) والوافى بالوقيات (٢٢٨/١ - ٢٣٠) وفيه أن تاج الدين اليمنى ذكر وفاته فى سنة ٧٣١هـ.

(٦) المَعْلَى هى المعلاة: مقبرة مكة بالحجون (تاج العروس).

(٧) ترجمته فى الدرر (٢٩٧/١ و ٢٩٨) ووفاته سنة ٧٦٠هـ، وفيه، وفى الشذرات (١٨٨/٦) أن مولده سنة ٧١٨هـ، وهذا يعنى أنه ولى القضاء وعمره اثنا عشرة سنة (٤).

(٨) نهاية ما جاء فى ص ٢٨٥ من نسخة أ، وفى آخر صفحات هذه النسخة، ولم يرد فيها إشارة إلى الاستمرار أو ما يفيد الانتهاء.

صورة ما ورد في آخر نسخة «ك»

آخر الجزء الحادى والثلاثين^(١) من كتاب «نهاية الأرب فى فنون الأدب»
يتلوه - إن شاء الله تعالى - فى أول الجزء الثانى والثلاثين منه: « واستهلت
سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة بيوم الأحد » والحمد لله وحده، وصلى الله على
سيدنا محمد نبيه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين،
وحسبنا الله ونعم الوكيل.

جزء
مَعِينُ التَّارِخِ
لأهل التَّارِخِ

(١) أشرنا فى مقدمتنا لهذا الجزء أن هذه تجزئة التورى، ويقابله الجزء الثالث والثلاثون فى تجزئة هذه الطبعة.

فهرس موضوعات الجزء الثالث والثلاثين من كتاب

نهاية الأرب فى فنون الأدب

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم بقلم المحقق
١١	«واستهلت سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.»
١١	ذكر وصول أوائل الحاج الذين وقفوا بعرفة فى سنة عشرين وسبعمائة
١٣	ذكر إبطال المعاملة بالفلوس العتق بالقاهرة ومصر وأعمال الديار المصرية
١٤	ذكر وصول هدية الملك أبى سعيد بن خريندا - ملك التتار - إلى الأبواب السلطانية
١٤	ذكر تفويض نظر أوقاف الجامع الطولونى للقاضى كريم الدين وكيل الخواص الشريف
١٦	ذكر حفر البركة الناصرية
١٦	ذكر حادثة الكنايس
١٧	ذكر خبر الحريق بالقاهرة ومصر
٢٨	ذكر عود رسل السلطان من جهة الملك أزيك ووصول رسله صحبتهم وعودهم
٣١	ذكر توجه أدر السلطان إلى الحجاز الشريف، ومن توجه فى خدمتهم.
٣٢	ذكر وصول بعض من وقف بعرفة فى هذه السنة إلى القاهرة المحروسة
٣٣	ذكر حوادث كانت بدمشق فى هذه السنة
٣٣	ذكر هدم كنيسة اليهود القرائين بدمشق
٣٧	ذكر ما وصل إلينا من الحوادث الكائنة ببغداد فى هذه السنة
٣٧	«واستهلت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة.»
٣٨	ذكر وصول أدر السلطان من الحجاز الشريف
٣٨	ذكر تجريد العساكر إلى بلاد سيسى وفتح مدينة آياس وأبراجها
٤٢	ذكر اجتماع المماليك السلطانية، وشكواهم، وما حصل بسبب ذلك..

الصفحة

الموضوع

	ذكر وصول الأمير علاء الدين الطنبغا نائب السلطان بالمملكة
٤٢	الحلبية، إلى الأبواب السلطانية وعوده
٤٣	ذكر وصول رسل الملك أبي سعيد ملك التتار
٤٤	«واستهلت سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة.»
٤٤	ذكر القبض على كريم الدين الكبير
	ذكر شئ من أخبار كريم الدين المذكور وابتداء أمره «وتنقلاته وما
٤٩	كان قد انتهى إليه من القرب من السلطان والتمكن من دولته»
	ذكر تفويض الوزارة للصاحب الوزير أمين الدين عبد الله «وهي
٥٨	الوزارة الثانية له»
٦٠	ذكر القبض على كريم الدين الصغير «وشئ من أخباره»
٦٢	ذكر وصول رسل متملك الأرمن إلى الأبواب السلطانية
٦٣	ذكر وصول رسل الملك أبي سعيد
٦٥	ذكر تجريد طائفة من العسكر إلى بلاد النوبة
٦٧	«واستهلت سنة أربع وعشرين وسبعمائة»
٦٨	ذكر وفاة الخوندا أردكين ابنة نوكاى
٧٠	ذكر خبر النيل في هذه السنة
٧٢	ذكر عزل صاحب أمين الدين عن الوزارة
٧٥	ذكر متجددات وحوادث كانت بالشام
٧٩	«واستهلت سنة خمس وعشرين وسبعمائة»
٨١	ذكر أخبار اليمن ومن وليه من العمال
٨٥	ذكر عمال اليمن في الدولة العباسية
٩٠	ذكر أخبار دولة بني زياد
٩٣	ذكر أخبار صنعاء ومن وليها بعد الخلودى [الجلودى]
٩٧	ذكر أخبار على بن الفضل والمنصور بن الحسن بن زاذان دعاة عبيد
٩٩	الله المنعوت بالمهدى
	ذكر نبذة من أخبار الزيدية وغيرهم

الصفحة

الموضوع

- ١٠٥ ذكر أخبار دولة علي بن محمد الصليحي
- ١٠٨ ذكر مقتل الصليحي، وقيام ابنه المكرم
- ١١٠ ذكر السلطان سبأ بن أحمد بن المظفر الصليحي
- ١١١ ذكر المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري
- ١١٣ ذكر أخبار ملوك الدولة الزرعية
- ١١٣ ذكر محمد بن سبأ، ولقبه المعظم المتوج المكين
- ١١٤ ذكر السلطان حاتم بن أحمد بن عمران اليامي
- ذكر أخبار سعيد الأحول، واستيلائه على زبيد ثانياً، ومن ملك بعده
- ١١٥ من آل نجاح
- ١١٥ ذكر جياش بن نجاح أخو سعيد
- ١٢٠ ذكر أخبار دولة علي بن مهدي الحميري وبنيه
- ١٢٢ ذكر أخبار ملوك الدولة الأيوبية باليمن
- ١٢٦ ذكر الملك المعز فتح الدين أبو الفدا إسماعيل
- ١٢٨ ذكر سليمان بن شاهنشاه بن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب
- ١٢٨ ذكر ملك الملك المسعود صلاح الدين أتمر
- ١٣٠ ذكر أخبار الدولة الرسولية ببلاد اليمن
- ١٣٢ ذكر الملك المظفر أبو المنصور شمس الدين يوسف
- ١٣٨ ذكر استيلاء المظفر علي ظفار، وحضر موت، ومدينة شبام
- ذكر وفاة الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر، ومُلك ولده
- ١٤٠ الأشرف
- ١٤٠ الملك الأشرف مهدي الدين عمر
- ذكر مُلك الملك المؤيد هزبر الدين داود بن الملك المظفر شمس
- ١٤١ الدين يوسف
- ذكر وصول أولاد الملك الأشرف إلى عمهما الملك المؤيد، ونزولهما
- ١٤٣ عما بأيديهما
- ذكر خلاف الملك المسعود تاج الدين الحسن بن الملك المظفر، على
- ١٤٤ أخيه الملك المؤيد

الصفحة	الموضوع
١٤٦	ذكر متجددات كانت فى شهور سنة سبع وتسعين وستمائة
	ذكر ما وقع بين الأشراف من الاختلاف، وما وقع بسبب ذلك من
١٥٠	الحرب والحصار
١٥٥	ذكر إنشاء القصر المعقلى والمنتخب
١٥٧	ذكر مقتل الأمير سيف الدين طغرل مقطع صنعاء
	ذكر وصول الأمير علاء الدين كشتغدى إلى خدمة السلطان الملك
١٦٠	المؤيد
١٦٣	ذكر وفاة الملك المؤيد هزبر الدين داود
	ذكر ملك الملك المجاهد سيف الإسلام على بن الملك المؤيد هزبر
١٦٤	الدين داود
	ذكر ملك الملك المنصور زند الدين أيوب بن الملك المظفر يوسف بن
١٦٥	عمر بن على بن رسول، ثم خلعه
	ذكر عود الملك المجاهد إلى الملك، والقبض على عمه الملك
١٦٦	المنصور ووفاته
	ذكر تجريد طائفة من العساكر المنصورة إلى اليمن، وما كان من
١٧٣	خبرها إلى أن عادت
١٨٢	ذكر حفر الخليج الناصرى
١٨٣	ذكر عمارة القصر والخانقاه بسماسم، والجلوس بالخانقاة
١٨٤	ذكر روك الإقطاعات بالمملكة الحلبية
١٨٥	ذكر وفاة الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى
	ذكر القبض على الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، وتنقل الأمراء
١٨٦	فى الإقطاعات والتقدم
١٨٨	ذكر توجه السلطان إلى الصيد، والإفراج عمن نذكر من الأمراء
١٩٤	ذكر غرق مدينة بغداد
١٩٧	«واستهلت سنة ست وعشرين وسبعمائة.»
١٩٧	ذكر وصول رسل مملك الحبشة

الصفحة

الموضوع

١٩٨	ذكر عزل وتولية من يذكر من أرباب المناصب الديوانية بالدولة الناصرية
٢٠١	ذكر وصول رسل الملك المجاهد متملك اليمن بالتقادم
٢٠١	ذكر إرسال الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي إلى أبي سعيد
٢٠٢	ذكر إرسال السلطان ولده إلى الكرك المحروس
٢٠٢	ذكر تجديد عمارة البيمارستان المنصوري، والقبّة، والمدرسة
٢٠٣	ذكر تجريد طائفة من العسكر إلى برقة
٢٠٣	ذكر تفويض نيابة السلطنة الشريفة بالمملكة الطرابلسية والفتوحات إلى الأمير سيف الدين طينال الحاجب
٢٠٥	ذكر الجلوس بخانقاة الأمير سيف الدين بكتمر الساقى بالقرافة
٢٠٥	ذكر وصول رسل التتار وأقارب السلطان إلى الأبواب السلطانية
٢٠٦	ذكر وصول رسل جويان
٢٠٦	ذكر وصول صاحب حصن كيفا إلى الأبواب السلطانية، وعوده إلى بلاده، وخبر مقتله ومُلك أخيه
٢٠٩	ذكر خبر مولود ولد في هذه السنة
٢٠٩	ذكر خبر إجراء الماء إلى مكة شرفها الله تعالى
٢١٢	ذكر عدة حوادث كانت بدمشق في سنة ست وعشرين وسبعمائة خلاف ما ذكرنا
٢١٣	ذكر اعتقال الشيخ تقي الدين بن تيمية
٢١٩	«واستهلت سنة سبع وعشرين وسبعمائة»
٢١٩	ذكر عزل الأمير سيف الدين أرغون الناصري نائب السلطنة الشريفة، وانتقاله إلى نيابة السلطنة بالمملكة الحلبية
٢٢٢	ذكر وصول الأمير سيف الدين تَنكُز نائب السلطنة الشريفة بالشام المحروس إلى الأبواب السلطانية
٢٢٦	ذكر حادثة وقعت بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

الصفحة

الموضوع

- ذكر القبض على من يذكر من الأمراء وإعادة الأمير شرف الدين
 ٢٢٧ حسين بن جندر بيك إلى الديار المصرية
 ٢٢٨ ذكر اتصال الأمير سيف الدين قوصون بابنة السلطان الملك الناصر...
 ذكر استعفاء قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، وإجابته إلى
 ٢٢٩ ذلك، وتفويض القضاء بعده لجلال الدين القزويني
 ذكر وصول رسل الملك أبي سعيد ملك العراقيين وخراسان إلى
 ٢٣٢ الأبواب السلطانية
 ٢٣٤ ذكر الفتنة الواقعة بثغر الإسكندرية
 ذكر تفويض قضاء القضاة بالشام لشيخ المشايخ علاء الدين
 ٢٣٨ القونوي
 ذكر تفويض ما كان بيد الشيخ علاء الدين من الجهات لمن يذكر،
 ٢٤٠ وما وقع في أمر الصوفية بالخانقاة الصلاحية
 ٢٤٢ ذكر وصول رسل الباب فرنسيس إلى الأبواب السلطانية.
 ٢٤٢ ذكر متجددات كانت بالشام في هذه السنة.
 ٢٥١ **«واستهلت سنة ثمان وعشرين وسبع مائة»**
 ٢٥٢ ذكر وصول رسل الملك أبي سعيد إلى الأبواب السلطانية
 ٢٥٣ ذكر وفود الأمير تمرتاش بن جوبان .. إلى الأبواب السلطانية
 ٢٥٥ ذكر [أخبار] الأمير تمرتاش بن جوبان
 ٢٥٨ ذكر وصول رسل الملك أبي سعيد إلى الأبواب السلطانية
 ذكر وصول الأمير سيف الدين تنكز نائب السلطنة بالشام المحروس
 ٢٥٩ إلى الأبواب السلطانية، وعوده
 ذكر وفاة قاضي القضاة شمس الدين الحريري الحنفي، وتفويض
 ٢٥٩ القضاء إلى برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق
 ذكر عود رسل السلطان من جهة الملك أزيك، ووصول رسله وعودهم
 ٢٦١ إلى مرسلهم

الصفحة

الموضوع

- ذكر مقتل الأمير بدر الدين كُبَيْش أمير المدينة، وتولية أخيه
«طُقَيْل» ٢٦٢
- ذكر ما قرر من استيثار الدولة الناصرية، ومن رُتّب من المباشرين ... ٢٦٣
- ذكر الإفراج عمن يذكر من الأمراء والمعتقلين ٢٦٤
- ذكر متجددات كانت بدمشق في هذه السنة ٢٦٥
- ذكر حادثة السيل بعجلون ٢٦٨
- «واستهلت سنة تسع وعشرين وسبعمائة»**
٢٧٩
- ذكر وصول رسل الملك أبي سعيد، ورغبته في الاتصال بمصاهرة
السلطان ٢٨٢
- ذكر الاستبدال بمن يذكر من مباشرى الدولة ومصادرتهم، وإفصال
الأمير علاء الدين مُغَلطاي الجمالى من الوزارة ٢٨٤
- ذكر رؤيا رأيتها في المنام ٢٨٦
- ذكر متجددات كانت بدمشق في سنة تسع وعشرين وسبعمائة ٢٨٧
- «واستهلت سنة ثلاثين وسبعمائة.»**
٢٩٩
- ذكر تفويض قضاء القضاة بالشام إلى القاضى علم الدين بن
الإخنائى ٣٠٠
- ذكر وصول الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل - صاحب حماة - إلى
الخدمة السلطانية، وعوده ٣٠١
- ذكر توجه السلطان إلى الصيد وعوده، وسبب ما حصل في يده من
التصدع، ومعالجة ذلك وبرئه ٣٠٢
- ذكر إقامة الخطبة وصلاة الجمعة بالمدرسة الصالحية النجمية
بالقاهرة المحروسة ٣٠٣
- ذكر إنشاء الخانقاة العلائية بالقاهرة ٣٠٤
- ذكر وصول رسل «ريدافرنس» إلى الأبواب السلطانية ٣٠٦
- ذكر الإفراج عن الأمير سيف الدين بهادر ٣٠٦
- ذكر وصول رسل الملك أبي سعيد ٣٠٧

الصفحة	الموضوع
٣١٠	ذكر خبر يوسف الكيماوى ومقتله
٣١٢	ذكر الفتنة بمكة شرفها الله تعالى
٣١٣	ذكر متجددات كانت بدمشق المحروسة سنة ثلاثين وسبعمائة
٣٢٢	صورة ما ورد فى آخر نسخة (ك)
٣٢٣	فهرس موضوعات الجزء الثالث والثلاثين من كتاب نهاية الأرب
٣٣١	فهرس بأسماء بعض المراجع التى اعتمدنا عليها فى التحقيق

بعض المراجع التي اعتمدنا عليها في تحقيق هذا الجزء»

- (١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . (الأجزاء المطبوعة) لأبى المحاسن جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ط. دار الكتب.
- (٢) صبح الأعشى فى كتابة الإنشا. للقلقشندى : أبى العباس أحمد : ط. دار الكتب.
- (٣) السلوك لمعرفة دول الملوك (ج ١ و ٢) فى ست مجلدات للمقريزى (تقى الدين أحمد بن على) تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- (٤) المختصر فى تاريخ البشر المعروف بتاريخ أبى الفداء فى أربعة أجزاء ط. الحسنية سنة ١٣٢٥ لأبى الفداء (عماد الدين إسماعيل).
- (٥) شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (ثمانية أجزاء) لابن العماد : أبى الفلاح عبد الحى (نشر مكتبة المقدسى) القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .
- (٦) تاريخ ابن خلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر) سبعة مجلدات لابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن محمد... ط. بولاق. سنة ١٢٨٤ هـ.
- (٧) نهاية الأرب فى فنون الأدب (الأجزاء المطبوعة) للنويرى: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب . ط. دار الكتب.
- (٨) تاريخ اليمن: فرجة الهم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن، للواسعى: عبد الواسع بن يحيى الواسعى اليمانى ط. القاهرة سنة ١٩٤٧ م .
- (٩) بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فيمن تولّى ملك اليمن من ملك أو إمام للعرقشى : القاضى حسين بن أحمد، تحقيق وتعليق الكرملى ط. القاهرة ١٩٣٩.

(١٠) تاريخ المستبصر المسمى صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (فى جزأين) ، لابن المجاور : جمال الدين أبى الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد. نشر اوسكر لوفجرين ط. ليدن سنة ١٩٥١.

(١١) العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية. (فى مجلدين) الخزرجى : على بن الحسن، وتصحيح محمد بسيونى عسل . ط. القاهرة سنة ١٩١١.

(١٢) مختصر المفيد فى أخبار صنعا وزيد : عمارة بن على بن زيدان اليمنى نسخة مصورة بدار الكتب تحت رقم ٨٠٤٨ ح

(١٣) طرفة الأصحاب فى معرفة الأنساب : للملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول (تحقيق ك.و. سترستين) ط. المجمع العلمى العربى بدمشق سنة ١٩٤٩.

(١٤) مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان (الجزء الثامن فى قسمين) : سبط ابن الجوزى : شمس الدين يوسف بن قزاوغلى التركى. ط. دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة ١٩٥١.

(١٥) المقتطف من تاريخ اليمن: للجرافى: القاضى عبد الله بن عبد الكريم الجرافى ط. الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٥١.

(١٦) أخبار مكة - شرفها الله - وما جاء فيها من الآثار: للأزرقى: أبى الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى ط. ليبزج سنة ١٨٥٨م

(١٧) الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر (وهو الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر) للدوادارى: أبى بكر بن عبد الله بن أيبك الدوادارى ط. القاهرة سنة ١٩٦٢

(١٨) تاريخ المساجد الأثرية (الجزء الأول) حسن عبد الوهاب ط. دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٤٦

(١٩) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى (الجزء الأول)
المسشرق زامباور (ترجمة زكى محمد حسن وآخرين) ط. القاهرة سنة
١٩٥١.

(٢٠) الدارس فى تاريخ المدارس. للنعيمى: عبد القادر بن محمد النعيمى
الدمشقى (تحقيق جعفر الحسنى) ط. المجمع العلمى العربى بدمشق
سنة ١٩٤٨.

(٢١) المروج السندسية الفسيحة فى تلخيص تاريخ الصالحية. لمحمد بن
عيسى بن كنان. (تحقيق محمد أحمد دهمان) ط. مديرية الآثار القديمة
العامه بدمشق سنة ١٩٤٧

(٢٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- جزآن. للمقريزى (تقى الدين
أحمد بن على) ط. بولاق سنة ١٢٧٠ هـ .

(٢٣) الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (فى أربعة أجزاء). لابن حجر
العسقلانى (شهاب الدين أحمد بن على بن محمد) ط . دائرة المعارف
العثمانية بالهند سنة ١٣٤٨ هـ

(٢٤) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى (الجزء الأول). لابن تغرى
بردى (جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغرى بردى) تحقيق أحمد
يوسف نجاتى ط. دار الكتب سنة ١٩٥٦

(٢٥) الوافى بالوفيات (الأجزاء من الأول إلى الرابع). للصفدى: صلاح الدين
ابن أيبك (٢١٠ ط. استانبول) (٤٣ و٤٤) ط. دمشق ١٩٥٣ و ١٩٥٩

(٢٦) الطالع السعيد الجامع أسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد . للأدفرى
: جعفر بن ثعلب بن جعفر. ط. القاهرة سنة ١٩١٤ م

(٢٧) دولة بنى قلاوون فى مصر. الدكتور محمد جمال الدين سرور ط. القاهرة
سنة ١٩٤٧ م

(٢٨) تاريخ دولة المماليك فى مصر . وليم موير (ترجمة محمود عابدين
وسليم حسن) ط. القاهرة سنة ١٩٢٤م

(٢٩) معجم البلدان (عشرة أجزاء) الأصل والتكملة. ياقوت الحموى ط.
الخانجى بالقاهرة سنة ١٩٠٧م.

(٣٠) مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع (فى ثلاثة أجزاء). لصفى
الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى (تحقيق على البجاوى) ط.
الحلبى سنة ١٩٥٤ م .

(٣١) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . للمقدسى المعروف بالبشارى
(محمد بن أحمد بن أبى بكر) ط. ليدن ١٩٠٦ م

(٣٢) صفة جزيرة العرب (فى جزأين). للهمدانى : أبى محمد الحسن بن
أحمد بن يعقوب) ط. ليدن (١٨٨٤ - ١٨٩١م)

(٣٣) الإكليل . للهمدانى (أبى محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب). الجزء
الثامن بتحقيق الكرملى (الأب أنستاس) ط. بغداد سنة ١٩٣٦م الجزء
العاشر بتحقيق محب الدين الخطيب ط. القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ

(٣٤) قوانين الدواوين . لابن ممتاى : الأسعد بن ممتاى الوزير الأيوبي
(تحقيق عزيز سوريال) ط. القاهرة سنة ١٩٤٣

(٣٥) القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، محمد رمزى . ط. دار الكتب
(١٩٥٤-١٩٥٥)

(٣٦) تاج العروس (عشرة أجزاء) للزبيدى (السيد محمد مرتضى الحسينى)
القاهرة . المطبعة الخيرية (١٣٠٦-١٣٠٧هـ).

(٣٧) النقود العربية . للمقريزى (نشر الكرملى) القاهرة سنة ١٩٣٩.

(٣٨) العرب والملاحة فى المحيط الهندى. لجورج فضلو حورانى، ترجمه عن الإنجليزية الدكتور يعقوب بكر (نشر مؤسسة فرنكلين) (القاهرة سنة

١٩٥٨

(٣٩) الألفاظ الفارسية المعربة : أدى شير (ط. بيروت ١٩٠٨ م)

(٤٠) شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين أحمد الخفاجى ط. الأميرة ١٢٨٢ هـ

(٤١) معيد النعم ومبيد النقم للسبكى. تاج الدين عبد الوهاب السبكى بتحقيق محمد على النجار وآخرين . (ط. دار الكتاب العربى سنة ١٩٤٨).

(٤٢) بهجة الزمن فى تاريخ اليمن، لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، تحقيق عبد الله الحبشى، محمد السنبانى، ط. دار الحكمة اليمانية، صنعاء ١٩٨٨.

(٤٣) معجم البلدان والقبائل اليمنية، إعداد إبراهيم أحمد المقحفى، ط. الثالثة، دار الكلمة، صنعاء ١٩٨٨ .

